بون

BOBST LIBRARY
3 1142 02821 8637

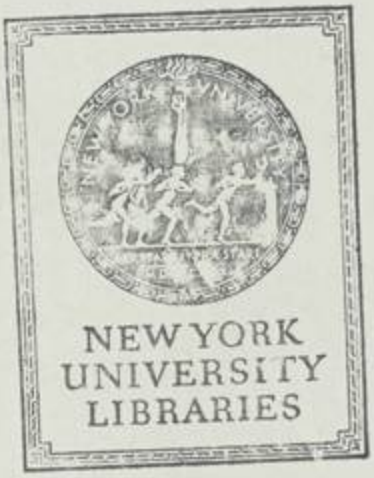

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

75-961872
(Vol.1)

ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه

الصابئة المندائيون

الكتاب الاول

تأليف

اللّيدي دراوور

ترجمة

نعيم بدوي و غضبان رومي

حقوق الطبع محفوظة للمترجمين

مطبعة الارشاد ـ بغداد

١٩٦٩

Drower, Ethel Stefand (Stevens) Lady.
/al-Ṣabi'ah al-Mandā'iyūn./

ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه

الصابئة المندائيون

الكتاب الاول

V.1

تأليف

الليدي دراور

ترجمة

نعيم بدوي و غضبان رومي

حقوق الطبع محفوظة للمترجمين

منشورات مكتبة الاندلس

مطبعة الارشاد - بغداد

١٩٦٩

Near East
BT
1405
.D712
v.1
c.1

مقدمة المترجمين

بدأ اهتمام العلماء المسلمين في الصابئين منذ ان ورد ذكرهم في القرآن الكريم باعتبار دينهم دينا قائما بذاته كالأديان الكتابية الاخرى المعروفة . وقد اختلف الرأى فيهم فمن الباحثين من اعتبرهم وثنيين عبدة كواكب ، ومنهم من قال ، انهم على دين كتابي خاص ، هو ما ذهبت اليه الآيات القرآنية الكريمة ، ولهذا عوملوا معاملة اهل الاديان الكتابية واخذت منهم الجزية « وقد اقترح ابو يوسف » ان يصير امر الجزية في الامصار الكبيرة الى رجل من اهل الصلاح في كل مصر ، ويصير معه اعوانا يجمعون اليه اهل الاديان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين[1] .

كما بدأت الابحاث عنهم لدى الغربيين بابتداء الرحالة بالجواس خلال اقطار الشرق الاوسط وما بين النهرين منذ القرن السابع عشر الميلادي[2] .

وكثر الحديث عنهم في القرن الأخير فالفت فيهم الكتب ونشرت

---

(١) كتاب الخراج لابي يوسف ص ٧٠ .

(٢) آ ـ تافارنييه ـ العراق في القرن السابع عشر

ب ـ هنري لايارد ـ نينوى واطلالها ١٨٤٩

جـ ـ بيترمان

د ـ جسني ـ ارساليات وقصص

هـ ـ روبرت تيلور الوكيل السياسي البريطاني في بغداد خلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر

مقالات وابحاث قام بها شرقيون وغربيون[٣] .

وكنا نحن ابناء هذه الطائفة نقرأ مايكتب عنهم ونتابع مايتوصل اليه الباحثون في شأنهم ونقارن بينه وبين معتقداتهم الحقيقية ، فنقر البعض وننكر البعض الآخر . الا اننا لم نجد رأيا مكتوبا مستندا الى وثائق دينية صابئية لاسباب قد يكون منها ان رجال الدين الصابئي لا يعاوننا لانهم لا يقرون علنية الدين فذلك يتعارض وباطنيته ، اضافة الى ان الدين ليس تبشيريا ، وانهم طائفة صغيرة قليلة العدد وان ما يكتب عنهم لا يضيرهم في شيء ما داموا يتمتعون بالمسامحة الدينية التي تمكنهم من ممارسة شعائرهم بحرية كما هو واقع الحال . يضاف الى ذلك ان المثقفين من ابناء هذه الطائفة عموما ، الذين

---

(٣) آ ـ أحمد امين . فجر الاسلام وضحى الاسلام
ب ـ عبدالرزاق الحسني . الصابئون في حاضرهم وماضيهم
ج ـ الأب انستاس ماري الكرملي . مجلة المشرق م ٤٠ ص ٥٥١ بيروت
د ـ عباس محمود العقاد . ابو الانبياء
هـ ـ عبدالحميد عباده . المندائي
و ـ سيوفي . دراسات في دين الصابئة باريس ١٨٨٠
ز ـ اوليري . كيف انتقل العلم الاغريقي الى العرب
ح ـ ليدزبارسكي
ط ـ براندت . الدين المندائي
ي ـ نولدكه . قواعد اللغة المندائية
ك ـ جي . ودنكرين . المندائيون ١٩٤٦
ل ـ سيكلبرج . المصبته .
م ـ الليدى دراوور . المندائيون في العـــراق وايران وكتب وابحاث عديدة
ن ـ الدكتور ماتسوخ . اللغة المندائية القديمة والحديثـة . وقاموس في الانجليزية الى المندائيـة بالاشتراك مـــع الليدى دراور
س ـ الدكتور رودولف كورت . المندائيون ، وابحاث اخرى

يهمهم نشر المعلومات الحقيقية العلمية عنهم ، تنقصهم معرفة لغة الكتب الصابئية بصورة دقيقة وعميقة ، فهي كتب مدونة باللغة المندائية وهي احد فروع اللغة الآرامية ولذلك فهم يتهيبون الخوض في موضوع يتطلب دقة معرفة هذه اللغة بالاضافة الى معرفة اللغات السامية الاخرى • الا ان مجانبة كثير من الحقائق التي قام بنشرها المؤرخون والباحثون العرب في الوقت الحاضر اضافة الى ما نشره عنهم الباحثون الافرنج وما ترجموه من كتبهم(٤) دفعنا بادىء ذى بدء رغم كل الصعوبات التي ذكرناها ، الى محاولة تأليف كتاب عنهم نعتمد فيه على ما نعرفه نحن عن دينهم ممارسة ومشاهدة ونقلا عن شيوخهم والعارفين من بينهم ثم على كتبهم المخطوطة التي لا يزالون يسيرون على تعاليمها الى يومنا هذا ؛ وقد تم فعلا تأليف الكتاب(*) الا ان

---

(٤) ترجم من كتبهم الى اللغة الانكليزية من قبل الليدي دراوور •

١ ـ كتاب حران كويثا ـ حران السفلى •

٢ ـ كتاب النيانى ـ التراتيل والصلوات •

٣ ـ سيدره‌اد نشماثا (المصبتا) كتاب التعميد •

٤ ـ اسفر ملواشه ـ تفسير الملواشه (الاسم الديني) •

٥ ـ دراشه إد يهيا ـ دروس يحى عليه السلام •

٦ ـ ترسر الف شياله ـ اثنا عشر الف سؤال •

٧ ـ القلستا ـ كتاب عقد الزواج •

٨ ـ اله ريشايا واله زوطا ـ العالم الرئيسي والعالم الصغير •

٩ ـ مصبته اد هيبل زيوا ـ عماد جبريل •

١٠ـ اقماهى وزرسته ـ كتب الاحراز •

١١ـ ديوان اباثر ـ ديوان محاسبة الارواح ووزنها •

١٢ـ كتاب كنزه‌ربه ـ ترجم الى اللغة الالمانية وهو الكتاب الرئيسي وقد ترجمه البروفسور ليدس باريسكى •

(*) الكتاب المقصود هو غير هذا الكتاب المترجم ، وهو كتاب لم ينشر بعد •

صعوبات كثيرة اعترضت سبيل نشره منها انه وقد الفه بعض ابناء هذه الطائفة ، قد يؤخذ على انه مجرد دفاع عنهم بوجه منتقدى عاداتهم او انه محاولة لاقناع الآخرين بانهم طائفة ذات دين متسامح معه ومجرد نفى تهمة عبادة الكواكب عنهم .

ان المصادر المعتمد عليها فيما الفناه مصادر صابئية بالدرجة الاولى واقتباساتنا من مخطوطات موجودة فعلا ، وعن طريق الترجمة في اللغات الاجنبية .

لهذا ولغيره من الاسباب طرحنا فكرة نشر كتاب مؤلف وقمنا بترجمة كتاب الفته عنهم (الليدى دراور) المستشرقة الانكليزية المعروفة مقابلين بين ما ورد فيه وبين ما هو موجود فعلا لديهم موضحين ومصححين ومعلقين حسب ما تقره الحقيقة .

والكتاب المترجم وعنوانه (المندائيون في العراق وايران) في قسمين قمنا نحن بترجمة القسم الاول منه وهو يعالج تاريخ الصابئين وتسميتهم وعاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم الدينية ولغتهم بالتفصيل . اما القسم الثاني منه وهو خاص ببعض الاساطير والقصص الدينية فقد اجلنا نشره في الوقت الحاضر على أمل العودة اليه في وقت آخر واخراجه جزءا منفصلا قائما بذاته .

ويحتوى القسم الاول من الكتاب على اربعة عشر فصلا مع ملاحظات المؤلفة على كل فصل يجدها القارىء بعد كل فصل من فصول الكتاب . اما تعليقاتنا وشروحنا فقد اثبتناها في اسفل الصفحات ، كما قمنا بترجمة بعض الطقوس الدينية مثبتين نطقها مكتوبا بالحرف العربي لتسهل قراءتها .

ان اهمية كتاب الليدى دراور تكمن في كونها اتصلت شخصيا وبصورة مباشرة بالصابئين في العراق وفي ايران ، وقد استمرت هذه الصلة

حوالى اربعة عشر عاما قضتها دارسة ومشاهدة بل وحتى ممارسة في بعض الاحيان لبعض المراسم لاتقانها وتسجيلها تسجيلا دقيقا • وتعتبر المؤلفة في الوقت الحاضر المرجع الاجنبي الرئيسي في دين الصابئين وفي لغتهم ، وقد استمر بحثها عنهم مدة ربع قرن تقريبا بعد انتهائها من كتابها هذا المطبوع عام ١٩٣٧ ميلادية ، ونتج عن تتبعها ودراستها لدينهم وللغتهم ان قامت بالتعاون مع الدكتور رودلف ماتسخ[٥] بتأليف قاموس في لغتهم اسمه (قاموس اللغة المندائية) وهو قاموس مندائي انكليزي طبع عام ١٩٦٣ في اكسفورد يعتبر المرجع الوحيد في لغة الصابئين في الوقت الحاضر •

فمن هم هؤلاء الصابئون المندائيون الذين تتحدث عنهم الليدى دراوور في كتابها المترجم هذا ؟

حول ضفتى الرافدين وبخاصة في المناطق السفلى من النهرين فيما يسمونه البطائح منهما حيث يصب النهران العظيمان مياههما في الاهوار

---

(٥) الدكتور رودلف ماتسوخ رئيس قسم اللغات السامية في جامعة برلين الغربية وهو احد العلماء الاعلام الذين قاموا بتحقيقات ودراسات قيمة في ميدان الدراسات السامية ، وعدته في ابحاثه اطلاع شامل عميق في اللغات السامية من عربية وعبرية وسريانية ومندائية (صابئية) وغيرها ، ومعرفة راقية بلغات حية كثيرة كالجيكية لغته الام والالمانية والانكليزية والروسية والفرنسية وغيرها • وقد الف اخيرا كتابا فريدا حول اللغة المندائية بدراسة مباشرة للتلفظ في وجهيه المتواتر القديم والعامي المتداول بالاضافة الى دراسة اللغة المندائية في صرفها ونحوها •

ويقع كتابه (دليل اللغة المندائية الكلاسيكية والمعاصرة) في ٦٤٩ صحيفة من القطع المتوسط منها ١٨٥ صحيفة اشتملت على مصادر ونماذج من اللغة المندائية المحلية مع ثبت بمفرداتها وفهرست فيلولوجي هذا فضلا عن مقدمة في شؤون دراسة المندائية ودارسيها استغرقت ٦٨ صحيفة واسم الكتاب بالانكليزية هو :

Hand Book of Classical and Modern Mandaic Berlin 1965

وحيث يلتقيان في مدينة القورنه قبل ان يفرغا مياههما في الخليج العربي ، وفي بطائح عربستان من بلاد ايران حول نهر كارون الذي يصب هو ايضا مياهه في الخليج ذاته ، في تلك الاصـــقاع عاش ولا يزال يعيش بقايا طائفة يطلق عليها اسم الصابئين أو الصابئة أو الصبة وتطلق هي على نفسها اسم (المندايى) . وكان الصابئون المندايى هؤلاء يقطنون تلك الاصقاع حين فتحت الجيوش الاسلامية بلاد الساسانيين وكانوا باعداد كبيرة[٦] تكفى لان يذكرهم القرآن الكريم باعتبارهم دينا كتابيا ويمنحهم الحمايـة ويسميهم (الصابئين) هذه التسمية التي لا يزالون يعرفون بها اليوم والتي تضمن لهم وجودهم وعيشهم بين المسلمين كدين كتابي متسامح معه[٧] .

واسم « الصابئين » كاسم لهذه الطائفة غير معروف عندهم دينيا فهم يعرفون انفسهم باسم (مندايي)[٨] كمـا ذكرنـا فلابد اذاً من ان تكون تسميتهم بالصابئين قد جاءت من الاقوام حولهم ، فاذا علمنا ان الشـــعار الرئيسى لديهم هو الارتماس في الماء الجاري وان طهارتهم اليومية تمارس كذلك عن طريق الاغتسال في الماء وان هذه الممارسة تسمى (مصبته) اي التعميد ترجح لدينا ان التسمية (صابئى) مأخوذة من فعل (صبا) الآرامى ومعناه يرتمس ويتعمد فهم يقولون في صيغة الاذان عندهم (انش صابى بمصبته شلمى) اي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم . كما يقولون في التعميد (صبينا ابمصبته اد بهرام ربه) اي تعمدنا بعماد ابراهيم الكبير ، ولديهم

---

(٦) ابن النديم صحيفة ٤٩١ .

(٧) جاء في كتاب الجاحظ للدكتور شـــارل بلات استاذ جامعـــة الصوربون ترجمة الدكتور الكيلاني صحيفة ٣٠٦ و ٣٠٧ قوله (ان المغتسلة كانوا كثيرين بنواحي البطائح ويقومون بشعائر دينهم حتى زمن ابن النديم فكان من الطبيعي والحالة هذه ان يعرف البصريون فلول المغتسلة والمانوية) .

(٨) تعنى كلمة مندايى باللغة الآرامية (العارف) من الفعل (مدّعا) اي عرف أو علم (الدكتور مراد كامل ـ تاريخ الادب السرياني) .

الكثير من العبارات التي تذكر كلمة (المصبته) كثيرا في طقوسهم • فمن المعقول ان يكون الاقوام المجاورون لهم ، وكثير منهم آراميون أو يعرفون اللغة الآرامية ، قد اطلقوا عليهم اسم (الصابئين) اي المغتسلة بالآرامية •

وقد ايد هذا الرأى كثير من الباحثين منهم نولدكه والاب الكرملى والليدى دراور والبروفسور اولىرى وكثيرون غيرهم • فقد ذكر الاب الكرملى في حديثه المنشور في مجلة المشرق عن الصابئين قوله ان نولدكه قال (ان كلمة صابئة مشتقة من صب الماء اشارة الى اعتمادهم بالماء لانهم يعتمدون كالنصارى) •

وقالت الليدى دراور انها مأخوذة من كلمة (صبا) المندائية ومعناها الارتماس والاغتسال بالماء الجاري[٩] •

وقال البروفسور اولىرى في سياق حديثه عن صابئة حران • (ان قصة الحرانيين مع المأمون ما هي الا محاولة لتفسير كيف اصبح الحرانيون يسمون بالصابئين وهو اسم نعرف الآن انه لا يعود لهم • ان الصابئين الحقيقيين كانوا في الجنوب العربي لا علاقة لحران بهم ، ان المندائيين في جنوب العراق اصل معمدى الآباء المسيحيين الاوائل ، والكتاب الربانيين الذين حصلوا على اسم (المتعمدين) من تطهرهم المستمر المتزمت ، كانوا يسمون بالآرامية (بالصابئين) من اصل الفعل (صبا الآرامى) بمعنى يغطس ويتعمد ، وكان المندائيون هؤلاء معرفيين (غنوصيين)[١٠] مالوا الى

---

(٩) كتاب المندائيون في العراق وايران طالع الفصل الأول من هذا الكتاب •

(١٠) كلمة غنوسطي أو غنوصى يونانية معناها في الاصل المعرفة ولكن معناها الاصطلاحي هو النزعة الى ادراك كنه الاسرار الربانية بوساطة هذا النوع السامي من المعرفة الذي يقابل ما يسمى عند الصوفية باسم الكشف أو هو هذا الكشف نفسه •

العقائد التنجيمية فهم بهذا من معظمي النجوم ، ولم يكن اهل حران معرفين بل كانت لهم هياكل مكرسة للكواكب مما جعل الخلط بينهم وبين المندائى ممكنا ومن المحتمل ان تكون الافلاطونية الحديثة الحرانية قد امتزجت بالعقائد المعرفية[١١] ، وقال الاستاذ عباس محمود العقاد عن الصابئين (انهم السابحة من السبح والاستحمام في مياه الانهار)[١٢] .

كما فطن الى ذلك بعض المؤرخين المسلمين القدماء فاسماهم ابن النديم (المغتسلة أو صابئة البطائح) قال (وكان بنواحي دست ميسان[١٣] قوم يعرفون بالمغتسلة وبتلك النواحي والبطائح بقاياهم الى وقتنا هذا)[١٤] .

هذه بعض الآراء في تسميتهم بالصابئين وهي مأخوذة عن شعارهم الرئيسي الاغتسال والتعميد (مصبته) الا ان هناك رأياً آخر في تسميتهم جاء به بعض مفسرى القرآن الكريم . فقد ورد ذكر الصابئين في ثلاث آيات كريمة يفهم منها ان الصابئين طائفة خاصة ذات دين خاص فقد جاء في احدى الآيات الكريمة من سورة البقره (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . من هذه الآية يفهم ان هناك قوما لهم ديانة خاصة بهم يسمون بالصابئين الا ان بعض المفسرين رأى ان هذه الكلمة مأخوذة من كلمة (صبأ) العربية بمعنى خرج من

---

(١١) البروفسور اوليرى Greek Science, How it Passed to The Arabs.

(١٢) ابو الانبياء .

(١٣) دست ميسان : اقليم يقع بين الاهواز وواسط وهو يشمل لواء العمارة تقريباً .

(١٤) الفهرست لابن النديم صحيفة ٤٧٧ .

دين آبائه الى دين آخر[١٥] ، ومن صبأ النجم اى ظهر ، ولم يحاولوا الغوص الى اصل اشتقاق هذه الكلمة في لغتها الاصلية الآرامية .

هذا من ناحية اشتقاق الكلمة لغوياً ، اما من ناحية دين هؤلاء الصابئين فقد اختلف المفسرون والباحثون المسلمون فيه اختلافا كبيرا ، فمنهم من قال انهم قوم بين المجوس واليهود والنصارى ، ومنهم من قال انهم قوم يعبدون الملائكة ويقرأون الزبور ويصلون للقبلة ويصلون الخمس ، وقال آخرون ان الصابئين قوم يؤمنون بالنبيين كلهم ، كما قال بعضهم ان الصابئين قوم ليست لهم شريعة أو انهم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وانما هم قوم يأتون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم[١٦] .

وجاء في كتاب (في ظلال القرآن للسيد قطب م١ ص٩٥ في تفسيره لما جاء في سورة البقرة عن الصابئين قوله :ـ (والصابئون الارجح انهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الاصنام فبحثوا لانفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا الى التوحيد وقالوا انهم يتعبدون على الحنيفة الاولى ملة ابراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون ان تكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون انهم (صبأوا) اي مالوا عن دين آبائهم ، كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئة . وهذا القول ارجح من القول بانهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير . والآية تقرر ان من آمن بالله واليوم

---

(١٥) الصابئة اسم عام في اللغات السامية يطلق على من صبأ من دين الجماعة الى دين آخر اي خرج على دين قومه فانحرف عنهم وتنعت به طوائف عديدة . غير ان الصابئة الحقيقية اسم خاص بفئة من الموحدين ينسبون الى يوحنا المعمدان ... وقد عرفهم القرآن وسلكهم في سلك الموحدين . مجلة المسره العدد ٥٠٧ تموز عام ١٩٦٥ .

(١٦) تفسير ابن كثير ج١ ص١٠٤ .

الآخر من هؤلاء جميعا وعمل صالحا فان لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم) •

يفهم مما كتبه الباحثون والفقهاء والمفسرون المسلمون عن الصابئين انهم ليسوا على اتفاق فيما كتبوا عنهم ، وانما هي روايات واقوال واجتهادات تختلف عن بعضها البعض كل الاختلاف ونحن نؤيد ان يكون هناك اقوام تسموا بالصابئين كما فعل الحرانيون وان هناك فئات اطلق عليها هذا الاسم فسموا بالصابئة وهم الاحناف واوائل المسلمين في بدء البعثة النبوية الشريفة ولكننا نميل الى ان الذي قصده القرآن الكريم من كلمة صابئين انما هو هذه الطائفة المغتسلة التي كانت تعيش في جنوب العراق منذ آلاف السنين والتي لا تزال تعيش هنالك الى يومنا هذا • ان باطنية الدين الصابىء وجهل مؤرخي العرب باللغة المندائية ومشاهدتهم بعض طقوس وشعائر الصابئين وهي غريبة عليهم حقا وتلقيهم كثيرا من المعلومات عن طريق المارقين عن الدين الصابىء الذين يحاولون تبرير مروقهم بشتى النعوت ، ثم ظهور الحرانيين باسم الصابئين وبروزهم في مقر الخلافة العباسية منذ القرن الثالث للهجرة وحقيقة كون الحرانيين الصابئين عبدة كواكب ونجوم ، كل ذلك ادى الى هذا الخلط الكبير فيما يخص ديانة الصابئين الحقيقيين ، اى (الصابئين المندايى)[١٧] أو صابئة البطائح أو المغتسلة • وقد فطن الدكتور جواد علي الى كون الصابئين طائفة خاصة لها دين خاص مثل اليهود والنصارى • وقال في رده على المفسرين بصورة عامة (ولكن الذي يفهم من القرآن الكريم ان الصابئين جماعة كانت على دين خاص وانها

---

(١٧) يصدق هذا حتى في الوقت الحاضر على الكثير من الباحثين في العربية الذين تصدوا للكتابة عن دين وشعائر هذه الطائفة بعد ان تفتحت لهم آفاق المعرفة مما كتبه وترجمه المستشرقون وما تحقق لديهم عن طريق الاطلاع والدراسة عن احوال الصابئين وعباداتهم •

طائفة مثل اليهود والنصارى اي ان الكلمة مصطلح ولها مدلول مفهوم)[١٨] .

وفي الحقيقة فان بعض المؤرخين والمفسرين الذين تصدوا للبحث في دين الصابئين أو لتفسير كلمة صابئين التي جاءت في القرآن الكريم قد تأثروا الى حد كبير بصابئة حران الذين كان منهم ومن الصابئين الحقيقيين المندائيين المترجمون والاطباء والفلكيون في بلاط الخلافة العباسية . وقد كان الحرانيون الذين تسموا بالصابئين عبدة كواكب ونجوم فعلا كما جاء عنهم في كثير من الكتب التأريخية .

وليست العلاقة بين الحرانيين الصابئين وبين الصابئين المندائيين مجرد تسمية تجمع بينهما ،بل ان هناك علاقة تتصل بهجرة الصابئين الحقيقيين المندائيين من موطنهم في فلسطين بعد الميلاد الى مدينة حران ومجاورتهم للحرانيين هناك ثم من تشابه بعض الازياء التي كانت تتماثل الى درجة كبيرة بينهما . ان ادلة واضحة حول تاريخ الصابئين الاصليين المندائى توجد في كتاب (حران كويثا)[١٩] أي حران السفلى أو الداخلية ، وهو كتاب المفروض فيه انه تاريخي غير ان الحكاية فيه مزيج من التأريخ والاسطورة والنبؤة حول كيفية هرب الناصورايى[٢٠] من اضطهاد اليهود لهم في

---

(١٨) كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام للمؤلف ج٥ ص٣٦٨ و ٣٦٩ .

(١٩) كتاب صابئي في اللغة المندائية ترجم الى اللغة الانكليزية ونسخة منه موجودة في مكتبة المتحف العراقي .

(٢٠) الناصورائى : كلمة تعنى اولئك الكهان الصابئين الذين يملكون المعرفة الحقيقية الدينية (الناصيروثه) وتتلخص معتقداتهم وهي معتقدات الدين الصابئي بصورة عامة بما يأتى :ـ

آ ـ الاعتقاد بكينونة عليا سامية لا هياة لها يكون التعبير عنها عادة في خلق العوالم الروحية والاثيرية والمادية وان خلق مثل تلك العوالم قد انيط بمخلوقات نجمت عن الخالق وبارادة منه .

اورشليم وكيف بحثوا عن مأوى لهم في جبال ميديا (طورا اد مداى) ومدينة حران في تلك الجبال • وكيف ان مضطهديهم قد عوقبوا بتخريب اورشليم مما يجعل نزوحهم وهروبهم بعد عام ٧٠ بعد الميلاد[٢١] • ويستمر

ب ـ الاعتقاد بثنائية الكون وازدواج الشيء وضده وتلازمهما كالنور والظلام والخير والشر ووجود كون منظور وكون غير منظور شبيه له •

جـ ـ اعتبار الروح منفية اسيرة في الجسم وان موطن واصل تكوينها هو الكينونة العليا فهي تعود اليها بعد تحررها من الجسم •

د ـ الاعتقاد بتأثير النجوم والكواكب على مصائر جميع مظاهر الحياة ومن جملتها البشر اضافة الى انها اماكن للمطهر بعد الموت •

هـ ـ الاعتقاد بوجود ارواح غير مرئية منقذة تساعد الروح البشرية في رحلتها الى العالم الآخر •

و ـ وجود لغة طقسية مملوءة بالرموز والاستعارات تمثل افكارا وصفات قابلة للتجسيد •

ز ـ الاعتقاد بوجود اسرار دينية لمساعدة الروح أو ضمان بعثها من جديد في جسم اثيرى ثم صعودها من عالم المادة الى عالم الانوار •

ح ـ الالتزام بسرية عظمى والاعتقاد بان هناك اسرارا دينية لا تباح معرفتها الا للقلة من المكرسين دينيا ••• وعلى هذا فالصابئون المندائيون ينقسمون الى قسمين متميزين :

القسم الاول : وهم فئة الناصورايين ويكونون مسؤولين عن حفظ الدين واقامة شعائره •

القسم الثاني : وهم المندائيون اي العامة •

(٢١) بعد خراب اورشليم حين سكن اليهود المتنصرون شرقى الاردن فان الناصورايى (كهنة الصابئين) المتمرسين في أمور الدين الذين كانوا يبغضون اليهود واليهود المتنصرين والذين كان هؤلاء يبغضونهم بدورهم ايضا قد بحثوا عن ملجأ لهم في انحاء بارثيا الصديقة وفي تلال ميديا تماما كما جاء في كتاب حران كويثا وطبقا لتلك الوثيقة فان عددا منهم قد هاجر ايضا تحت حماية الملك البارثي الى بابل وخوزستان وقد يكونون قد وجدوا عقائد تشبه عقيدتهم في تلك النواحي (مقدمة كتاب آدم كسيا للسّيدى دراور) نسخة منه في مكتبة المتحف العراقي •

كتاب حران كويثا فيقول :ـ وفي حران وجدوا اخوانا لهم في الدين ثم من هناك بدأت هجرتهم الثانيـة تحت رعايـة الملك البارثي الصـديق (ارطبانوس) ويسمونه (اردوان ملكه) الى القسم الادنى من بلاد ما بين النهرين حيث اقاموا لهم مراكز في محل يدعى الطيب (طيب ماثه)[٢٢] بين واسط وخوزستان ويتطرق الكتاب بعد ذلك الى ذكر الفتح العربي لتلك الاصقاع ويذكر ان وفدا من الصابئين (المندائى) هؤلاء برئاسة احد كبار كهنتهم المدعو (دانقا) قد ذهب لمقابلة القائد العربي وعرض عليه امر الصابئين هؤلاء وان القائد العربي أقرهم على دينهم فاكسبهم ذلك التسامح الديني كاصحاب كتاب وبقوا بين المسلمين يؤدون الجزية .

وتكمن اهمية هذه الوثيقة التاريخية في تأكيدها للروايات الشفوية التي يتناقلها الصابئون اليوم وهي انهم هاجروا الى موطنهم الحالي في العراق من حران وكانوا قبل ذلك في فلسطين[٢٣] .

نخلص من هذا الى ان حران كانت من مواطن الصابئين المندائيين كما كانت موطنا لاقوام آخرين غيرهم ، ومن المحتمل ان يكون قد اختلط هؤلاء الصابئون المهاجرون باولئك الاقوام المستوطنين في حران فتأثروا بهم واثروا عليهم كما تحتم ذلك طبيعة الجيرة والتعايش .

كما ان اسماء بعض الصابئين ايام العباسين من علماء واطباء وفلاسفة كانت تدل على صفتها الصابئية الاصيلة مثل (ابو الفتح المندائى) وابراهيم بن

---

(٢٢) الطيب : مدينة اثرية في الجنوب الشرقي من مدينة العمارة .

(٢٣) ذكر الدكتوران مراد كامل ومحمد حمدي البكرى في بحثهما (تاريخ الادب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي ما يأتى : « واللهجة المندعية (المندائية) واسمها مشتق من الكلمة الآرامية « مدّعا) ومعناها المعرفة ويسمى اصحابها بالصابئين أو المندعيين (المندائيين) وهم طائفة من القبائل الآرامية كانت تسكن منطقة الاردن ثم هاجرت منها الى العراق (المقتطف ج١ م ١١٥ لسنة ١٩٤٩ م) .

زهرون[٢٤] . واسم زهرون لا يزال يستعمل لدى الصابئين الى يومنا هذا وهو اسم مقدس لديهم ، كما ان لقب المندائى دليل لا يقبل الشك في انه يعود الى الصابئين الاصليين الذين يطلقون على انفسهم اسم المندائى كما مر معنا .

ومن هنا يتبين لدينا ان الصابئين كانوا في حران في الوقت الذي كان يقطنها قوم وثنيون متفلسفون فارون من اضطهاد الكنيسة تسموا باسم الصابئين لاكتساب التسامح الديني باعتبارهم كتابيين وليسوا هم كذلك .

ان معرفتنا بالدين القديم في حران متأت من ملاحظات الدمشقي المتوفى عام ١٣٢٧ ميلادية اي بزمن طويل بعد خراب مدينة حران[٢٥] التي لم يبق من دينها اذ ذاك غير معلومات متناقلة نعلم منها انه كان للحرانيين خمسة هياكل عظيمة ، وكان لهم سبعة اخرى منسوبة الى الكواكب السبعة .

ان استيطان الصابئين الحقيقيين لهذه المدينة وتعايشهم مع الوثنيين فيها جعل الدين الصابئي معروفا للقوم هناك ، كما تعرف الصابئون بطبيعة الحال على دين وفلسفة القوم هناك ، وبخاصة الافلاطونية الحديثة[٢٦] التي كانت

---

(٢٤) زهرون : اسم احد الملائكة المقدسين لدى الصابئين .

(٢٥) مدينة حران : تقع في الوسط بين اوديسا والرها على نهر بلياس احد روافد الفرات الاعلى وكانت مشهورة بنقاوة نطقها الآرامي ، وهذا يعزى الى تحررها من النفوذ اليهودي والمسيحي ، وقد خربت عام ٩٣٢ ميلادية ثم خربت مرة اخرى عام ١٠٣٢ ميلادية حيث لم يبق منها غير الهيكل العظيم للقمروزارها بن جبير عام ١١٨٤ ميلادية ووجد ابو الفداء عام ١٣٣٢ ميلادية في محلها قرية مهدمة . (كتاب كيف انتقل العلم اليوناني الى العرب بقلم البروفسور اوليرى) .

(٢٦) الافلاطونية الحديثة : فلسفة تصوفية نشأت في عصر انحطاط الامبراطورية الرومانية بين القرن الثالث والسادس للميلاد وقد اتخذت

فلسفة شائعة اذذاك • ثم ان الكثيرين من الحرانيين الصابئين والصابئين الحقيقيين قد عملوا في مقر الخلافة العباسية كمترجمين[٢٧] واطباء وفلكيين فليس بغريب والحالة هـــذه ان يخلط المؤرخون العرب المسلمون حين يتحدثون عن دين الصابئين بين صابئة حران الوثنيين وبين الصابئة الحقيقيين ذوي الدين التوحيدي •

ان هناك فرقا في الدين كبيراً بين صابئة حران وبين الصابئين الاصليين أو ما يسميهم ابن النديم صابئة البطائح أو المغتسلة وقد فطن بعض فقهـاء المسلمين لهذا الفرق ، فذكر ابن القفطي في كتابه تاريخ الحكماء ص٣١١ •

ان ابا حنيفة وصاحبيه ابا يوسف ومحمدا قـــد اختلفوا في نكاح الصابئة واكل ذبائحهم فحرمهما ابو حنيفة وحللهما صاحباه فقال اصحابهم انه ليس بخلاف على الحقيقة انما هو اختلاف في الفتوى لان ابا حنيفة سئل عن الصابئة الحرانيين وهم معروفون بعبادة الكواكب فاجراهم مجرى عبدة الاوثان على تحريم المناكحة والذباحة وصاحباه سئلا عن الصابئين الساكنين في البطحة وهم فرقة من النصارى يؤمنون بالمسيح عليه السلام فاجابا بجواز

النظرية المثالية والافلاطونية عن الفكرشكل الاعتقاد بالفيض الروحي عـلى العالم المادي • فالمادة في نظرهم هي ادنى حلقة في سلسلة الاشياء ويمكن الحصول على درجات الفلسفة لا من خلال التجارب والعقل بل من خلال النشوة الصوفية • لاحظ ما جاء عن معتقدات الناصورائيين •

واول ما نشأت الافلاطونية الحديثة في مصر في الاسكندرية ثم في روما وقد ترعرعت بعد ذلك في سوريا وكان لها تاثير كبير على تطور الفلسفة وعلى المسيحية نفسها •

(٢٧) ثابت بن قره : كان ابرز المترجمين وهو من صـــابئة حران ، اشتهر بترجمته للكتب اليونانية وبتنقيحه لترجمات سابقة • وقد جاء في كتاب (الهفوات النادرة) تاليف غرس النعمة الصابئي الحراني وهو من احفاد آل زهرون (وهم صابئة مندائيون على الارجح) ان آل زهرون كانوا اصهارا لآل قره اجداد ثابت بن قره •

اكل ذبائحهم ومناكحتهم .

كما جاء في كتاب الخراج لابي يوسف ص١٤٥ قوله :ـ

(والجزية واجبة على جميع اهل الذمة ممن في السواد وغيرهم من اهل الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة) .

يفهم مما تقدم ان الصابئين الساكنين في البطائح هم المقصودون في القرآن الكريم وانهم هم الذين خضعوا للجزية شأنهم في ذلك شأن جميع اهل الذمة من الكتابيين ، وان الحرانيين انما استفادوا من هذا التسامح المفروض لصابئة البطائح فاتخذوا اسم الصابئة واحتموا به . وقد يعترض هنا معترض على ان الصابئين الحاليين ليسوا هم صابئة البطائح الذين جاءت بحقهم الفتوى آنفة الذكر ، الا ان جميع الادلة تثبت انهم هم المقصودون بذلك فهم :ـ

١ ـ قد سكنوا هذه المناطق قبل الفتح الاسلامي لها وان المسلمين وجدوهم هناك حين فتحوا تلك الاصقاع ثم انهم لا يزالون في تلك الاصقاع الى يومنا هذا . وقد وجدت في منطقة البطائح اوان فخارية[٢٨] يعود تاريخها الى ما قبل الفتح الاسلامي للعراق ، عليها كتابات باللغة المندائية وهي لغة الصابئين وهي عبارة عن ادعية دينية يكتبها الكهان الصابئون على مثل تلك الاواني ويضعها الفرد الصابئي تحت عتبة داره وقاية له من الوباء ومن الشرور بصورة عامة ولا يزال الصابئون يتبعون هذا التقليد وبنفس الادعية ونفس الكتابة التي وجدت على تلك الاواني .

٢ ـ ان نعت صابئة البطائح بالمغتسلة للدلالة على شعائرهم التطهيرية

---

(٢٨) آنية رقم ٨٩٥ مطبوعة في دليل المتحف البريطاني للآثار البابلية والآشورية .

بالماء يصدق اليوم ايضا على الصابئين المعاصرين الذين يمارسون الاغتسال والتطهير في الماء في شعائرهم كما كان يمارسه صابئة البطائح الاوائل .

٣ ـ ان دين الصابئين المعاصرين ليس دينا وثنياً باى حال من الاحوال ، بل هو دين يؤمن بالله الحي الازلي وباليوم الآخر . وقد فطن الى ذلك الاستاذ الباحث السيد عبدالرزاق الحسنى في ابحاثه الاخيرة عنهم بعد تدقيق ودراسة واطلاع ما كانت لتتيسر له اول ما كتب عنهم واتهمهم بانهم عبدة كواكب . فقد جاء في مقال له نشره عن اعتقادهم بالله في مجلة العربي العدد ١١٢ عام ١٩٦٨ قوله « الخالق جل شانه واحد ازلى ابدى لا اول لوجوده ولا نهاية له منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي اليه مخلوق ، وانه لم يلد ولم يولد وهو علة وجود الاشياء ومكونها . ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين به » .

ان اعتقاد الصابئين بالله يشبه الى حد كبير اعتقاد الفئات الغنوصيه (المعرفيين) حيث انهم يدركونه عن طريق الفيض الالهي ، ومن مظاهر الخليقة التي ابدعها ، وهم لا يعبرون عنه الا بصفة الجمع ، ويقولون عنه انه انبعث من ذاته (إله اد من نافشي افريش) اى (الآله الذي قام من ذاته) وهذه حقيقة مدونة في كتبهم الدينية وبخاصة في كتابهم الرئيسي المعتمد « كنزه ربه » اي (الكنز العظيم) . اما من حيث اعتقادهم باليوم الآخر فقد يكونون من اكثر الاديان وضوحاً وتشدداً في هذا الشأن ، فالعالم الدنيوي في عقيدتهم ما هو الا منفى وسجن موقت للروح التي ستنبعث بعد الموت متحررة من سجنها المادي لتلتحق بالملأ الاعلى ، وفق حساب عسير يعد لها ، ووفق وزن توزن به ، فاما الى الجنة كما ينبغى لجميع الارواح النقية الطاهرة ، او الى « المطهر » (المطرانه) حيث تعذب فيه بدرجات متفاوتة الى ان تتطهر من ذنوبها فتلتحق بالملأ الاعلى هي ايضا ؛ فالروح في عقيدتهم خالدة والجسم فان .

وسيطلع القارىء على تفاصيل عقيدتهم بالله وباليوم الآخر في الكتاب الذي نضعه بين يديه .

من كل ما تقدم يظهر لنا ان اتهام الصابئين بالكفر وبانهم عبدة كواكب ونجوم انما جاء بالدرجة الاولى من الخلط بينهم وبين الصابئين الحرانيين وقد كان هؤلاء وثنيين فعلا ، ثم من انطوائهم المتزمت على انفسهم وعدم قبولهم اي فرد من اديان اخرى من الدخول في دينهم ، ثم من ممارستهم التنجيم ، ومن قبلتهم الى الشمال حيث النجم القطبي ، بالاضافة الى انهم كانوا لا يردون على الاتهامات التي تقال عنهم تجنباً للصدام الجدلي .

ان الدين الصابئي دين قديم [٢٩] يعتقد معتنقوه انه من اقدم الاديان ان لم يكن اقدمها ، فهم ينسبون كتابهم « كنزه ربه » الى آدم عليه السلام ، كما يعتقدون ان « سام » هو جدهم الاعلى ونبيهم بعد آدم ونوح ؛ وهم ليسوا فرقة من النصارى كما ورد ذلك لدى كثير من الكتاب وبخاصة الافرنج منهم وقد جاء هذا الوهم من تعظيم الصابئين للنبي يحى عليه السلام واعتباره نبيا لهم انقذهم من ضلال اليهودية وقام بالمعمودية ، كما انهم يعظمون يوم الاحد كما يفعل النصارى .

وهم ليسوا بمجوس لعدم تقديمهم وتعظيمهم للنار ، فهم يعتقدون ان السجود للنار امر محرم كل التحريم « نوره واسغادي مبطل باطلي » اي (النار والسجود لها باطل ومبطّل) .

ان تشابه بعض شعائرهم مع بعض شعائر المسيحية واليهودية أو المجوسية أو بعض الشعائر الاسلامية أمر طبيعي لتجاورهم وتعايشهم مع هذه الاديان فمن المحتمل ان يكونوا قد تأثروا بها كما يحتمل ان تكون قد

---

(٢٩) (والمحقق من امرهم انهم يرجعون الى اصل قديم لان استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الابجدية لم ينشأ في عصر حديث) ابو الانبياء ص ١٠٨ (عباس محمود العقاد) .

تأثرت هي بهم ايضا[٣٠] .

وعلى كل حال فالجميع يستقون من مصدر واحد والجميع قد نشأوا في هذه المنطقة من العالم المسماة بالشرق الادنى وهي مهبط جميع الاديان .

والخلاصة فان دين الصابئين كما هو مدون في كتبهم الدينية يتلخص في انهم يؤمنون بالله واليوم الآخر[٣١] ويؤمنون بالحساب والعقاب ، وان الابرار منهم يذهبون بعد الوفاة الى عالم النور وان المذنبين يذهبون الى عالم الظلام ، ولا يفرض عليهم الصوم بمعناه المعروف ، وهو الامتناع عن الطعام والشراب ، الا انهم يمتنعون عن اكل اللحوم المباحة لهم حوالي خمسة اسابيع متفرقة ايامها على طول السنة ؛ وهم ينزهون الله غاية التنزيه ويعتقدون ان مقر الملائكة (ملكي) هو في الكواكب ولذلك فهم انما يعظمون هؤلاء الملائكة لا الكواكب نفسها ، وليست لهم هياكل ولا اصنام ، ولابد عندهم في عقيدتهم من مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدى الناس الى الحق ، فالروحانيات لديهم مخلوقة من كلام الله جل وعلا دعاها باسمائها فوجدت ، وان كلام الله الى الناس لايصل الا بوساطة مخلوق بين النور والتراب[٣٢] .

ان دراسة دين الصابئين مهمة جدا للبحث في العقائد الدينية الاخرى ، فهي مهمة من حيث المكان والزمان والموضوع لانها قديمة العلاقة بكل مكان تتعلق به سيرة الاديان الاخرى وبخاصة سيرة الخليل عليه السلام ثم لان لغتها المقدسة « تشير الى زمان متوسط بين اللغات القديمة المهجورة واللغة السريانية الحديثة ، كما انها ترينا ملتقى التوحيد القديم والوثنية القديمة وقد نجد فيها الاصطدام بين هاتين العقيدتين فهي ليست ديانة وثنية ولا ايمان لها بالكواكب من جهة ثم لا خلاص مطلقاً فيها من بقايا الوثنية القديمة

(٣٠) ولا يعرف دين من الاديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في احدى الشعائر) . العقاد (ابو الانبياء ص ١٠٩) .

(٣١) نفس المصدر .

(٣٢) نفس المصدر .

وتعظيم الكواكب على صورة من الصور »[٣٣] . وان كان من هذه الصورة علم دراسة الفلك وممارسة التنجيم .

« ومن هنا كانت دراسة نحلة الصابئين مهمة في دراسة الاديان على العموم ودراسة دين ابراهيم على وجه الخصوص وكان لها في ذلك شأن لا يتناسب وعددها القليل وعزلتها التي فرضتها على نفسها وفرضتها عليها احداث الايام[٣٤] .

واخيرا فقد توخينا من ترجمتنا لهذا الكتاب ومن تعليقاتنا عليه تكوين فكرة اقرب الى الحقيقة عن الصابئين لدى الباحثين والدارسين وبخاصة في العراق . فالصابئون طائفة عراقية قبل ان تكون اى شيء آخر ، بل انها كما تشير طقوسها صلة الحاضر بالماضي البابليوالاكدى والنبطي في العراق . واملنا كبير بان يعمد المؤرخون والمعنيون بوضع الكتب وبخاصة المدرسية منها الى تصحيح ما كانوا قد نشروه عن الصابئين نقلا عن الكتب القديمة دونما تمحيص أو تعمق ؛ هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فلعل هذا الكتاب يدفع الى تكوين مجموعة كاملة من كتب الصابئين المخطوطة بلغتهم المندائية والحاقها بمكتبة المتحف العراقي لتكون مرجعاً يرجع اليه الباحثون في البحث عن العقائد الدينية ومقارنتها اذ لا يوجد في العالم كله الآن مكتبة تضم مجموعة كاملة من هذه المخطوطات .

ان الصابئين في العراق اليوم هم بقايا طائفة دينية عاشت في هذه البقعة من العالم منذ آلاف السنين وهي الآن في طريقها الى تطور ديني لابد ان يبعدها كثيرا عن طقوسها وشعائرها الاولى ، فقد كانت نفوس الصابئين في القرن السابع عشر حسب روايات بعض المؤرخين ما يقارب « مائة الف نسمة » اما الآن وبالرغم من العناية الصحية والظروف المواتية من الناحية

(٣٣) العقاد في كتاب ابو الانبياء .
(٣٤) نفس المصدر .

الاجتماعية والصحية فان تعدادهم لا يتعدى عشرين الف نسمة[٣٥] .

ان الصابئين الذين سكنوا الحواضر وابتعدوا عن شواطىء الانهار وتفرقوا في المدن طلباً للرزق ودخلوا الوظائف الحكومية ، قد ابتعدوا كثيرا عن الصابئين الذين كانوا يمارسون شعائرهم الدينية بصورة بدائية كما كان يمارسها الاسلاف ، فاستعاضوا في كثير من شعائرهم بالماء المعقم بدلا من ماء النهر الجاري ، وحلقوا شعور رؤوسهم وذقونهم ، واتخذوا الزي العصري لباسا لهم كسائر الاقوام من حولهم تمشيا مع ظروف العصر . لقد اقبل الصابئون منذ تشكيل الحكم الوطني في العراق على المدارس ومعاهد العلم ، وبهذا امتزجوا مع المجتمع من حولهم امتزاجا كاملا لم يعودوا يميزون فيه عمن حولهم باي شيء . من كل ما سبق نعتقد ان طائفة الصابئين في طريقها الى تطور كبير جدا في شعائرها وطقوسها سيبعدها كل البعد عن شعائرها الاولى ، ومن هذا كان اهتمام الباحثين بامر هذا الدين ، ومن هنا ايضا كان بعض اهتمامنا بترجمة هذا الكتاب كمرجع عنهم .

نرجوا ان نكون بعملنا هذا قد سددنا فراغا في مكتبتنا العربية وما توخينا في تعليقاتنا وشروحنا الا الحقيقة .

---

(٣٥) يذكر الرحالة الفرنسي تافارنيه انه حين مرّ بمدينة البصرة سنة ١٦٥٢ م قيل له ان اتباع يوحنا المعمدان (الصابئين) في البصرة واطرافها نحو (٢٥) الف اسرة (العراق في القرن السابع عشر) .

مقدمة المؤلفة

لقد بذلت في الصفحات التالية محاولة لسرد ما شاهدته وما سمعته وما لاحظته عن الصابئين (المندائيين) في العراق وايران • وقد استمرت هذه الملاحظات بضعة اعوام انجزت خلالها قدرا معتبراً من بينات جديدة تتناول العقائد والعادات والطقوس وعمل الرقى • وليست البينات التي اضعها هنا ذات فائدة لطلاب الانثروبولوجي (علم الاجناس) أو لطلاب الفولكلور (الادب الشعبي) وطلاب الاثنولوجي (علم السلالات) فقط ، بل ولطلاب تأريخ الاديان ايضا ، لان الحالة مع الصابئين هي حالة ما يدعوه الطبيب بـ « توقف التطور » • لقد تمسك الصابئون بتشبث بطقوسهم التي يعتبرونها اكثر قدسية من كتبهم واقدم ، كما اعتنى بحفظ تراثهم كهنوت يعتبر ان اية زلة في الاجراءات والشعائر خطيئة مميتة • وهم بانفرادهم عن سائر الاقوام منذ ظهور الاسلام ، بطقوسهم الخاصة وبعاداتهم ولغتهم ودينهم قد تجنبوا الامتزاج وصانوا التراث الذي ورثوه عن اسلافهم •

لقد كانت البيّنات المطروحة امام العلماء منذ ازمان بعيدة ، مقتصرة على كتب الصابئين الدينية ، وقد اثار ذلك نقاشا مبتسرا بين علماء الدين حول قيمة التقاليد الصابئية لدارسي العهد الجديد وبصورة خاصة حين يكون الانجيل الرابع موضع البحث •

وأومل ان تذهب المعلومات المطروحة هنا بعيدا في حل مشاكل كهذه • اما بالنسبة لدارسي الصابئين مشاهدة ، فان ملاحظات الرحالة العابرة والملاحظات التي تأتي عرضاً ، غالباً ما تكون سطحية ، لأن الصابئين طائفة

دينية حيّة كتومة ، لا يكشف الأفراد فيها عن عقائدهم بسهولة ، ولا يوضحون طقوسهم بيسر ؛ ان « ثلاثة اشهر في الاهوار جنوبي العراق » لمؤلفه بترمان .Pettermann تمثل المحاولة العلمية الوحيدة في حقل المشاهدة ، بينما لم ير سيوفي .Siouffi طقسا واحدا بأم عينيه ، بالرغم من ان مساهمته تعتبر اعظم ما عرف عن هذه الطائفة خارج محيط كتبهم . لقد كان معتمداً بصورة تامة على بيانات النابذين من الصابئين ؛ ولذا ظل هذان الكاتبان في القشر ولم ينفذا عميقا في روح هذه الطائفة او يصلا الى جوهر تعاليمها .

وبالنسبة للمؤلفين العرب فقد كانوا منذ اقدم الازمان يعتمدون على الرواية ، ولذا لا يمكن قبول بياناتهم أو تقاريرهم الا على هذه الصورة ؛ كما يمكن ان يقال نفس الشيء حول ما لدينا من معلومات عن الصابئين دونها الكاتب السرياني « برخوني » فقد كان يدون معلوماته كمجادل يريد الحط من شأن فئة مارقة ؛ ولكن كتابه على كل حال يعطينا ادلة على نقض كل ما قرره عن الصابئين كما سأفعل في كتابي هذا .

تتعلق البيّنات التي دونها المؤلفون العرب بصابئة حران الذين ، كما يظهر ، ظلت العادات الوثنية الاولى تعيش بينهم الى زمن متأخر من العصر الاسلامي ، وقديل انهم اتخذوا اسم الصابئين اسما لهم للاستفادة من التسامح الذي قدمه الاسلام لاهل الكتاب . اما الصابئون الحقيقيون فهم سكنة اهوار جنوبي العراق . وعلى كل حال ففي جملة ما اورده المؤلفون العرب من روايات يوجد قدر لا بأس به يشير الى ان لدى الحرانيين ما يشتركون به مع الصابئين الحقيقيين ، وان المثقفين منهم في البلاط العباسي قد اختاروا ادعاء التعابير الفلسفية الافلاطونية الحديثة حين كانوا يتحدثون عن دينهم لاضفاء جو من العلمانية والفلسفة على مذهبهم . وكانت المجوسية لا تزال حية وكريهة ، فكان يجب تجنب اى تشابه أو اية علاقة مع

المعتقدات الفارسية • ان وجود اسم زهرون من بين اسماء فلاسفة البلاط العباسي يمكن ان يقوم دليلا على صلة الحرانيّين بالصابئين الحقيقين (المندائيين) فزهرون هو احد ملائكة النور لدى « المندائيين » وهو يستقل مع الشمس (شامش) فلك الشمس عبر السماء • وكان من السهل عليهم تغطية لفظ « هرموز »[1] او « هرمز » او « هرمش » (اهورا ـ مازدا) الى لفظ هيرميس والى ان يذيعوا بان هيرميس المصري كان احد انبيائهم • وحين يقتبس البيروني وهو نفسه فارسي من المؤلفين العرب ما كتبوا عن الحرانيين يقدم تقريرا عادلا عن معتقداتهم (ص ١٦٧) فيقول :

« كل ما نعرفه عنهم ، على كل حال ، انهم يعتقدون بالوحدانية ويصفون الله منزها عن اي باطل مستعملين في وصفهم صيغة النفي لا الايجاب اى انهم يقولون : « هو غير محدود ، غير مرئي ، لا يخطأ ليس ظالما » ، ويسمونه بالاسماء الحسنى مجازا فقط ، لان الوصف الحقيقي له غير مسموح به من قبلهم• وهم يعزون حكم العالم للكون السماوي واجرامه اللاتي يعتبرونها كائنات حية تتكلم وتسمع وترى • كما ان للنار عندهم اعتبارا عظيما » •

ويقول ايضا : « ان زردشت ينتسب الى طائفة الحرانيين » ، ويذكر لهم ثلاث صلوات عند الشروق وفي الظهيرة وعند الغروب فيقول : « ان صلاتهم يسبقها الوضوء والاغتسال ، كما يغتسلون ايضا بعد الجنابة ولا يختتنون ولم يؤمروا بذلك كما يؤكدون • واكثر تعاليمهم عن المرأة والعقوبات شبيهة بتعاليم المسلمين اما تعاليمهم الاخرى التي تتعلق بالنجاسة لدى التماس مع الميت ، فشبيهة بتعاليم التوراة » •

وكان البيروني (وقد كتب في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي) ايجابيا في ما يخص الصابئين الحقيقين (المندائيين) فهم كما يقول « بقايا القبائل اليهودية التي ظلت في بابل حين غادرتها القبائل الاخرى الى اورشليم

ايام كورش واردشير ، واتخذت هذه البقايا لها اسلوبا مزيجا من المجوسية واليهودية . اما جولسون في مؤلفه التذكارى عن الصابئين فقد كان متألما من ان يظهر له بأن الحرانيين لم تكن لهم وحدة دينية حقيقية مع « المندائيين » لان الحرانيين عبدة كواكب صراحة بينما يبغض « المندائيون » عبادة الكواكب وسأناقش هذا القرار .

لقد نشر في الاونة الاخيرة ، احد المؤلفين العرب(*) الذي كان يدرس هذا الموضوع لبعض الوقت جنوبي العراق ، مقالة في مجلة مصرية حول الصابئة أو المندائيين ، وصورهم فيها بأنهم عبدة كواكب مما أثار حفيظة كهنتم ، لأن هذا الاتهام هو نفس الاتهام القديم بالوثنية والذي لا يتسامح معه الاسلام ، ولهذا اتخذت الاجراءات القانونية ضد المؤلف . وقدم احد رؤساء الكهان (كنزفره) الى بغداد يحمل معه كتابهم الكنز العظيم (كنزه ربه) ليترجم امام الشهود من السفر المقدس نصا يرفض عبادة الكواكب ومن المحتمل انه لوجلب معه كتبا مقدسة اخرى مثل (ديوان اباثر) أو بعض الفقرات من كتاب تعاليم يحيى « دراشه إديهيا » لما كان الامر من الوضوح بالقدر الذي هو عليه في كتاب الكنزه .

وفي الحقيقة فان الصابئين لا يعبدون الاجرام السماوية غير انهم يعتقدون بأن النجوم والكواكب تحتوى على مخلوقات حية هي ارواح ثانوية تابعة لأمر ملك النور (ملكا د نهورا) وانها تتحكم بمصائر البشر ، ويصاحب هذه الارواح الخيرة اضدادها من الارواح الشريرة ؛ ففي فلك الشمس (شامش) ينتصب شامش الخير النافع رمز الخصب والخضرة ومعه الروح الشريرة المهلك « أدوناي »(٢) مع ارواح نورانية حارسة اخرى . فالصابئون انما يوجهون دعاءهم للارواح الخيرة النورانية فقط وليس لتلك التي تخص عالم الظلام .

(*) الاستاذ عبدالرزاق الحسني المؤلف العراقي المعروف ومؤلف كتاب « الصابئون في ماضيهم وحاضرهم » .

وحقيقة كون جميع الكهان هم في نفس الوقت منجمين يقودنا حتماً الى متناقضات ، والذين سيقرأون هذا الكتاب سيرون كم هو سهل الحكم الخاطىء في هذا الشأن . ففي وحدة الطقوس يرث الصابئون تقاليد القطر ، فكهنة « بارو » و « اشيبو » في بابل القديمة كانت لهم وظائف وطقوس تشابه تلك التي يمارسها كهان الصابئين في الوقت الحاضر[٣] ، وان اسماء الكهان البابليين ترتبط ارتباطا وثيقا بمهارتهم في كتابة التعاويذ والتنجيم الى درجة ان اسماءهم قد اصبحت عالمية بالنسبة لدنيا « السحر » .

وكذلك كهان الصابئين ، فهم بالرغم من تحريم « الگنزة » لمثل هذه الاعمال فان الكثيرين منهم يكسبون رزقهم عن طريق كتابة التعاويذ وعمل الرقى خاصة حين يكون دخلهم غير كاف لسد احتياجاتهم .

واهم ما ينبغي الالتفات اليه في ما تجمع لدينا من بينات هو ، كما اتصور ، وجبات الطعام الطقسية المتنوعة ، فانا بعد ان كنت اميل لان ارى في هذا التراث آثار الطقوس المسيحية Marcionite أو آثار الطقوس الغنوصية للبارديسانيين ، تيقنت اخيرا بان طقوسهم تقترب من المنابع المزدكية الى درجة اكثر مما هو متوقع ، فالتشابه بين الطقوس الصابئية والمسيحية النسطورية والبارسية قوى غير ان المبادىء التي تشخص الطقوس الصابئية والبارسية متطابقة ، بينما تبعد عنها كثيرا تلك التي تخص الطقوس المسيحية. هذا يحملني على الاعتقاد بأن الشعائر الصابئية هي اقرب في جوهرها الى الاصول الايرانية منها الى المسيحية الاولى . ولو ان لهذه ايضا ، بدون شك، ارتباطا بالنماذج الايرانية في بدء ظهورها في الجليل وفي ارض الميعاد .

ان شعائر تناول الطعام على روح الميت أو الاعتقاد بأن الموتى يستفيدون من الطعام الذي يؤكل باسمائهم هو بالطبع اعتقاد يرجع الى العصور البدائية ولا يوجد فقط لدى السومريين والبابليين ، بل ولدى معظم الشعوب البسيطة ، وعلى كل حال فانا قد تقيدت في تدوين ملاحظاتي بالاشارة الى

الشعائر والطقوس في الشرق الاوسط في الماضي والحاضر .

ان السهول الغرينية العظمى ما بين النهرين تقع بين الشرق الاقصى والشرق الادنى وهي على اتصال مستمر بكليهما ؛ ومنذ اقدم العصور كانت الطرق تتفرع من هضبات ايران ومرتفعات آسيا وصحارى العرب وسهول الهند وتمر بما يسمى العراق اليوم ، في طريقها الى سواحل البحر الابيض المتوسط . ومنذ البدء كان سكان هذه المنطقة يخضعون لتأثيرات جميع اطراف الكرة الارضية المتحضرة ، ويحكمهم جنس بعد جنس فليس هنالك بقعة اكثر منها خصبا لنمو الافكار السنسكريتية ، وقد قدمت بابل ومملكة فارس وميديا ظروفاً طبيعية ملائمة لنمو عقائد دينية توفق بين التقاليد والشعائر القديمة وبين الافكار القادمة من الحضارة الصينية القديمة بوساطة فلاسفة الهند الفيديين ، تلك الافكار التي جددت عقائد الناس وبعثت فيهم الروحانية والهمتهم خلود الروح وان مصدرها الكائن الآلهي ، كما الهمتهم بوجود ارواح الاسلاف النافعة . واكثر من ذلك فقد كان في القرون الخمسة التي سبقت ظهور المسيح تأثير تسرب مستمر لليهودية والمصرية والفنيقية والاغريقية على بابل ، فقبل السبي كان جماعات التجار والصرافين اليهود قد ركزوا انفسهم في ما بين النهرين . بينما كان التجار والمرتزقة الاخرون يمرون من والى الشرق الاقصى وسواحل مصر وفينيقيا وبلاد الاغريق .

وبالرغم من كون التاجر والجندي وسيطين لتبادل الافكار فهما في احسن الاحوال لا يكونان اكثر من ناقلين سلبيين للافكار الدينية ، ففي الاساطير الصابئية وهو ايضا في اساطير الهند وفارس ، يجد المرأ اشارات متكررة للدراويش الرحالة الجوابين المتدينين الذين كما جاء في اسطورة « هرمز شاه » الصابئية واسطورة « كاوتامابوذى » الهندية وكما جاء في اساطير القرون الوسطى كاسطورة « كورونانك » ، كانوا يرحلون طلباً

للراحة العقلية والروحية؛ فالتأملات في الغرب تنبعث من مفكر يجلس فوق اريكته ، والعاملون في حقل الفكر هناك لا يذهبون الى ابعد من المختبر والمكتب ، اما في الشرق فالباحثون عن الحقيقة جوالون لهم اعتباران عقلي وجسمي • ومن المحقق انه حينما ينفذ التاجر يتبعه الجوالون الدينيون ، فالفلاسفة الجوالون كانت تمتد ساحة عملهم من الصين الى الهند وبلوجستان وفارس ، ومن فارس والعراق الى البحر الابيض المتوسط ، سالكين ممرات كردستان والممرات المائية في العراق •

والشرقيون يحبون الجدل الميتافيزي ويبحثون عنه ، وبمقدار ما تسمو منزلة المرأ يكون انصرافه لهذه الممارسة واصاته لاراء الضيوف ؛ وتكون النتيجة خميرة من الشكوك لدى المثقفين ، تنتشر بعد ذلك بين الجماهير بشكل هرطقة سرية اولا ثم على شكل دين جديد •

هنا تكمن اهمية الصابئين ، فهم بسبب تماسكهم المتطرف حين اختاروا « هذا الدين الجديد » في فترة سنسكريتية بعيدة ، قد احتفظوا ايضا بالقديم بامانة واخلاص ، حتى ليستطيع المرأ ان يزيح الابهام من هنا وهناك وان يشير الى « هذا » بأنه بابلي والى « ذاك » بأنه مزدكي والى ما يمكن ان يعود الى زمن حرمّ فيه لحم الحيوان او الى ما يشير الى مرحلة كان الاصلاحيون المتحمسون فيها يسعون لتطهير بعض العقائد القديمة الموروثة •

في فترة كهذه جمعت الكتابات الصابئية الدينية ونسخت وللمرأ ان يحدس بان الجامعين كانوا لاجئين وسوفسطائيين عادوا الى الجماعات المطمئنة في جنوبي العراق تشينهم وثنية غير قابلة للاصلاح وكانت الكتابات المصححة تفوح برائحة الاصلاح والتحذير •

ان لب أو جوهر الدين الصابئي خلال جميع التقلبات والتغيرات هو عبادة قوانين الحياة والخصب القديمة ، فالحياة العظمى لديهم تجسيد لقوة

كونية خلاقة نافعة ، غير انه تجسيد سطحي يكون الحديث عنه دائما بصيغة الجمع المبهمة ويظل تجريداً غامضاً ؛ ورمز الحياة العظمى هو « الماء الحي » أو الجاري أو ما يسمونه « يردنه »[٤] . وهو أمر طبيعي تماما في بلاد تلتصق فيها حياة البشر والحيوان والنبات بضفاف النهرين الكبيرين دجلة والفرات، ومن هذا يأتي ان احد الطقوس الرئيسية لديهم هو الاغتسال في الماء الجاري . والقوة الجوهرية الثانية في دينهم تتمثل في تجسيد النور « ملكا د نهورا » وفي مجموعة الملائكة النورانيين أو الارواح النورانية الذين يمنحون الكون نعم النور والصحة والقوة والفضيلة والعدل . وفي الدستور الاخلاقي للصابئين ، كما هو لدى الزردشتيين ايضا ، يجب ان يصاحب النظافة وصحة الجسم والطاعة الطقسية ، سلامة العقل والضمير واطاعة القواعد الاخلاقية . وهذا الازدواج كان مما يميز شعائر « انو » و « ايا » في زمن السومريين ، وشعائر « بيل » و « ايا » ايام البابليين . نفهم من هذا انه اذا كان الفكر الصابئي قدنشأ ونضج تحت التأثير الايراني أو الشرقي فان جذوره تمتد الى تربة مألوف فيها تشابه المثل ، وحيث كان يمارس الاغتسال وطقوس الخصب منذ اقدم الازمان .

والامر الجوهري الثالث في الدين الصابئي هو الاعتقاد بخلود الروح وبصلتها الوثقى بارواح اسلافها ، صلة الهية مباشرة ، فوجبات الطعام تؤكل نيابة من اجل روح الميت ، وتمنح ارواح الموتى التي اعينت العون هي بدورها للاحياء .

بقى في هذه المقدمة ان اقول شيئا ما عن اسلوبي في جمع المواد المدونة هنا . فانا اولا قد اتصلت مباشرة بالصابئين عام ١٩٢٣ م الا انني لم اكن قد قرأت انذاك ما ترجم من كتبهم المقدسة حتى عام ١٩٣١م . وقد أدى بي هذا الى تعلم اللغة المندائية والى دراسة المخطوطات غير المترجمة ، وانا في هذا المجال اقدم اعتذاري عن عدم الدقة المحتملة في ما نقلت ، فقد

كانت لي سابقة عظيمة للوقوع بالخطأ لان ليدزبارسكي نفسه ، الذي هيأ لنا احسن الترجمات لاكثر كتبهم المقدسة ، كان قد وقع في اغلاط هنا وهناك حين كان ينقل فقرات تتعلق بالشعائر • ان معرفته باللغات السامية لم توضح له من الطقوس ما توضحه مشاهدتها عياناً •

ولم اجد من الضروري مشاهدة الطقوس والمراسم عدة مرات فقط قبل الشروع بتدوين تقدير خاص أو ملاحظة دقيقة عنها بل وجدت من الضروري تعلم الطقوس ذاتها على يد الكهنة الذين يقومون بأدائها • ولم اكن قادرة على مشاهدة بعض المراسم ، وفي مثل هذه الحالات كنت اسأل اشخاصا عديدين عن الاجراءات فيها لا حصل على قدر كاف جيد من الانطباع الصحيح • ان عدم الكمال ووجود بعض الاخطاء خير من لا شيء في اغلب الاحوال ، اخذة بنظر الاعتبار الظروف التي قد تحول دون المكوث في هذا القطر لذلك اقدم هذا الكتاب كما هو •

كنت لدى قيامي بجمع المعلومات اعتمد باقل ما يمكن على ذاكرتي • فقد كنت ادون الملاحظات في لحظات المشاهدة العيانية كما كنت اقوم بتدوين جمل وعبارات كما اسمعها • اما الاساطير والحكايات الشعبية فقد رويت لي شفاها ، فاذا كنت فيها قد خلطت بين التعابير الانجليزية والعربية فسبب ذلك ما ذكرت • وكنت في الحالات التي اعجز فيها عن ايجاد الكلمة المناسبة ادون الكلمة كما تنطق بالعربية ، وان قصرت عن تتبع الراوي كنت اطلب اليه التوقف عن الحديث لافهم ما قال • وانا لست عالمة باللغة العربية ، غير ان اللغة العامية في العراق محدودة المفردات وقد اكتسبت بعد اقامة خمس أو ست عشرة سنة في هذه البلاد معرفة كافية فيها • وقد رويت لي جميع الاساطير باللغة العربية العامية تتخللها بعض الكلمات المندائية ، لأن لغة تخاطب الصابئين المندائيين العامية (رطنة) ليست مستعملة لدى صابئة العراق ، وهم لا يتحدثون في جميع انحاء القطر الا باللغة العربية العامية •

لقد قمت بزيارات كثيرة لمراكز صابئية مختلفة في العراق فزرت العمارة وقلعة صالح والناصرية وسوق الشيوخ والحلفاية وزرت في ايران المحمرة والاهواز ، لان مشاهدة الطقوس بسهولة أمر صعب في المجتمعات كثيرة العدد ، وكانت جميع تلك المواقع تستغرق يوما او اثنين للسفر اليها من بغداد بالقطار أو السيارة .

ولو كنت اقرب محلا الى تلك المراكز لكان هذا الكتاب اجود مما هو عليه الآن .

ملاحظات عن المقدمة

١ ـ لا يزال اسم هرمز شائعاً بين الصابئين واسم هرمزد بين النسطوريين والكلدانيين .

٢ ـ أدونا : في تصوير في كتاب « ديوان اباثر » يطابق أدونا « شامش » (اله الشمس لدى البابليين) . ان صارية فلك الشمس بعلمها المضيء يمسك بها من اليمين شخص مع اغصان تمثل الشعر مكتوب تحتها : هذا شبيه شامش ، واسمه أدونا ، وفي كتابي « حرّان كويثا ، ودراشة اد يهيا » ، يستعمل « ادوناى (الهي) الخاطىء » . وقد استعمل هذه الصيغة احد الرواة وهو يصف فلك الشمس .

٣ ـ كهان بارو واشيبو :انظر مؤلف كامبل توموسون « السحر لدى الساميين » وبالنسبة للصابئين فان التعرض للمرض والنجاسة والتجاوز على الطقوس وعدم التقيد بالقوانين الاجتماعية ، يفرض عليهم التطهر على ايدى الكهان . وكهان « بارو » و « اشيبو » في بابل وفي بابل المتأخرة كانوا يرتدون البياض مثل كهنة الصابئين ؛ وكان على كاهن « بارو » ان يكرس نفسه ويرتدى ملابس نظيفة ويهيء قداساً من خبز حلو ، من قمح مطحون وملح وماء ، متبعاً نظاماً ليس بعيد الشبه في جوهره عما يتبعه الكاهن الصابئي حين يهيء الخبز المقدس « بهثه » . ويترجم زمرمان قطعة يوصي بها كاهن « اشيبو » احد الملوك :

سيصب الملك ..... في الاناء
ويقول هكذا ، لعل هذه .....
ولعل اعمالي السيئة و ..... تزال عني
لاكون نظيفا واعيش امام شامش

وحالما يفعل هذا ، فسيغتسل الملك في النهر

ويرتدى ملابس نظيفة ويغسل يديه نظيفتين ... الخ .

ومثل كاهن الصابئين كان لكاهن « بارو » دراسة ومنح درجة ، وكان شامش راعيه الخاص ، وقد تطلبت شعائر اله الشمس ، طهارة ووضوءاً دقيقين بحيث ان كهان بارو « كالترميذي » قد شكلوا فئة خاصة .

ويقول زيمرن ان هؤلاء الكهان يعزون اصلهم الى « اين ـ مي ـ در ـ أن ـ كي » ملك شيبار الذي كان في مدينته شعار خاص بآله ـ الشمس ، ويطابق زيمرن هذا الملك بـ « انوش » الجد السابع للانسان في السلالات ذات الفروع السبعة في سفر التوراة . وبالمثل تماما فان الكهان الصابئين يعدون « أنوش » الكاهن الاول .

واكثر من ذلك فان اعمال « اشيبو » في ما ندعوه بالسحر الابيض يشبه ما يقوم به الكاهن الصابئي الذي لا تزال وظائفه تتضمن التعويذ من الارواح الشريرة والامراض وكتابة الفأل والتعاويذ والاحراز .

واذا رجعنا مرة اخرى الى « انوش » (الكلمة تعنى « رجلا » ويظهر انه كآدم ، تجسيد لفكرة الانسان) فالعلاقة المحتفظ بها اليوم ذات حال غريب ، فالعرب قد اسموا « انوش » ادريس (اشارة الى وصفه معلماً ، من اصل درس) ، ومن المعتاد في بغداد زيارة قبر معروف يسمى « سيد ادريس » يقع في قرية قرب بغداد في ايام الاحاد وبخاصة في عيد الفصح ، والزوار مسلمون لا نصارى .

٤ ـ يردنه : يقول الصابئون بانها تعنى « نهرا » أو « ماء جارياً » وليس لها علاقة بنهر الاردن في فلسطين ، فالاردن والنيل كلاهما يسمى عند الصابئين « اردنه » أو « اردن » . وقد سمعت لفظة « اردن » تسمية للنيل من احد يهود العراق ، وفي « الرطنة » تطلق الكلمة على اي نهر ، وتتصل بكلمة « نهرا » المستعارة ربما من اللغة العربية نهر ، ويرينا الاصل

« نهر » كم وثيقة العلاقة بين معنى « النور » و « الماء » في الفكر السامي • ففي اللغة المندائية لدينا كلمة « نهرا » اي نهر و « نهورا » اي نور ، وفي العربية لدينا نهر ونهار ، وفي العبرية « نهار » اي نهر و « نهارا » اي نهار ، وفي البابلية « نا ـ آ ـ رو » اي نهر ، و « نو ـ أو ـ رو » اى نهـار •

ويقول احد المندائيين في حواره الاعتيادي « يردنه طوفانه إهفت » • او « يردنه برهاطي » اي النهر بالفيضان ، ومن المحقق ان الكلمة « يردنا » تستعمل في غير معناها الطقسي ايضا •

وقد كتب هيرودتس (الكتاب الثالث ص ٤١٦ ـ ١٧ ترجمة راولنسن) : « انني لا أقر بوجود اي نهر يطلق عليه البرابرة اسم ايرادانوس ويصب في بحر الشمال حيث (كما تقص الاسطورة) يستخرج الكهرمان لان من الواضح ان كلمة ايرادانوس ليست قط بكلمة بربرية بل هي اسم اغريقي ، ابتدعه شاعر ما » •

وقدعلق راولنسن على هذا بتعليق حول مسألة « الاردن » فقال : « هنا يتحفظ هيرودتس كل التحفظ ، ويعتبر خرافة ما نراه حقيقة • فمنطقة الكهرمان في البحر الشمال هي سواحل البلطيق حوالي خليج الدانزج •• وهناك يتردد اسم ايرادانوس بالضبط باسم رودون ، النهير الصغير الذي يغسل الجانب الغربي لمدينة دانزج • ومن المحتمل ان يكون هذا الاسم قد اطلق في الازمنة الاولى بالاحرى على نهر الفستولا لا على نهر رودون • اما بالنسبة لكلمة ايرادانوس (رودانوس) فيظهر انها اطلقت من قبل مستوطني أوربا الاوائل ، على انهار كبيرة سريعة الجريان• فاسم ايرادانوس الايطالي (البو) ورودانوس عبر الألب (الرون) ونهر الشمال رينوس (الراين) وهو اسم تلمح فيه تخفيفاً لما قد قلب من رودانوس الى رون ؛ تلك الانهار جميعا هي انهار ذات صفة متشابهة • ثم يستمر ليدخل الاردن

تحت امكانية هذا الاشتقاق .

وتظهر لفظة « ارد » بتوافق عجيب مغرٍ في اسم نهر آلهي ، او نهر « اردفيشورا » الذي يصب نظرا للتقاليد البارسية ، في بحر « فوردكاشا » الا ان « اردفي » تعنى « المنفرد » . ولدى السرمودى ملاحظة هامة في بحثه عن الصابئين (المندائيين) في « جورنال كي . آر . معهد كاما الشرقي » . Journal of the K. R. Coma Orient Instute .

حيث يقـــول : « بعض العلماء يطابق « اردفيشـــورا » بـ « الاوكســز » و « فوردكاشا » ببحر قزوين . ويقوم الاردن لدى الصابئين مقام اردفيشورا لدى البارسيين ، فقد اعتقد الصابئون بأن الاردن ، نهر دنيوى لكنه ينبع من عالم سماوي عن طريق الجبال . ونفس الشيء مع نهر اردفيشورا . وقد ارتبط اخيرا بالسماوات العلى واعتقد بانه يأتي عن طريق جبال حكارى . واسم اردفيشورا بالرغم من انه بالاصل اسم لنهر معين ، فقد اصبح يستعمل لكل مجموعة طبيعية من المياه الجارية أو النابعة . ومن المعتاد ان تسـمع البارسيين يقولون لدى ذهابهم الى شاطىء نهر أو ساحل بحر انهم ذاهبون الى « أدفان اردفيشورا » ... ويبدأ البارسي بتلفظ « اردفيشور نيائش » او « اردفيشوا ياشت » امام اي تجمع مائي طبيعي أو ماء جار ، سواء اكان المحيط الهندي أو البحر العربي ، وسواء اكان ذلك نهرا أو بحيرة ، جدولا أو عين ماء » .

وفي السريانية « ارد » تعني ينبوعا أو عينا و « ورد » في العربية تعنى « جاء الى الماء » وبمعناها هذا لابد ان تكون لها علاقة بهذا الاصل .

ومن المهم ان نلاحظ ان الصابئين يرجعون مصدر جميع الانهار والمياه الى مصدر اصلي واحد ، هو نهر ابيض نقي في جبال تدعى « كريسله » . وهذا المصدر الاصلي هو « فراش زيوا » أو « فرات زيوا » اي نهر الفرات وليس الاردن .

الفصل الاول

المندائيون (الصبّة) في العراق وايران

من خصائص مختلف المجتمعات والاديان المتجمعة حول بعضها البعض كأقليات في العراق الحديث ، انعزاليتها وعدم امتزاجها الا بالذين على دينها من الناس ، ونادراً ما تتزوج من خارج هذا المحيط • ويصدق هذا بصورة خاصة على اليهود واليزيديين والصابئين ، وبالرغم من قلة عدد الصابئين واحاطتهم من قبل اديان اخرى مجاورة ، فهم لا يمتزجون معها مطلقا ولا يصاهرونها ، بينما يعتبر الصابئي الذي يتزوج من غير جنسه خارجا على الدين بصورة تلقائية •

ان تسمية « صبّة » (مفردها صبي)[1] تعبير عامي يرتضيه الصابئون دليلا على طقسهم الرئيس ـ الاغتسال ـ ، الا ان التسمية الاكثر رسمية لجنسهم ودينهم والتي يستعملونها فيما بينهم هي « مندايي » او المندائيون •

ويظهرون في الكتب العربية باسم صابئة وصابئين ، ولا شك بانهم مطابقون للمغتسلة[2] الذين ولد بينهم ماني مؤسس المانوية كما جاء في كتاب الفهرست ؛ وغالبا ما خلط المؤلفون العرب بين الصابئين والمجوس ، وليس ذلك بدون مبرر ما دامت بعض الشعائر متشابهة • وقد اعتاد الرحالة الغربيون في الشرق ان يشيروا اليهم بنصارى القديس يوحنا ، ويعرفهم الاوربيون الذين قدموا الى العراق في الحرب العالمية الاولى باسم « صاغة الفضة العماريين » •

ونظراً لقلة عدد افراد هذه الطائفة وحبها لسلام ، دون ان يكون لديها اى طموح سياسي ، فليس لها مقام في التاريخ اكثر من الذكر العابر

لوجودها ، ومن تسجيل لذكر بعض العلماء اللامعين في بلاط الخلفاء العباسيين ، الذين كانوا على طريقة الصابئين في الفكر . واليوم فان مراكز الصابئين الرئيسة هي في جنوبي العراق في منطقة الاهوار وعلى الضفاف الدنيا من نهرى دجلة والفرات ، في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية وسوق الشيوخ ؛ ويوجد جماعات منهم باعداد مختلفة الى الشمال من المناطق المذكورة كبغداد والكوت والديوانية وكركوك والموصل . وقد حملتهم مهارتهم في الصنعة الى بلاد بعيدة حيث نجد حوانيت الصاغة منهم في بيروت ودمشق والاسكندرية(*) ، اما في ايران فقد كان عدد الصابئين كبيرا في اقليم عربستان ، غير ان عددهم آخذ بالتناقص ، والساكنون منهم في المحمرة والاهواز على ضفاف نهر كارون ليسوا بنعمة وصحة كما هي عليه الحال مع الصابئين في العراق(**) .

ان السمات المميزة لهذه الطائفة ، اذا كانت الطبقة العليا موضع البحث ، يمكن تمييزها بسماتهم البدنية غير الاعتيادية ؛ وقد قلت « الطبقة العليا » واعني بذلك الصابئين الذين انحدروا من اسر كهنوتية تشدد كثيرا في نقاوة النسب وتبحث عن السلامة التامة لدى الزواج . وللاسر الكهنوتية نوعان متميزان ، الاول قوى اسمر اللون ذو عيون سود ، والاخر طويل

(*) يوجد بعض منهم الآن في ايطاليا وفرنسا وامريكا كصاغة او كمهاجرين .

(**) الصابئون في ايران لا يختلفون من الناحية الصحية والدينية عن الصابئين في العراق الا انهم اقل تقدما من الناحيتين الاجتماعية والثقافية العصريتين بسبب تمسكهم المتزمت بشعائر الدين الذي يفرض انعزاليتهم عن سائر الاقوام بعكس ما جرى عليه الحال في العراق .

صابئون من فئة كهنوتية

صياغة الفضة

ابيض البشرة أو برونزيها قليلا ، بنسبة من العيون الزرق المائلة الى السواد تبلغ ثلاثة في كل اثنتي عشرة • اما الصابئون الفقراء سكان الاهوار في العراق وفي جنوبي ايران فهم اقتم بشرة واضأل اجساما من الفئة الكهنوتية ، ذات الاجسام السليمة بصورة عامة • وعلى العموم فان القوة والجمال والانف الكبير الطويل الاقنى هي السمات المميزة للفرد الصابئي •

وكان المتجول بين حوانيت الصاغة الصابئين ايام الاحتلال البريطاني واثناء فترة الانتداب يشاهد على باب الحانوت لوحة تعلن انه « مسيحي من اتباع يوحنا المعمدان » ، وقد اختفى هذا بتأسيس الحكم الوطني • والصابئون كغيرهم من ذوى الاديان الباطنية ، يجسمون نقاط التشابه الصغيرة بينهم وبين المتحدثين اليهم من الاديان الاخرى ، فهم يجيبون السائل بان « يحيى نبينا كما ان نبيكم عيسى أو محمد » حسبما يتطلب الحال • وقد وجدت حالا بان يوحنا المعمدان (يوحنا او يهيا يهانا) لا يمكن از يوصف كنبي لهم بالمعنى الدقيق ، وفي الحقيقة فقد ملت مرة للاعتقاد بانه كان استيرادا من المسيحين ، الا انني اقتنعت بالتدريج بانه ليس مجرد اقحام ، بل قد كانت له علاقة حقيقية « بالناصورائي » الاصليين ، الاسم الذي كان يطلق على اصحاب هذه العقيدة في الايام الاولى ، فالصابئون لا يدعون بأن دينهم أو شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا بل ان كل ما ينسب اليه هو انه كان معلماً عظيماً(*) ، وانه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن ، وان

(*) جاء في كتابي « حران كويثه » و « دراشه اد يهيا » ان يوحنا كان نبيا ورسولا ويقصد الصابئون من كلمة رسول (شليهه) انه جاء الى الدنيا بامر من الرب وبمهمة خاصة ، لا بمعنى الرسول الذي يأتي بدين جديد •

تغيرات دينية معينة تنسب اليه ، كتقليل اوقات الصلاة ، من خمس الى ثلاث يوميا ، فهو كان بالنسبة لتعاليم الصابئين « ناصورائياً » اى ضليع في العقيدة ، ذو معجزات تعالج بصورة رئيسة شفاء ابدان الناس وارواحهم[٣] . فهو يفضل علمه (ناصيروثه) لا يفله الحديد ولا تحرقه النار ولا يغرقه الماء ، تلك الاشياء التي يدعيها اليوم الدراويش الرفاعيون .

وعيسى بالنسبة للاهوتيين الصابئين « ناصورائي » ايضا ، الا انه خرج على الدين وقاد الناس الى دين آخر وباح بالعقائد الباطنية وجعل الدين اكثر يسرا (اي انه سخر بالصعب وانشأ قواعد جديدة حول التطهير) .

والاشارات الى المسيح (يشومشيهه) هي في الحقيقة عبارات جدالية تشير بالدرجة الاولى الى اعمال المسيحية البيزنطية التي اثارت الرعب في قلوب الصابئين (المندائيين) باتخاذها الماء (غير الجاري) للتعميد ، وبعزوبة الرهبان[٤] والراهبات . فديوان « حران كويثه » يذكر تأسيس الجماعات المسيحية في جبل سيناء ؛ وفي الطقوس لا يذكر اسم يسوع او اسم يوحنا[٥] (*) . اما ما ذكره سيوفي من ان اسم يوحنا يذكر في التعميد فهو مجرد تصور(**) . فهو لا يذكر أو يستدعى في اي طقس عدا ذكره في « الذخرانا »(***) حيث تذكر اسماء الارواح الدورانية والرجال المقدسين والموتى الصالحين منذ اول الايام الى الوقت الحاضر ، ولكنه لا ينفرد باي امتياز خاص في هذه القائمة من الاسماء .

(*) يذكر اسم يوحنا في الصلاة اليومية (براخه) وتقام ثلاث مرات يوميا صباحا قبل الشروق وضحى وقبل غروب الشمس .

(**) يذكر اسم يحيى في التعميد عند تلاوة صلاة (بهائن قد مايى) اي صلاة الاسلاف وهي جزء متمم لاجراءات التعميد .

(***) (الذخرانا) اي الذكرى أو التذكر صلاة ووجبة طقسية تقام على ارواح الاسلاف ومن ضمنها تتلى صلاة (بهائن قد مايى) التي ياتى فيها ذكر يحيى .

ان تعبير « مسيحي من اتباع يوحنا » يكمن اذن ليس في علاقة الدين بالمسيح أو بيحيى ، بل لان يوحنا اسم نافع امام المسيحيين من جهة ، وقد ذكر للحصول على تسامحهم ، ولوجود علاقة بين اللفظ « ناصورائي » واللفظ العربي الذي يطلق على المسيحي ـ نصارى ـ من جهة اخرى • ولست اريد الدخول هنا في النقاش الذي ثار حين اشار ليدزباريسكي الى الصعوبات اللغوية التي تمنع لفظة (ناصورايي) من ان تكون بمعنى « رجل من الناصرة » وكان اعتقاده هذا من القوة بحيث قال بان الانجيليين قد اشاروا الى ان طفولة المسيح كانت في الناصرة ليوضحوا التقليد القائل بانه كان « ناصورائي » وقد اثبت ليدزبارسكي نقاشه هذا في كتابه « الطقوس الدينية المندائية » • وفي مقدمة ترجمته لكتاب « كنزه ربه » • فاليهما اشير القارىء •

وفي مخطوطات الصابئين وفي اساطيرهم تستعمل كلمة ناصورائي بالمعنى الذي اشرنا اليه في اعلاه اى « الشخص الحاذق في الامور الدينية وفي الرقية » بينما يسمون المسيحيين « مشيهيه » اي اتباع المسيح أو « كريستيانيا » • وتحمل الدواوين الطلسمية تدوينا يقول « هذا مأخوذ من الناصروثا » (حرفة الكهانة) عن فلان وفلان • وقد جاء عن يوحنا في « حرّان كويثا » ما يأتي :ـ

حين كان في السابعة من العمر جاء « انوش اثرا »[٦] وكتب له الابجدية (آ ـ با ـ كا ـ دا) وفي الثانية والعشرين من عمره كان قد تعلم كل حرفة الكهنوت (ناصروثه) •

ويشار في المخطوطات المتأخرة الى الناصورائي بوصفهم اعلى من طبقة العامة فيقال « الناصورائي والمندايي » في حين اسمعها في هذه الايام تطلق على الروحاني العالم المعروف بمهارته في الرقية ، فيقال « يا له من ناصورائي حقيقي » •

فما هو اصل هذه الكلمة ؟ يظن ليدزبارسكي بانها تنتسب لكلمة « يلاحظ » ومن هذا يستنتج بان الناصورائي كانوا « ملاحظين » • ويفترض مستشرق آخر انها قد تكون مشابهة لاصل كلمة « نصر » السريانية ومعناها « الزقزقة والتغريد (كالطيور) ، والنطق باصوات مبهمة (كالساحر) والتغني وترتيل الادعية » • وكلا هذين الفرضين ، في اصل المعنى يتفقان ورأى الصابئين ، فالناصورائي عندهم كان مراقبا للنجوم والبروج والعلامات • وقد فاخر احد كهنتهم بهذه المعرفة ، حين كان يتحدث عن العلم الباطني المنقول كاهناً عن كاهن قال :

« لو ان غراباً نعب في برج فانا افهم ما يقول ، كذلك افهم معنى الحريق حين يشب ، والباب حين تفرقع ، والجو حين يغيم وتتخذ السحب اشكال الحيوانات ، وحين يخسف القمر فانا افهم دلالته وحين يثور الغبار اسود ، او احمر ، او ابيض ، فانا افهم هذه العلامات حسب الساعة وحسب الاتجاه » •

والمعنى الثاني لأصل الكلمة يستجيب لوظائف وطبيعة الناصورائي ، اذ ليست هنالك من رقية او اى عمل ديني ، يمكن ان يعتبر فاعلاً ما لم يجر حسب صيغة معينة ، اذ ان للكلمات قوة سحرية ، وان مجرد نطق اسم كاف لالزام صاحبه لأن يكون في عون الناطق ، أو سيدعو على الاقل الى حضوره • وجميع الصلوات والادعية تتلى بصوت مسموع عدا ما يكون منها في غاية السرية حيث لا يمكن تلاوته الا بصمت عن طريق القلب • وبالاختصار فأن الفرد الصابئي اليوم يؤمن بالرقية ، كما كان يفعل الأسلاف في أرض سومر منذ القدم •

ويقودنا الاسم الاخير (مانديي او المندائيون) الى مسألة اصل هؤلاء الناس • لقد بحثت ذلك في مقالة حول المندى (بيت العبادة) في مجلة مصر والشرق (حزيران عام ١٩٣٤) وقد تأيد ما ذهبت اليه اذ ذاك بشواهد

وادلة من ديوان « حرّان كويثه » المخطوط الهام الذي افلحت في الحصول عليه بعد جهد سنين ؛ لقد وجدت فيه ما كنت ابحث عنه ، وهي معلومات محددة عن جبل مادّاى (طوراد مادّاى) أو جبل المندايي ، الذي كثيرا ما يذكر في الاساطير والحكايات الصابئية .

والمخطوط ناقص والبداية فيه مفقودة ، وهو يحتوى على اشارات وتعليقات قاسية ، ولهذا تصعب معرفة تاريخه بوساطة مضمونه . فهو بعكس كتاب « كنزه ربه »(*) يجعل لحكم العرب (٤٠٠٠) اربعة الاف سنة قبل ظهور المسيح الكذاب ، ولكنه يطابقه في قوله « بان اللبنة في الجدار ستنادى به » ويعيد الكاتب برخوني في مؤلفه « شوليون ٧٩٢ م » نفس هذه الاسطورة .

وتستعمل فيه لفظة « ترميدة » بمعناها القديم « حوارى » . وقد كتب الكتاب بعد الفتح الاسلامي ، غير ان الحديث فيه عن الاسلام لا يتسم بالعنف ، كما اتسم الحديث عن اليهود (يهوطايي) اللفظة التي تطلق اعلى الكلدانين وعلى اليهود .

ويحتوى المخطوط على تأريخ ونبؤة ممتزجين ؛ والصابئون ينظرون اليه باحترام كبير ، وقد احتفظوا به مكتوماً لصفته الجدالية .

يبدأ المخطوط هكذا :

« واستقبلتهم حران (حرّان) المدينة التي كان فيها الناصورائي . ولهذا فليس من سبيل لملوك اليهوطايي (الكلدانيين) . وكان على رأسهم (الناصورائي) ملك اردوان ، وقد عزلوا انفسهم عن العلامات السبع ودخلوا في جبل مادای حيث اصبحوا احرارا من تسلط جميع الاجناس

(*) كتاب الصابئين الرئيسي المقدس ويدعى ايضا كتاب آدم ومعناه (الكنز العظيم) .

واقاموا المنددى (مفردها مندى) وسكنوا هناك بأمر الحياة(*) وبقوة ملك النور السامي » .

ويشير المخطوط الى ولادة يسوع باختصار فيقول :

« لقد حرّف كلمات النور وابدلها بالظلام وغير دين اولئك الذين كانوا على ديني وبدل جميع الشعائر (ابيدانا) واقام هو واخوه(**) في جبل سيناء ودعوا لانفسهم جميع الناس وجلبوهم لدينهم واطلقوا عليهم اسم كريستيانا وسموا على اسم مدينة الناصرة (نزرته مدنتا) .

وبعد ذلك تأتي ولادة يحيى (يهيا يهانا) المعجزة ؟ : (وهنا اختلاف في القصة بينها وبين قصة ولادة يحيى في كتاب تعاليم يحيى دراشه يهيا) وقصة تنشئته في « الجبل الابيض » (باروان) وتعميده وتعليمه وادخاله الكهنوتية في جبل مادای . واخيرا يحدد في هذه الوثيقة محل « جبل مادای » بأنه يدعى « بحران الداخلية » (متقريا حران كويثا) وهناك حاشية دخيلة أقحمت تعترض مجرى الرواية لتقول :

« ان المادای لا يحسبون من اتباع (الروهه)(٧) وابنائها السبعة لان بينهم اتباع هيبل زيوا » .

ثم يؤتى بيحيى الى اورشليم حيث توجد مجموعة من سكان جبل مادای :

« ثم جاء به (انوش اوثرا) الى مدينة اورشليم حيث الجماعة التي اوجدتها الروهة . وكلهم كان من اتباعها واتباع ابنائها عدا اولئك الذين هم

(*) الحياة والحي في لغة الصابئين يعبر عنها بلفظ واحد هو (هيّي) ونحن نميل الى ترجمة الكلمة هنا بمعنى (حي) بدلا من حياة .

(**) النص المندائي يذكر (المسيح واخوانه) اي اصحابه والعبارة في النص هي (هو وآهى) اي هو واخوانه .

من جبل مادای » •

وليس هنالك ذكر لتعميد يحيى للمسيح (كما هي الحال في دراشه ديهيا) أو تعميد يحيى لمنداد هيي ؛ والواقع ان تعبير « منداد هيي » لايستعمل في كل الكتاب •

ويظهر المخطوط يحيى بأنـــه معلم ومعمد وشـاف : « لقد علـــم حواريين (ترمد ترميدى) وجعل الكسيحين يسيرون على ارجلهم » •

وبعد ستين عاما من وفاته ، كما ينص المخطوط ، حصل اضطهاد للناصـــورائي في اورشليم « الى حـــد لم ينج احد من الحواريين ومن الناصورائي » • وذكرت نجاة بقية من الناس • ثم ان اليهود بدورهم قد سيقوا وان كثيرا منهم قد اخذ بالسبوط الى محل يدعى « سوف زابا » (نهير ذو قصب) قيل اخيرا انه البصرة • وقد زوّق المؤرخ هذه الهجرة بتفاصيل اقتبسها من الهروب القديم من مصر اذ يصفها بأنها اجتياز معجز للميـاه (مياه الاهوار) ؟ (وسوف زابا واضح هنا بأنه منطقة الاهوار القصبية في منطقة البصرة) ولا يذكر بعد ذلك اية حملة تعقيبية •

وبمساعدة « الروهه » بنى اليهوطايي (هنا الكلدانيون) مدينة جديدة منيعة ذات سبعة اسوار « كل سور افخم من السور الذي يليه » وهذه المدينة (بغداد) خربتها تماما قوى النور يؤيدهم المادای والحراس (ناطرى) السبعة من « جبل باروان » • ونصب احد احفاد ملك اردوان على بغداد وامتد حكمه الى الزوايا الاربع من العالم ، وعين الولاة على المقاطعات وكانت لهـا اسماء صابئية ، وقد اعترفت قوى النور بهذا السلطان • ثم يأتي وصـف خراب اورشليم من قبل قوى النور •

« ذهب (انش اثرا) واحرق مدينـة اورشليم وخربها ، وقتل بني اسرائيل وكهان اورشليم وجعلهـا اكواما من الخرائب (اكوات تلياد

هبروائه) . ويتلو فترة الازدهار في بابل التبلبل اجناسا والسنة وحروبا . ثم يأخذ السلطة (الهردبايا) (اوهربابايا ـ دعاة الحرب) من احفاد اردوان ويستمر حكمهم ٣٦٠ عاماً حتى الفتح العربي » .

ولا يهتم الكاتب بالغزاة والحكام اهتمامه بالانشقاق الذي حصل في صفوف « الناصورائي » انفسهم فهو يؤرخ استيطان « الناصورائي » للطيب (الارض المنخفضة ذات الابار الواقعة بين اهوار لواء العمارة وجبال حمرين) ، ويصف كيف حدث قبل الفتح الاسلامي بست وثمانين سنة ان خدع احد رؤساء الامة « قيقل ريش أمّه » من قبل الروهة متنكرة بزي نوراني ، بحيث انه هو وكهانه واناس آخرون كثيرون انحرفوا عن العقيدة الحقة وكتبوا كتابات مستوحاة من قوى الظلام . ويظهر ان ذلك المروق أو الانحراف كان لا يزال قويا اذ ذاك لان الكاتب ينصح الناس بتجنب الاتصال بهؤلاء الخوارج وبحرق كتبهم وتدميرها .

ثم يأتي بعد ذلك مجيء العرب ويعبر عن محمد (ص) تارة « العربي ابن الحرم » واحيانا « محمد بن عبدالله » .

ويقص الكاتب كيف ان « انوش بن دنقا » من جبل « ارسايي » قد قدم على الملك العربي واوضح له بان لدى الصابئين كتباً مقدسة ثمينة ودينا قديماً « وهكذا حصل على الامان لاتباع دينه »(*) .

هنا ينتهي سرد الحوادث في الماضي وتبدأ التنبوءات للمستقبل منتهياً بخليط بين العرب وحكم المسيح الدجال وعودة انوش اثرا المنتظرة ثم

(*) اما البلاد المفتوحة فلما جاء المسلمون لفتحها فاول من لقيهم في حدودها العرب ابناء لغتهم واهل عصبيتهم ، ولما توغلوا في الشام والعراق استأنس اهلها باللسان العربي لقربه من لسانهم الآرامي أو السرياني مع بعد لسان حكامهم يومئذٍ الرومي أو الفارسي عنهم فكان ذلك في جملة ما مهد لهم اسباب الفتح (تاريخ التمدن الاسلامي ج٥ ص١٨) .

الكارثة الاخيرة قبل نهاية العالم ايام حكم « امامت ابنة قن » . وتكمن اهمية هذه الوثيقة في تضمنها لفظة ناصورائي مطابقة للبارثيين « الذين ينسجمون الى حد كبير مع ابناء ابناء اردوان ملكا » الذين جاءوا من « طوراد مادای » . والاشارة الى كون هذا المكان ، مكانا جبليا يمتد الى حران ، واضحة جدا ، كما تظهر اهميتها ايضا في الاشارة الى ان « المادای » لم يكونوا جميعا ناصورائي . ومما يستحق الذكر ايضا حقيقة عدم ذكر تعبير « منداد هيي » او تعبير « مانداثيين » . ويمكن ان يقال هنا بأن لفظ مادای هو اشارة للفظ مندائيين ، ولكن في هذه الحالة لا يمكن ان تعني لفظة المندائيين معنى المعرفيين بل تشير الى قومية[٨] .

لقد كنت مهتمة بمسألة الاصل منذ زمن بعيد وحين كنت اسأل الكهنة واسمع منهم بأننا جئنا من الشمال لم اكن لا منح هذا القول اية قيمة لان سكان الشرق الاوسط لا يمكن ان يميزوا بين الدين والجنس ثم ان الاسلاف الالهيين (عندهم) يسكنون في الشمال[٩] موطن الالهة .

ولكن ظهر ان هناك شيئا اكثر من ذلك في رفضهم الاعتراف بان موطنهم الاصلي هو جنوبي العراق ، ان هناك عجرفة وتغطرساً يشابهان الى حد ما الادعاء النوردي في الوقت الحاضر .

ففي المقتطف التالي من كتاب الكنزه جاء ما يلي : « العالم جميعه يسمي الشمال الارض المرتفعة والجنوب الارض المنخفضة لان عوالم الظلام تقع في الاراضي المنخفضة في الجنوب ... واولئك الذين يسكنون في الشمال هم بيض البشرة اما اولئك الذين يسكنون في الجنوب فهم سود ومظهرهم قبيح كالشياطين » . ولدى الصابئين خليط من الاساطير والتقاليد ، غير ان جبل مادای يذكر دائما في ما يقصون ، وحين سألت عن محله اختلفت الاجابات ، فقسم قال أنه مطابق لـ : « مشوني كشطة » ، العالم المثالي لعالمنا ، وكان آخر اكثر دقة حين قال « اظن انه في ايران لان ماديا في ايران » وقال كاهن آخر دون مبالاة « ان بعضهم يقول ان طورد مادای

في تركستان وانني سمعت بان العرب يسمونه جبل طي » • وهناك اهمية في قول احد الصابئين حين كان يتحدث عن التعميد : « كان صابئو الزمن القديم يسكنون مع الفرس في محل حيث الينابيع الساخنة في الشتاء والباردة في الصيف » وقد وصف جبل المادای في احدى الاساطير بان له جوا معتدلا وينابيع حارة • ويوجد في المراجع قليل من الادلة المباشرة وهي عامة في جميع النصوص وتشير الى « ماء اسود يحترق كالنار » • وليس هـذا الا السائل الناز والا اندفاع الزيت المحترق المعروفين في جميع هذه الاصقاع النفطيـة •

ومن الغريب تماما الا يجعل الكهنة محل خلق الانسـان الاول في الشمال فهم يقولون بان الانسان الاول كان في سرنديب (سيلان) ، ومن الغامض ايضا الادعاء بان المصريين كانوا على دينهم(*) وبأن جنس اسلاف

(*) لا يزال الصابئون يقيمون وجبة طقسية سنوية على ارواح المصريين الذين غرقوا في البحر الاحمر وهم يتتبعون النبي موسى واليهود ، في قصـة خروج اليهود من مصر المعروفة • وهم يعتقدون بان بين اولئك الذين غرقوا قسماً كان يدين بالديانة الصابئية • وقد جاء في صحيفة روز اليوسف في عددها ٢٠٣٧ بقلم الاستاذ عبدالحميد جوده السحار ما يشير الى هذه العلاقة حيث قال :

وبعث الله ادريس الى الناس يدعوهم الى عبادة الله الذي له السموات والارض ويحدثهم عن البعث والحساب والميزان والجحيم والخيرات التـي اعدت للمتقين فآمن المصريون بالله قبل فجر التاريخ وقبل ان يوحد مينا الوجه البحري والوجه القبلي بآلاف السنين •

وعرف اتباع ادريس بالصابئين وعرف الكتاب الذي جاءهم به (كنزه) ولم تقم دعوة ادريس داخل حدود مصر بل ذهب الى بلاد العرب يدعو الى عبادة الله وحده •

ثم يستمر الاستاذ السحار فيقول (وكان ادريس يعرف قبل ان يدون البشر تاريخهم ان الارض التي بين الفرات والنيل امة واحدة فذهب الى العراق يدعو اهلها الى عبادة الله الواحد القهار فانتشر الصـابئون في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات وفي أرض الشام وفي الجزيرة العربية وفي وادي النيل) •

الصابئين الاوائل قد انحدروا من مصر الى جبل ماداى ، لهذا تؤكل كل عام وجبة طقسية في ذكرى الحملة المصرية التي غرقت في الماء وهي تتبع اليهود « الخبثاء » ولابد ان تكون هذه القصه قد جاءت عن مصادر اسرائيلية ؟ ويميل المرأ الى الدهشة ما اذا كانت تلك المقتطفات من الاسرائيليات قد اخذت عن اسرى سرجون وانهم حقا قد سكنوا قرب بحر الخزر وتحولوا الى دين المزدية وامتزجوا مع اقوام تلك البلاد كما افترض بعضهم .

ومهما كان الامر فالاسطورة والتقليد وحران كويثا كلها تذهب باتجاه واحد هو انه في زمن ما كانت جماعة لها نفس عقائد الصابئين تقريبا قد استوطنت بلاداً جبلية شمالية ، وان هذه البلاد لها ما يربطها بحرّان ، وان فئة دينية من اورشليم هاجرت بعد ذلك الى الجنوب كان لها نفس المعتقدات وان لفظ الماداى أو المندائي لا علاقة له بالدين . ويظهر اكثر من ذلك ، ليس فقط عن طريق الراوي في حرّان كويثا بل كما سأوضح في هذا الكتاب ، من جميع الشعائر والافكار التي تميزهم ، ان هذه العقيدة التي عليها جميع هؤلاء الناس لها في الحقيقة نسب وثيق بالمزدية او الزردشتية الاولى كما ان لها صلة ايضا ببعض الشعائر البابلية القديمة .(*)

والآن سأتناول بحذر سلسلة من التطابقات اللغوية والتأريخية . فماذا يعني « ماداى » او مانداثي ؟ في المقتبسات من حران كويثا التي اشرنا اليها سابقا ، يوجد تعبير : بنوا منادياً (جمع مندى) وسكنوا هناك ، وبيت العبادة العادي يسمى في لغة الكتابة « مشكنه » (مسكن) ويعرف بلغتهم العامية (الرطنة) بـ « مندى » . وفي ديوان « شرح پروانيا » يسمى بيت الشعائر « مندا » ويوضح الكهنة ان الكلمة فارسية ومعناها « المسكن » . وتأتي الكلمة

(*) تقصد المؤلفة كما سيأتي في سياق حديثنا في فصل ١٤ بالنسب الوثيق بين الصابئين والزردشتيين التشابه في بعض الطقوس بينهما تشابها كليا وبخاصة طقوس الوجبة الطقسية على روح الميت .

بشكل مركب في اسم « ماندلتا » وهو اسم يطلق على نصب قصبي ثلاثي الشكل يقام في ساحة الدار التي يموت فيها احد افراد الاسرة ويعني ذلك هنا بوضوح « مسكن الروح » او « مسكن الآلهة » .

والآن وبقوة التشابه في التعابير الدينية في السريانية والارامية فان « منداد ـ هي » قد ترجم الى « معرفة الحياة » اي غنوصية(*) وبالقياس ترجمت لفظة المانداني الى الغنوصيين ـ المعرفين ـ وكما اشار البروفسور بالس Pallis سابقا فقد تكون هذه اللفظة مستوردة ؛ فكلمة المعرفة في آداب المندائيين هي « ماديثا ويادوثا ومادّاومادهثا » ثم الحقت بكيفية ما النون للفعل « ادا » (يعرف) ولا يعرف سبب ذلك . واكثر من هذا حين نأخذ من اسم « منداهيي » لفظا بمعنى « معرفة » او غنوسطي لا نذهب بعيدا في تقييم هذه الجملة :

« انتم (منداهيى) ... الشجرة العظمى التي هي جميع المنداى » والشجرة في كتب الصابئين رمز ديني للحياة الالهية وليس من النادر ان تمثل ارواح الصابئين بالطيور ملتجئة الى مأوى في كرمة أو شجرة ضد عواتي الزمن ، وهنا من المعقول ترجمة كلمة « ماندا » الى « مسكن » او « مأوى » .

وكان يوجد في الواقع منطقة تعرف بماندا في ايام البابليين المتأخرين ، ويضع فنكلر هذه الماندا غربي بحر قزوين ، وعلى كل حال فموقع المنطقة ليس محققا ، وحوالي ٥٥٣ قبل الميلاد (انظر :
(Cambridge Ancient History Volume 3, P. 220 .

(*) الغنوصيون المعرفيون اتباع مدرسة دينية فلسفية نشأت في القرون الاولى للمسيحية ومزجت في اعتقاداتها بين اللا هوت المسيحي واديان الشرق القديمة والافلاطونية الحديثة وفلسفة فيثاغور . وكان الغنوصيون يعتقدون بسبب روحي غير مدرك يظهر ذاته بالفيض الالهي وهو عكس العالم المادي مصدر الشر .

امر الاله مردخ الملك نابونيدس وهو يظهر له في المنام ان يسترجع هيكل القمر القديم الشهير في حران وقال الملك انه لا يزال في ايدى (عمان ماندا) وسأل كيف يصح لملك بابلي ان يتدخل في حصتهم في الغنائم التي حصل عليها شيشاريس ؟ وقد اجابه الاله بان عمان مندا قد ماتوا وتفرقوا لانه في السنة الثالثة من حكم نابونيدس كان كورش ملك انزان قد هزمهم وحمل اشتوميكو (استياجيس) اسيرا ونهب مدينتهم (ايكباتانا) .

وايكباتانا هي مدينة همدان الآن ويخمن فنكلر ان من المحتمل ان عمان مندا كانت قبيلة ميدية . ويجرأ رو. روجرز في مؤلفه « تاريخ فارس القديمة » على ان يقول ان مندا هم المادای او الميديون ويقول دى لاتر (شعب وامبراطورية الميديين) :

« كان كورش في المخطوطات البابلية التي تحمل اسمه سيدا لجميع آسيا الشرقية ، وتقسم الشعوب التي خضعت لسلطته الى ثلاث مجموعات ، شعوب كوتي او گوتي ، وشعوب سالمات كاكادى ، وشعوب الماندا ، وشعوب كوتي هم سكان ارمينيا ، وشعوب سالمات كاكادى هم مجموعة الشعوب الخاضعة تماماً لسيطرة الامبراطورية الاشورية والبابلية . وكانت شعوب الماندا خاضعة لملوك الميديين . وتطلق عبارة « رجال ماندا » من قبل اسرحدون على الكيمريين سكان كومر المجاورين للبحر الاسود والذين يعتبرهم الانجيل ذوى علاقة بالميديين ومن الذين ساعدوهم على تخريب امبراطورية نينوى . فهل هذا التشابه يسمح باستنتاج ان اسم « شعوب ماندا » كانت صفة عنصرية تشير الى الشعوب الارية قرب القفقاس كالكيمريين (السيمريين) وهم بهذا سكان ايران ؟ » .

ان لفظة « ماندا » تأتي في عدة لهجات ايرانية وفي لغات فيها كلمات ايرانية فـ « ماندا » تعني مثلا في شمال العراق سوقا داخلية مسقفة أو بازاراً وفي الكوجوراتي توجد كلمة مندى او مندافا وتعني الظل أو الهيكل وهي

مأخوذة من مانداپا السنسكريتية بنفس المعنى • والتوديون في جنوب الهند الذين لهم تقاليد في الهجرة من القزوين يسمون قريتهم أو مجموعة اكواخهم من القش مع طينية للابقار المقدسة « ماند » وتأتي « ما ـ دا » في السومرية بمعنى الارض أو السكن • واللغويون لا يجزمون بنسبة كلمة « ماتو » السامية اليها • فهل تقودنا كلمة « مادا » الى الميديين ؟

ان اللغة كثيب من الرمل لغير علماء اللغة وانا لا اجرؤ على اكثر من ان اسأل اولئك الذين يتصفون بهذه الصفة اذا كان من الممكن ان يكون اصل كلمة مادا او ماندا « موطنا » « أو محل سكنى » أو « ملجأ » او انه يشير الى بناء أو مجموعة من الابنية على عكس ما تقيمه العشائر الرحالة من مبانٍ موقتة •

فاذا كان ذلك ما ذكرت فان معنى « ماندا دهيى » سيكون مساوياً لـ « بيت الحياة » أو « موطن الحياة » ويكون تجسيدا (مرة اخرى) للروح الجماعية للانسان الذي يمثل جسمه موطن الروح او كما افترض ليدز بارسكي بأنه تجسيد لجنس المانداثيين • ساترك ذلك للاخرين لفك العقد والرموز التي طرحتها امامهم •

ولغة الصابئين ضد نظرية انحدارهم من الشمال كما اشار الى ذلك البروفيسور (بركيت Burkitt) وهي لدى تولدكه لهجة بابلية فقد قال :

تنتسب اللغة المندائية انتساباً وثيقاً الى لغة التلمود البابلية ، فكلا اللغتين متجاورتان من الناحية الجغرافية وفي الواقع يمكننا ان ندعي بان لغة التلمود البابلي كانت تستعمل في بابل العليا وان المندائية كانت تستعمل في بابل السفلى • N. P. P. XXVFF

ثم كتب في محل آخر يقول :

« هناك علاقة وثيقة واضحة بين اللغة المندائية ولغة التلمود خلال النحو

فيهما ويظهر ان المندائية شكل متأخر عن التلمودية في الظهور ولكن ليس بكليتها ، لان النصوص المندائية انقى لغويا وليست مختلطة بعناصر غريبة وهي تمثل الكلام الارامي في بابل خيراً مما يمثله التلمود • ولو حفظ العرب لنا شيئاً اكثر بقليل من الكلمات التي نعرفها في الوقت الحاضر من لغة النبطيين[١٠] العراقيين (سكان بابل المتحدثين بالارامية) لوجدنا الخصائص الرئيسية للغتين المندائية والتلمودية اكثر مما تقدر عليه الآن »[*] •

N. P.P. XXVI

ان عدم وجود الاصوات الحلقية في المندائية والخلط المستمر بين السين والصاد والزاي وبين الكاف والقاف توازى الى حد ما ما هو موجود في اللغة البابلية ، ولكن حقيقة كون الهاء وحدها جعلت لتؤدى وظيفتي الهاء والحاء الساميتين يشير الى ان اللسان كان في وقت ما غريباً على القوم الذين تحدثوا به ، او ان فيه قدراً معتبراً من العناصر الآرية او غير السامية ؛ وفي الحقيقة توجد « اه » ولكنها تستعمل بصورة خاصة موصولة بالشخص الثالث المفرد فقط ، وتلفظ « اي » او « آ » حسب الجنس والعدد فلا اعتبار

(*) جاء في بحث (تاريخ الادب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي) المنشور في المقتطف الجزء الاول والمجلد الخامس عشر بعد المائة سنة ١٩٤٩ لمؤلفيه الدكتور مراد كامل والدكتور محمد حمدي البكري ما يأتي :

(ونستطيع بعد ذلك ان نقسم اللهجات الآرامية الى شرقية وغربية اما الشعبة الشرقية فتضم لهجة « الرها » الآرامية وكان موطنها ما بين النهرين وسميت بعد ظهور المسيحية بالسريانية • ولهجة آرامية يهودية بابلية هي لهجة (التلمود البابلي) وكان موطنها شمالي العراق • ولهجة الصابئين الآرامية وهي اللهجة (المندعية) (المندائية) وموطنها جنوب العراق • ثم يقولون عن اللهجة المندائية (واسمها مشتق من الكلمة الآرامية ـ مدعا ـ) ومعناها المعرفة ويسمى اصحابها بالصابئين أو المندعيين المندائيين ؟) وهم طائفة من القبائل الآرامية كانت تسكن منطقة الاردن ثم هاجرت منها الى العراق •

لها بين الحروف .

واذا نحن تركنا مسألة الاصول ورجعنا الى تأريخ هذا العنصر في العراق ، فالصابئون يذكرون ثلاث مرات في القرآن مقترنين باليهود والنصارى كشعب ذى دين معترف به(*) ، وقد اشرت سابقا الى المصادر العربية التي جمعها جولسون في مؤلفه التذكاري الذي يعطي فيه اعتبارا خاصا للعلماء الصابئين اللامعين في بلاط بغداد العباسي فقد اصبحت المعرفة اليونانية ميسورة لاوربا بفضل ترجمتها الى العربية وكان بين المترجمين الى العربية صابئون حرانيون في عاصمة الخلافة . لقد كان الفيزياويون والفلكيون والفلاسفة والشعراء الصابئون زينة الحضارة العربية وقد ساعدوا على تأسيس شهرتها .

ويمكن ان يكون هؤلاء الصابئون الحرانيون قد كسبوا لاخوتهم في اهوار الجنوب الذين هم اكثر بدائية وبساطة ، درجة من التسامح والمعاملة العادلة ، ومهما كان الامر فان الصابئين في القرون الوسطى يظهرون وقد قهرهم الاضطهاد ، فقد تركت احدى الكوارث في القرن الرابع عشر طابعها في ذكرياتهم حتى انهم يتحدثون عنها حتى في هذه الايام . وقد عثرت على

(*) ورد ذكر الصابئين في الآيات القرآنية الكريمة الآتية :

آ – ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (سورة البقرة) .

ب – ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (سورة المائدة) .

جـ – ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد (سورة الحج) .

تسجيل لها في نهاية احد الاحراز الطلسمية التي تفحصتها اخيراً ، كما وجدت نفس الشيء مسجلا في « التأريخ » وهو مخطوط يمتلكه الشيخ دخيل(*) . يحكي المخطوط عن مذبحة رهيبة تعرض لها الصابئون في الجزيرة حين كان سلطان محسن بن مهدي حاكما في العمارة وكان ابنه فياض حاكماً في ششتر . وكان السبب امرأة صابئية خرجت من دارها الى النهر في اليوم الاول من السنة الجديدة في الوقت الذي ينبغي ان يكون فيه جميع افراد الصابئة داخل بيوتهم فتعرض لها اعراب كانوا في اسطول من الزوارق راسٍ هناك ، ونشب القتال واعلنت الحرب على الصابئين فذبح الكهان والرجال والنساء والاطفال وبقيت الطائفة مهيضة وبلا كهان لعدة سنين .

« اذا اضطهدتم فقولوا : نحن منكم ولكن لا يكن ذلك قلبيا ، ولا تنكروا صوت سيدكم ملك النور الاعلى ، فالسر لا يمكن ان يفشى الى ظهور المسيح الدجال » . قد تكون هذه العبارة المأخوذة من كتاب « كنزه ربه » هي التي عملت على اعتبار الصابئين هراطقة ضارين من قبل البرتغاليين الذين كانت لهم محطة تجارية في البصرة ، فقد اقنعت السلطات البرتغالية الباشا بتشجيع من رجال الدين على اجبار نصارى القديس يوحنا للعودة الى الكنيسة ، واتخذت الوسائل لتحويلهم الى المسيحية بالقوة ، وقد جند قسم منهم في الجيش البرتغالي ؛ وفي اوائل القرن السابع عشر كان عدد من الصابئين مرتزقة برتغاليين . وقد اظهر الاتراك في الزمن الاخير تسامحاً اكثر حيالهم ، فقد سمح لهم بدفع البدل بدلاً من الانخراط في الجيش العثماني لان الحرب وسفك الدماء ضد العقائد الصابئية . وسنرى ما سيحدث حين يدخل العراق التجنيد الاجباري . ان الوضع ليس كما كان بطبيعة الحال فالتمسك بالدين اصبح واهياً وقد لقيت اخيرا ضابطا صابئيا شارك في

(*) احد روحانيي الصابئين وقد توفى عام ١٩٦٥ .

الحرب ضد الاثوريين ، ووجدت بضعة شبان منهم طلاباً في المدارس العسكرية .

وفي الحقيقة فان الاساليب الحديثة والطرق العصرية والتربية الوطنية والسينمات والسيارات وكل ما يجعل العراق حديثا ، كل ذلك يهدد وجود هذه الطائفة الآخذة بالاضمحلال ، ففي المدارس الحديثة يرتدى الطلاب الزي العصري المطلوب ويمارسون العادات والافكار الحديثة ، وقد اتخذ الطلاب الصابئون (بما فيهم اولاد الروحانيين) الزي الاوروبي ولبسوا السدارة وحين يعودون الى بيوتهم يرفضون تعاليم الكهان ويسفهون اراءهم . وتحت ضغط المدارس أو العمل في الدوائر فنادرا ما تقام طقوس التطهير بينما اخذ ابناء الكهنة يحلقون شعور رؤوسهم ولحاهم وبهذا اصبحوا غير لائقين لحياة الكهنوت (انظر فصل ٩) . وهكذا كلما قلت امور الكهان وتضاءل الدخل كان الاقبال على الكهنوتية ضعيفاً ، واذا ما الحت هذه الظروف فستموت الكهنوتية تدريجيا وسيختفي الصابئون كملة تظل بدون كهنة للتعميد وللزواج وللدفن . وهناك نزيف آخر لدى هذه الطائفة على شكل ارتداد عن العقيدة ، فالنساء الصابئيات يتزوجن من خارج عقيدتهن ويتدين بدين ازواجهن ويبحث الشبان الصابئون عن دين لا يتعارض والمتطلبات الدنيوية العصرية وحياة المدن . ان عمومية الشواطىء في المدن الكبيرة تجعل عمليات الطهارة والاغتسال والعماد مستحيلة تقريبا . وحسب الاحصاء الاخير (نيسان ١٩٣٢) كان عدد نفوس الصابئين هو (٤٨٠٥) نسمة وانا اميل الى ان هذا اقل من العدد الصحيح الذي سيتقرر حين نحصل على نتائج الاحصاء الجديد الذي قامت به الحكومة العراقية(*) . وقد ازدهرت الجماعات الصابئية ايام الاحتلال في مدينة العمارة وقلعة صالح ، ويعد العراق المستقل بالمحافظة عليهم والتسامح معهم . ان الخطر على القطيع يكمن فيه لا في الذئاب من حوله .

(*) بلغ عدد نفوس الصابئين حسب احصاء ١٩٥٧ (١١٩١٢) نسمة .

ملاحظات حول الفصل الاول

١ ـ صُبه أو صَبه مفردها صبى او صابى ، كلمة عامية عربية مأخوذة من الكلمة المندائية (صْبَا) ومعناها يرتمس أو يغتسل • ويوجد في اللغة المندائية ميل في حالة وجود حرف لين ثالث في الكلمة لاحلال الحرف الثاني مشددا محله • وعلى كل فلا يوجد كلمة (صبّ) في المندائية • ويحدث مثل هذا في كلمة (طبّ) العامية العراقية ومعناها دخل او ولج وهي ذات نسب بكلمة (طْبَا) المندائية وهي بنفس المعنى • وتستعمل كلمة (صبا) المندائية ايضا بمعنى الارتماس في حمام الصبغ • ويعكس هذا المعنى المزدوج اعتقاد الصابئين ان « المَصبُته » أو طقس الارتماس يحدث تبدلا في اللون ، فالشخص ، مجازا ، يدخل اسود ويخرج ابيض ، ياتي نجساً ويذهب طاهراً • ويستعمل الصابئون الناطقون بالعربية كلمة « اصطبغ » العربية حين يتحدثون عن التعميد لا عن المعمودية المسيحية ـ عماد ـ • وتنطق كلمة « مصبته » المندائية « مصفته » • وقد بحث المعنى الحقيقي لصيغة الفعل (صبا) الذي ورد في الكتب العربية « جولسون » والبروفسور بالس في كتابه « المكتبة المندائية » •

٢ ـ المغتسلة : ـ الذين يغسلون انفسهم ، وكان موطن هذه الملة مناطق الاهوار الجنوبية في العراق • ولا اكاد اجد شيئاً مما ذكره « الفهرست » مما لا ينطبق في كثير من الوجوه على المندائيين ـ الصابئين ـ •

٣ ـ جاء في الانجيل : « وحين سمع يوحنا وهو في السجن بافعال المسيح ارسل اثنين من حواريه ليقولا له أأنت من يجب ان يأتي ام ننتظر

آخر ؟ واجابهما يسوع اذهبا واعرضا على يوحنا مرة اخرى تلك الاشياء التي سمعتماها وشاهدتماها : لقد ابصر العمى ومشى العرج وشفى البرص وسمع الصم وقام الموتى ، وللفقراء وعظ الانجيل » .

٤ ـ الناصورائى والرهبنة :ـ الاساطير الصابئية على عكس عقيدتهم تصور الناصورائى جماعات مترهبنة يشبهون الى حد كبير الاسينيين المترهبين كما وصفهم جوزيفوس وفيلو . يقول جوزيفوس « يوجد مذهب آخر لدى الاسينيين يتفق وسائرهم باسلوب العيش والعادات والقوانين ويختلف معهم في مسألة الزواج اذ انهم يعتقدون ان الذين لا يتزوجون انما يقطعون القسم الرئيس في الحياة البشرية وهو استمرار النوع » . وبالمثل فان الصديقيين المانويين كانوا مذهباً نباتياً رهبانياً من حيث كهنوتهم ، بينما كان يسمح للعامة بالزواج واكل اللحوم . وفي تلك الديانتين ، السامية والايرانية ، يوجد صراع داخلي في الافكار ، فبينما يجلب الاتصال الجنسي ولمس المرأة الحائض النجاسة من جهة ، فان الغريزة القبلية وعبادة قانون الحياة تأمر الناس بان يكونوا خصبين وان يتكاثروا . ويهود الشرق والصابئون ايضا يعتبرون الاعزب خاطئاً وضد الحياة ، فالمفروض بالاعزب لدى كلا المذهبين الاتصال بالجنيات والشياطين ، ومن هذا الاتحاد المحرم تتولد الارواح الشريرة الضارة بالجنس البشري ـ وهي فكرة منتشرة في بابل القديمة .

جاء في كتاب « كنزه ربه » عن المسيحيين :ـ يصيرون رهباناً وراهبات ، ويمنعون بذورهم الواحد عن الآخر ، يحرمون النساء من الرجال والرجال من النساء ، ويكممون افواههم ، ولا يرتدون الملابس البيضاء ... حينئذ تذهب اليهم الجنيات ـ ليلث ـ وتأخذ بذرتهم ، وهكذا تظهر من بينهم الارواح الشريرة والجن لتنتشر في العالم

الطاعون (انظر ايضا الدكتور كامبل تومسن ـ السحر لدى الساميين صفحة ٦٨) • والزردشتيون يوصون بالزواج وانجاب الاطفال ، يقول اهورا مزدا في فنديداد : « ايها الزردشتيون ، حقاً انصحكم هنا ، بان الرجل المتزوج اسمى من الرجل الاعزب والذي يستمر على عزوبته وان الرجل ذا الاسرة افضل من الرجل بلا اسرة ، والرجل ذا الاولاد اسمى من الرجل الابتر » •

ويتحدث سيوفى صفحة ٩٧ عن نوع من الرهبنة الصابئية فيقول : « اذا اراد المرء ان يكون كاملا ويطلق الدنيا كلية فعليه ان يخضع لصلوات الموت ان تقرأ عليه وان يعيش كرجل ميت في بيته الخاص بعيدا عن زوجته » • وربما اختلط الامر على سيوفي في حالة الترهبن الموقت لـ « الشوليه » المرشح لدرجة الكهانة أو للكاهن المرشح لدرجة « كنزفره » • وهذا نموذج للافكار الخطرة المسبقة في معالجتي الاولى لشؤون الصابئين فقد اتبعت اغلاطه خلال قراءتي لكتابه •

ان الصابئين ينكرون بشدة اية ممارسة من هذا النوع ويؤكدون على انه فقط اثناء التهيوء للكهانة ، والى درجة « الكنزفره » على الرجل ان يعتزل زوجه ، وفي اثناء مدة ايام الحيض ايضاً • ان جميع انواع الرهبنة والزهد محرمة لديهم ، ويظهر ان براندت وليدزبارسكى قد اخذا برأى سيوفى دونما تحقيق •

٥ ـ عدا عن اشارة مجاملة جدلية الى المسيح في صلاة الطهارة الصغرى ـ الرشامة ـ •

٦ ـ انش اثرا ـ زوح من ارواح الحياة وهي تجسيد للقانون الالهي في الانسان • وانش يعني رجلا واثرا يعني كائناً سماوياً كالحالة في

اسم « گبرائيل » فگبرا معناها رجل ، وايل الحاق يشير الى اصل سماوي .

٧ ـ الروهه وابناؤها السبعة ـ هي نفس الحياة المادية وابناؤها السبعة هم الكواكب السبعة .

٨ ـ غيران « ماداى » لا تعنى بالضرورة « الميديين » ، فالميديون يكتبون (مادايي) ويوجد في احد دواوين الرقى اشارة اولى عن الميديين والفرس والرومان وبعبارات عدائية ، وترجمتها (احتضن شامش ، واتمسك به ، ملك جميع الآلهة ، والذي يغمر نوره جميع المدن . تعال واسحق مملكة الفرس والميديين باسم اسوار ابيهم السبعة الخفية ... احتضن واتمسك بـ « سين » رب النور والظل الشامخ . اقهر قبلهما اولئك الذين يجلبون سلطة الرومان . احتضنهما بقوة واثبتهما . اسحق الرومان والميديين باسم بلاطينا بيلاط ورويل) (بلاط = موصد) . وكلا النصين اللذين معي محرفان ومشوهان .

٩ ـ الشمال :ـ هو مصدر النور والمعرفة والشفاء ، ففي الصلاة كما في الموت ، يستقبل الصابئي النجم القطبي . وهو يستقبل الشمال اذا اراد ان يتأمل بعمق . كما ينام ورأسه نحو الجنوب بحيث اذا نهض كان بالاتجاه الصحيح . والظواهر الطبيعية تدعم هذا الاعتقاد ، فالريح الشمالية في العراق صحية بينما تكون الريح الجنوبية ثقيلة موهنة . والنهران اللذان يجلبان الحياة الى السهول الترابية في العراق ينبعان من الشمال . فاذا كانت الظروف المناخية مسؤولة عن اتخاذ الشمال قبلة ، فان البابليين الذين كانوا يستوطنون نفس الاصقاع كانت لهم نفس الاسباب للتوجه بصلاتهم نحو الشمال .

ويستقبل الزردشتيون والبارسيون المعاصرون الجنوب في صلواتهم .

يقول مودى : « وهذا يعود الى حقيقة ان الايرانيين القدماء اسلاف البارسيين كانوا يبغضون الشمال بغضاً طبيعياً ، فمن جهته كانت تأتى كل انواع المخاطر والشرور سواءً اكانت مناخية ام بدنية ام عقلية .. لقد كانت الرياح التي تهب من المناطق الشمالية تجلب معها المرض والموت لفارس ، كذلك كان قطاع الطرق من مازندران وجيلان واصقاع شمالية مجاورة اخرى يجلبون الدمار والموت ... وكان الجنوب من الناحية الثانية يعتبر جهة ميمونة ، فقد كانت الرياح الجنوبية صحية ومنعشة » .

ومع ذلك فالبارسيون يضعون جثة الميت بحيث يكون الرأس نحو الجنوب وبمواجهة الشمال تماما كما يفعل الصابئون .

والصابئون الحرانيون كالفرس القدماء كانوا يستقبلون الجنوب اثناء اجراء تعبداتهم .

ويوجد في العهد القديم اشارات الى ان اصل قبلة اليهود كانت الشمال وحدث في الازمان المتأخرة وربما تحت التأثير الايراني ، ان اعتبر كهانهم الشمال موطناً للارواح الشريرة .

وكان الاسينيون يستقبلون الشمس في صلواتهم ربما لان الفجر كان رمزا للبعث ، وقد يكون هذا سبب اتجاه المسيحيين للشرق في صلاتهم .

والفلاحون في العراق لا يزالون يعتبرون الشمال موقع الجنة ، وقد قال تابع لي يوما ما مشيرا الى الراحة التي سببتها ريح شمالية هابة : (الجنة في الشمال وجهنم في الجنوب) .

١٠- النبط :- سكان العراق من الفلاحين قبل الاسلام .

١١- خمن ثفنو Thevnot عام ١٦٦٣ م نفوس الصابئين ب ٣٢٧٩ نسمة

وفي عام ١٦٧٢ م ذكر اغناطيوس الجزويتى من البعثة الجزويتية ان عددهم كان ٢٥٠٠ عائلة ما بين النهرين وان لهم مستعمرات في مسقط وغوا وسيلان • وذكر بترمان بعد اقامة له في سوق الشيوخ عام ١٨٦٠ م ان عددهم كان يقارب اربعة آلاف نسمة منهم ١٥٠٠ رجال واولاد •

واحصاء النفوس في العراق ١٩٣٢ م اعطى الارقام التالية :ـ الموصل ١٥ ، كركوك ٧ ، بغداد ٢٤٤ ، الكوت ٥١ ، الديوانية ٣٩ ، الدليم٨ ، البصرة ٧٣٨ ، العمارة ١٩٧٢ ، المنتفك ١٧٣١ •

ويعطى احصاء حزيران ١٩٣٥ م الارقام التالية :ـ البصرة ٧٣٨ ، بغداد ١٢٥ ، الدليم ٥ ، ديالى ١٣ ، الديوانية ٣١ ، العمارة ٣٠١٤ ، كركوك ٢٦ ، الكوت ٨٤ ، المنتفك ١٣٢٩ ، الموصل ٣٢ ويكون المجموع ٥٤٣٢ •

وقد اخبرني احد الكهان في الاهواز ان مجموع نفوس الصابئين في تلك المدينة كان ٢٠٠ نسمة •

ملاحظـة :ـ

يعطى كتاب المستر هنرى فيلد (الانثروبولوجي في العراق) مسحاً احصائياً وجسمياً وجنسياً للصابئين في العراق •

الفصل الثاني

كتب الصابئين

الكتب المقدسة المندائية ليست مطبوعة ، وقد قام بنسخها باليد ، الكتاب الكهنوتيون ، طيلة قرون عديدة ؛ وكانوا يحصلون على قسم من دخلهم بالقيام بهذا العمل للمتدينين من افراد الطائفة الذين يعتقدون بان امتلاكهم للكتب المقدسة يحفظهم من الشرور في الدنيا والآخرة • وقليل من العامة من يستطيع ان يقرأ او يكتب هذه اللغة فتعلمها مقصور في الاغلب على الطبقة الكهنوتية ، وقد شكا الي هؤلاء العامة « بان الكهان لا يعلموننا قراءة وكتابة اللغة المندائية » • والسبب عملي بحت فاذا عرف العامة هذه الفنون فسيتأثر نفوذ الروحانيين ، وسوف لا تكون عندئذٍ كتابة الطلسم احتكاراً كهنوتياً •

ان تاريخ جمع ونسخ القواعد والطقوس وعلم نظام الكون والادعية والتراتيل مسألة ليست سهلة الحل وان اصالة الكتب والزمن الذي تذكرت فيه كل فقرة بشكلها الاصلي ثم كتبت مسألة اكثر تعقيدا • فحتى كتاب كـ « الكنزه ربه » لا يمكن اعتباره كتاباً متجانساً فهو مجموعة فقرات غالبا ما تتناقض فتعود الى مراتب مختلفة من التعاليم الصلبة • ويظهر ان اغلب هذه الكتب قد دون اما في ايام الساسانيين او بعد الفتح العربي • والمراجع التاريخية قليلة والشيء الوحيد التاريخي بهذا الشأن موجود في الكتاب الثامن عشر من « الكنزه » حيث يدون قائمة بملوك البارثيين[1] والساسانيين وتنتهي القائمة بخسرو بن هرمز وبهذه النبوءة :ـ « سيخلف ملوك العرب ملوك الفرس وسيحكمون احدى وسبعين سنة » •

ويشير هذا الى ان هذه الفقرات قد كتبت في القرن الاول للفتح العربي كما يظهر من النبوءة غير الصحيحة عن مدة الحكم العربي • ويشير نولدكه الى ان الكلمات الاغريقية المستعارة كثيرة في اللغات السورية والفلسطينية الا انها قليلة في الكتب الصابئية التي بدورها تستعير كثيرا من التعابير الآرامية ـ العبرية بصورة خاصة •

وتتنوع الفقرات في كتابي « كنزه ربه » و « دراشه اديهيا » لدرجة ان الدليل على زمن فقرة ما لا يمكن ان يتخذ دليلا على زمن فقرة اخرى ؛ فليس لدى الصابئين ما يمكن مقارنته بالاناجيل التي تسرد حياة وتعاليم المسيح ، ولا ما يمكن مقارنتـــه بالكتب المانويـة التي تتضـمن تعاليم ماني الحقيقية • وليس للدين الصابئي مؤسس • وفي الحقيقة فهناك من وجهة النظر النقدية اديان قليلة يمكن ان يقال شيء عن مؤسسيها او انها اديـان جديدة • وخلال الفترة من ٥٠٠ ق•م الى ٥٠٠ ب•م حين كانت الاتجاهات السنسكريتية مؤثرة وحين كان كثير من المصلحين الدينيين يميلون للتوفيق بين الصيغ والطقوس القديمة وبين الافكار الجديـدة التي عجلت بهـا الفتوحات ، والانتقال ، وتبادل السكان ، يتوقع المرأ ان يجد لدى النـاس الذين يتكلمون الآرامية والذين امتزجوا بشكل واسع ، رصيداً عاماً لا في مجال الافكار الدينية فحسب بل وفي التعابير الدينية ايضا •

ويصبح من الصعب تقرير الاولويـة حين نجـد فقرات متطابقـة في الادبيات الدينية لتلك الاحقاب او استنتاج نتيجة دقيقة من دليل كهذا فقط •

ومهما كان زمن تدوين الفقرات المختلفة فان النساخ قد قاموا باستمرار بحذف او اضافة العبارات التي رأوها ضارة أو مارقة • والاثر الذي تتركه قراءة كتب الصابئين المقدسة هو الاعتقاد انه قد كان حتى في الزمن الـذي جمعت فيه فقرات اولية ، دين مرن ، كان قد بلغ مرحلة اصبحت فيهـا التعاليم الاولى غامضة وغير مفهومة تقريباً ؛ وقد ادخلت شروح وتعليقـات

على النص • والتنقيحات والحشو واضحان • ونتيجة لذلك فان بناء نظريات عن اصل الصابئين عن طريق الكتب فقط يكون كمن يبني داراً على اساس من الرمل المنهار •

وحقيقة السماح لي تدريجيا من قبل الصابئين انفسهم بمشاهدة كتبهم وتدارسها ، ما هو الا دليل على تسامح اصدقائي من بينهم ؛ وقد حصلت اولا على كتاب « سدره ربه » ثم على كتاب « دراشه اديهيا » ثم تبع ذلك الحصول على مخطوطات وكراريس اخرى ولكن بعد فوات وقت طويل وبعد صداقة سنين ، ليس لانها اكثر قدسية لديهم بل لاحتوائها على اسرار ينبغي عدم اطلاع الغرباء عليها • وقد تأخر الاطلاع على كتابي « ديوان ابائر » و « ديوان الف ترسر شياله » (١٠١٢ سؤال) ، وعلى الكراسة الفلكية « اسفر ملواشه » • وحين تكون المسألة ابتياع الوثائق أو نسخها فالحوائل تكون كثيرة ، لان افراد الطائفة يرون في مثل هذه الصفقة كل العار وغاية الاحتيال ، وبذلك تحصل المراوغة لعدم تمكين المشترى من غايته حتى ولو كان المشترى صديقا مقبولا كما هي الحال معي • وانا اتجنب شراء النسخ الجديدة والسبيل الى النسخ القديمة في غاية الصعوبة •

واغلب النسخ التي تدارستها في العراق ليست قديمة بالرغم من امتلاكي لنسخة من كتاب « تفسير بغره » تعود الى القرن السادس عشر • فقد علمت بعدم وجود اية مخطوطة صابئية في مكاتب اوربا يعود تاريخها الى اقدم من القرن السادس عشر • وفي الحقيقة فليس في اية مكتبة اوربية مجموعة كاملة من كتب الصابئين •

لقد كان الصابئون يقومون بطمر الكتب اثناء حدوث الازمات وفي اوقات الخطر ، وقد فعلوا ذلك مرات عديدة • وأحد اسباب ندرة النسخ القديمة يعود الى حقيقة ان اكثر افراد هذه الطائفة كانوا يعيشون في اكواخ من القصب توقد فيها النار شتاءً وتنشب فيها الحرائق بشكل عام ؛ وقد

شاهدت نسخاً ذات حواش محترقة اكد لي اصحابها بان اكواخهم قد دمرتها النار الا ان الكتب المقدسة « بمعجزة » لم تمس باي ضرر .

وهذا امر ممكن فالكوخ يشتعل وينطفىء في لحظات بينما يمكن انقاذ الادراج والكتب المغلفة بالقماش والمحفوظة عادة داخل صندوق معدني . وتقول التقاليد بان الكتب المقدسة لم تدون على الجلد مطلقاً (لان ذبح الحيوانات تدمير للحياة ولهذا فالجلد غير طاهر) بل انها دونت على ورق البردى وعلى المعادن والحجر . وقد رأيت كتاب « سدره إدنشمائه » ـ « كتاب الارواح » مكتوبا على الواح من الرصاص . ويمكن ان يكون هذا التقليد قديماً او لا يكون ، لان استعمال الصفائح المعدنية يعود الى امكان تطهيرها بغمسها في الماء الجاري قبل استعمالها . وقديما ، كما يقول كهانهم ، كانت جميع الكتب التي تستعمل في الطقوس تطهر بهذا الشكل . وفي الوقت الحاضر يقوم احد الكهان المتعبدين بكتابة كتاب « سدره ادنشمائه » على صفائح نحاسية مطعمة بالفضة .

وتغلف الكتب تغليفاً تاماً بالخام الابيض او الموزلين ، وتربط الدواوين باشرطة من الخام ايضا ؛ وقد كانت فضيحة كبرى ان اشاهد وقد ربطت نسخة من كتاب « دراشه اديهيا » بالجلد ؛ الخطيئة التي ما اقترفتها مطلقاً منذ ذلك الحين . ويصنع الكهان الحبر بانفسهم وينبغي ان يكون اسود لماعاً ، ولكل كاهن تقريبا تركيبه الخاص لعمل الحبر (ديوثا) الذي يحفظ على شكل بلورات تذاب في الماء حين يراد استعمالها . واليك نموذجا لتركيب نوع واحد منها :ـ

«امزج الغراء بماء النهر واتركه الى ان يذوب ثم اغله الى درجة التبخر لمدة ستة ايام . اسحقه في اليوم السابع واخلطه بمسحوق الفحم بنسبة مثقال واحد من الفحم الى خمسة وعشرين مثقالاً من الغراء لمدة اربعة الى خمسة ايام . امزجه بالماء الى ان يصبح عجينة ناعمة ثم بعد غليانه

يصير على شكل بلورات تمزج بماء النهر (يردنه) لعمل الحبر • وينبغي ان يتلى عليه دعاء « اسوثه ملكه » (صلاة التسليم) •

وقد اغفلت الاستفسار عما اذا كان الغراء مأخوذاً من السمك ، فاذا كان الأمر كذلك فهو ليس طاهرا لان الاسماك مخلوقات تمت الى عنصر الطهارة والحياة ولم يستعمل اي طقس في صيدها أو قتلها • ويستعمل كهان آخرون بندق العفص أو السخام المأخوذ من زيت السمك اي دهن السمك المذاب ، وتضاف اليه بعض الاعشاب من النوع الجيد مما يمكن الحصول عليه • وتبلغ كلفة كتابة « كنزه » حوالي ٤٫٥٠٠ دينارا اذا ارادها مشترٍ جديد(*) •

والكتابة بحد ذاتها عمل طلسمي يجلب الخير للذين يقومون بـه • وتمثل الكتب احياناً كما لو كانت اشخاصاً ذوى ارواح يمكن اقحامها في الطلسم •

واكبر هذه المخطوطات هو كتاب « كنزه ربه » (الكنز العظيم) ويسمى ايضا « سدره ربه » (الكتاب العظيم) او كتاب آدم • وقد ترجم هذا الكتاب منذ عام ١٨١٣ م من قبل ماثيو نوربيرغ السويدي Matthew Norberg وظهرت له ترجمات وتعليقات في فترات مختلفة بلغت ذروتها في ترجمة المرحوم البروفسور ليدزبارسكي النفيسة الى اللغة الالمانية وقد طبعت عام ١٩٢٥م • وسبق هذه الترجمة كتاب « دراشه اديهيا » عام ١٩١٥ م ، وترجمة بعض التراتيل والطقوس عام ١٩٢٠ م ، ومن بينها كتاب « سدره ادنشماثا » (كتاب الارواح : طقس التعميد) وترجمة صلوات « المسخته » وبعض ادعية وطقوس الزواج • وترجمة احد الدواوين في مكتبة بودليان Bodleien مؤرخة في ٩٣٦ هجرية ، ان بعض الادعية في

(*) تبلغ كلفة استنساخها الآن حوالي (١٠٠) دينار •

كتابي هذا ماخوذة عن مخطوطات في باريس وبالاخص عن مجموعة دي مورجان De Morgan .

ان طقوس تكريس الكهان (شرح دطراسه تاغه اد ششلام ربه) التي يوجد منها نسخة في المتحف البريطاني ، وطقوس تكريس « المندى » ليست مترجمة على ما اعتقد ولا توجد من الاخيرة نسخة في اية مجموعة اوربية • ويوجد من بين المخطوطات في مجموعتى اول قسم من كتاب « الف‌ترسر شياله » وكتاب « تفسير بغرا » وديوان « حران گويثا » وديوان « نهرواثه » وعدد من الدواوين الطلسمية ، وادعية وطقوس في مخطوطة تحتوى على مجموعة من نفس النوع ، وبعض الادراج الطقسية •

وكتب الصابئين المقدسة هي :ـ

١ ـ كنزه ربه : وهو مخطوط كبير يحتوى على فقرات كثيرة موضوعها نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وادعية وحكايات ••• الخ • والقسم الثاني من الكتاب (قسم الشمال) يعالج فقط شؤون الميت ، وهو مكتوب بالعكس اي من اليمين الى اليسار ايضا ولكن من الطرف المقابل من الكتاب •

٢ ـ دراشه اد يهيا : وهو مجموعة اخرى من فقرات تتناول شؤون النبي يحيى •

٣ ـ سيدره إد نشمانه : اي طقس التعميد وسر المعمودية المقدس •

٤ ـ اسفر ملواشه : وهو مخطوط لاغراض التنجيم والفلك •

٥ ـ تفسير بغره : وهو ديوان يعالج المعنى الداخلي للوجبات الطقسية •

٦ ـ الف‌ترسر شياله (١٠١٢) سؤال(*) والمفروض انه من خمسة اجزاء

(*) (الف ترسسر شياله) ليس هذا هو عنوان الكتاب وانما عنوانه « ترسسر الف شياله » (اي اثنا عشر الف سوال) •

يتناول الجزء الاول الاخطاء في الطقوس وطريقة غفرانها وايضاح الشعائر ... الخ .

٧ ـ انياني : ويتضمن هذا الكتاب الطهارة الصغرى اي الوضوء ـ الرشامه ـ وبعض الادعية « للمسخته » .

٨ ـ ديوان طقوس التطهر (طراسه) والتكريس بانواعه ، كتكريس الكاهن وتكريس المندى وتكريس الاستاذ « كنزفره » وكلها على شكل دواوين .

٩ ـ دواوين متنوعة : وأشير اليها فيما بعد ، ويقال ان عددها اربعة وعشرون ديوانا .

١٠ـ دواوين الرقى والتعاويذ وتدعى « قماهى » و « زرستي » (قما باللغة المندائية تعنى يقمط ، وزرس تعنى يقى او يصون) .

في رايي ان كتابات الرقى الصابئية لم تحظ بالاهتمام الذي تستحقه ما عدا الكتابات المنقوشة على القحوف فقد اعتاد الصابئون منذ القدم وفي اوقات تفشى الاوبئة ان يدفنوا في عتبة الدار أو مع المتوفى في قبره قحفين الواحد مقلوباً فوق الثاني تنقش عليها تعاويذ لتصد ارواح الظلام والجن . كما تتضمن اللعنات لأولئك الذين يجلبون الشر والبلوى ، وتضرعاً لارواح النور والحياة .

ان الدواوين الطلسمية كلها في نفس الروحية والاسلوب ، وقد استنسخت واعيد استنساخها منذ قرون (وغالبا دونما ادراك ، لان بعض الاسماء والارواح الطلسمية التي لا تزال تذكر فيها قد اختفت من الدين الاصلي وهي غير موجودة في اي كتاب من كتبهم المقدسة) . وتعتبر هذه الاحراز الصغيرة واقياً ضد الامراض وسوء الطالع والعين الشريرة ، ولا يكلف استنساخها ما يكلفه استنساخ الكتب المقدسة ، وهي على الاغلب

عادة وثنية الروحية ويجد الانسان فيها عرضا ، كائنات تعامل في الكتب المقدسة كشياطين وكائم ، ولكنها تظهر في الاحراز ككائنات نافعة ؛ فمثلا ان الكواكب السبعة وعلامات البروج الاثنتى عشرة ، تلعن في اكثر الكتب المقدسة ، الا انها تعامل في الاحراز معاملة الحليف والصديق • وانا امتلك حرزاً هو تعويذة حب مرفوعة الى « ليبات ـ دلبات ـ عشتار » تبدأ هكذا بصراحة : « باسم ليبات سيدة الآلهة والناس » وتظهر مع ذلك اشارات عدائية للكواكب ولعلامات البروج احيانا في نفس الحرز • وفي الحقيقة فان التقاليد الدينية الاصلية والتعاويذ والاحراز قد اختلطت اختلاطا كلياً •

والحرز الطلسمى نوعان ، فالكبير لا يمكن للانسان ان يحمله ويدعى « قماهه » اما الصغير والذي يطلق عليه اسم « زرستا » فهو الحرز المعتاد ، وهو ثابت لا يتغير ويكتب للتو على قصاصة طويلة من الورق عرضها من عقدتين الى ثلاث تلف باحكام وتدلج في صندوق صغير من الذهب أو الفضة بحيث يمكن تعليقها في عنق الانسان بوساطة سلسلة او خيط • وهذا النوع من الاحراز طويل عادة حتى ليبلغ السبع أو الثماني اقدام طولا ولهذا يستعمل له ورق رقيق جدا • ان الوثائق الطلسمية تكشف عن مزاج حاملها التهيبي وتخوفه من الضغينة والمرض والنكد ، وفيها تصب اقسى واطول اللعنات على رؤوس الاعداء والوشاة والمارقين عن الدين ، بينما تجسد فيها الامراض عادة كما لو كانت كائنات شيطانية • والاسم الفلكي لمن تصنع من اجله هذه الاحراز يذكر في الحرز عدة مرات مع التضرع لقوى النور والحياة من اجله ومن اجل عائلته وممتلكاته ومهنته • والاسطر الاولى القليلة والاسطر الاخيرة ايضا تكون عادة الحروف الابجدية ، ولها قوة وقائية كما مر معنا ، ثم يتبع ذلك صيغة قصيرة : « حمدا لالهى طاهر القلب طاهر الفم » وكلها تبدأ بجملة « باسم الحياة العظمى لتكن الصحة والطهارة والقوة والثبات والنطق والسمع وسرور القلب وغفران الخطايا لفلان أو

فلانة ابن او ابنة فلانة » (الأسماء الفلكية)[٢] .

وفي الكتب المقدسة والطقوس يذكر اسم الام لا اسم الاب ، وتعبير « والنصر للحياة » يستعمل عادة في نهاية المقاطع والفقرات في جميع الكتب ثم يتبع ذلك كتابة الحرفين (س ـــ أ) يفصل بينهما خط مستقيم طويل ويكون في بعض النهايات بمعنى « امين ـــ سالا » وقد يكون الحرفان « س و آ » يمثلان كلمة « سالا » .

ولا يذكر يوحنا المعمدان في الدواوين الطلسمية . وتظهر اسماء « انوش وهيبل وشيتل » ولكن نادراً ما يذكر اسم « انوش اثرا » . ويتضرع باستمرار الى « ياورزيوا[٣] وسيمات هيي » مقترنين . وسيمات هيي روح انثوية تعتبر اماً لكل متنفس ، ويتحدث عنها احيانا باعتبارها انثى لأحد ارواح النور العظمى ؛ واحيانا يكون ذلك الروح « شامش » مما يوحى بمطابقة « ياورزيوا » لذلك الكوكب .

وتذكر في كتاب « ديوان اباثر » مع « بهرام وهيبل » ويشار اليها بانها « ابنة يوشامن وزوج ابثاهيل » ، وبما ان بثاهيل مقترن بالموت ويعود الى روح ادنى منزلة ويعرف عادة بعصيانه على عالم النور ، فالامر هنا غريب تماماً . فهي إلهة الخصب وعرشها معلوم يشار اليه في نفس الديوان فيقال (هذا عرشها مورق اسمها) . ويعنى اسمها « كنز الحياة » . ويظهر اسم « هيبل زيوا » واقل منه اسم « مندا دهيى » في دور المحارب والمنقذ والمعلم . ويجد المرأ في بعض النصوص الطلسمية احد هذين الروحين النورانيين غير مسمى ويتكلم بصيغة الشخص الاول ويصف كيف ترك رفاقه النورانيين واقتحم مواطن الآلهة (الاهيا) والملائكة (ملاكيا) وعشتروت وقوى ظلامية اخرى واستولى على اسرارهم وعرف اسماءهم . وينبغي ملاحظة التمييز بين « ملكه » الذي هو روح خيرة وبين « ملاكيا » الذي هو روح ضارة . واحيل القارىء لاجل التعرف اكثر على هذه الاحراز التي تكشف عن

جمال التعبير وعن الحس الشعري الذي يندهش له المرء حين يتذكر ضيق محيط هذا العنصر القليل من الحرفيين والكهان الى مقالتي عن كتب المندائين في « العراق » .(Vol. 1, Part 2, Nov. 1934)

وقد قيل ان عدد الدواوين يبلغ اربعة وعشرين ديوانا ، وهي ادراج كبيرة ومصورة احيانا ، ولا استطيع ان اجزم ما اذا كان هذا العدد موجوداً فعلاً ، فهو يشير الى عدد فلكي بصرف النظر عن حقيقته • ولا يظهر الكهان هذه الدواوين الا بتهيب وبخاصة الديوانين المصورين اللذين يحتويان على مواد غير دينية • انهما مهمان للغاية لانهما يلقيان ضوءا على الشعائر والعقيدة واللغة • وانا الآن امتلك كليهما •

فالاول ديوان نهروانا (ست ياردات طولاً وثلاثة عشر عقدة تقريبا عرضا) وهو خارطة مزخرفة ونص ايضاحي لانهار العالم حيث يجعلها جميعا تتغذى من « فرات زيوا » ـ الفرات النوراني ـ الذي ينبع من طور كارملا[٤] كما يصف الاشجار والنباتات والقصب في الارض وبعض الكائنات السماوية •

ولا يذكر نهر الاردن في هذا الديوان ولكن ياتي ذكر « يردنى ورهاطى » اي الانهار الجارية والسيول • والثاني ديوان « اباثر » وهو درج مصور طوله ٩ ياردات وعرضه ١٣ عقدة • وقبل حصولي عليه حملت صاحبه على كتابة نسخة منه لاحد الاصدقاء وقد استنسخت الصورة بدقة تامة ولو ان هنالك اخطاء في نقل النص • وتظهر بعض الصور في هذا الديوان • اما عن الدواوين الاخرى وعن ايضاح النص الذي يعالج مسيرة الروح بعد الموت خلال المطهر (مطرانه) أو بيوت الطهاره ثم وصولها الى « اباثر موزانيا » ـ موازين اباثر ـ ثم نقلها بسفينة من النور الى عوالم النور فاني احيل القارىء المهتم الى مقالتي في « العراق » •

وانا امتلك من الدواوين غير المصورة ديوان « حران گويثا » وقد

تحدثت عنه في فصل سابق . وذكر لي الصابئون اسم ديوان « ملكوثا » وديوان « آلما إلايا » . الا انني لم افلح حتى الآن بتفحص نسخ منهما فهما يعتبران مقدسين للغاية اذ لو فقد هذان الاثنان من « الانديرونا » في تكريس احد الكهان لكان التكريس باطلا .

وهناك مخطوطات اعرف انها موجودة وعليّ ان اشاهدها مثل مخطوط « آلمه ريشايا ربه » و « آلمه ريشايا زوطه »(*) و « زهرون رازا كسيه » و « قداهه ربه » و « دموثه كشطه » . وقد تتأخر مشاهدتها ولا يمكن ان تكون مشاهدتها عديمة الفائدة فالمرء لا يعلم متى يمكن ان يعثر على كنز .

لقد قيل ما فيه الكفاية للتدليل على ان الوثائق غير المترجمة يجب الاطلاع عليها قبل ان نصل الى نتيجة اكثر تحديدا عن الصابئين . والكتب على اي حال سوف لا تكون الا عاملا مساعدا وليس شيئاً نهائياً .

(*) المه ريشاياربه والمه ريشازوطة ترجمتها المؤلفة أخيرا الى اللغة الانكليزية وهما مطبوعان وموجودان في مكتبة المتحف العراقي .

ملاحظات حول الفصل الثاني

١ ـ نجد ضمن هذه الاسماء اسم اردوان ايضا • انظر الملوك المسمين بهذا الاسم في « تاريخ البارثيين » لمؤلفه De Bevoise

٢ ـ يستعمل الصابئون الاسم الفلكي في الحالتين الدينية والطلسمية ، كما ان للفرد منهم اسمه الدنيوي المعروف به •

٣ ـ ياور زيوا • يعتقد ليدزبارسكي ان الكلمة مأخوذة من الفارسية بمعنى معين أو مساعد ، وانا اميل الى انها ذات علاقة بالكلمة المندائية « يور » اي السطوع الى حد خطف الابصار •

٤ ـ طور ادكارملا • يترجمها ليدزبارسكي في جملة « جبل كارملاقد تسلقته » في الدعاء التمهيدي ليوم الاربعاء ، بمعنى « جبل الكرمل » والمندائيون ينكرون ان يكون معناها كذلك •

الفصل الثالث

الشعار وملابس الطقوس

« الرسته »[1] وما يسمى في النصوص « اوسطليا » يجب ان ترتدى في جميع المناسبات الدينية كالتعميد والزواج والوفاة ، وسنقوم بوصفها في اول هذا الفصل لان الاشارة اليها ستكثر وتتكرر .

انها رداء ابيض يرمز الى كساء النور الذي ترتديه الروح الطاهرة ، وعلى جميع افراد الطائفة، عامة وروحانيين، اقتناء هذا الكساء . و « الرسته » الكاملة للفرد من العامة تحتوى على خمس قطع ، اما رسته الكاهن فتتألف من سبع كما قال لي كهنة قلعة صالح . وصابئو العمارة يعتبرون كساء العامة يتألف من سبع قطع وينألف كساء الروحاني من تسع ؛ والمسألة مسألة حساب ، فالصابئون في العمارة يعتبرون القميص والجيب فوقه « دشه » والسراويلات والتكه معه اربع قطع ، في حين يعتبرها الصابئون في قلعة صالح اثنتين . وسانبع في حسابي مدرسة العمارة واعد القطع كما يلى :

١ ـ القميص : ويسمى « كسويا » او « سدره » ويجب ان يكون مقداره حوالي ستة اذرع للرجل الحي ، وبين سبعة اذرع الى ثمانية للميت ، وهو من قماش قطني ابيض ، يعمل او يشترى حسب القياسات المطلوبة .

٢ ـ « الدشه » او « دشا » وهي رقعة من نفس القماش تخاط من الخارج من اعلى الناحية اليمنى من فتحة الصدر .

٣ ـ « الشروال » . اي السراويلات وهي طويلة ومرتخية وتشبه السراويل الهندية .

٤ ـ « التكته » اي « تكة » وهي الخيط الذي يشد السراويل الى البطن ويترك احد طرفي التكة دون خياطة ولدى الشد يجب ان يوضع الطرف غير المخاط فوق الطرف المخاط وحين يربطان يتدلى الطرف المخاط الى الجهة اليمنى .

٥ ـ « برزنكا » ، اي العمامة وهي عبارة عن قطعة من الموزلين الابيض عرضها حوالي الذراع تلف ثلاث لفات حول الرأس وتترك احدى النهايتين مدلاة فوق الكتف الايسر . وتدعى هذه النهاية « رغزه » ، وتسمى « بندامه » حين تلف « الرغزه » حول الحنك بحيث تغطي المنخرين والفم ثم تصعّد الى قمة الرأس وتدس في الجهة اليمنى من العمامة . ولا تستعمل « البندامه » الا من قبل الكهان أو من قبل « الحلالية »(*) (سامرايي) حملة الجنازة . والغاية منها منع البصاق أو النفس من تلويث المواد المقدسة والاشياء الاخرى ، كما انها تمنع من الجهة الثانية روائح الميت من النفاذ الى الفم أو الانف . « والرسته » للمرأة كالرسته للرجل عدا عن سحب « البرزنكا » وشاحا فوق الرأس وتدعى « شياله »(**) .

٦ ـ « النصيفه » أو « القبوعه » وهي قطعة طويلة ضيقة من الخام أو الموزلين تلقى على الكتفين كما يرتدى الطبرشيل المسيحي ولكن بطريقة يكون فيها الجانب الايسر اقصر بصورة ملحوظة من الجانب

(*) « الحلالية » مفردها « حلالى » وهو شخص من عامة الصابئين طاهر طقسيا ومؤهل لحمل جثمان الميت واجراء مراسم الذبح والقيام بوظيفة المساعد (شكنده) ويمكن ان يحل محل الكاهن الاصغر (ترميذه) في عقد الزواج اذا لم يتيسر وجود العدد الكافي من الكهان .

(**) لعل كلمة شيلة العامية والمستعملة في جنوب العراق مأخوذة من هذا اللفظ الآرامي .

الايمن(*) • واثناء اجراء « الرهمى » (ادعية تمهيدية للتكريس) توضع « النصيفة » فوق الرأس ويمسك بها من الجهتين تحت الحنك(**) وتدعى حينذاك « كنزاله » • وبعد ذلك تعاد الى وضعها الاصلي • واستعمالها العملي يكون حين تشد « البندامه » واثناء التعميد ، وسيوضح فيما يلي • وتكون للكاهن بعرض ذراع تقريبا وللعامة يمكن ان تكون اضيّق من ذلك •

٧ ـ « الهميانه » او « الزنار » • وهي نسيج مجوف من (٦٠) خيطا صوفيا(***) وربطها ذو معنى طقسي خاص حيث يمسك بالزنار امام الجسم ثم يلف الى الخلف ويتقاطع ثم الى الامام حيث يعقد عقدتين وتدس النهايتان في الخاصرتين وتحت الزنار نفسه • واحدى نهايتى الزنار مشرشبة غير مخاطة تسمى « كركوشة » والنهاية الاخرى مخاطة ومعقودة وتسمى « اروه » « العروه » • وهذه يجب ان تكون فوق الكركوشة اثناء الربط • وحين يكمل العقد تتدلى الكركوشة الى الجهة اليسرى والعروة الى الجهة اليمنى ويقول العامي اثناء عملية عقد الزنار هذه الكلمات :ـ

« همیانه اترس »
« بترين طابي »
« بترين گطري »

ومعناها ـ ارسم الزنار
بطهارتين
وعقدتين

(*) ليس هذا شرطا •
(**) من قبل الكاهن فقط •
(***) تحاك الهميانه بطريقة خاصة•

٨ ـ « التاغه » (للكاهن فقط) اي التاج وهي حلقة مجوفة من الحرير الابيض او القطن .

٩ ـ « شوم ياور » (للكاهن فقط) . وهو عبارة حلقة من ذهب تلبس في خنصر اليد اليمنى مكتوب عليها « شوم ياور زيوا » . وقبل التحدث عن الحلقة الحديد الاخرى وعن باقي ادوات الكاهن « كالمركنة » (الصولجان) يجب ان اقول شيئاً اكثر عن « الرسته » وعن كيفية ارتدائها واستعمالاتها فاذا اضطرب أو تلوث او عطب اي جزء من كساء الكاهن (او من شعائره) فيجب ان يمر بطهارة مفروضة ، فاذا ارتخت البندامة مثلا او انزلقت الى الجانب اثناء التعميد فيعتبر عمله غير مشروع ولا يمكنه الاستمرار في وظائفه الكهنوتية مرة اخرى الا بعد ان يقام له « زدقا بريخا » اي وجبة الطعام الطقسية من اجل الميت (انظر الفصل ١٢) والا بعد ان يقوم بتعميده سبعة كهان ولمدة سبعة ايام . كما يلزم عليه ان يقوم بتلاوة ٨١ « رهمى » اضافة الى ذلك . وحالما ينتهي الكاهن من ارتداء « الرسته » يجب عليه ان يمس كل جزء فيها راسماً اياه ومتأكداً من انه في وضعه الصحيح . وينال التاج « تاغا » و « الاكليل » « كليلة » رسما منفردا وهما لا يلبسان في البدء . ويقول الكاهن في تفقده لملابسه ما يلي :ـ

« شروالى اترس »
« همياني اترس »
« بترين طابى »
« بترين كطرى »
« دشه بيميني »
« قام قمي »
« رغزى نصيفى »

« مركنه بسمالى »

« تاغه بيمينى »

« اساكتا بيمينى »

« كشطه اسيخ واترصي »

وترجمتها – « ارسم سراويلى »

« ارسم الزنار »

« بطهارتين »

« وعقدتين »

« الدشه في يميني وتقف منتصبة »

« رغزتي وطبرشيلي • عصاى بيسارى »

وتاجى بيمينى(*)

وخاتمى بيمينى

ليكن الصلاح نصيبكم ككل (يخاطب الرسته)

والثبات لي •

ومع ان الرسته تعتبر نظيفة من الناحية الطقسية فهي ما عدا الجديدة منها نادراً ما تظهر بيضاء ، لتلوثها بماء النهر الموحل ، او لعدم امكان غسلها بالصابون(**) • ومن سوء الحظ كثيرا ، ان يموت المرء بملابسه الاعتيادية لان روحه لا تستطيع حينذاك بلوغ « اباثر » • وساصف في فصل قادم الوسائل التي تعالج هذا النقص •

(*) تزلق (التاغه) على الذراع اليمنى الى ان يتم رسمها وتلبس فوق الرأس •

(**) كان ذلك في وقت يتعذر فيه الحصول على الصابون وكانت تغسل بنبات الشنان اما الآن فيجوز غسلها بالصابون الزيتي لا الشحمي على ان تطهر بعد ذلك بالماء الجاري (يردنه) •

وتكون (النصيفه) نافعة للفرد العامي اثناء الموت فقط ـ فصل ١١ ـ • اما للكاهن فلها استعمال محدد • لقد اوضحت سابقا انها حين ترتدى فيجب ان يكون الطرف الايمن مدلى اكثر من الطرف الايسر وحين يبدأ « الرهمي » فان الطرف الايمن الذي يمكن ان تمسه مواد ملوثة من الارض يدس قليلا عند الخصر وهذه الطيّة التي تشبه العروة تدس في الزنار • وحين تطبق « البندامه » اي توضع حول الحنك يلف طرف النصيفة الايسر مرتين حول الرقبة لدعم الحافة السفلى للبندامة وبهذا يمنعها من الانزلاق • ويؤمن على نهايتها بكبسها ثلاث مرات داخل وخارج ذاتها • والطرف الايمن الطويل من النصيفة يطرح الى الخلف من فوق الكتف الايمن مشكلا بذلك انشوطة تصل الى الخصر وتمر النهاية من وراء الرأس ومن فوق الكتف الايسر ثم تدور مرة اخرى لتلتقى بالانشوطة وتربط بها بعقدة مزدوجة • وحين يدخل الكاهن لاول مرة الى الماء يغمس عصاه بوضع افقى مرتين تحت الماء ثم يضعها خلال العلاقة التي شكلتها نهاية النصيفة الطويلة اليمنى مع الانشوطة ويترك عصاه دون ان يمسك بها تدعمها النصيفة ومغروسة في الطين على شاطىء النهر منتصبة دون خشية السقوط • وهذا يساعد الكاهن على غسل كلتا يديه في النهر وبعد ذلك يعيد العصا الى وضعها في خطاف الذراع اليسرى • وهناك استعمال آخر للنصيفة اثناء عملية « الكشطه » ـ تصافح اليدين اليمنيين ـ او في التصافح اليدوي الثالث بعد شرب الماء المقدس (المبوهه) • يأخذ الكاهن يد الشخص المتعمد من خلال الموزلين في الجزء المزدوج من النصيفة في الجهة اليمنى من الجسم • ويعطى بعض المهملين من الكهان « الكشطة » الثالثة باليد عارية • وقد شاهدتها تعطى بكلتا الطريقتين الصحيحة والخطأ • ومرة

اخرى حين ينقل الكاهن العصا من اليسار الى اليمين بعد التصافح اليدوى المذكور في اعلاه يمسكها بكلتا يديه من خلال موزلين النصيفة • ولدى الوفاة تكون النصيفة ، سواء اكانت للكاهن ام للفرد من العامة ، جديدة واطول من المعتاد وتخاط بها قطعة او خيط رقيق من الذهب والفضة في الجهتين اليمنى واليسرى على التوالي • (انظر الفصل ١١) •

وفي الزواج يقبض العريس على طرف نصيفة الكاهن الاكبر (الكنزفره)• وهذا الوضع يمثل دليل الفضيلة وطهر الوقاية[٢] •

وقبل ان ينزل الكاهن في الماء يجب ان يشمر القميص (سدره) في الزنار وتبقى « سدرة » الفرد العامي مرخاة : ترفع الحاشية اليسرى منها اولا وتدس في الزنار ثم ترفع الحاشية اليمنى فالوسطى من الامام واخيرا الوسطى من الخلف (يجرى هذا قبل وضع النصيفة على الرأس وقبل ان تطبق البندامة) وينبغى ان ترتدى « الهميانه » نهارا من قبل المتدينين من الصابئين ولكن ليس في الليل ، ولو انهم كانوا سابقا يرتدونها بعد ان يحل الظلام اذا رغب احدهم في مضاجعة زوجه اذ عليه في هذه الحالة ان يعقد زناره ويتفوه بهذه الكلمات :ـ (اسم الحياة واسم منداد هيى منطوق علي) وقد اهملت هذه الشعائر في الوقت الحاضر • وحين تقترب المنية من الانسان ويلبّس « رسته » الجديدة تعقد « الهميانه » جزئيا ولا تعقد العقدة النهائيه الا بعد الوفاة •

و « التاغه » اكثر الاجزاء اهمية في مراسم الكاهن ويجب ان تلبس اثناء اجراء « انرهمى » قبل القيام بالوظيفة الدينية وبتلاوة اربعة ادعية (طراسه) • انها تمثل تاج النور وتلبس في الرأس تحت العمامة فهي رمز عمله الديني والدنيوى كزعيم • « التاج ـ تاغه ـ والملك يوضعان على راسه وهو اهل لهما » هكذا يقول كتاب « الف‌ترسر شياله » • ويتحدث في تكريس الكاهن عن « وضع التاج عليه » ؛ واذا ما سقطت « التاغه »

بحادث ما من على راس الكاهن او انزلقت من يده خلال قيامه بوظيفته يصبح حينئذ تلميذا يلزم عليه ان يجتاز نوعا من اعادة التكريس .

ويغمس الـ (شومياور) في الزيت ـ مشه ـ اثناء اجراء « المسخته » ولكنه لا يستعمل للختم كما تستعمل الحلقة الحديد الا في مراسم الـ « الانكرته » . (انظر فصل تكريس الكاهن) .

وعند قيام الكاهن بالعمل الديني عليه ان يحمل دائماً عصاً من الزيتون ويمكن حسب رأى بعض الكهان ان تكون من خشب الصفصاف عند الضرورة ، وبينما تكون « الرسته » رمزا للنور فالعصا (مركنه)[٣] ترتبط عادة بالماء ويقال عنها غالبا انها « عصا الماء الحي » . وحين يتوفى الكاهن تدفن عصاه معه كما تدفن معه حلقته (شوم ياور) .

والاكليل (كليله) يشكل اضافة هامة في الملابس الطقسية فهو يلبس من قبل الكاهن في اغلب وظائفه لا جميعها ويلبسها العامة بعد الغطس الثالث في العماد الكامل . وحين يقوم الكاهن باجراء « الرهمى » قبل التعميد يبدأ بعمل اكليلين من الآس واحد لرأسه والثاني لعصاه . ولصنع الاكليل يؤخذ غصن طرى من الآس ويعرى من اوراقه السفلى ثم يشق الى ان يصل الشق الى الطرف المورق ثم يلف الشقان حول بعضهما بحيث يلف الشق الايسر مرتين والشق الايمن ثلاث مرات ويحنى الغصن الملفوف ويطوى حول نفسه تحت القسم المورق مشكلا حلقة صغيرة بقطر الاصبع او اقل واثناء اللف يجب ان يمسك الاكليل عاليا في مستوى الرأس وبطريقة يكون معها الطرف العاري من الورق بعد الانتهاء وحين يقبض عليه بالراحتين نحو الشرق او اليمين . وعند الانتهاء من المراسم ووضع التاج على الرأس بوضع الاكليل معه وترفع العمامة قليلا لكنها لا تخلع .

ويدفع الاكليل تحت التاج وحين يعاد وضع العمامة فوق الاثنين

يبقى طرف الاكليل المورق مرئيا ومدلى حول الصدغ الايمن • ويصنع اكليل الفرد العادى ويوضع فوق راسه من قبل الكاهن(*) •

والدعاء الخاص بالاكليل هو آخر الادعية الاربعة التي اشرنا اليها فيما سبق وهو كما يلي :-

« ماندا خلقنى ،
واثرى نصبنى ،
البسونى الضياء (زيوه)
وغمرونى بالنور ، (انهوره)
هزبان وضع الاكليل فوق راسي
انا فلان بن فلانة ،
وفوق رؤوس اولئك الذين نزلوا في الماء (يردنه) وتعمدوا ؛
يلتمع عودها وعطرها يسر ،
لا تحول ولا تذوى ،
واوراقها لا تتساقط ،
والنصر للحياة » •

ويلبس اكليل الصولجان في الخنصر الى ان ينزل الكاهن الى الماء وهناك تتوج به العصا بعد تطهيرها بالماء اي ينزلق الاكليل فوقها ويسمح له بالانحدار في تيار الماء • ويصنع الاكليل ايضا من اجل العَلَم (درفشه) وفي الخبز المقدس اثناء اجراء الطقوس • ويحمل الشخص المتعمد الاكليل في خنصر يده اليمنى الى ان يضعه الكاهن بعد الغطس في الماء وبعد ان يتم

(*) يمكن ان يقوم بصنع الاكليل اي فرد صابئي على ان يستعمله العامة فقط واثناء التعميد لا اثناء الجنازة •

شرب الماء المقدس والرسم « والكشطه » الاولى (المصافحة اليدوية) تحت عمامة المتعمد بحيث تكون الاوراق متدلية فوق الصدغ الايسر • وستظهر بعض استعمالات الاكليل في سياق الفصول القادمة • وتخبرنا التقاليد بان الصعتر كان يلف سابقا مع الآس في عمل الاكليل الا ان الصابئين لا يعرفون الآن ما هو هذا الصعتر •

وفي كتاب (الف ترسر شياله) فقرة تتحدث عن « التاغه » و « الاكليله » فتقول بان الاولى كالذهب والثانية كالفضة وانهما كالضياء وكالنور بالتتابع :ـ

« الذهب هو السر النقى للأب والفضة هي سـر الام واكليل الآس ـ كليله اد آسه ـ سر الام وانهر نهورا اسمها » •

وبكلمة اخرى فان « التاغه » تمثل العنصر المخصب ويمثل الآس العنصر الخصب او المستلم • كما ينبغى ايضا ملاحظة ان الكلمة المندائيـة للآس هي (آسا) واحيانا (آس) ومعناها ايضا يشفى وهو توكيد لموضوع مقالتنا من ان الطقوس تتضمن الحيوية والصحة للجسم والروح معـا • وقبل ان اترك موضوع « الرسته » يجب ان اضيف بان الصابئين مولعون باخبارى انهم في زمن ما كانوا لا يرتدون الا البياض وان من الخطيئـة ارتداء الملابس الملونة • وهذا يعكس الاعتقاد بان الجماعة كانت ترتدى الرسته باستمرار في حياتها اليومية •

سابحث الآن عن الحلقة الحديد الاخرى التي وان لم تكن تماما جزءاً من الملابس الدينية الا انها تلبس في اليد وتستعمل اثناء الاحتفالات الدينية وبهذا يمكن ان تدرج في هذا الحقل •

وانا اقصد بها « السكين دوله » • فالشومياور يصنع من الذهب وتصنع « السكين دوله » من الحديد • و « الشوم ياور » سمى باسم الروح العظمى للنور منقوشاً عليه بينما تمثل المرسومات في « السكين دوله » ، حسب رأي

الكهان ، قوى الظلام •

و « السكين دوله » هي الختم الطلسمي وتحمل نقوشا تمثل الاسد والعقرب والنحلة والافعى • وتشكل الافعى التي يلتقى ذيلها برأسها اطارا للاخريات • وهي تلبس اثناء التعزيم ومن قبل اولئك الذين يعزلون لنجاستهم ، كما هي الحال في الولادة والزواج •

وتختم بها سرة الوليد • ويلبسها الكنزفره للعريس في حفلة الزفاف • كما يختم بها القبر في طقوس الدفن وتربط الحلقة بطرف سلسلة من الحديد وبالطرف الآخر تثبت سكين لا مقبض لها تدعى « سكين دوله » او « سكين » • ويترجم الصابئون هذه الكلمة بمعنى « مسكن الشر » ـ سكان إداولا ـ • فالحياة بعرفهم هي الافعى بلا يدين أو اقدام اي انها تمثل « اور » « تنين الارض الهائل » وهي يمكن ان تعنى « حياة » ـ هيى ـ لان الحية (هيوا ـ في المندائية) و « حية » في العربية رمز للماء والحياة •

ويضع الصابئون احيانا افعى منقوشة وملونة باللون الاسود فوق عتبات دورهم كواق ، وهذا يذكرنا بالافعى السوداء الكبيرة المرسومة بجانب بيت الهيكل اليزيدي في شيخ عدى[٤] • ولقد شاهدت ايضا افعى مصنوعة من قماش قطني ازرق مخاطة في مظلة في فراش عرس صابئي[*] •

(*) عادة مكتسبة من المحيط ولا علاقة لها بالدين •

ويمكن ان يمثل الاسد (اريا) الأسد في منطقة البروج الصابئية كما يمثل العقرب « ارقبا » نفس العقرب في البروج الفلكية • والصابئون يقولون بانهما يمثلان « كرون » و « هـاغ » وهما اثنان من آلهة العالم الادنـى الخمســـة •

والآن فان العقرب والحية والاسد توجد غالباً في الصور الجداريـة المجوسية وتكون النحلة بصورة عامة في نقوش المجوهرات ويلتصق العقرب المجوسي عادة باعضاء تناسل الثور الضحية • وتختلف وضـــعية الافعى واتجاهها فاحيانا تظهر وكانها تشرب من دم الضحية • وتختلف اوضـــاع الاسد ايضا فيمثل بعض الاحيان كل من الاسد والعقرب بهيئة اتفاق بينهما وبين الدائرة البرجية التي لا تظهر باستمرار في الآثار المجوسية •

وحين نأخذ بنظر الاعتبار هذه المتشابهات المجوسية يمكن ان يكون من الصحيح الفرض بان الحية والاسد والعقرب لدى الصابئين هي ايضـا حيوانات برجية ومن اصل ايراني • وتختلف النحلة المجوسية عن المندائية بانها ترى من الاعلى • وتشبه النحلة المندائية الى حد ما « بيت » المصـــرية والتي تكون عادة صورتها جانبية • وفي نفس الوقت يجب ان يلاحظ بان الثور والكلب اللذين يظهران دائماً في الآثار المجوسية لا يظهران في الرموز المندائية الطلسمية • ومما يستحق الذكر انه في عربستان (المنطقة التـي يعيش فيها جماعة من الصابئين حالياً) يحفر الاسد (رمز الشمس) على شاهدة القبر عند المسلمين هناك ولا شك ان لهذا العمل تفسيراً •

وقد اخبرني احد الكهان ان « السكين دولا » كانت الطلسم الـذي جلبه « هيبل زيوا » من عوالم الظلام حين ذهب بـ « الروهه » الى العـالم العلـوي(٥) •

ملاحظات حول الفصل الثالث

١ ـ الرسته :ـ ان لبس البياض كرمز طبيعي للنقاوة امر شائع • والتقليد هذا موجود في بابل السفلى • فقد كان كهان « بارو » يرتدون البياض وهكذا فعل الكهان المجوس • ومن المحتمل ان تعود قفاطين كهان اليهود الاوائل الى الطقوس المصرية اكثر مما هي الى التأثيرات البابلية ، اما الكساء الابيض لدى الاسينيين فيظهر انه جزء من طهارتهم ومن عقيدتهم وانه مأخوذ من مصادر بارسية ـ بابلية • والكسوة الطقسية لدى البارسيين سواء لدى الكهنة ام افراد العامة تتصل بصورة وثيقة بكسوة الصابئين • فرداء الكاهن البارسي يسمى « جاما ـ بشودى » ويحتوى على قميص طويل ابيض فضفاض يلبس فوق سراويل بيضاء وعمامة بيضاء وزنار ابيض • ويقال ان الرداء الابيض الذي يرتديه البارسي العامي هو بديل عن « جاما ـ بشودى » التي كانت تلبس في الازمنة القديمة •

ويسمى البارسيون القميص الابيض للبدلة الطقسية « سِدره » أو « سُدره » ويخاط جيب صغير في الجهة اليمنى من السدره يسمى « جيره ـ بان » وهو يماثل في كل تفاصيله « الدشه » التي في الجهة اليمنى من « السدره » الصابئية • والبارسيون ، كالصابئين ، يعتبرون الحبل المقدس أو الزنار (الكستي) اعتبار الصابئين للهميانة ، وقد قص عليّ احدهم حكاية جندي بارسي كان يعمل بالعراق اثناء الحرب الاخيرة • لقد اضاع الجندي « الكستى » فذهب الى كاهن صابئي للحصول على زنار ذي اثنين وسبعين خيطاً يعمل من اجله ، واستجاب له الكاهن فصنع له واحداً • ويقتبس ويلشتيد Well'stead

في [رحلات الى مدينة الخلفاء صـــفحة ٣١٦] قصـة مشابهة •
و « الكستى » يجب ان يحل ويعاد عقده في طهارة الصباح لـــدى البارسيين (الباديات) تماما كما يجب حل « الهميانه » اثناء الطهارة الصغرى الصابئية (الرشامه) • ويكون « الكوستى » كما تكون « الهميانه » من صوف الحمل ، بيضاء مجوفة ؛ وينطق البارسي حين يلبس « الكوستى » : « افكار حسنة ، اقوال حسنة ، اعمال حسنة » وهي تماثل « الطابا » التي يرددها الصابئون •

والعمامة و « الپادان » لدى البارسيين هي علامات الكهنوتية وحين يسقط الشعار من الراس يمنع الكاهن من اداء وظائفه المقدسة ، وهكذا فان ما يؤهله لتلك الوظيفة يعتبر باطلا وعليه ان يعيده اذا ما رغب بالاستمرار على ممارسة وظائفه المقدسة •
و « الپادان » البارسى هو الخام الابيض الذي يغطى فم الكاهن وانفه لئلا يلوث نَفَسه النار المقدسة• وهو يشد بخيطين ولا يكون جزءاً من العمامة كما هي الحال لدى الصابئين •

٢ ـ پايوند :ـ « ان تمسك الپايوند يعنى ان تكون بتماس تام مع الآخرين، ويجرى هذا حين يمسك شخصان بقطعة قماش أو بشريط قطني بينهما » .(J.J.M.P.55) وحاملو النعش البارسيون يمسكون « پايوند » بينهم حين يدخلون الى الغرفة التي يوضع فيها الجثمـان كذلك يفعل الاشخاص الذين يشيعون الجنازة •

٣ ـ المركنـه : يقول ليدز بارسكى : يظهر ان جميع الادوات وكثيراً من التعابير المستعملة في الطقوس الصابئية هي من اصل اجنبي ؛ فالمركنة مثلا هي من خشب الزيتون ، وخشب الزيتون مقدس جدا في بلاد ما بين النهرين وليس الحصول عليه بعسير لوجوده شمالي العراق ،

كذلك يمكن جلبه من ايران ويستعمل الصفصاف بديلا عن الزيتون عند الضرورة .

وغالبا ما يشار الى قوة العصي والهراوات السحرية في الاساطير الصابئية .

يقول « ديو جنيس لاريت » عن الكهان المجوس انهم يحملون عصا من القصب .

وكانت عصا شجر السدر تستعمل في عبادة الشمس من قبل كهان « سيبار » (ان عصا السدر محبوبة الالهة العظام وهم الذين وضعوها في يده) ـ الواح شريو ـ .

وتظهر عصا المصريين ولها استعمالات سحرية تتصل بالماء ، فعصا موسى قد قسمت البحر وفجرت الماء من الصخر وانقلبت الى حية تسعى زاحفة ترمز الى الحياة والماء . ان الاهمية الخصبة للعصا تبسطها على اكثر الاحتمالات عصيّ الجن والساحر وصولجان الملك .

٤ ـ لاتزال الحية تستعمل كزخرف شمالي العراق (على الملاعق الخشبية) وبخاصة في مدينة اربيل ، كذلك صورة الحمامة التي كانت ترتبط بالافعى في عبادة « عشتار » ويمكن ان يكون كلا هذين الموضوعين مستعملين على الدوام منذ ايام كان فيها « مقام عشتار ـ اربيلا » مكانا يحج اليه . وفي بيوت النذور الطينية التي اكتشفها الدكتور اندريس Andrace في هيكل عشتار في آشور وجد ان الحمامة والافعى مصورتان بشكل بارز واضح .

٥ ـ يقول «ابن النديم» عن كتاب صابئي يسمى (الحاتفى)(*) أنه كان يوجد فيه معلومات طلسمية اضافية اخرى :ـ (تماثيل حيوانات تنقش على فصوص الخواتيم تصلح بزعمهم لفنون ، وشاهدت اكثرها منقوشا على فصوص خواتيمهم الى هذه الغاية وسألتهم عنها ، فزعموا انهم يصيبونها في قبور موتاهم القديمة يتبركون بها) .

ويذكر الشهرستاني ان الصابئين كانوا يصنعون الحلق الطلسمية التي تمت الى اوجه الكواكب المختلفة نظرا لمعرفتهم بعلم الفلك .

(*) الحاتفى : لا يوجد ذكر لهذا الكتاب لدى الصابئين المندايي .

الفصل الرابع

الحياة العامـة

يعتبر الصابئون العزوبة خطيئة وانجاب الاولاد فرضا دينيا ، وتبلغ قوة الاعتقاد هذه انه يجب حتى على اكثرهم تقى ، اذا ما توفى دون انجاب اطفال ، ان يمر بعد موته بالمطهر (مطرانا) ليعود بعد اقامته هناك الى عالم النور والى حالته البدنية مرة اخرى ويصبح ابا لاطفال . وقد اخبرني احد الكهان ان هذاغير صحيح فالروح حين تغادر سجنها من اللحم لا يمكن ان تعود فتدخل فيه ثانية ؛ وقال انه في حالة كهذه تتلبس الروح جسماً روحانياً في العالم الآخر ـ مشوني كشطه[1] ـ حيث يتزوج وينجب اطفالا(*) . وخلاصة القول ان الفرد الصابئي ذا الاطفال يكون عادة آمناً من انه سيرتدى الملابس الدينية (رسته) اذا مادنت منيته ، وان الطقوس الضرورية للميت ستجرى له وان المراسم من اجل سعادته في الحياة الاخـرى ستستمر ، وساوضح كل ذلك في فصل قادم .

اخبرني احد الكهان ان الروح (نشمثه) تهبط من الماء السماوي الى جسم الطفل وهو في رحم امه حين يتم شهره الخامس وتأتى مشابهة ومماثلة تماماً للطفل الذي سيولد في العالم المثالي .

ويسبب لمس الميت والعريس تدنيساً لاولئك الذين يمسونهما ، فالمرأة الوالدة والعريس والذين يلمسون جثة الميت يمنعون من الاتصال بالآخرين الى ان تتم طهارتهم .

ويجب على المرأة حين تدنو ساعة الطلق ان تغتسل وان تهيء لها مكانا

(*) ليس في ديانة الصابئين ذكر لزواج الانسان في العالم الآخر .

للوضع اذ عليها ان تكون بعيدة من ان تمس سائر من في الدار وما فيها[٢] .

وحالما يولد الطفل تقوم المولدة باجراء ما يلزم لسرته وحبله السري ولا يكون للسكين اي دور هنا ثم تقلع الاخت وترمي مع الحبل السري اما في النهر أو تدفن في مكان ما بعيدا عن الدار . وقد سألت كاهنا ما اذا لم يكن ذلك تلويثاًللنهر فاجاب انها عادة اقتبسها الصابئون عن المجاورين وقد كان ولا يزال ممنوعاً تلويث الماء الجاري بالبراز أو البول كما كان يعتبر من الخطأ تلويث النهر بالدم أو بالاشياء الميتة ؛ ولكن ذلك اهمل وتنوسي[٣] .

تغسل المولدة الطفل بالماء الفاتر والصابون (من المحتمل ان يكون هذا مستحدثا لان سكان الاهوار لا يملكون الصابون دائما ويستعملون نباتاً عوضاً عنه) ثم تدهن جسمه بالزبد (انتاج الصابئين فقط) الملح . وفي السابق كان يدهن بزيت الزيتون والملح الا ان الزبدة ارخص من الزيت . بعد ذلك تتلف جميع المواد التي استعملت اثناء عملية الولادة من قماش أو قش او قطن وتدفن احياناً ، واحياناً تلقى في النهر . وحين يكون الطقس بارداً يجلب الماء من النهر ويمزج بماء حار للتدفئة ثم يصب على المرأة من قمة الرأس الى اخمص القدمين ، فان لم يكن الطقس باردا تساعد المرأة الوالدة حديثاً على الذهاب الى النهر حيث تغتسل بالارتماس ثلاث مرات في المـــاء . وهذا الاغتسال (طماشه) مصحوبا بالدعاء المعتاد الخاص بالنجاسة الكبرى ، يجب ان لا يتأخر عن نصف ساعة بعد الولادة[*] . وتستبدل المرأة اثوابها باخرى جافة ويحرق من حولها البخور وتوضع حلقة السكين الدينية « سكين دوله » في خنصرها الايمن وتدس السكين المتصلة بهـــا بسلسلة في حزام المرأة ويوقد مصباح ينبغي ان يظل بجانبها ليل نهار لمدة

(*) ليس هنـــاك زمن محدد للاغتســـال بعد الولادة بل يترك ذلك لظروف الشخص الخاصة .

ثلاثة ايام(٤)(*) . ثم تعاود المرأة الاغتسال الثلاثي في الايام الثالث والسابع والعاشر والخامس عشر والعشرين والثامن والعشرين بعد الولادة .

وتصبح المرأة على اثر الولادة معزولة (صورثه) يجب تجنب مسها والاتصال بها يلقى اليها الطعام القاءً وتتناولـــه في طبق معدنـي(**) يجب استبداله وتطهيره بعد كل ثلاثة ايام من الاستعمال . ان جميع ما تستعمله من اوان واطباق يجب ان يعمد معها حين يحين موعد تعميدها على يد الكاهن . وتبقى المرأة الوالدة سبعة ايام في شبه دائرة من الحصى ، يستبدل بعد ثلاثة ايام بحصى جديد ثم يرفع بعد الاغتسال في اليوم السابع . وفي اليوم الثالث يهرس ورق طرى من الآس ويرش على سرة الطفل . وقد اخبرني احدهم ان المسحوق هذا يمزج بقليل من الماء في حين قال آخرون بانـــه يرش جافا . وتقوم الام بهـذه العملية عـادة ويستدعى الكاهن لاجـــراء مراسم وضع (السكين دوله) فوق سرة الطفل وهو يقول حين يضعها ... (بِشْـــمِيْهُون ادهيـى ربّي أسـوثه وزكُوثه هشِمْتَه وزرَسْته ونْطَرْته رابيته دشراره نهويله إديله فلان بربلنيثه ابهازن صُورثـــه ورازه دابثاهبل اشم ادهيى واشم اد منداد هيى مدخر الخ)(***) .

(*) ليست هذه العادة دينية ، والمعتاد في مثل هذه الاحوال ان يظل المصباح مشتعلاً بجانبها ليل نهار لمدة سبعة ايام ، كما يوضع بقربها ايضا اناء مملوء بالماء توضع فيه اغصان طرية من الآس والورد دلالة على الخصب .

(**) يجوز في الوقت الحاضر استعمال الاواني الفخارية او الزجاجية بدلا من المعدنية .

(***) لا يجوز للكاهن مس الطفل او امه في مثل هذه الاحوال وانما له ان يقرأ هذه الصيغة او صيغة مختصرة اخرى . فان لم يتيسر وجـــود الكاهن قامت الام بهذه الاجراءات وهي اجراءات واجبة لتدشين الطفـــل كاحد افراد المندائي . وبهذه الاجراءات يحتفظ قبل العماد بحقه الدينـي في الانتظار « بعد وفاته » كفرد صابئي الى حين تقوم الساعة .

وترجمتها : « باسم الحياة العظمى الصحة والطهارة والختم والحصانة والسلامة ـ للروح والجسم ـ تكون لفلان بن فلانة ـ يكون اسم المولود الفلكي قد استخرج بمساعدة الكاهن ـ بهذا الختم وبسر ابثاهيل • اسم الحياة واسم مندا دهيى منطوق عليك » •

وفي اول يوم احد بعد اليوم الثلاثين من الولادة اذا كان المولود ذكراً ، وبعد اليوم الثاني والثلاثين اذا كان المولود انثى ، يجب على المرأة ان تتعمد هي ورضيعها • ويصر بعضهم على ان مدة الفترة هذه هي اربعون يوماً واثنان واربعون يوماً على التوالي ، وساعطى تفصيلاً كاملاً عن تعميد المرأة بعد الولادة ومدة الفترة فيما يأتي من فصول •

واذا كان الطقس بارداً والجليد يغطي الانهار تنتظر المرأة الوالدة الى ان يعتدل الجو • والاغتسال الثالث ينهي فترة العزلة ولكن الزوج لا يقرب زوجه الا بعد التعميد(*) • اما من ناحية الطفل فالمعتاد ان ينتظر الى ان يصل الى عمر يستطيع معه ضبط نفسه ، لانه اذا ما تغوط او تبول اثناء عملية التعميد فانه يتعرض للعقاب الديني • وتفضل بعض الامهات التقيات ان يجرى التعميد للطفل بعد اليوم الثلاثين ، لانه اذا حدث ان مات دون تعميد فلن يذهب الى عوالم الانوار بل سيبقى في رعاية « ابثاهيل » • وهذا يكون عادة نصيب الاولاد غير الشرعيين • وليس هذا بالحكم القاسي ؛ فالحيوانات ترعى فوق التلال التي يدفن فيها مثل هذا الميت ، وتنمو هناك الاشجار والازهار ، ويرضع الاطفال من شجرة تنمو هناك « انا ادمارابيا يانقيا » ، تكون لها اغصان متدلية تحمل اثماراً كالاثداء يتغذى بحليبها

(*) يجوز للزوج وللآخرين ما عدا الكهان مس الزوجة بعد تطهرها في اليوم السابع بعد الولادة • اما مضاجعة الزوج لزوجه فلا تجوز الا بعد مرور واحد وثلاثين يوما على الولادة سواء عمدت الام ام لم تعمد ويستثنى الكهان من هذه القاعدة اذ لا يجوز لهم الاقتراب من زوجاتهم الا بعد تعميدهن •

الاطفال ؛ وفي نهاية الدنيا ياخذ « هبشبه » (تجسيد يوم الاحد) هؤلاء الاطفال ويعيدهم الى امهاتهم في عالم النور بعد تعميدهم بماء الفرات السماوي (يردنه) .

وحين يراد تعميد الطفل بعد الولادة يبحث عن « حلالى » (فرد من العامة ذو طهارة طقسية معينة) يمتلك خواص فلكية تشابه خواص الطفل وبهذا يكون اسمه الديني مطابقا لاسم الطفل(*) (انظر الفصل ٦) .

ويقوم هذا الرجل بدور الاب للطفل . يرتدى الاب « الرسته » ويبدأ الكاهن بتعميده اولاً يساعده في ذلك قندلفت « شكنده » . يتلو الكاهن « الرهمى » (الدعاء اليومي لطلب الرحمه) باسم الطفل وفي نهاية الدعاء يلبس الطفل « رسته » كاملة واكليلاً من الآس (كليله) تكونان قد هيئتا له . وحالما ينتهى « الرهمى » ياخذ الاب الطفل ويطلب الاذن من الماء حسب الصيغة المعتادة ثم يدخل الى الماء حاملا الطفل على ذراعه اليمنى مدعوما بيده اليسرى(**) ويغمس جسم الطفل في الماء ثلاث مرات (يرش الكاهن الماء فوق راسه) . يتقدم بعدها الاب حاملاً الطفل على ذراعه اليسرى ويمد يده اليمنى الى الكاهن لتناول العهد (كشطه) . ويعطى الطفل ثلاث رشفات من الماء ويمسح جبينه بالماء ثلاث مرات من اليمين الى اليسار ويوضع الاكليل على راسه ثم يخرج الاب والطفل من النهر ويذهبان الى حيث يوجد خوان طينى للبخور (طريانه) وهناك ينطق الاب بهذه الكلمات : « أسوثه وزكوثه يا مَلْكي وأثري ومَشْكِنى ويَرْدنِي وآرهاطي واشْخِنائي إدّاله دنهوره كليهون » . وترجمتها : « لكم الصحة

(*) ليس هذا شرطاً من الناحية الدينية انما الاصل ان يكون الاب او الوكيل « حلالياً » اي لائقاً من الناحية الدينية .

(**) ليس هناك وضع خاص للامساك بالطفل اثناء تعميده وهو رضيع ويترك ذلك لحكمة القائم بالعمل .

والمجد ـ او الطهارة ـ ايها الملائكة وايها الناس وايها المواطنون ولكم المياه الجارية والانهار وجميع ما في عالم النور »(*) .

بعد ذلك يسلم الطفل الى القندلفت (شكنده) ليعيده الى والدتـه(**) التي ستجلس واياه باتجاه الشمال فوق جذع من النخل او مقرفصة على قدميها . يخرج الكاهن من المـاء ويهيء عجينة السمسـم ويدهن جبهـة الطفل . تلى ذلك الاجراءات المعتادة في تناول الخبز والماء المقدسين . واثناء اعطاء العهد (كشطه) يمسك بيد الطفل اليمنى غير ان القندلفت يجيب بدلا منه وعند بلوغ مرحلة « تقبيل اليد » يفعل القندلفت ذلك بدلا من الطفل ايضـاً .

واذا حدث ان تغوط الطفل او تبول في ملابسه اثناء اجراءات العماد يستمر الكاهن في المراسم كأن لم يحدث شيء ، اي انه يجب ان يتناول عماداً كاملاً على يد كاهن استاذ (كنزفره) واحد الكهان . ولا يبطل هذا الحدث عماد الطفل فهو قد اخطأ غير متعمد . فاذا توفى هـذا الطفل فسيستحق طقوساً جنائزية كاملة كاي صابئي آخر ، واذا عاش وبلغ من العمر حداً معقولا (حوالي الست أو السـبع سنوات) وقدر على النطق فسيكفر عن ذلك بتناوله عماداً في ملابس دينية (رسته) جديدة في ايام « دهفه اديمانه »(***) .

ويحدث احيانا ان يموت الطفل اثناء هـذه المراسم ، حينئذ تتوقف

(*) يطلق الصابئون على اول تعميد للفرد الصابئي اسم « تعميد زهريته » وهو التعميد الذي يدخل ذلك الفرد ضمن مجموعـة المندائيين (الصابئين) وبدونه يبقى معلقاً .

(**) يمكن ان تقوم اية امرأة صابئية مقام والدة الطفل في مثل هذه الاحـوال .

(***) يعتبر يوم « دهفا اديمانه » من اقدس الايام لدى الصابئين .

الاجراءات ويقوم الكاهن الاستاذ « كنزفره » بعمل عجينة من دقيق القمح الابيض يصنع منها دمية ترمز للطفل الميت وتلبس هذه الدمية « الرسته » وتستأنف الاجراءات من الحد الذي تتوقف عنده ، وقد حلت الدمية محل الطفل • ويدعى « الحلاليه » (جمع حلالى) للدفن ويضعون الدمية مع الجثة في تابوت من القصب (بنيه) ويدفنونها مع الطفل ثم يجرى بعد ذلك « اللوفانى و « الزدقه بريخه » (الفصل ١١) • ومثل جميع المتعمدين حديثاً من الاطفال فان روح الطفل المتوفى تصعد الى باريها بسرعة ودون تاخير بعد اليوم الثالث مارة بالمطهر (مطرائه) وتصل الى عالم النور ، لان عماد الطفل يعتبر كاملاً ، ومع ذلك فاللوفانى باسمه في اليوم السابع يساعد روحه بالحصول على الامن والسعادة • ويتعرض الكاهن (ترميذه) نتيجة ذلك الى الدنس وعليه ان ينال عماد « شيتل » اي ثلاث معموديات وثلاث وجبات من الخبز والماء المقدسين على يد ثلاث كهان احدهم استاذ (كنزفره) ولمدة سبعة ايام •

ويجب ان تسبق معموديته هذه « زدقه بريخه » وان يرتدى « رسته » جديدة ويحمل صولجاناً جديداً ، كما يجب ان يمنح تاجاً (تاغه) جديداً ايضاً • وخلال ذلك الاسبوع من التعميد يجب عليه ان يتلو « الرهمى » ثلاث مرات يومياً • وبعد ان يتم ذلك كله يسمح له باداء وظائفه ككاهن •

وهناك قدرة خاصة تتعلق بولادة الطفل وتكون مسؤولة عن سلامته قبل الولادة وبعدها • وكتاب « دراشه اديهيا »[٥] يتحدث عنها ويدعوها « ليلث » • والحديث عنها ليس معيباً وتعتبر بصورة عامة روحاً نورانية رحيمة يطلق عليها اسم « زهريل » وهي ذات علاقة بعشتروت او الزهرة في عبقرية القدرة في مجال التناسل والولادة • ويطابقها « الشيخ دخيل » مع الزهرة ومع « سيمات هيى » ايضا وهي في الاساطير زوج « هيبل زيوا » التي تزوجها حين هبط الى عالم الظلام •

ويجب ان ترضع كل ام وليدهـــا ، كمـا يحرم ان تُستأجر الام كمرضعة ، وعلى الصابئيات ان لا يبعن حليب اثدائهن خشية العقاب في الآخرة .

والاب مسؤول عن تربية ابنه الى ان يبلغ الخامسة عشر او العشرين على حد قول بعضهم. يجب ان يربى الطفل ويغذى ويثقف ويلقن الفروض الدينية ومراسم الطهارة وكيفية ارتداء « الرسته » وعقد الزنار (همیانه) وكيفية اجراء الوضوء (الرشامه) والاغتسال (طماشه) . كما يعلّم ان عليه قبل تناوله الطعام ان يغسل يديه وذراعيه الى المرفقين وان ينطق صيغة « الحياة واســم منداد هيى » قبل تناولــه اي طعــام : « ايهـا الطعام عليك اســم الحياة واســم منداد هيى » وهـي نفس الصــيغة التــي ينطق بها عند تناوله اول لقمـة في الوجبة الطقسية (لوفاني) عـلى روح الميت . ويلقن ان لا ياكل لحماً لم يذبح حسب الاصــول الدينية ، وان لا يمس الدم او اي نوع من انواع النجاسات ، كما يعلم اي اللحوم محرماً وايها محللاً ، ويلقن ايضــا بان « هيبل زيوا » حين خلق « ابثاهيل » المخلوقات الحية على الارض علمّ آدم الحلال من الطعام وهو كل نبت لـه بذر ، ومن هنا كان الفطر حراماً ؛ وكل ما افترس من الطير ، والطيــور آكلة الاسماك حرام ايضا ، كذلك يحرم اكل الغراب والزاغ و « الزركى » [طائر طويل الساقين يعيش في الاهوار] . اما الغداف [الغراب الاسود] وربما كان ذلك هو نفس سبب ظهوره في الصور الجدارية للمجوس فانه طير طاهر يمكن اكل لحمه دون لوم . وتحرم لحوم الجمل والحصــان والخنزير والكلب والفأر والارنب الاهلي والوحشي والقط . وبينما يكثر مجاوروهم من الاديان الاخرى من اكل لحوم البقر التي هي ارخص ثمناً من لحوم الاغنام فان الصابئين يعتبرون من الجرائم الكبرى ذبح الجامــوس او البقر . ان قدسية هذه الحيوانات وبخاصة الثور يذكّر بالرفض المطلق

لتناول لحمها • وقد قال لي احد الكهان بانها قد خلقت للحراثة والسحب ولانتاج الحليب لا للغذاء وفي نفس الوقت فليست هنالك اية اهمية دينية للبقرة الحية ولا اى صلاح في روثها او بولها كما هي الحال لدى البارسيين ؛ وليس هنالك طقس خاص في حلبها ولو ان على الحالب ان يذكر عند البدء بالحلب صيغة « اسم الحياة واسم منداد هيى منطوق عليك »(*) •

ويمكن اكل الاسماك ولو ان بعضها محرم ، وهي تصطاد بالشبكة أو الشص حسب الطريقة المعتادة • وتناول اللحوم من قبل الصابئين قليل عملياً ، والاتجاه بخصوص عملية الذبح اعتذارى مشوب بالندم•« من الخطيئة ان تذبح حتى اذا كان ذلك حسب طقوس الذبح المعتادة » ذلك ما قاله احد افراد العامة ؛ كما اخبرني كثير من الثقاة منهم بان الانسان المتدين حقا يمتنع عن اكل اللحوم والاسماك ، وسنرى في الاساطير ان (الناصورائى) يوصفون عادة بانهم نباتيون اقرب الى الفكر الهندوأو ربى والبوذي منه الى الفكر السامي • ويعطينا كتاب « كنزه ربه » رأياً معاكساً حول أكل اللحوم • فجميع القتل وسفك الدماء ذنب وخطيئة ، الا ان الذباب والديدان والعقارب وجميع اللاسعات الضارة (راشى بيشى) يمكن ان تقتل دون اقتراف اية خطيئة •

يجب ان انبه هنا الى حقيقة غريبة هي ان الدجاج والبيض مع انهما يشكلان مواد غذائية يومية فهما لا يمكن ان يوكلا في الوجبات الطقسية • ويعتقدون ان موتاً سيحل في البيت الذي يعطى بيضة بعد غروب الشمس • وساصف في مكان ما من هذا الكتاب ذبح الاغنام الذي لايختلف في الطقوس عنه في الطعام الاعتيادي واليك وصف ذبح الطيور :

يجب ان يكون الذباح اما حلالياً او كاهناً • وقد راقبت الشيخ دخيل

(*) لا يجوز للكاهن شرب حليب البقر او الجاموس الا بعد مرور ثلاثين يوماً على ولادتها أما العامة فيجوز لهم شربه دون تحديد •

وهو يقوم بذبح زوج من الدجاج. بدأت العملية في بيت الشيخ دخيل مبتدءاً بـ « الرهمى » او الدعاء التمهيدى(*) وتفقد « الرسته » قطعة قطعة وبضمنها « التاغه » كما وصفت ذلك في موضع سابق . وقف الشيخ لاجراء هـذه العمليات حافي القدمين فوق حصير في ساحة بيته ووجهته الشمال ، حاملا عصاه (مرگنه) ، ثم هبط الى النهر وبيده قطعة خشب صغيرة وسكين لا مقبض لها . وقد اوضح بعد ذلك بان سبب عدم وجود المقبض هو وجوب تطهير السكين بحرقها في نار موقدة .

قام اولا بعملية « الرشامه » ـ الطهارة الصغرى ـ على حافة النهر ثم قام بغمس السكين وقطعة الخشب الصغيرة ، التي يمكن ان تكون من اى مادة خشبية نظيفة(**) ، والعصا في ماء النهر . وبينما كان يغمر السكين وقطعة الخشب كلياً في الماء ثلاث مرات كان يدخل فيه طرف العصا فقط . وكانت صيغة التعميد تتلى على كل مادة من تلك المواد : « مركنى اصبينا ابمصفته ادبهرام ربه برروربى ... الخ » . وفي نفس الوقت خاض في الماء كاهن(***) آخر مساعد له دون ان يكون لابساً « الرسته » وهو يحمل الفرخين اللذين غمرهما بالماء ثلاث مرات . ولا يمكن ذبح الطير او الحيوان الناقص الخلقة ، وكانت الدجاجتان صحيحتين وسالمتين من كل نقص . وحضور المساعد او « الشاهد » فرض واجب في كل عملية ذبح للتأكد بان ليس هنالك من اهمال او شذوذ .

(*) يجب على الذباح قراءة (صلاة معينة) اذا كان كاهناً اما اذا كان من فئة « الحلالية » فلا يقوم الا باجراءات الوضوء (الرشامه) قبل الذبح .

(**) تكون قطعة الخشب هذه من اي شجر لا ثمر له كالصفصاف والزور والغرب والاثل واليوكالبتوس ويوحى ذلك بالاهمية المعطاة للاشجار المثمرة في عدم مسها .

(***) ليس المهم هنا الخوض في الماء بل المهم ايجاد عمق كاف من الماء لتغطيس الطيور فيه ثلاث مرات ويمكن ان يقوم بدور تطهير الطيور اي فرد صابئي على ان يكون « حلالى » اذا كان الذباح كاهناً .

عاد الشيخ دخيل وادار ظهره للنهر ليواجه الشمال وصلى صلاة طويلة نوعاما ، ثم جلس على عقبيه وتناول الفرخين واحدا بعد الآخر من يد الكاهن ممسكاً اياه بحيث يكون راسه متجهاً نحو الغرب »(*) وامرّ السكين بضع مرات حول رقبة الدجاجة لقطعها بعمق لدرجة ان الراس أوشك ان ينفصل عن الجسم • وحين كان يستعمل السكين كانت قطعة الخشب الصغيرة ملتصقة بها ، وكان هو يتلو صيغة الذبح الخاصة (انظر الملحق) •

ولم تضطرب الطيور بعد الذبح • بعد ذلك عاد الى النهر وغسل يديه وسكينه والقى بقطعة الخشب الى الماء الجاري(**) ، وحملت الدجاجتان الى المطبخ دون السماح بان يمسهما اي شيء ملوث • اذ بعد ان يهيء الحيوان او الطير للذبح ويغمس بالماء ثلاث مرات يجب بذل كل عناية لعدم تماسه مع الارض • ومع ان الطيور ذكوراً واناثاً يمكن ان تذبح للغذاء او للموجبات الطقسية فالاناث من الغنم محرم ذبحها واكل لحمها •

عاد الشيخ دخيل الى الدار ووقف فوق الحصيرة حافي القدمين كما فعل في المرة السابقة ثم تلا الصلاة اللازمة قبل ان يرفع « التاغه » ويخلع « الرسته » • ولم يستعمل الاس خلال عملية الذبح لانه فوق كل شيء رمز الحياة ولا يمكن استعماله الا كقطعة صغيرة من الخشب ترافق السكين(***) • وفي هذه الحالة تزال جميع اوراق الآس الخضراء • ويلزم غسل الدم الذي علق بالكاهن الذباح أو بالآخرين بعناية تامة مع تلاوة دعاء خاص لان الدم(٦) دنس • ويجب تطهير جميع الخضروات والاغذية بغسلها في ماء

(*) يكون راس الطير أو الخروف متجهاً نحو الشرق لا الغرب •
(**) يعود الى النهر ليقرأ دعاء مغفرة الذبح •
(***) لا يجوز مطلقاً استعمال خشب الآس كقطعة صغيرة ترافق السكين في عملية الذبح •

النهر كما يجب تعميد[٧] القدور واواني الطبخ في اوقات معينة وبخاصة في ايام (البنجه)[*] حين تجلب ربه كل بيت ادوات مطبخها من جميع الانواع لتخضع الى تطهير طقسي • وهي عادة تغسل ملابسها وجميع ادوات المنزل في ماء النهر لان الماء المقتطف من النهر يعتبر ماء ميتا لا طهارة فيه[**] •

ولدى الصابئين بعض العادات قال عنها الكهان انها كانت عادات دينية • فحين يبنى بيت جديد يذبح كبش كفداء[***] ويدفن رأسه تحت عتبة الدار • وقد شاهدت هذه العملية حين ذبح احد افراد العامة طيراً وقطع راسه ودعك بدمه قدم العريس ثم القى بالطير المضطرب الى النهر • وعتبة الدار شيء مهم تقوم الطلاسم على حراسته ويدس الودع او الفخار الازرق فوق الباب كما تعلق او تنقش عليه او فوقه حية رمزاً للحياة ، او دمية من الخرق فيها

(*) بنجه : كلمة فارسية يطلقها الصابئون على ايام خمسة مقدسة يسمونها « پروانايا » بالمندائية •

(**) الماء المقتطف من النهر باناء طاهر يعتبر ماءً طاهراً • وسبق ان اوضحنا ان الصابئين قسمان • دينياً ، القسم الاول الكهان او (الناصوراثيون) والقسم الثاني العامة او (المندائيون) •

اما الفئة الاولى فتتمسك بالشعائر والتقاليد الدينية الى حد التزمت وهذا من صلب نظريتها الدينية (ناصيروثه) اما المندائيون فيجوز لهم التكيف غير بعيدين عن جوهر الدين الى امور الحياة المتطورة ، ويجيز هذا لهم الكهان ايضاً، ولهذا فقد حصل على حياتهم اليومية تطور كبير فيما يخص استعمالات الماء الجاري فهم في الوقت الحاضر يستعيضون عنه بالماء المعقم في احوال الذبح والارتماس وتطهير الايدي والاواني وكل ما يحتاج الى تطهير في حياتهم اليومية ونعتقد ان هذا التطور فيما يخص استعمالات الماء سيشمل في المستقبل البعيد حتى اجراءات التعميد الى حد ما باعتبار الماء السائل في الانابيب ماء جاريا (يردنه) •

(***) لا فداء ولا نذور لدى الصابئين اطلاقا والموجود من هذه العادات لديهم انما هو مكتسب من المحيط وهناك توبة وطلب غفران فقط •

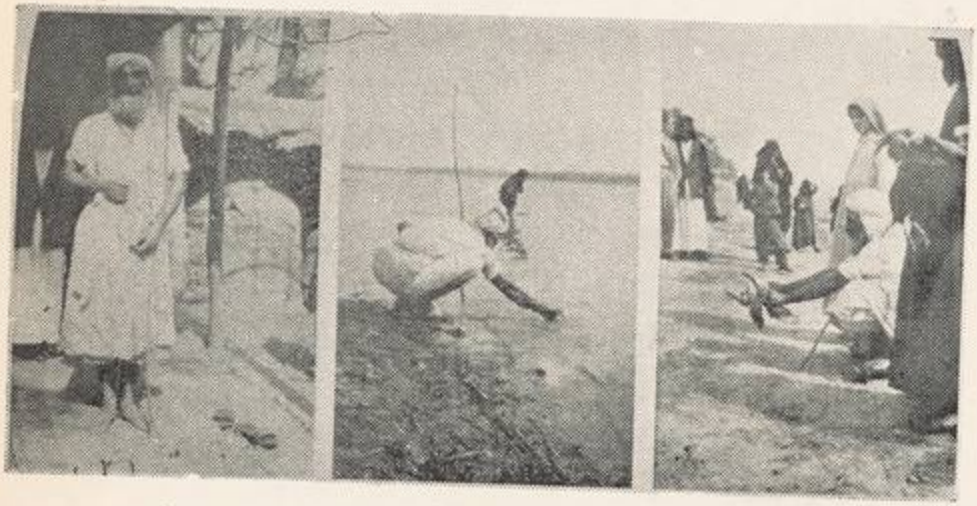

(١) ذبح الطير (٢) تطهير المركنه (٣) كاهن يبني الرهمي

ازرار زرق ، ويعلق فوق الباب قرون البقر او حبات العفص وتعاويذ اخرى (ويستعمل مثل هذه الدمية يهود العراق ايضا) .

وفي اوقات الوباء ولاتقاء شـــرعين الحاسد او بعد الوفاة احيانا تدفن اوان او قطع معدنية للزينة تنقش عليها رقية وتوضع تحت عتبـــة الدار وبخاصة اذا كان من القصب لمنع التأثيرات الضارة وامراض الشياطين من الولوج اليها .

ويتعلم الطفل في بيته صلواته وواجباته الدينية « فالعماد والصـدقة والاعمال الصالحة تجعل من الفرد صابئياً كاملا » وتتضمن هـذه الاعمال الصالحة الاجراءات الدقيقة لطقوس الموت ومراعاة مرتبة الميت الدينية . وتعلم القراءة والكتابة والحساب ميسر لاطفال الصابئين في المدارس الحكومية العراقية ، ويدخل منهم الى المدارس المتوسطة اعداد متزايدة وحتى في دور المعلمين ليصبحوا معلمين . وقليل من العامة من يعرف قراءة الكتابـــة المندائية او الكتب المقدسة فدراسات كهذه متروكة للكاهن . وعدد الذين يعرفون قراءة وكتابة اللغة المندائية يتناقصون بتناقص فئة الكهان . ويوجد من بين الصابئين معلمون ، فمثلا كان في قلعة صالح معلم صـابئي(*) في المدرسة الابتدائية الحكومية للبنين . كما كان يوجد سيدة صابئية معلمة في مدرسة البنات وهي فتاة وديعة ذات ابتسامة ساحرة وقد تلقت دراستها في دار المعلمات في بغداد(**) .

ويتبع كثير من ابناء الطائفة ذويهم في مهنهم حدادين ونجارين وصاغة . والصابئون هم الذين يجهزون العريس العربي بالمجوهرات التي هي عادة

(*) تقصد المؤلفة السيد غضبان رومي الناشيء احد مترجمي هـذا الكتاب وقد تخرج في دار المعلمين الابتدائية عام ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ وكان اول معلم صابئي يدرس في المدارس الرسمية .

(**) السيدة باشه عبدالله وهي اول معلمة صابئية .

مهر العريس الوحيد ، وبعض تلك المصاغات جذاب وبخاصة الاقراط (تراچي) من الذهب المخرم المزين باللؤلؤ والشذر والياقوت . وتتجمع حوانيت صاغة الفضة من الصابئين في محل واحد (*) وهي حوانيت صغيرة ينتصب في واجهة كل منها صندوق زجاجي لعرض المصوغات . ولا تشبه مصوغاتهم سائر المصوغات العراقية او مصوغات اليهود فالاخيرات غير مصقولة وغير متقنة اما مصوغات الصابئين فنظيفة وصقيلة ومظهرها الرئيسي هو تطعيم الفضة بالميناء ، ذلك السر الذي يحتفظون به وحدهم حيث ينقش الرسم اولا على الفضة ثم تملأ النقوش بالميناء وتدخل السلعة في النار وتأخذ الزخارف اشكال الازهار او المناظر النهرية او رسوم الآثار كطاق كسرى او منارة العزير وغير ذلك ؛ واذا تطلب الامر فالصائغ الصابئي يستطيع ان ينقش صورة فوتوغرافية للزبون بمهارة وحذق فائقين واحياناً تكون النقوش على الفضة ملونة .

وصناعة بناء الزوارق صناعة قديمة والتعبير الشائع عن الزورق العريض قليل الغور في الاهوار هو « المشحوف » وهو عبارة عن تصميم بسيط من الخشب المشروح واضلاع داخلية تتصاعد بانحناء من عمود فقرى مركزي منتهية برأس ومؤخرة وظيفتاهما شق الطريق خلال البردى والقصب . وتسمى هذه المشاحيف نسبة لحجومها : البركش والطرادة ، وتسمى الصغيرة جداً التي تستعمل لصيد السمك (چلابيه) وتطلى هذه الزوارق من الخارج بالقير . والادوات الزراعية كالمحاريث والفؤوس والمناجل وآلات الحصاد والمناقير كلها من عمل الصابئين تقريباً . والصابئون ايضا هم الذين يصنعون الشصوص والفالات من اجل الصيادين في الاهوار .

والجيل القديم ينظر الى التطورات الحديثة بارتياب حيث ينشأ جيل

(*) تنتشر محلات الصاغة الصابئين في الوقت الحاضر في جميع انحاء بغداد ولا تقتصر على محل واحد .

جديد جرىء لا يتهيب الاكبر منه سناً • وقد قال لي يوما احد المتعلمين من اولاد احد الكهان :ـ « اننا نتعلم في المدرسة ان الارض كروية وتدور حول الشمس » ، في حين كان والده يحدثني بان الارض مربعة ثابتة وقال اخيرا بخيبة امل : « يظن الجيل الجديد في هذه الايام انه يعرف كل شيء » •

والصابئون متضايقون جدا لعدم الاعتراف باعيادهم فالموظفون من اولاد المسلمين والنصارى واليهود يسمح لهم بالتعطل في ايام اعيادهم اما الصابئون فان اولادهم يتظاهرون بالمرض حين يرغبون في البقاء في بيوتهم ايام الاعياد وبخاصة في عيد رأس السنة(*) •

والرقص واللعب والموسيقى ممنوعة على المتدينين من الصابئين ومع ذلك فقد شاهدت بنات صابئيات يغنين ويرقصن كعادة اهل البلاد ولكن في بيوتهن فقط وفي مناسبات الافراح • ويشاهد الجيل الجديد السينما بالرغم من عدم رضا الجيل القديم • وهم على العموم يبدون رصينين وسعداء •

وهنا يجب ان اسجل نقطة يختلفون فيها جوهريا عن مجاوريهم، هي حبهم للطبيعة حباً اصيلاً ، فالعربي ولو انه يعجب بجمال المرأة او الحصان الا انه يحس براحة ذاتية لا بحب حقيقي امام المشهد الطبيعي ، فالشجرة تمنحه ظلا والماء يروى ظمأه والحديقة له ولاصحابه يجمع فيها شملهم • غير ان حكايات دراويش الصابئين تعرض الطبيعة وكأنها شيء روحاني غامض ، فهم يفرحون بالطبيعة كما لو انها جزء من الانسان ، فالطيور تتضرع للحياة

(*) اعترف باعياد الصابئين عام ١٩٣٦ في حكومة حكمت سليمان والغت هذا الاعتراف الحكومة التي جاءت بعدها • ثم اعيد الاعتراف بها بعد ثورة تموز ١٩٥٨ والغيت في شباط ١٩٦٣ ولا تزال ملغاة حتى طبع هذا الكتاب • ولا يزال الصابئون يطالبون المسؤولين بالاعتراف باعيادهم خاصة والكثير منهم موظفون وجنود ومستخدمون في الحكومة وهم بحاجة الى التعطل في اعيادهم ليشاركوا ذويهم في افراحهم وليتمكنوا من القيام بالشعائر الدينية المطلوبة •

العظمى ، وتتغنى النجوم والشمس بحمده بانسجام يستطيع التقى الورع ان يسمعه ، ويدخل هذا التحسس العميق بالطبيعة في سلوكهم اليومي فلو انك اعطيت لاحدهم زهرة لانحنى عليها شاماً مدمدماً بصيغة جميلة هي : « عطر الحياة مسرة مولاى منذا ادهيى »[٨] • وهم بالرغم من التقشف الذي يجد في جميع وظائف الجسد الواناً من الدنس الذي تعرض الفرد للشرور فانهم يجدون في الحياة وفي الزواج مسرة ، والزواج يتم باقامة دعاء طقسي يهدف الى الصحة والطهارة • ان التقشف والحرمان لدى المتصوفين من النصارى في القرون الوسطى غير معروف لدى هؤلاء المتقشفين المرحين فكلما تهبه روح الحياة انما هوهبة حسنة يجب استخدامها مع الحمد • وبالرغم من روح الشعور بالخطيئة لدى المصلين فالحياة لذيذة والارض سجن سعيد والموت لا وجود له ما دام الحي والميت يلتقيان على الدوام فوق مائدة الوجبات الطقسية (لوفانى) •

وحين تطير الروح كالطائر الطليق وتصل الى منطقة النور بعد طهارتها تجد كل ما هو محبوب على الارض بصورته الكاملة ولا يوجد في عوالم النور الصابئية بحار من البلور ولا جدران من الذهب ولا مدن كاورشليم السماوية لدى اليهود ولا حوريات او ملذات كما هي في الجنة لدى المسلمين بل كل ما يوجد هو الجمال والطهارة والاثير السماوي[٩] والهواء الانقى والاصفى وجداول من الماء الجاري والازهار التي لا تذوى والطيور المغردة الخالدة والاشجار التي لا تذبل اوراقها ولا تسقط •

ولا ارغب باعطاء صورة ذات جانب واحد عن الخلق الصابئي فللصابئين اخطاء مجاوريهم كما يشاركونهم ايضا بتقديرهم للحق والصدق • وبعض الكهان يفكرون غالباً بعيشهم اكثر مما يفكرون بافراد طائفتهم ، فهم بالرغم من اعتقادهم بان من يموت موتاً غير طبيعي سيعانى طويلا ويتألم كثيراً في الآخرة ما لم يحصل على غفران (مسخثه)يقرأ باسمه ، فقليل من الكهان

من يقنع باجرائه دون الاجور المعتادة ، وجوابهم على ذلك اننا نريد ان نعيش • ومهما كان الامر فهناك اخلاقية جيدة لديهم وانا احمل تقديراً عميقا لرجال الدين امثال الشيخ جودة والشيخ دخيل والشيخ رومي روحاني(*) العمارة والناصرية وقلعة صالح على التوالي • ان شعلة التقوى الاصيلة تلتمع في عيني الشيخ نجم(**) السوداوين حين كان يتحدث لرعيته الفقيرة في اللطلاطة(***) عن تعاليم الصابئين ، وقد قيل لي انه لم يكن ليتوقع منهم شيئاً غير الشكر •

وتسير النساء الصابئيات سافرات ولهن حرية في الحركة ويمكنهن التملك والوراثة • وتعدد الزوجات يقع عبئاً ثقيلا على بعضهن ولو ان البعض يعشن بسلام مع ضراتهن خاصة اذا كان الزوج شيخاً •

وهم عمال دائبون على العمل اصحاء الاجسام على وجه العموم ذوو سحنات جميلة ، والرجال اكثر وسامة من النساء والروحانيون جميلون على الغالب وقد شاهدت صابئية وطفلها يشبهان مريم العذراء (مادونه وطفلها) وجنس الصابئين بصورة عامة مشهور بوسامته فيقال « جميل كانه صبي » وهو قول شعبي ؛ ويتزوج الصابئون مبكرين وغالباً لدى اول علامات البلوغ ، غير ان الزواج والموت موضوعان مهمان بحيث يجب افراد فصول خاصة بهما •

(*) لقد ذهب جميع هؤلاء الروحانين الى رحمة ربهم •
(**) احد روحاني الصابئين المعاصرين ومركزه في البصرة •
(***) اللطلاطة احدى محلات قلعة صالح •

ـ ملاحظات حول الفصل الرابع ـ

١ ـ مشونى كشطه : يظهر ان معناه الحرفي هو الحق المرفوع من لدنّا • ومشونى كشطه هو العالم المثالي للصابئين ويقطنه احفاد آدم كسيه (او آدم وحواء غير المنظورين) لانه كما اخبرني احد الكهان يوجد اثنان من كل شيء في الدنيا ، الواقع ومقابله المثالي (مبدا) • واوضح لي ثان ان لكل شخص على هـــذه الارض شبيهه (دموثه) في (مشونى كشطه) • ولدى الوفاة يفارق انسان الارض جسمه الترابي ويلتحق بالجسم الاثيري لشبيهه وفي هـذا الجسم الاخير تعانى الروح آلام التطهير • اما الشبيه في مشونى كشطه فهو لدى وفاة صنوه الارضى يغادر جسده الاثيري الذي استقربه ويدخل في جسم نورانى • وحين يكون على اتم نقاوته يعرج حالا الى عالم الانوار • وحين تكون الروح البشرية قد اتمت دورتها التطهيريـة واذنت لها موازين « أباثر » بالانعتاق من اعبائها تدخل هي ايضا في عالم الانوار ويتحد الاثنان :ـ

« اذهب الى شبيهى
وشبيهى يأتى اليّ
يتذكرني ويحتضنني
كما لو انني خارج من السجن » •

ولكل الوحوش والطيور والازهار وجميع الدنيا المادية مقابلها في « مشونى كشطه »• ويقال ان سكان « مشونى كشطه » يتزوجون ويتناسلون لكن دون اتيان اية نجاسة • ويعرضون احيانا على صلة بمماثليهم الارضيين •

والتشابه بين الروح الصابئية (نشمثه) والشبيه (دموثه) ، وبين « الارفان » و « الفرافاشى » لدى الزردشتيين قوى جدا •

« فعند وفاة شخص ما تلتقى روحه « ارفان اورافان » مع الحق حسب حقه او باطله • فاذا كان اهلا للذهاب الى الجنة ذهب اليها والا فالى الجحيم • ويفارق « الفرافاشى » الذي كان يقوده في الحياة الدنيا كروح مرشدة روح الميت ويذهب الى مستقره حيث يوجد جميع « الفرافاشي » • اما الذي يلاقى النتائج حسنة كانت ام سيئة عن اعماله فهي الروح (ارفان) • ان (الفرافاشى) او الروح المرشدة كانت نقية وكاملة غير مشوبة ولا ملوثة منذ البدء وهكذا عرجت • فهذا المطابق الروحي النقي الكامل « الفرافاشى » هو الوسيط كما كان ، للعلاقة المستمرة بين الاحياء والاموات » •
J. J. M. P. 423.

وحسبما جاء في « الافستا » فان لجميع الاشياء الطبيعية مثيلاتها « فرافاشي » ولكن ليس للاشياء المصنوعة من الاشياء الطبيعية • فمثلا يوجد للاشجار « فرافاشي » ولكن ليس للكرسي او المنضدة المصنوعين من خشب الشجر • وقد خلق الله « فرافاشى » تلك الاشياء الطبيعية منذ بدء الخليقة • وقبل خلق المادة يكون « فرافاشى » تلك المادة موجودا كاملا وصحيحا • J. J. M. P. 412

ويظهران « الدموثه » هو الروح الخارجية •

والاعتقاد بمثال شبه انسان او « نصف انسان » بين عالم النور وعالمنا اعتقاد قديم ، وقد ظهر في المسيحية الاولى ، ومن المحتمل خلال الافلاطونية الحديثة• فحديقة « الباما » الفيدية ، وهي العالم المثالي عند الاسينيين ، واخيرا جدا لدى العرب « الجزيرة الخضراء » كلها تمت الى نفس هذه الفكرة • فالسكان هنا يلبسون البياض وهم نقيون

تماماً وعيشهم بينهم مشاع • وكما في جزيرة « افالون » فليس هنـاك رياح شديدة او عواصف او حر او برد تفسد المناخ المعتدل • ويقول « جوزيفوس » (ترجمة ونستن وتنقيح شيليتو مجلد ٤ صفحة ١٥٥) عن الاسينيين : « يعتقدون كابناء اليونان بان موطن الارواح الخيرة هو في ما وراء المحيط في صقع لا ترهقه العواصف المطرية او الثلوج ولا الحرارة الشديدة ، بل ينتعش بهبوب الرياح الغربية العليل التي تهب من المحيط باستمرار » •

وللصابئين نظريات مختلفة حول موقع هذا العالم المثالي ، فبعضـهم يؤكد انه يقع في الشمال ويفصله عن هذا العالم جبل عال من الثلج • وهناك نظرية اخرى محببة لديهم هي :ـ « انه وسط معلق بـين الارض والسماء ولا يمكننا رؤيته وان سكانه اتقى منا ولا تستطيع عيوننا مشاهدتهم » • وقد قال صديقي الشيخ هرمز برانهرمزة :ـ « يوجد هناك نجم يقطنه البشر احفاد آدم الخفى ـ آدم كسيه ـ الا انهم شبه روحيين في طبيعتهم واصغر منا حجما ويسمى هذا النجم المريخ وهو نجمة الصبح » •

وجاء في وصف آخر ان « مشونى كشطه » هو في الشمال وراء منطقة الجليد والثلج حيث النور الدائم وحيث يمكن لسكانه ان يتخاطبوا مع « الملكى » و « الاثرى » وان يشاهدوهم •

وتماما كما ان « هيبل زيوا » هو الروح المعلم للارض فان « ششلام ربه » هو صنوه او شبيهه (دموثه) وهو الروح المرشدة في عـالم « مشونى كشطه » •

٢ ـ يعزل البارسيون الام ايضا • « تحضر لها غرفة او قسم من غرفة في الطابق الاسفل بصورة عامة من اجل الولادة • وتكون مدة العزل

اربعين يوما ، وفي يوم الولادة تعزل الام تماما عن الآخرين ويجب ان لا تمس النار والماء وسائر اثاث البيت وبخاصة الاثاث الخشبية والمنسوجات • ويهيء لها الطعام على طبق من قبل الآخرين • وعلى الذين يمسونها ان يستحموا قبل الاختلاط بالآخرين ••• وفي نهاية اليوم الاربعين وهو فترة الاعتزال ، على السيدة ان تطهر نفسها قبل الاختلاط الاعتيادي بالآخرين ، فتستحم اولا بحمام اعتيادي ثم تاخذ ما يسمى « نان » وهو من الكلمة السنسكريتيه « شنان » اي الحمام المقدس • ويقوم كاهن هو على العموم كاهن العائلة بتزويد ذلك الحمام بالماء المقدس • ويمنع استعمال جميع فراش السيدة وملابسها التي استعملت اثناء فترة العزلة بعد الولادة وتتلف كلها بعد ذلك » • (J.J.M.P. 6 ' 7)

٣ ـ تلويث الماء ـ يشير سترابو لمثل هذه الفكرة باعتبارها من خصائص الفرس فيقول : « لا يلوث الفرس النهر مطلقا بالتبول فيه ولا يغتسلون أو يستحمون به ولا يرمون به جثة او اى شيء آخر غير نظيف مطلقا » (جغرافية سترابو ترجمة هملتون وفالكونر سنة ١٨٥٧ م مجلد ٣ صفحة ١٣٧) •

ورمى النجاسات في الماء في « الفنيداد » محرم • يقول هيرودوتس (الكتاب الاول صفحة ١٣٨ ترجمة كارى سلسلة بون ١٨٨٩ م) :ـ « ان الفرس لا يتبولون بالماء ولا يبصقون في النهر او يغسلون ايديهم فيه ولا يلوثون المجرى بالبول ولا يسمحون لاحد ان يفعل ذلك » • ويعتقد الصابئون بان من يتبول في مجرى نهر يتعرض لمرض جلدى •

٤ ـ عند ولادة الطفل يضاء مصباح يبقى مشتعلا لا اقل من ثلاثة ايام في الغرفة التي ولدت فيها المرأة • يقول « السدار » فيما يخص البارسين :ـ « حين ينفصل الطفل عن الام فمن الضروري اضاءة مصباح ثلاثة ايام بلياليها ـ ويكون من الاحسن لو اشعلت نار بدلا من

ذلك ـ وذلك لجعل الشياطين والابالسة عاجزين عن ايذائه والحاق الضرر به لان الطفل المولود حديثا يظل رقيقا للغاية في هذه الايام الثلاثة » . (J.J.M., P. 6)

٥ ـ النص في كتاب « دراشه اديهيه » (لرساين وبطيناثه زهريل ليليثا إشري أيْ) وترجمتها [زهريل ليلث تظل بجانب فراش المرأة الحامل] .

٦ ـ كذلك عند البارسيين واليهود . يقول ميمونيدس :ـ « اعتبر الصابئون الدم شيئاً نجساً للغاية غير انهم حللوا اكله(*) مع ذلك لانهم اعتبروه غذاء للشياطين واعتقدوا ان الانسان في مشاركته بهذا الغذاء يدخل في علاقة ودية مع الشياطين فيزورونه ويكشفون له المستقبل » . ويقول ايضا « ان آخرين لا يرون شرب الدم بل كانوا يجمعونه في اناء ويأكلون من لحم الحيوان الذبيح والدم قريب منهم وبهذا يكونون قد جلسوا بصحبة الشياطين الذين كانوا يشربون الدم . ثم تصوروا بان الشياطين ستظهر لهم في الاحلام وتكشف لهم المستقبل وترشدهم الى الطريق الصحيح » .

ويعتقد العرب ان الدم سائل الحياة وان الاستحمام او الاغتسال به يشفى من المرض . وهذا لابُد ان تكون الفكرة البدوية المبنية على الفداء (انظر الملاحظة رقم ٤ الفصل ٩) .

ومن الجهة الثانية يظهر ان الاسينيين وطوائف يهودية اخرى قد اشتقت ربما من مصادر ايرانية ـ هندية فكرة ان الجزر جريمة وان تضحية الحيوانات لم يكن امرا يسر قوى النور والحياة . فالاسينيون كانوا نباتيين ومن المحتمل ان تكون المسيحية الاولى قد استبقت رمزها

(*) يحرم الصابئون اكل الدم او شربه .

في الضحية البديلة وشعائر الخبز بدلا عن لحم الضحية ، والخمر بدلا عن دمها ، من هذه المدرسة اى مدرسة الفكر اليهودي ـ الايراني .

٧ ـ لا يقتصر تطهير الطعام بالغسل على الصابئين فلدى احد اتقياء الشيعة صهريج في ساحة الدار يغمر فيه كل الاطعمة قبل طبخها او اكلها وبما ان الصهريج يكون عادة عفنا وذا رائحة نتنه وتكون النتيجة ليست على ما يرام ، فقد عملت الثقافة الحديثة في العراق على ابطال هذه العادة . ان الاجراءات لدى الشوافع فيما يخص الطهارة ـ الوضوء ـ تقرب كثيرا من الطهارة (الرشامه) لدى الصابئين .

٨ ـ « ان يشم رجل عطر الحياة ولا ينطق عليه باسم الحياة فماذا يحكم عليه ؟ » .

٩ ـ ايارزيوه ـ الاشعاع الاثيرى او الاثير المشع ـ وهذا يمت بصورة اكيدة الى « الهواء الاكثر خفة » لدى الاسينيين (جوزيفوس و س م ٤ ص ١٥٥) وهذا الهواء النقي النادر يمثل لدى الصابئين متداخلا مع الهواء الكثيف الذي يحيط بالارض وهو الذي يكسبه الخواص الحيوية تماما كما تمتزج « اليردنه السماوية » بـ « اليردنه الارضية » او بالانهار فتكسبها خاصة الحياة وقوة الاخصاب . ويجد هذا الاثير ويذكر احياناً كمصدر للحياة .

الفصل الخامس

الزواج ـ قابين ـ

قال لي احد كبار الكهان (كنزفره) وكان متزوجا من اثنتين : « ليس للرجل غير المتزوج من جنة في الآخرة ولا من جنة في الدنيا ، ولو لم تخلق المرأة لما كان هناك شمس ولا قمر ولا زراعة ولا ماء . فالأولاد يرفعون اسم الانسان في الاخرة ، ويحملون جنازته حين يموت ويقرأون « المسخته من اجله » .

وللرجل ان يتزوج ما يشاء من النساء وبقدر ما تسمح له ظروفه ومع ذلك فتعدد الزوجات هو الاستثناء وكثير من الصـــابئين يفضلون الزواج بالواحدة . وقد لاحظت ان اكثر الكهان كانوا متزوجين باثنتين او اكثر في نفس الوقت . والمقاييس الاخلاقية لديهم صلبة ومع ذلك فالمرأة الخاطئـة لا يقتلها ذوو قرباها كما يفعل الاخرون في العراق بشكل عام . ولا يعترف دينهم بالطلاق ولكن اذا ما وجد الزوج ان زوجته قد اهملت في واجبات الطهارة او أن خطاياها الاخلاقية خطيرة ، يطلب من « الكنزفرة » الافتراق عنها ، ولا يكون بوسعها بعد ذلك ان تتزوج رجلا آخر ، فليس من المنتظر من الشيّب ان تتزوج ثانية لان الدين يقول « مثَل الزوج والزوجة كمثل السماء والارض او كمثل روح واحدة في جسمين » . ومع ذلك فالتطبيق عمليا اسهل بكثير من السنة . واذا ارادت الارملة او المرأة غير العذراء ان تتزوج فهناك كاهن خاص يدعى « أبيسق » يجرى لهما مراسم مختصرة ، ولكن يحرم على اطفال من زيجة كهذه ان يصيروا كهاناً لمدة ثلاثة اجيال .

ويهيء الوالدان الزواج للشباب وتختار العروس لا لغناها بل لانهـا

تنحدر من عائلة صابئية ملائمة . والزواج بين اولاد وبنات العم والخالة هو المعتاد ، ويفضل ابن وابنة العم على ابن وابنة الخالة . ويجب ان تكون الفتاة تامة الخلقة من الناحية البدنية وبخاصة في العوائل الكهنوتية حيث تعنى العاهات الجسدية عدم صلاح للكهنوتية التي تتطلب عدم وجود لطخة عار من دم غريب او من خطيئة في الماضي . وبما ان الفتيات غير محجبات ولديهن فرصة كافية لرؤية الخاطبين في هذا المجتمع الضيّق ، فمن الطبيعي افتراض وجود صوت لهن في هذه المسألة ، ولذلك ليس هناك الحاح على الفتاة اذا ما رأت في الزيجة المطلوبة شيئاً لا ترغب نفسها فيه .

وحالما يتفق على الزواج يحدد المهر ـ يدفع لوالد الفتاة ـ ومتوسط المهر الآن كما يقول احد الكهان يبلغ من ٢٠ ـ ٣٠ دينارا للغني مع وزن حمصة من الزعفران ويعطى الفقراء مهرا حسب قدرتهم وبالاضافة الى هذا يهدى الشاب للفتاة ملابس ومجوهرات . واجور « الكنزفره » والكهان تبلغ حوالي الدينار الواحد فصاعدا(*) . وقد شاهدت عدة اعراس وساصف احدها مقتبسة بعض التفاصيل من الاعراس الاخرى . كان الزوجان فقيرين فوالد الفتاة الذي كانت له عدة بنات كان ممتناً بان يقبل مهراً هزيلاً كان كل ما يستطيع الخطيب ان يقدمه ، وكان عمر العريس « ر » حوالي الثلاثين عاما وكان عمر العروس « ط » حوالي الاثنتى عشرة . ومن المعلوم انه خلال المراسم الدينية لا يذكر الاسم الاعتيادي بل تذكر « الملواشه » ـ الاسم الفلكي ـ وكانت « ملواشة » الزوج هي « مهتم برمماني »

(*) ليس هناك حدود مقررة للمهر وانما يعتمد ذلك على رضا الطرفين وحالتيهما الماليتين وتوهب هذه الحمصة ومن الزعفران مع قليل من الشنان وشيء رمزي من الفضة للام اثناء اجراء طقوس الزواج رمزا لتعهدها الفتاة وتربيتها ويطلق على هذه العملية اسم « حق ربيثه » اي حق التربية ولا تقل الآن اجرة الكهان عن عشرة دنانير .

و « ملواشة » الزوجة « شارت بث مدلل »(*) • ولم يكن العريس غنياً ليشترى مجوهرات فاكتفى ببعض الزينات وحلقات الزواج الضرورية وشيء من العقيق الاحمر والشذر • وتحدث الاساطير ان « هيبل زيوا » حين تزوج « زهرييل » اعطاها ثوباً مرصعا بالاحجار الكريمة ووضع في اصابعها الصغيرة الياقوت والزمرد • واخبرني احدهم ان الملائكة (ملكي) حين يتزوجون نساءهم السماويات يلبسونهن الجواهر والياقيت •

واول تعميد يجب ان يتم في يوم الاحد من الاسبوع وغالباً ما يتم العمادان الاول والثاني في نفس اليوم الا ان عقد المهر محظور في ايام البنجة • والاحتفال الديني الذي اصفه كان مقسوماً الى قسمين ، فقد تم العماد الاول في يوم الاحد آخر ايام البنجة وتم الثاني في يوم الثلاثاء التالي لان اليوم الذي يلى البنجة مباشرة هو يوم غير مبارك (مُبَطّل) • ان اليوم الذي يختار للزواج يجب ان يكون يوماً ميموناً من الناحية الفلكية كما يجب ان يتأكد الكاهن من ان الفتاة ليست قريبة من وقت الحيض •

وفي يوم الاحد ذاك كنت جالسة في ساحة « المندى »(**) حين قدمت العروس يحيط بها الطبالون والمصفقون وتعلو فوق راسها الزغاريد ؛ ونهضت لاستقبل الحفل واوسع لي الجمهور طريقاً لتصوير العروس التي كان يدعمها فتاتان اتنتان واحدة عن يمين واخرى عن يسار • وكانت ملتفة بعباءة بيضاء ووجهها مغطى بخمار حريري اخضر ، وكانت تسير امامها ، مواجهة لها ، فتاة صغيرة تحمل مرآة تنعكس فيها هيئة العروس • ويشار الى المرآة في الاغاني الشعبية الجميلة التي تغنى اثناء الزفة ، وقد كتب لي الشيخ نجم احدى تلك الاغاني وهي تقول :ـ

(*) « مهتم بن ماني » وشارت بنت مدلل •
(**) بيت العبادة والطقوس •

« الهاية ربيشه استارثى
إدْ إدري لي نور اسقيلو
قاهزيت ابكوّ
انات اشفر مني آن ؟ »

وترجمتها :ـ

« يا سيدتي الصغيرة
التي تحمل المرآة من اجلي
هل ترين فيها متنبئة
بانى اكثر تقاوة منها ؟ »

وكان يسير بجانب العروس طفل يحمل مصباحاً ومعه يسير اولاد كثيرون يحملون صواني فوقها شموع موقدة وابريقاً من الماء وعدداً من شدات اغصان الآس والرمان الخضر • وترمز اغصان الرمان الى الحياة والخصب • ويسمى هذا الحفل (زفه) •

دخلت الفتاة ومعها الجميع الى بيت « الكنزفره » لتجتاز اختبارا يجب ان يسبق عماد الاعراس ، وهو ان تقوم امرأتان(*) (زوج الكنزفره وامه عادة) بالتأكد من عذرية الفتاة ، فان لم تكن عذراء صمتت المرأتان ، واذا كان العكس اطلقتا الزغاريد • وكان الحكم على « ط » تصاعد صيحات الفرح والزغاريد تعلن الحقيقة • ولو لم تكن كذلك لاجرى لها « الابسق » مراسم الزواج اذا رضى الزوج بالزواج منها • كانت الغرفة مزدحمة

(*) او اية امرأة صابئية صالحة يعتمد على خبرتها وخلقها وقد تسببت هذه العادة في حدوث كثير من المشاكل والمتاعب للصابئين لعدم امكان توفر الخبرة الكافية لدى غير الطبيب في معرفة انواع البكارة لدى الفتاة ونحن نأمل ان يعتمد الصابئون في المستقبل على الفحص الطبي •

العريس يمسك بـ « نصيفة » الكنزفره
سلة الملابس في حفلة العرس

تماماً حين دخلت ، وكانت مظلمة الا من ضياء الشموع والمصباح الدخاني ، ولكن النساء اللواتي كن يضربن الدفوف تدافعن ليوسعن لي الطريق لرؤية العروس التي كانت كالتمثال في وسط القاعة ، وكان بجانبها صوان محملة بالخضرة والشموع ، كان المصباح وابريق الماء على قرب منها ؛ وكشفوا لي عن وجه الفتاة لارى اقراطها الذهبية المرصعة بالشذر وحلقة انفهـا المشبكة وقلادتها الذهبية ، وخلخالها الفضي والسلاسل التي تزين صدرها وشعرها .

ووصل العريس بنفس الوقت بحلته الجديدة وبرفقة اصحابه الى ساحة « المندى » . والعريس يعامل كما لو كان ملكاً ، ويلزم ان يكون له صاحب عن يمين وآخر عن يسار يعرف كل منهما بـ « امير اليمين وامير الشمال » . ارتدى العريس بمساعدة صاحبيه « الرسته » واخذ مكانه بين النـاس بانتظار التعميد ثم ذهب بدوره الى النهر وتناول المراسم التطهرية مع آخرين(*) . وحين يتم العمادان في يوم واحد يتناول العريس عماديه بعد عمادى العروس(**) (التعميد هنا يتضمن القربان ايضا) . وهكذا يجرى الكهان المعموديات الاربع في وقت واحد وتعطى القرابين بعد ذلك بنفس الاسلوب اي لكل مرتين بالتتالي . وحين يتم عماد العروس تلف بعباءة سوداء(***) فوق « الرسته » وتظل هكذا حزمة سوداء خلال العمادين ولا يجوز لها النطق حتى ولو بكلمة واحدة خلال تلك الفترة وتكون اجاباتها كلها بالاشارات الصامتة(****) . ويعينها في هذه الاحوال امرأتان،

(*) التعميد دائماً انفرادي ما عدا ايام البنجة .

(**) ليس هذا شرطا .

(***) ليس من المفروض دينيا لبس العباءة فوق الملابس الدينية سواء كانت سوداء او ملونة .

(****) يحق للمتعمد ان يتكلم الا في وقت تناول (البهثه) (الخبز المقدس) .

وقد تكفي واحدة ، وتكون امها عادة • ولا تذهب الام معها الى حافة النهر فقط بل وقد تدخل معها الى الماء وحين تخرج من الماء وتدور حـــول « الطريانه » ـ خوان طيني فوقه وعاء من النار المقدسة مع البخور ـ وحول النار وتجلس القرفصاء لتقبل القرابين ، تلقى الام عباءتها حول جسم الفتاة لتسترها وتحفظها من الريح اذا كان الجو بارداً • وعلى العريس والعروس لدى خروجهما من الماء بعد كل عماد ان يدورا حول « الطريانه » ووعاء النار اذا وجد(*) متجهين من الجنوب الى الغرب ومن الغرب الى الشمال ومن الشمال الى الشرق ثم يعودان الى جنوبي « الطريانه » • وبعد انتهاء المعموديات يرتدي كل من العروس والعريس « رسته » جديدة(**) تهيئا للقسم الثاني من المراسم وتبخر العروس بالبخور •

وفي هذه المناسبة التي اصفها عمدت العروس في اليوم الاول العماد الاول ولم اشاهد العماد الثاني لكل منهما ، وكانت الاستعدادات قد اتخذت للعماد الثاني منذ الفجر في بيت العريس حيث اقيمت المراسم التي تتلـو العماد• كنست ساحة الدار ونظفت وحفرت حفر لقوائم كوخ الزواج(***) (انديرونا) بآلة حديدية هي عبارة عن وتد حديدي غير حاد الحافات اذ يجب عدم استعمال الرفش • وقد هيئت جميع الادواق التي استعملت لاقامة الكوخ اثناء الليل وهكـــذا لم يستغرق عمل الكوخ وقتا طويلا • والاعمدة (شباب) يجب ان تكون اثنى عشـــر عموداً كل عمود (شبة) عبارة عن قصبتين فقط (قينه اد نيزه) • وتربط كل قصبتين معا بخوصـــة

(*) وجود وعاء النار في الطريانه اثناء عملية التعميد فرض واجب •

(**) يقصد بالجديدة ملابس دينية جديدة او جافة •

(***) المهم تثبيت القصب في الارض • وفي الوقت الحاضر وساحات البيوت وقاعاتها مبلطة ، يستعمل الصابئون اثافي من الطين مثقوبة تثبت الاعمدة القصبية المطلوبة فيها بدلا من حفر الارض •

من سعف النخيل على ان لا تعقد نهايتاها بل تلفان باتقان وتدسان الى الداخل • وتكون العوارض الافقية اثنتى عشرة عارضة ايضا • والثلاثة السفلى في الجهة الشمالية تقص لتشكل مدخلا • ويجب ان يكون السقف حسب ما اخبرني الكهان ، مقبباً ، الا ان جميع سقوف ما شاهدته من هذه الاكواخ كانت مستوية • ويلقى القصب فوق السقف دونما عد ثم تلقى فوقه كلة بيضاء (او شرشف ابيض) • وعلى جوانب الكوخ تشاهد ازهار طرية وآس اخضر واغصان من جميع انواع الاشجار المتيسرة ، كما تعلق اضافة الى كل ذلك سجاجيد ملونة حول جهات الكوخ(*) •

وكان الكوخ في زواج « ط » مزيناً بالورد القرنفلي العطر وبالآس واوراق البرتقال الطرية التي كان عطرها يكمل عطر الاقحوان والورد •

الا ان هذه الظليلة الصغيرة الجميلة لم تكن للعروس التي لم تطأ قدماها عتبتها قط ولو ان وكيلها فعل ذلك في الوقت المناسب • كانت العروس تجلس طيلة مراسم الزواج على فراش العرس في غرفة الزواج يحجبها عن الانظار سرادق من الموزلين الابيض يتدلى الى الارض من حبال صوفية حمراء وخضراء ، ولا تتخذ العروس الصابئية سريرا ، فمضجعها في العرس هو ذلك الفراش المبسوط على الارض(**) •

جلست امها بجانبها محتفظة بسلطتها الامومية الى اللحظة التي دخل فيها الزوج على عروسه • وبجانب المرأتين المنتظرتين الى الشمال من مضجع العروس وسرادقها كانت صينية الآس والخضروات والشموع الموقدة وابريق الماء والمصباح الذي يصون العروس من قوى الظلام •

(*) ليس تعليق السجاجيد شرطاً دينياً وانما يتخذ ذلك للزينة وللظل •

(**) لا يجوز عقد المهر الا على فراش فوق الارض وبعد ذلك يجوز للعروسين الانتقال الى فراش وثير فوق سرير حسب رغبتهما •

لنعد الآن الى المشهد في الخارج • لقد اقيم في زاوية من زوايا الساحة كوخ من القصب للضيوف من الرجال الذين كانوا يمرحون ويصفقون ويضربون الدفوف ويحتسون القهوة •

وحين دخلت الى الساحة رشّ عليّ ماء الورد وتصاعد البخور من المجمرة ووضع لي كرسي يواجه « الاندرونا » لكي اشاهد المراسم • تفحصت « الاندرونا » فشاهدت ان قاعتها مغطاة بحصير من القش ؛ وقيل لي انه يمكن استعمال البساط والسجادة اذا كانا ابيضين الا ان « البوارى » ـ حصران القصب ـ لا يمكن فرشها في كوخ الزواج لانها كما اوضح احد الكهان مقدسة • وكان في « الانديرونا » ثمان « طريانات » صغيرة ليست بحجم « الطريانات » الاعتيادية المستعملة في الطقوس وكانت مزينة بدوائر مرسومة ذات صليب يقسمها الى اربعة اقسام توجد نقطة في كل قسم منها وهي معدة للزواج فقط •

وصل كاهنان واثنان من المساعدين و « كنزفره » حاملين معهم الادوات والاجهزة الضرورية • وكلما يستعمل هنا يجب ان يغسل في النهر اولا • والاغذية الطقسية التي سنصفها عما قريب في حديثنا عن « زدقه بريخا » يجب ان تكون قد هيئت من قبل الكهان قبل وصولهم • وقد جيء بالطعام على « طريانه » كبيرة مغطاة بقطعة من الخام الابيض الجديد (گداده) طولها حوالي ذراعين بينما كانت « گداده » اخرى بنفس الحجم تلف ابريقا للماء ذا صنبور • ويجب ان لا يكون الابريق من طين ، وقد كان في السابق كما يقولون من ذهب او فضة • والنحاس يعوض عن ذلك في الوقت الحاضر •

ويجب ان يكون مساعد الكاهن « شكنده » دون سن البلوغ ومن ابناء

كاهن(*) او « كنزفره » وكان احدهما قد جلب في اول المراسم في سلة معه ملابس العروس مخلوطة بملابس العريس وحين دنا من باب الكوخ قرع المدخل بالسلة ثلاث مرات بينما قام « الكنزفره » بقرعها بصولجانه (مركته) بنفس الوقت ولكن في القسم الاعلى من الباب وهو ينطق ببركة الحياة على الزوجين • بعد ذلك اعيدت السلة الى البيت • واخذ الكهان مواقفهم في الجهة اليمنى من « الانديرونا » مواجهين الشمال وكان « الكنزفره » في اقصى اليمين ، وقاموا بتفقد « الرسته » قطعة قطعة بدمدمة سريعة ، بينما وقف العريس بجانبهم ينتظر ، وحالما انتهوا فتش « الكنزفره » ملابس العريس ليرى ما اذا كانت « الهميانه » قد عقدت بشكل صحيح وان كل جزء في ملابسه بوضعه المطلوب • بعد ذلك البسه « السكين دوله » واضعاً الحلقة الحديد في خنصره الايمن والسكين الحديد في زناره • وعلى العريس ان يلبس « السكين دوله » ليل نهار الى يوم عماده وتطهره الذي سيتم في يوم احد بعد سبعة ايام على الاقل من دخوله على عرسه(**) •

وخلال هذه المدة التي تسبق التطهر حين يكون هو وعرسه ، غير نظيفين فانهما يكونان معرضين الى هجوم الشياطين والجنيات (ليلث) • وتوضع نهاية طبرشيل (نصيفه) الكنزفره في يد العريس اليمنى بينما ينطق (الكنزفره) بهذه الكلمات :ـ

« اسم الحياة واسم منداد هيى منطوقان عليك يا قابين شيشلام بن ••• لم يذكر لي الكهنة اسم اب شيشلام الى ان تعهدت بعدم افشاء سر هذا

(*) يجوز ان يقوم بهذه المهمة اي صبي او بالغ من بين افراد الصابئين المؤهلين دينيا • وليست الاعمار شرطاً •

(**) تصاحب السكين العريس مدة سبعة ايام وليس شرطا وضعها في اصبعه دائما بل له ان يضعها في جيبه او تحت وسادته او بجانب فراش عرسه •

الاسم ؛ ولم يكن هناك شيء خطير بشأنه فهو اسم من اسماء الحياة العظمى. وينطق قابين قافين ايضا وهو يعنى عريسا . و « شيشلام ربه » هو نموذج مثالي للعرسان . ان لجميع « الملكى والاثرى » كما يقولون ما يقابلهم من الاناث او الزوجات يدعين « اناني » وان قواعد الاقتران الغامض للذكور والاناث هناك تنعكس بكليتها على الزواج البشري .

ارسل « الكنزفره » احد الكهان الى العروس ليتفقد « الرسته » وليسألها رسمياً امام الشهود ما اذا كانت راغبة بالزواج من الرجل ثم ليضع في خنصرها خاتمين يكون ذو الحجر الاحمر في الخنصر الايمن وذو الحجر الاخضر الايسر . وحين لبست العروس الخاتمين صب الكاهن الماء على يديها من الابريق وقدم لها اللوز والزبيب لتأكل وماء من الابريق لتشرب ثم بعد ان قرأ :ـ « اسوثه نهفيلخ » اي مغتفرة خطاياك . التحق بالآخرين في « الانديرونا » واعاد فعل ما قام به .

وعلى عتبة الكوخ كان قد وضع طاق رحى علوى وحين بلغ « الكنزفره » في قراءته من كتاب في يده الى دعاء « قال قاله أَنَتْ » كسر القندلفت (شكنده) الواقف عن يمينه على طاق الرحى مشربة فخارية (تنكه) كان ممسكا بها . وحين انهى « الكنزفره » الدعاء دخل العريس « الانديرونه » وهو لا يزال ممسكا بطبرشيل « الكنزفره » وتبعه الآخرون واخذوا مجالسهم فوق الحصير فيجوانب الكوخ وكان العريس جالسا عن يسار « الكنزفره » . وضعت « الطريانات » الثمان فوق الارض ووضعت « الطريانه » الكبيرة وعليها الطعام المقدس (طبوثه) ملفوفة بـ « الگداده » الى الجنوب منها وامام « الكنزفره » . وكانت كل « طريانه » صغيرة موضوعة فوق حلقة من الطين (كنكانه) . كما كان بجانب « الكنزفره » اناء مد ذراعيه عاريتين فوقه بينما صب عليهما احد الكهان الماء من الابريق . بعد ذلك قام « الكنزفره » برش الماء من الابريق ثلاث مرات داخل الكوخ

وهو يعيد ما قرأه سابقا على العريس ثم فتحت « الگداده » التي كانت تلف « الطريانه » الكبيرة ووضع شيء من كل نوع من الطعـــام المقدس فيها في « الطريانات » الثمان الصغيرة وقام « الكنزفره » ايضا برشها جميعاً بالملح والسمسم • وقد قيل لي ان الملح كان يمثل قوة وخصب العريس • وكانت الصلوات والتبركات لا تنقطع •

احضرت « ٢٦ » من الارغفة المستديرة وهي اصغر حجما من رغيف الخبز الاعتيادي ، على صينية مطهرة ووزعت باحكام بحيث وضع «الكنزفره» كل ثلاثة ارغفة فوق « طريانه » الا انه وضع بين احداها و « الطريانه » الكبيرة رغيفين الواحد فوق الآخر وتسمى هذه الارغفة « فطيرى » تخبزها اسرة العريس بينما يقوم «الكنزفره» نفسه بتحضير الـ« صا » ويضعه مع غيره من الطعـام المقدس فوق « الطريانـه » الكبيرة الملفوفة بـ « الگداده » • و (الصا) عبارة عن خبز ملفوف على هيئة حرز بحيث يمكن دس كسرات من الطعام المقدس فيه •

دخل الى الكوخ وكيل العروس (أب) متخطيا شظايا المشربة وجلس مع الآخرين بعد ان سلم قائلا : « اسوثه نهويلخون » ـ العافية لكم ـ • وسأل « الكنزفره » العريس ما اذا كان راغبا بزواج الفتاة ، ثم حثه بجدية على تطهير نفسه من الخطايا وقد بدأ الخطاب هكذا : (يا مهتم برممانى ••) ثم وجه بعد ذلك خطابه الى « الاب » وسأله كما لو كان يخاطب الفتاة(*) : (يا شارت بث مدلل هل تقبلين مهتم برممانى زوجا) وفي حالة العريس القي السؤال مرتين واجيب عليه مرتين اما في حالة العروس فالقى السؤال ثلاث مرات اشارة الى ان الرجل اكثر رغبة بالزواج من الفتاة وكان اقارب الطرفين جالسين قريبا من باب الكوخ (انديرونا) •

(*) الصحيح هو ان الوكيل يخاطب باعتباره (ابا) للفتاة فيقال له يا (ابا شارت بث مدلل) •

زدقه بريخه الزواج (القربان)

كانت الخطوة التالية الوجبة الطقسية من اجل الميت(*)) فالمفروض ان تشارك ارواح الاسلاف المتوفين اقربائهم في المراسم ، ويعنى ذلك استمرارية العنصـــر ومباركة الزوجين الشـابين . (دعاء الزردشتيين فرا فاشى اثناء الزواج) .

وكان الطعام الذي هيأه الكهان هو :ـ

جوز وبصـل وطرشـانه ـ زبيب ـ وتمر ولوز ـ يسـمى عادة اموزا ـ ولكن في حفلات الزواج يسمى « شغده » . وسمك مشوى بالنار في حطب القصب المطهر(**) و « صا » وهي رقاقة دقيقة من الخبز مستديرة كشكل الحرز ، وملح وقنينة مملوءة بالخمر (همره) . والخمر هنا عبارة عن ماء وضع فيه زبيب او عنب ابيض ـ اذا كان متيسراً ـ وتمر وسحقا بالاصابع وكان الناتج سائلا بني اللون قليلا. ويجب على « الكنزفره » تحضير هذا الخمر في نفس اليوم والا اصبح غير صالح للاستعمال .

جلبت ايضا وصفت حول « الطريانه » الكبيرة كاسات نحاسية صغيرة « كبثه » للشرب ، وانواع من الطعام المقدس والقنينة وطهرت يد وذراع العريس بماء الابريق . وكان يجلس ممدود اليد مبتلها . وضع «الكنزفره» في يد العريس طرف « الصا » وامسك هو بالطرف الآخر متفوها بهذه الكلمات :ـ « قل عليّ اسم الحياة واسم منداد هيى يا قابين ششلام » ، ثم قسمت « الصا » بينهما الى قسمين ، واحد للعروس والآخر للعريس ووضع « الكنزفره » القسمين فوق « الطريانه » الكبيرة بعد ان ادخل فيهما شيئاً قليلا من كل نوع من انواع الطعام المقدس ، فتات من هذا ، وبذرة من ذاك وبضع حباب من اللوز والزبيب . وبعد ان فعل ذلك اعطى العريس

(*) القربان هنا تعبير عن وليمة عرس لا عن وجبة طقسية من اجل الميت .

(**) المهم في هذه العملية هوشى السمك باى وقود كان .

القسم الخاص به مملوءاً بالطعام المقدس وبكثير من اللوز والزبيب فالتقمه العريس مرة واحدة • ثم جاء دور العروس • رفع الاب وكيل الزوجة الابريق ونشر طرفاً من الخام الابيض (گداده) الذي كان يغطى راحة يده اليمنى وتسلم فيه حصة العروس من « الصا » والطعام المقدس • واضطر « الكنزفره » بعد ان امتلأت كلتا يدى « الاب » ان يضع الرغيفين اللذين كانا الواحد فوق الآخر ما بين « الطريانه الكبيرة » واحدى « الطريانات » الصغيرة ، تحت ابط الاب • غادر الاب الكوخ واسقط وهو يمر في ساحة الدار الرغيفين على عتبة غرفة الزيجة قبل ان يخرج ؛ وعندما دخل امر العروس ان تمد يدها وذراعها خارج الكلة وصب عليها الماء من الابريق واعطاها حصتها من « الصا » لتأكل محتفظا ببعض الزبيب لتأكله بعد ذلك وهو يقول لها « هذه المرة بدور العريس » : « كلى هذا ولا تأكلي الا منى » • ومعنى هذه العبارة ان العريس وحده الآن هو المسؤول عن زوجه وانه يطلب الاخلاص منها •

وحين غادر الاب (الانديرونا) شرع الذين كانوا هناك باكل الطعام من فوق « الطريانات » ، ووزع قليل منه على الاقربين في الخارج ، وشرت اوراق الورد والملح فوق الطعام ثم رمى كل ما تبقى في نهاية الاحتفال في النهر • تلت ذلك رموز ساحرة أخاذة ؛ فللدليل على طهارة المرأة جلب صبيان صابوناً ومشطا وشناناً (نبات قلوي يستعمل لغسل الملابس يسمونه قبل تهيئته ، رامث) واعطياه الى « الكنزفره » الذي قام بامراره ثلاث مرات فوق الموائد وهو يقول :ـ « محبب هو العطر ايها الصلاح النافع » • ووضعت ثلاث قطع من الفضة في يد العريس لتجلب له المستقبل السعيد ، ثم جيء بعد ذلك بسلة ملابس رجالية ونسائية تخص الزوجين مغطاة بخمار الزوجة الاخضر الذي تكون قد ازاحته الآن (يجب ان يكون بين الملابس ثوب اخضر هو هدية العريس للعروس) • وضعت السلة امام « الكنزفره »

والعريس وقام « الكنزفره » بتلاوة ثلاثة ادعية فوق السلة (تتلى تسع ادعية اذا كان العريس كاهناً) ثم رفع الخمار الاخضر وزنربه العريس .

جلس العريس على « كنكانه » وظهره يواجه « الكنزفره » حيث البسه هذا اكليلا من الآس ، وهذا لا يشبه الاكليل الاعتيادي لانه يظفر مع خيوط زنار بيضاء ولا ترميه العروس او العريس في نهاية الاحتفال في النهر بل يحتفظان بهما في مكان ما بعناية . وقبل ان يضع « الكنزفره » الاكليل فوق راس العريس يعطره بالزعفران ممزوجاً بالماء .

جلس « الاب » الذي عاد من بيت العروس على « كنكانه » اخرى مواجها العريس بحيث يكون العريس متجها الى الشمال و « الاب » وهو يمثل العروس ، متجها الى الجنوب . ووضع خام ابيض فوق ذراع العريس الايمن (وكان يمسك بطبرشيل الكنزفره بيده اليسرى) ووضع « الاب » في يده اليمنى المغطاة كاسة (كبشه) وكان يحمل في يده المخبأة تحت الطرف الآخر من « الگداده » قنينة صغيرة من الخمر (همره) لصبه في كاسة العريس . قرأ « الكنزفره » صلوات الخمر وعددها سبع وامر الاب وهو يقرأ سبع مرات بقوله :ـ « إشقِ » [اسق] وفي كل مرة كان الاب يصب قليلا من الخمر في كاسة العريس وكان العريس يشرب .

وحالما انتهت صلوات الخمر شرع الواقفون بالتصفيق الموزون وهم ينشدون احدى اغنيات الزواج :ـ (يا طالي زيوا)(*) ترك « الكنزفره » و « الاب » والعريس وهو لا يزال قابضا على طرف الطبرشيل ، الكوخ وتقدموا نحو عتبة غرفة العرس حيث وضع طاق الرحى السفلى وكسرت عليه مشربة اخرى من قبل القندلفت (شكنده) قبل ان تدخل الجماعة . جلس العريس على الارض امام الكلة وظهره الى ظهر العروس واقترب « الكنزفره » من الزوجين بعد ان قام بتلاوة بعض الادعية ودق برفق

(*) يا اشعة النور .

رأسيهما الواحد بالآخر ثلاث مرات بينما اخذ الواقفون دون الالتفات للصلوات بالرقص والغناء واطلاق الزغاريد •

وكانت ام الفتاة لا تزال تجلس بجانب ابنتها فوق فراش العرس •

وضع اخيرا اكليل العروس على رأسها معطرا بالزعفران ، وسقاها الاب خمرا لتشرب سبع مرات ، ونثر فوق الكلة اوراق الورد ومسحوق السكر واللوز واشعل البخور في المجمرة بينما استأنفت النساء اطلاق الزغاريد •

استمر « الكنزفره » وعيناه مثبتتان في كتابه على القراءة او بالاحرى على ترتيل اغاني الزواج من ديوان « القلسته » • وقد ترجم لي احدهم احداها وساعتمد تفسيره ما دام ينقصني النص • تقول الاغنية ان العروس جالسة في ظل نخلة تروح على سيدها وتقول : لن اوقظه اذا كان نائما ، وهكذا تنتهي ؛ وهذه الاغاني موزونة ومكتوبة بشكل غنائي وتقرب لغتها من لغة « الرطنه » (اللغة العامية الصابئية) •

حث « الكنزفره » الزوج على ان يحافظ على زوجه وان لا يتركها فريسة للحاجة وان يربي اطفاله على العقيدة الصحيحة •

بعد ذلك غادر الكهان والعريس غرفة العرس والعريس لا يزال ممسكا بالطبرشيل ، وعادوا الى الكوخ حيث استمرت القراءات النهائية فوق راس العريس وهو يجلس فوق الحلقة الطينية جلسة غير مريحة • واخيرا قام « الكنزفره » بامرار صولجانه (مرگنه) فوق راس العريس ثلاث مرات (وبهذا اصبح غير طاهر وارخى قبضته من الطبرشيل) وانتهت بذلك مراسيم الزواج •

ولا يمكن للعريس ان يقرب زوجه الا في ساعة فلكية ملائمة ، و « الكنزفره » يكشف طالع الزوجين فاذا ظهر ان الساعة غير ملائمة يقوم

بحسابات اخرى في الساعات الست التالية .

وبانتهاء حفلة الزواج يمنع التماس مع الزوجين كما يجب على العروس ان تعزل نفسها عن الآخرين كما هي الحال في الولادة . وعليها ان لا تخرج من البيت الا حين تذهب هي وزوجها للعماد مصطحبين ادواتهما البيتية والاواني التي استعملاها . ويجب ان تقام « زدقه بريخه » باسم الزوجين الشابين حالما تتم طهارتهما .

ان التفاصيل والمراسم تختلف قليلا في حفلات الزواج المتعددة التي شاهدتها غير ان ما ذكرت آنفا يغطي جميع الخواص الضرورية المطلوبة لهذه المراسم .

ـ الفصل السادس ـ

الخليقة والتنجيم والاعياد

يأتي ذكر تكوين العالم لا اقل من سبع مرات في كتاب « كنزه ربه » مع بعض الاختلاف في هذا الذكر . فالكائن الاعلى يسمى باسماء متنوعة فهو ملك النور « ملكه دنهورا » ورب العظمة (مار ادربوثا) والروح العظمى (مانه ربه[1]) . وهو الكائن الذي انبعثت منه الحياة الاولى ثم الحياة الثانية . وفي احد الاقسام يظهر الكائن الاعلى باسم « الحياة العظمى » وهو يخلق « مانه » و « پيره ربه » ـ الفاكهة العظمى ـ ... فهل ان هذه الاسماء كنى والقاب ام انها تصورات منفردة ؟ معروض ذلك للبحث . ونرى في احد الاقسام ان « الحي » في عالم الانوار يخلق اول ما يخلق الماء ومن الماء النور ومن النور الضياء ومن الضياء الارواح (اثرى)[2] ووظيفتها السيطرة على الظواهر الطبيعية .

ويوجد بالمثل في عملية التكوين مساعدون او وكلاؤهم : « هيل زيوا »[3] و « اباثر »[4] و « بثاهيل »[5] . وتختلف ادوارهم وصفاتهم . ففي القسم الاول يظهر جبريل كوكيل وحيد ، وفي القسم الثاني ينشىء « هيل زيوا » عالم النور الا ان « بثاهيل » يقوم بعملية خلق العالم الطبيعي الحقيقي . وفي القسم الثالث يطابق « بثاهيل » « جبريل » ويصنع العالم بمساعدة الكواكب الا انه لا يقدر على خلق الروح في الانسان . اما من يضع الروح في ادم فهو « اداكاس زيوا » او « آدم كسيا » او « منداد هيى » . وفي القسم العاشر يظهر « بثاهيل » ، الخالق الحقيقي ـ ويسمى هنا ابن منداد هيى ـ اما « اباثر » فيجلب الروح « مانه كسيه » لآدم ، لان الذي خلقه « بثاهيل »

لا يستطيع ان ينتصب • وفي القسم الثالث عشر كما في « ديوان اباثر » ، الذي تجد فيه قصة الخليقة ايضا ، يامر « اباثر » ، « ابثاهيل » بخلق العالم ، وحين يفشل يدعى « هيبل زيوا » ليتم له الواجب • وهنا يعامل « هيبل زيوا » و « اباثر » ككائنين مختلفين • ولا يظهر اى من هـــذه الشخوص في القسم الخامس عشر •

وتجد في حساب الصابئين لعمر العالم وللحقب الزمنية تناقضاً ايضاً • ففي احد حساباتهم تجد ان «الملكى» حسبوا وجود العالم بالحقب والعصور : « فمن آدم الى نهاية العالم ٤٨٠ر٠٠٠ سنة ، وتحكم كل حقبة من هـــذه الحقب احدى علامات البروج • فالحمل (انبره) فترته ١٢٠٠٠ سنة وفترة الثور (تورا) ١١٠٠٠ سنة وفترة الميزان (صلمى او صيلميا) ١٠٠٠٠ سنة • ويستمر الحساب على هذا المنوال[٦] • وفيما يلى علامات البروج وقيمتها العددية :ـ

البرج	القيمة العددية
انبارا (السنه الجديدة) الحمل او الكبش	١
تورا (الثور)	٢
صيلميا (الميزان)	٣
سَرْطانه (السرطان)	٤
أريه (الاسد)	٥
شُمْبُلتا (السنبلة)	٦
قَينه (القصب)	٧
أَرْقَبه (العقرب)	٨
هَطْيَه (الفرس)	٩
كَدْيَه (الجدى)	١٠
دَولَه (الجمل او الدلو)	١١
نُونَه (السمك)	١٢

ويحكم احد الكواكب في كل يوم من الايام • ويقسم اليوم الى قسمين ليل ونهار وكل قسم باثنتى عشرة ساعة • كما يتحكم ملائكة (ملكى) معينون بالايام ، ومن هنا تكون لهم صفات فلكية ؛ فيوم الاحد مثلا الذي تتحكم به الشمس (شامش) يرتبط ايضا بتجسيد « هبشبه »[٧] اول ايام الاسبوع وهو ملك يطابق احياناً بالارواح المنقذة ، فهو « ينقل الارواح الطاهرة في فلكه الى « اباثر » والى عالم النور • وتكون بوابة عالم النور مفتوحة في ذلك اليوم ، و « هبشبه » « هوشابه » ياخذ الارواح الى وسط عالم الانوار » •

وقد قيل لي بان « هوشابه » يهبط الى المطهر (مطراثه) في يوم الاحد ثم يعود بسبع ارواح « منداثية » الى عالم النور • ان « عجلات النور تدور في هذا اليوم بسهولة اكثر وهذا يساعد الارواح في صعودها » • وهذه القصة تقوم على اساس صلاة الاحد وهي بمفهوم دوران عجلة •

ان الكتابات المحفوظة لدى الكهان لا تصف الجوانب الفلكية للايام يوماً يوماً فقط ، بل وساعة ساعة ، بحيث يمكن تدبير شؤون الحياة بنجاح • استمع الى بعضهم يقول :ـ

« يوم الاحد تعود الساعة الاولى الى « شامش » وهي ساعة ملائمة (شپير) للشروع ببناء بيت جديد وللسفر ولارتداء ملابس جديدة واكل الخبز ومقابلة الملوك والحكام ولشرب الشراب وللبيع والشراء • وتعود الساعة الثانية الى الزهرة (ليبات) وعليك فيها ان تمكث في مدينتك وان تكون مع زوجك وان تأكل خبزاً جديداً وتركب الخيل وتستشير الاطباء الخ ••• » •

وليست كل ساعات يوم الاحد صالحة ففي الساعة السادسة ليلاً من يوم الاحد مثلاً يمكن ان يقع مسافر في قبضة اللصوص لان مارس (نيرغ)

يتحكم في تلك الساعة بالرغم من ان الصورة العامة ليوم الاحد مشرقة . ويوم الاثنين (ترين هبشبه) يتحكم به القمر (سين) . ويتحكم بيوم الثلاثاء (كلاثه هبشبه) مارس (نيرغ) ، ويوم الاربعاء (اربه هبشبه) يتحكم به « انبو » . ويتحكم بيوم الخميس « همشه هبشبه » « بيل » ؛ ويتحكم بالخميس ايضاً في الفترة من الصباح حتى ظهر الجمعة « ملكه زيوا » حيث تكون السلطة بعد ذلك للزهرة . والجمعة (يوم درهاطى) هو يوم الزهرة ، ويوم السبت (يوم ادشفته) هو يوم « كيوان » .

والمفروض فيما بعد الظهر من يوم الجمعة وليلته ان يكونا اوقات نحس وتحت نفوذ ملك الظلام بصورة عامة . وبالرغم من اعتبار كتاب « كنزه ربه » الكواكب[٨] كائنات مضرة للجنس البشري فان الفكر الصابئي المعاصر والتعزيم تعزو لبعضها منافع وللبعض الاخر اضراراً .

فالشمس (شامش)[٩] الذي يسير كسائر الارواح الفلكية في دورته عبر الفلك (انظر الشكل) كوكب ودى ؛ واعتباره قوة للخير لا للشر واضح على الاغلب في كتب الصابئين . واكثر من ذلك فلدى الصابئين سنة شمسية واعداد شمسية مقدسة . ويدخل قرص الشمس في رسم الحروف الابجدية (انظر الفصل ١٤) ويظهر « شامش » مطابقاً ل « ياور زيوا » ، والصلوات له ذات صفة شمسية . والتقاليد تعين له بحارة من سبعة « اثرى » نورانيين ولو ان الصورة في ديوان « اباثر » لا تحتوى الا على اربعة شخوص يقفون بجانب « شامش » في زورق الشمس . ويعطى الصابئون اسماء مختلفة لهؤلاء البحارة وانا اميل الى الاعتقاد بانهم كانوا بالاصل اثنى عشر يمثلون ساعات النهار الاثنتى عشرة . وقد اخبرني احد الكهان بان اسماءهم هي :ـ « زهير وزهرون وبهير وبهرون وتار وتاروان وار وسفيان ورابيه وطاليه » . وكان الشك ظاهراً على « الكنزفره » حين اعطاني قائمته وكانت كما يلي :ـ « سام زيوه وادوناى برشامش وليوات (ليبات)

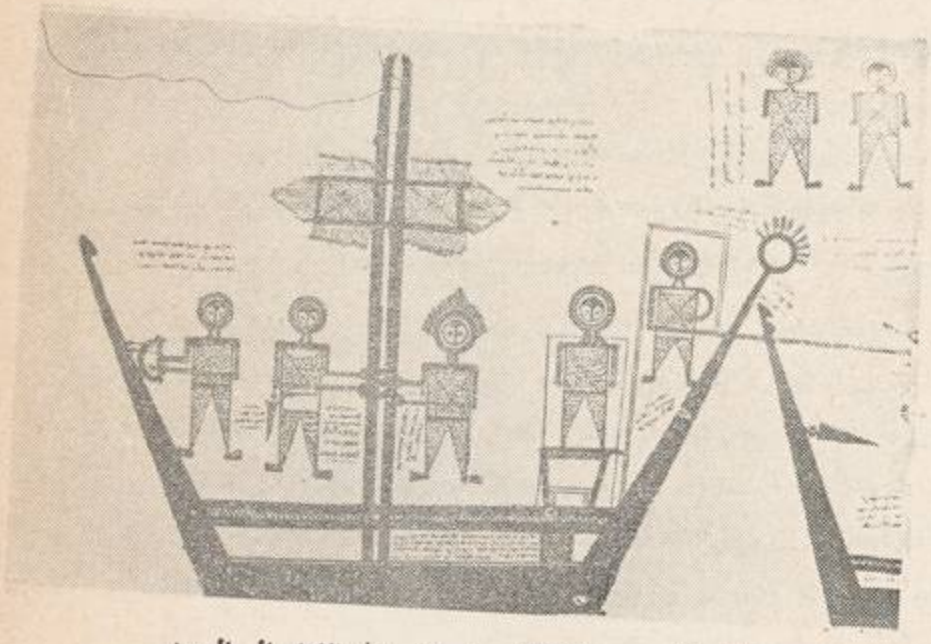

فلك الشمس وتشاهد « ليبات » في الاعلى الى اليمين

ـ واسماؤها الاخرى هي سيمات هيى ، وكانات وأزلات وانهر وسـمره وازفار » .

وفيما يلي اقتطف قول « يلوفه »(*) من عائلة مثقفة ثقافة كهنوتية حيث قال ان ضياء راية الشمس يأتى من الارواح النورانية (اثرى) الاربعة في النجم القطبي :

« من الاربعة هؤلاء تاتى قوة وضياء الشمس ، وهكذا فالشمس تستمد ضوءها وقوتها من « ملكه زيوا » وتماما كما تعكس المرآة الصورة ، تعكس الشمس « ملكه زيوا » . و « شامش » سيد جميع ملائكة الدنيا المادية . وتستطيع الروح النقية ان تسمع صلواته ، فهو يصلى ثلاث مرات يوميا ويتلو ما مجموعه (٣٠٠) دعاء (بوثه) بينما تصلى النجوم الشمالية (اثنتى عشرة) صلاة ، وتصلى سائر النجوم سبع صلوات يومياً .

ومع شامش عشر ارواح للقوة والاشراق وهي ترى ما يصنع كل واحد في العالم ولا يغيب عن نواظرها شيء . ويركب مع « شامش » في زورقه ثلاثة آخرون احدهم يمثل الظلام والاثنان الآخران نورانيان هما « سام مانا » و « سميرا » . وبوسع حديد البصرو « الناصورائي » ان يرى ذلك احيانا ـ ان يرى احدهم وهو في فلك الشمس ممسكا بالعلم (درفشه) المضيء تحيطه ثلاث دوائر ضوئية . وملك الظلام الذي يكون مع الشمس مسؤول عن الضرر الذي تحدثه اشعة الشمس احياناً ويسمى « ادونای » ومن عينيه تندلع اشعة تلفح وتحرق ويسبب تطلعه الزوابع الهوائية » .

غير ان المشع في « شامش » هو العلم (درفشه) الذي يرسل اشعة نافعة ويهب النور والحياة . وقد يفلح ملك الظلام احيانا بوضع شيء ما امام العلم وهذا ما يسبب الكسوف . ويعمل الملكان « سام مانا » و « سميرا » على دفع النتائج الضارة لملك الظلام .

(*) يلوفه تعنى صابئياً مثقفاً ثقافة دينية بلا درجة كهونية .

وتسمى الارواح « اثرى » التي مع الشمس زهير وزهرون وبهير وبهرون وسار وسروان وتار وتروان ورابيا وطاليا • ولا يعمل هؤلاء مع الشمس فقط بل ويقدمون الى القمر ايضا • فهم يكونون مع القمر جميعا في الليلة الرابعة عشر ، والضياء الذي يمنحونه له هو اشراق «ملكه دنهورا» وليس اشراق « ملكه زيوا » فضياء هذا الاخير يشابه ضياء الشمس فوق الافق عند الظهيرة • وهم يقدمون الى القمر بالتدريج ويغادرونه بالتدريج ايضا وحين يغادره آخرهم يكون لملك الظلام (ملكه دهشوخا) وللجن سلطان لألحاق الاذى •

« وللشمس جانب انثوى ليس بزوجة ، بل متمم وشبيه (دموثه) • انها ام جميع الملائكة (ملكى) واقرب الشبه بالانثى ، وحسبما اعتقد فان الشمس في شكلها هذا (الشكل الانثوى) تابعة الى « ملكه زيوا » ومنها ينبثق العالم واسمها ـ سيمات هيّى ـ » •

ويظهر القمر (سين) باعتباره ذا تأثير منحوس نوعا ما يقول اليلوفا :ـ

« ان وجه القمر (سين) يشبه وجه قطة ، وهو حيواني المظهر اسوده ، بينما يشبه وجه الشمس (شامش) عجلة من نور • ويستقل السفينة مع القمر ملك الظلام ايضاً وهو يجر الناس ا لىما هو ارضي بليد ، نحو الشر والظلمة • انه يفعل ذلك كما ينبغى له ، بالرغم من انه يعبد الله الذي خلقه ، اذ لابد ان يكون هناك ظلام ونور وليل ونهار • لقد امره بذلك « رب العظمة » الذي له آلاف الاسماء والذي خلق جميع الكائنات ، مرئية وغير مرئية في هذا الكون المخلوق •

ان الارواح النورانية في القمر تحول بينه هو وملك الظلام ، وبين تضليل ابناء البشر ، فبتأثير هذين الاثنين يأتى الناس باعمال معيبة يخجلون من الاتيان بها نهاراً • ولو التأثير المعاكس لأولئك العشرة (اثرى) لاختفى

الحس الخلقي لدى الناس • غير ان ملك الظلام يعجز من ان يؤذى رجلاً يسيطر على نفسه وله ايمان ثابت • فيجب على المرء ان لا يخامره الشك وان يكون ذا ايمان وطهارة متينين اذ بهذا يشاهد « الملكى » ويقدر على الاتصال بـ « شامش » وعليه الا يقول :ـ « لا يوجد بل يوجد » ؛ فالمرأ حين يقول ان الله غير موجود فهو واقع تحت سيطرة ملك الظلام بصورة مطلقة ومن الخطر مجالسة ومصاحبة مثل هذا الشخص » •

وفي كتاب « ديوان اباثر » تظهر دفة زورق القمر مزينة بالاغصان المورقة (انظر الشكل) غير ان القمر الذي يعتبر مسؤولاً عن الاجهاض والعاهات هو نفسه مرسوم بشكل مشوهٍ •

وينظر للزهرة (ليبات اودلبات) نظرة اكثر وداً • وصيغة الاسم غريبة فالصيغة السومرية ـ البابلية « دل ـ بات » كما يرى پالس Pallis (دراسات مندائية ص٣٦) كانت مهملة في الفترة التي جمعت فيها المخطوطات الصابئية•وهو يظن بان النساخين حين استنسخوا الوثائق الاولى اعتبروا «الدال» اداة اضافة وليست من اصل الاسم، ثم حذفت نهائياً لعدم ضرورتها•وتأتي في كتاب « كنزه ربه » فقرة تصف مطهراً (مطرانه) فيه أولئك الذين يذهبون الى بيت « تموز » ـ ادونيس ـ حيث يقيمون هنالك ثمانية وعشرين يوماً « يجزرون الاغنام ويمزجون الكؤوس ويعملون الخبز ويندبون في بيت دلبات » • وهناك اشارات اخرى في « الكنزه » باسم « دلبات » •

والزورق الفلكي الصغير خلف زورق « شامش » مباشرة في تصاوير « ديوان اباثر » يعود كما يقال الى « ليبات » وتحت احد الشخوص فوقه مكتوب : « هذه شبيهة ليبات وهي جالسة فوق جبل شامش ولها سبعة اسماء » • وكثيرا ما تذكر « ليبات » في عمل الرقى ، ووظيفتها الخاصة ان تساعد في شؤون الحب والتناسل وتنبيء عن المجهول • اما عن علاقتها

ب « زهريل » زوج « هيل زيوا » المسؤولة عن المحافظة على الوالدات من النساء فلا ينظر اليها بمقت .

وينظر الاتقياء من الصابئين الى عمل الرقى باسمها ، نظرة تجهم واستنكار ، ومع ذلك فتعويذة الزهرة التي املكها قد كتبها لي احد الكهان . لقد طلب الى « ليبات » ان « تجعل وجهي متألقاً جميلاً » ، وليكن المتضرع والمحبوب متأججين بالرغبة ، وان يكون قلباهما مفعمين بالحب الاعمى وبالرغبة الجامحة ؛ سوف لا ياكلان ولا يشربان حتى يمتلك احدهما الآخر » .

ومارس (نيرغ) هو رب السحاب والرعد الذي « يصنع المطر ويسحب بالاشتراك مع « شامش » الماء من الارض والسماء . والاسم « نيرغ » مشتق من اسم الاله البابلي « نيرغ[١٠] ـ آل » . ويرى « پالس » (دراسات مندائية ص ٣٦) بان النساخين حذفوا « آل » أو « إيل » لان ذلك نهاية تلحق عادة بمن اصلهم إلهي . والصابئون ينظرون الى « نيرغ » كملك صفته الحرب وسجيته حب الخصام . وجوبيتر (المشترى) ـ بل اوبيل ـ نادرا ما يذكر ما عدا في التعويذ عن شياطين المرض امثال حسد العين (بشره اد أينه) . ومن المحتمل ان واجباته قد تولاها « ياور زيوا » و « هيل زيوا » و « ملكه زيوا » .

وعطارد « انبو » او « انوو » هو رب الكتابة والكتب ورب الحكمة والمعرفة . ولا يظهر زحل (كيوان) الا قليلا في الرقى ما عدا الدواوين الطلسمية حيث تكتب « القماهه » باسمه لتشفى من الجنون . ولكل ساعة وكل شهر برج او بيت فلكي ، ويقسم اليوم كما ذكرنا سالفاً الى قسمين كل قسم باثنتي عشرة ساعة للنهار ومثلها لليل . وهذا يوصلني الى مسالة الاسماء التي تعتمد على قيمة البروج العددية كما مر سالفاً .

ولكل صابئي اسمان ، اسم فلكي (ملواشه) واسم دنيوي . والاخير في العادة اسم عربي يستعمل بالحاجات اليومية اما الاسم الاول فهو اسم الشخص الحقيقي والروحي ويستعمل في جميع المناسبات الدينية والطقسية. وينسب هذا الاسم الروحي الى الام عوضا عن الاب موحياً الى فترة كانت فيها السيادة للانثى .

والاسم الديني ذو اهمية عظمى ، فلو حدث ان غرق احدهم او احترق ولم يعثر على جثته يفتش عن شخص حي تشبه احواله (الروحية) على قدر الامكان ، احوال الفقيد ويحمل اسما يقع ضمن نفس دائرة النفوذ الفلكية ليقوم بتمثيل الفقيد حين اجراء الصدقة المباركة (زدقه بريخا) التي يكفر بموجبها عن نقص في طقوس الموت والدفن . كما ان الشخص المختار لينوب عن طفل عاجز بذاته عن الاجابة في عملية التعميد يلزم ان تكون له ظروف فلكية مشابهة لظروف الطفل وبهذا يكون اسمه واقعاً في نفس المرتبة من الاسماء .

ولكل « ملواشه » قيمة عددية عرفية وليس للحروف قيمة عددية كما هي الحال في الحروف العبرية والسريانية والعربية ، بالنسبة للكهان الذين يحتفظون بقوائم لهذه الاسماء ويقترحون من بينها واحدا على الوالدين بعد ان يقوموا بحساباتهم . ولا تطلق الاسماء دائماً ماخوذة من الشخوص الدينية او من الكتب المقدسة فقط ، فبين الاسماء الفلكية اسماء مثل ياسمن (ياسمين) . واعترف بعجزي عن اكتشاف سبب اختيار هذه الاسماء أو سبب وجود قيمها العددية(*) .

وحيث يبحث عن اسم الطفل ياخذ الكاهن علامة البرج للشهر الذي حصلت فيه الولادة ومنه يبدأ حسابه حول دائرة البروج ، فيحسب علامة الساعة ولا تدخل في هذا الحساب علامة اليوم . ومن القيمة العددية الناتجة

(*) انظر الملحق في هذا الكتاب .

تطرح القيمة العددية لاسم الام .

فمثلا اذا ولد طفل ذكر في الساعة الحادية عشرة من شهر « اول گيطه » عام ١٩٣٥ في ٤ شباط وكان اسم امه الفلكي شارت (قيمته العددية ٢) وعلامة « اول گيطه » هو الاسد (أريه) ، يبدأ الحساب من اريه في الدائرة الفلكية مسقطين « اريه » من الحساب ثم نحسب احد عشر على قدر الساعات ، تنتهي بالسرطان وقيمته العددية ٤ . يطرح من هذا العدد عدد ارقام الام وقدره (٢) فالباقي اثنان ؛ ان الاسم الذي يختار للطفل هو اذاً زهرون وهو احد الاسماء التي تقع في مرتبة القيمة العددية (٢) . وهكذا فاسم (ملواشه) الطفل هو « زهرون برشارت » . ويسترشد الكهان في جميع المعلومات الفلكية بالكتاب الفلكي « اسفر ملواشه » -سفر البروج- . ويقول الصابئون ان « هيل زيوا » اعطاه لآدم ليكون قادراً به على التنبوء بما سيحدث .

والتنبوء بحوادث المستقبل ليس مقتصرا على الكهان الذين يتفرسون في السماء والغيوم والطيور ، ويفسرون ظواهر الخسوف والكسوف ، بل انه هبة طبيعية في رؤية الاشياء الخفية تختص بها بعض الاسر الكهنوتية .

وتقرر اكثر الحوادث الرئيسية في حياة الصابئين بالالتجوء الى الكهان الذين يخبرونهم عن اليوم السعيد للزواج او عن وقت ارسال الوليد الى المدرسة او الشروع في عمل جديد او التهيؤ للسفر . وفي حالات المرض تقع الوصفات والاعشاب تحت تأثير كواكب معينة في البروج ، ويجب على المرء ان لا يتناول من العلاج والدواء الا ما يعود الى العلامة التي سقط مريضاً تحت تاثيرها ، اي الساعة التي مرض فيها . والصابئون على العموم يرفضون تناول الدواء شرباً حتى ولو راجعوا طبيباً ، الا انهم يؤمنون بالادهان ولا يعترضون على تناول الحقن العضلية او الجلدية ؛ وتثير الطائفة مشاكل للدوائر الصحية ، فخلال انتشار وباء الكوليرا صدر امر حكومي

منع الناس بموجبه من شرب اي شيء عدا الماء المعقم بالكلور من الاسالة ـ ماء المدينة ـ وكان من غير الممكن تطبيق هذا البيان على الصابئين لان الماء الوحيد الذي يعتبر لديهم ماء « حياً » هو « اليردنه » اي ماء النهر الجاري او ماء العيون ، فالماء المغلى أو المعقم بالكلور قد فقد « حيويته » ولهذا فهم لا يشربونه(*) .

واذا سقط احدهم مريضاً في اليوم الحادى والعشرين من اى شهر فامله في الشفاء قليل ، لان ذلك يوم يتحكم فيه الجن (شفياهي) . واليوم الخامس عشر من كل شهر غير مناسب ايضاً . وكثير منهم يلبس تعويذة (قماهه) خاصة تدعى « شلفته اد مهره » تقيه من المرض في ذلك اليوم .

واخبرني احدهم انه خلال هذين اليومين :ـ

« خير للمرء ان يمكث في بيته وان لا يتعاطى اي عمل . فالملابس الجديدة لا تشترى ولا يشرع بالسفر ومن الخطر تعاطى التجارة وركوب السفن . واذا ما مرض احد في هذين اليومين فمن المتوقع موته ما لم ينزف انفه فاذا حدث ذلك فسيشفى ولكن يجب ان يكون النزيف ذاتياً لا مصطنعاً . ويجب على المرء ان يكون في هذين اليومين طاهراً ، فالطهارة تصون المرء وتجعله نقياً وتكسوه بالنور بحيث لا تقدر الشياطين على الاقتراب منه » .

وتقسم السنة(١١) لدى الصابئين الى اثنى عشر شهرا ، ولكل شهر ثلاثون يوما، مع خمسة ايام كبيسة تسمى « پروانايا » وتلفظ احيانا « برانويا » او « البنجه » وهي تقع بين الثلاثين من شهر « شمبلته » واليوم الاول من شهر « قينه » . وتقسم هذه الاشهر الاثنا عشر الى اربعة فصول :ـ الشتاء

(*) يصدق هذا على فئة الكهان والرجال المتعبدين من الصابئين في الوقت الحاضر . كما انهم يحللون شرب الماء المغلى بعد ان يبرد .

(ستوه) والربيع (أبهار) والصيف (گيطه) والخريف (پايز) • وقد فقدت هذه الفصول علاقاتها بالتبدلات الفصلية الحقيقية من حر وبرد • وكل فصل يوزع الى ثلاثة اقسام الاول والوسط والاخير (اول وميصاى وأخيراو خير) • وتطلق على هذه الاشهر اسماء اخرى ايضا هي :ـ نيسان، ايار ، سيوان الخ ••• ولكن لا علاقة لها بالفصل الذي تعود اليه كما تعود مثيلاتها من نفس المسميات اليهودية او التركية ، واليك اسماء الاشهر :ـ

الشهر الاول	اول ستوا	قام(*) دوله	شباط
الشهر الثاني	ميصاى ستوا	قام نونه	آذار
الشهر الثالث	خيرستوا	قام اماره	نيسان
الشهر الرابع	اول ابهار	قام تورا	أيار
الشهر الخامس	ميصاى ابهار	قام صلمى	سيوان
الشهر السادس	خيرابهار	قام سرطانه	تموز
الشهر السابع	اول گيطة	قام اريا	آب
الشهر الثامن	ميصاى گيطه	قام شمبلتا	ايلول
الشهر التاسع	خير گيطه	قام قينا	تشرين
الشهر العاشر	اول بايز	قام ارقبه	مشروان
الشهر الحادي عشر	ميصاى بايز	قام هطيه	كانون
الشهر الثاني عشر	خير بايز	قام گديه	طابت (طابث)

وتسمى كل سنة باسم اليوم الذي تبدأ فيه من الاسبوع فسنة « هبشبه » اي سنة يوم الاحد ، وسنة « ارهاطى » اي سنة يوم الجمعة • فمثلا انا اكتب الآن في ٢٩/ كانون الثاني من عام ١٩٣٥ وهو يقابل لدى الصابئين الخامس والعشرين من « سرطانه » او « تموز » (خير ابهار)

(*) قام دوله اي برج الدلو ••• الخ •

الشهر السادس من سنة الاربعـــاء (اربه هبشبه) • وحســابه هكذا : « الخامس والعشرين من تموز آخر الربيع الشهر السادس من سنة يـوم الاربعاء » • وسنرى ان التقويم مضطرب لديهم بعض الشيء •

ان اول يوم في السنة الجديدة الصابئية الحالية صادف الثامن من آب اغسطس عام ١٩٣٥ في منتصف حرارة الصيف (قام دوله) وهو في التقويم اول شهر من اشهر الشتاء(*) • ان الارتباك في الاوقات والفصول واضـح وسبب ذلك يعود بوضوح الى ان التقويم لا يحسب لربع اليوم في السـنة اي حساب وهو ما يجب ان يضاف الى السنة الشمسية لتتفق الاوقات مـع الفصـول(١٢) •

والاسم الذي يطلق على عيد راس السنة هو اسم « دَهفه ربـه » ويعتقد ليدز بارسكي بان اصل معنى كلمة « دهفه » هو الذبح، الا ان كهان الصابئين يميلون الى اشتقاق الكلمة من معنى الذهب « دهبه » لان الجزر والذبح محرم في اكثر ايام هذا العيد وبخاصة في اول يوم من السـنة الجديدة • ويستعمل الصابئون ايضا الاسم الفارسي « نوروز ربه » ويطلق على ايام الاحتفال المهيب في كتاب « الف ترسرشياله » • واخر يوم من السنة يسمى (كنشي وزهلي)(١٣) • وفي هذا اليوم تذبح الجزور من الكبوش والفراخ لتخزن غذاءً ، وفيه يخبز الخبز ويحفظ داخل البيت ، كما تصنع الفطائر (منقوشا عليها علامة(**) صليب)(١٤) • ويطهر التمر والخضر بعناية وتحفظ داخل البيت لئلا تتلوث ، كما يجلب الماء في الاواني من النهر مما يكفي لحاجة ست وثلاثين ساعة • ومن صباح ذلك اليوم الى مسائه يقوم الكهان بتعميد الراغبين • كما يجب ان تقاد المواشي والدواجن

(*) اول ستوا •

(**) ان نقش علامة الصليب او ما يشبه الصليب على الفطائر ليست من صلب الدين انما هي عادة مأخوذة من المحيط •

قبل غروب الشمس وتؤمن لدى المجاورين من غير الصابئين • ففي الساعات الست والثلاثين القادمة يجب على الصابئين ان لا يمسوا المواشي او يحلبوها• وقبل ان تغرب الشمس بخمس دقائق تقريباً يغتسل افراد الطائفة رجالاً ونساء كباراً وصغاراً بالارتماس في النهر (طماشه) ثلاث مرات ، وتطلق النساء الزغاريد ويعود الجميع الى بيوتهم حيث يجب ان يمكثوا هنـــاك ولا يخرجون لاي غرض • ففي هذه الساعات الست والثلاثين ، اى من الليلة التي تسبق يوم راس الســنة ويدعى (يوم الحاجات) ويوم راس الســنة نفســه والليلة التي تليه ، خلال هـــذه الساعات تخرج الارواح الحارسة من البيت ملبية دعوة الطبيعة • ويقول الكهان ان هذا امر في غاية الخطورة ولذا يجب اتخاذ الاجراءات اللازمة داخل البيت اثناءه • وعـلى الصابئي ان يظل ساهراً طيلة هذه الساعات وان لا تغمض له عين ، ولكن يسمح للاطفال بالنوم لتعذر منعهم من ذلك • وفي يوم رأس السنة (يوم الحاجات) لا تجرى اية طقوس دينية ، فاذا صادف ان حضرت احدهـم المنية خلال هذه الساعات يؤجل دفنه ويغسل بالماء المختزن في البيت ويلبس الملابس الدينية (رسته) • وحين يلفظ آخر انفاسه يغطى بالخام الابيض ويترك على حاله الى فجر اليوم الثاني من السنة الجديدة حيث يمكن دفنه حسب المراسم المعتادة • وتعتبر الوفاة في مثل هذه الظروف كارثة بالنسبة لروح الميت ولذلك تقـــام من اجله في ايـام البنجـه « زدقه ـ بريخا » و « مسخثه » ـ غفران ـ تكفيراً وطلباً للرحمة والغفران (انظر الفصل ١٢)•

ولا يظل الكهان عاطلين اثناء سهرهم في العيد بل يسترشدون بكتـاب « اسفر ملواشه » للتنبوء بحوادث السنة الجديدة ، عن مناخها لذلك العام ، أحسن هو ام سيء ، وعن الكوارث والازمات وعددها • ويبقى افراد العامة يقظين يلعبون الالعاب ويقصون الحكايات • واذا ما مس طعامهم او شرابهم حيوان او طير او زاحفة او نحلة منع تناوله ، اما اذا عض احدهم كلب او

افعى او لسعته نحلة فيجب ان يتناول ستين عماداً • ومن المحتمل انه كانت هناك بعض التعليمات حول النجاسات الصغرى ايضا ، فقد قيل لي ان الاتقياء من الصابئين يقبعون خلال تلك الساعات في بيوت من القصب تغطيهم الكلل بصورة تامة •

ان الاسباب التي تقدم تبريراً لهذه التحفظات ضد النجاسة هي ان يوم راس السنة هو ذكرى يوم الخليقة لان « مانا ربه كبيره » ـ مانا العظيم ـ رب العظمة ، قد اتم خلق العالم في هذا اليوم ، ولذلك فجميع الارواح النورانية اينما كانت تغادر مواقعها وتذهب لزيارته وتقديم الشكر له • ويغلق « اباثر » بابه ويرفع الملكان « ندبي » و « شلمى » حراستهما عن الماء الجاري (يردنه) و « هيبل » و « شيتل » و « انش » يغادرون الارض ايضاً • وسكان « مشونى كشطه » وعلى راسهم « آدم كسيه » وحارسهم الروحى « ششلام ربه » ـ نظير هيبل زيوا ـ يرتفعون جميعاً الى عالم النور اللا نهائي • وتستغرق هذه الرحلة اثنتى عشرة ساعة للعروج حيث يصلون الى غايتهم في فجر يوم راس السنة الجديدة ويمكثون هناك متأملين خاشعين للكمال طيلة يوم راس السنة ثم يعودون الى اماكنهم الاولى فيصلونها في نهاية الليلة التالية •

ولهذا فالعالم يظل دون حماية وتظل قوى الشر والموت طليقة غير مكبوحة الجماح ، وحتى مياه الانهار والينابيع تصبح ذات خطر يجب ان لا يقترب منها او تمس فاذا ما غمر المرأ اصبعه في النهر خلال تلك الساعات فسيلعن بلعنة « ششلام ربه » • وتصبح الاشجار ، بالرغم من نفعها مضرة ايضا ، والناس يلفونها اذا كانت في بيوتهم ، بالحصران لئلا يمسها الاطفال عن غير قصد • والخلاصة فان الصابئين يعنون بالمحافظة على انفسهم من النجاسة خلال تلك الساعات ، فهي اذا داهمتهم جسمياً او روحياً حين

يكون الحراس (ناطرى) غائبين فان قدرتها على ايقاع الضرر تتضاعف عليهم .

وفي اليوم الثاني من السنة الجديدة يخرج جميع الصابئين من دورهم يتزاورون ويتهجون ويعيّد بعضهم بعضاً، وتكون اول زيارتهم عادة لشيخ الدين (الكنزفره) حيث يخبرهم عن طالع السنة الجديدة . كما يمكن الحصول على تنبؤات فردية عن الحظوظ الحسنة او السيئة ، من الكهان[١٥]. فاذا كان حظ السائل سيئاً ينصح بكتابة تعويذة (قماهه او زرسته) . وتكون اوقات هذا العيد اوقات فرح ولكن دون اجراء عماد او جزر او اي مراسم دينية اخرى ، عدا عن مراسم الدفن ، وهذه يجب ان تكمل في ايام « البنجه » كما مر معنا . ويستمر هذا الحال الى نهاية اليوم الرابع عشر والليلة التي تليه . (الصابئون يحسبون بدء الاربع والعشرين ساعة للنهار والليل ، من الفجر اي ان الثلاثاء مثلا تتبعها ليلة الثلاثاء في حين ان ليلة الثلاثاء عند العرب هي التي تسبق يوم الثلاثاء)[*] .

ويسمى اليوم السادس من الشهر الاول « نوروز زوطه » او السنة الجديدة الصغرى وهو واليوم السابع يسميان «دهفه اد ششلام ربه» او كما جاء في احد الكتب المقدسة « دهفه اد شوشيان » . والليلة بين هذين اليومين تسمى « ليلة القدر » فيها تفتح ابواب « اباثر » امام المتقين من الناس فيرون اسرارها ويحصلون على ما يطلبون . واذا كان المرأ تقياً حقاً فلن يطلب اي مكاسب دنيوية بل يكون كل همه التحرر من الخطيئة وكسب الخصائص الروحية ، ولا تكون النتائج آنية .

(*) وهذا ينطبق تماما على تقديمهم للنور على الظلام مع تلازمهما فالنهار يسبق الليل والنور يسبق الظلام .

وفي هذا العيد تطفأ جميع الأنوار والنيران(*) وتوزع الاطعمة على الفقراء ويزور الكهان رعاياهم ويعلقون على عتبة الدار العليا في كل بيت اكليلاً من الصفصاف والآس(**) يبقى هناك الى السنة القادمة باعتبار انه سيكلأ سكان الدار من الخطر • ولقاء هذا العمل يحصل الكهان على أجور بسيطة • وهم حين يعلقون الاكاليل هذه يتلون هذا الدعاء :

بشم ادهيي ربّي أنْهر گفنا إبگوْ مَيه وتقيم كَبيري إبيردنه نغدي أنتون راوزي اشكندا إلهاخه اثلخون ياهبن ايلخون الاثرى ساغى گدْليلخَون ومثنالخون إبّاب اد هلبوني كَتْ آسَه اد مربّه يانقى گدليلخون ومثنالخون آلمه الكيمصات آلمى ابرختون يَردنى ساغي برختنخون مَصبته إدْ لَباطلَه من ريش بريش •

وبما اني اشك في صحة نص هذا الدعاء الذي كتبه لي احد الكهان من الذاكرة فلا اجرؤ على ترجمته(***)• ويقول الكهان ان الاكاليل التي

(*) لا تطفأ الانوار بل على العكس يجب اضاءة جميع انوار البيت في هذا العيد •

(**) تكون الاكاليل التي تعلق على عتبات الدور في هذا العيد من الصفصاف فقط •

(***) النص الصحيح كما هو مدون في كتاب ترسرالف شياله هو كما يلي :

بشميهون إدهيي ربى أنهر گفنه إبگو مي واتقيم كبيري ابيردنه نغبي أنتـون راوزي شـــكندا الهاخه ايثلخـون يهفينالخون الأثري سغيه كادللخون ومثنالخون بـــاب هلفونى كث آســـه اد مربه يانقي كدللخون ومثنالخون آلمه الكيمصات المي ابرخنخون يردنى سغيه برختنخون مصفته إد لا باطله من ريش بريش •

المعنـى :

باسماء الحي العظيم ، ان الشجرة الحسنة النامية بالمـاء ، ستنمو كبيرة بالماء وتعيش ، وهي الشاهد الخفي الذي يأتي اليكم ويمنحكم بركة الاثرى • يجدلها ويدسها في ابوابكم وهي كالآس في الشجرة المرضعة ، تجدل وتدس لكم من الآن الى نهاية العالم •

المياه تباركم وتبارك معموديتكم حيث لا تعدم الى آخر الحياة •

تعلق فوق عتبات الدور تجلب لاهلها بركة الخصب وسلامة الصحة[١٦] .

ويسمح للصابئين في اليوم الخامس عشر بالجزر واكل اللحوم[*] . انه عيد بهيج غير ان اليوم الثاني والعشرين يوم نحس يجب عدم التعامل اثناءه كما يجب عدم اجراء اية مراسيم دينية فيه لانه يوم قليل النفع غير مبارك (مبطلّ) . واذا ما توفى احد في يوم « مبطلّ » فيجب ان تقام له صدقة مباركة (زدقه ـ بريخا) في ايام « البنجه » تعويضاً وتكفيراً . واليوم الخامس والعشرين من الشهر التالي (تونه) « مبطلّ » ايضاً . وليس في شهر « انبارا » اية اعياد خاصة او اية ايام نحس . والايام الاربعة الاولى من شهر « تورا » « مبطلة » ايضا . وفي اليوم الثامن عشر من شهر « تورا » يقع العيد الصغير « دهفه حنينه » ويسمى احيانا « دهفه طرمه » . وقد صادف هذا العيد في عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٥ الثالث والعشرين من نوفمبر تشرين الثاني ، ومن المفروض انه كان كذلك عام ١٩٣٣ الا انني لم اسجل ذلك. وهذا العيد يستمر ثلاثة ايام[**] تقام خلالها مراسم التعميد وقراءات الفاتحة للموتى (لوفانى) . وهو يقام احتفالاً بعودة « هيبل زيوا » الى عوالم الانوار من عالم الظلام . ويبدو هذا العيد تكراراً لفكرة الموت او السجن ثم العودة والانبعاث في عيد راس السنة ثم اخيراً في اعياد « البنجه » ويظهر لي ان سبب ذلك يعود الى ان الاعياد الثلاثة هذه كانت في يوم ما اعياد السنة الجديدة وتقع في الربيع من كل عام . وتوجد جذور افكار الآسى والفرح في هذا الفصل في تاريخ مبكر ، لدى البابليين والفرس . ويؤكد لي

(*) يمكن تناول اللحوم في هذه الفترة اذا كانت محفوظة حفظاً جيداً بعد ان تكون قد تبقت من الجزر الذي حصل في آخر يوم من ايام السنة الماضية . (كنشي وزهلي) .

(**) مدة العيد الصغير الدينية لدى الصابئين هي يوم واحد فقط تقام فيه مراسم التعميد وقراءة الفواتح واقامة الافراح وتستمر الاحتفالات الاعتيادية يومين آخرين لغرض التزاور .

الكهان ان « البنجه » (التي لها علاقة حقيقية بعيد راس السنة البابلية الذي يقع في شهر نيسان) قد وقعت في وقت لا يمكن تذكره ، في فصل ذوبان الثلوج وارتفاع مياه الانهار نتيجة لذلك • ويظهر ان الصابئين يجهلون اية وسيلة لتصحيح التقويم باسلوب الشهر الكبيسي بعد كل مئة وعشرين عاماً ، وهو ما استعمله الفرس القدماء (البيروني صفحة ١٢٠) بالرغم من ان احد الكهان اخبرني ان تصحيحات كهذه قد حصلت في الماضي حين كان الكهان اكثر علماً وحكمة • والشيء المحقق تماما هو ان اهم عيد في السنة الصابئية في الوقت الحاضر ليس ما يسمى بالعيد الكبير أو ما يدعى بالسنة الجديدة بل هو عيد الربيع في « البنجه » سأصفه فيما يلي :ـ

لقد دعيت اخيرا الى بيت صابئي بمناسبة عيد « دهفه حنينه » وكان النساء على عكس الفكرة الدينية ، يلبسن المجوهرات ويرتدين الحلل الحريرية البراقة • وقد رقصت اثنتان منهن مع فرقعة الاصابع والتصفيق بالاكف مع الغناء الذي يشبه اغاني الاعراس الفارسية •

وليس في شهر « صلمى » اي يوم مرموق • واول يوم من شهر « سرطانه » يدعى « عاشورى » وهو ذكرى غرق المصرين الذين هلكوا في البحر الاحمر[١٧] حيث تقام لهم فاتحة (لوفانى) خاصة بالمصريين الذين يعتبرون انهم كانوا على دين الصابئين[*] • والايام التاسع والخامس عشر والثالث والعشرون من هذا الشهر « مبطله » • وشهر « قام اريا » شهر حسن وسعيد لاولئك الذين يولدون فيه ولكن الزواج محذور خلاله • والايام الخمسة الاخيرة من شهر « شمبلته »[١٨] (سنبلة القمح ـ برج العذراء) « مبطلة » ايضا لانها مكرسة لارباب الدنيا الخمسة وهم :ـ « شدوم وهاغ وزوجه ماغ وگاف وزوجه گافان وزارتاى ـ زارتانى وكرون ـ جبل اللحم » • وتتطلب هذه الايام الخمسة « المبطلة » المكرسة

(*) تراجع الملاحظة حول النبي ادريس ص ٥٠ •

لعالم الظلام اعادة تكريس « المندى » (بيت العبادة) في الايام النورانية الخمسة التالية • هذه هي الايام الخمسة الكبيسة « پروانايا » او « البنجه » اسعد ايام السنة على الاطلاق ، وفيها يقام اكبر عيد عمادي نهري ، وتأتي في وقت ارتفاع مياه النهر بعد ذوبان الثلوج في الشمال اي خلال الايام الربيعية الاولى الدافئة • وقد جاءت « البنجة » في اعوام ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ في الخامس من نيسان ولكنها جاءت في الرابع من نيسان عام ١٩٣٦ • ويكرس كل يوم من الايام الخمسة لروح نورانى حيث تفتح ابواب عالم الانوار في « البنجه » ليلاً ونهاراً ، ولهذا يمكن اقامة المراسم والصلوات في الليل ايضاً ، اذ لا يمكن اقامة اية صلوات بعد غروب الشمس في سائر أيام السنة• واحدى ليالي « البنجه » هي ليلة خاصة بالنعم تشبه ليلة « دهفه ششلام ربه » تستجاب فيها كل دعوة صادقة ترفع الى رب عالم الانوار •

و « البنجه » احتفال ديني اكثر مما هي عيد ، وفيها يقدم الصابئون من اماكن بعيدة الى موطن كهانهم للتعميد بقدر ما تسمح لهم ظروفهم ويشاركون في الفاتحة (لوفانى) وفي الصدقة المباركة (زدقه بريخه) وفي الذكرى (ذخرانه) من اجل الموتى • ان الموتى ، وقد تجمعوا حول الطعام المقدس الذي دعوا اليه بمجرد ذكر اسمائهم في الصلوات ، ينتعشون بهذا الطعام ويباركون الاحياء • اما الارواح غير المرتاحة لاولئك الذين تلكأوا في الطريق الى عالم الانوار بسبب من موتهم موتاً غير طاهر اي في يوم « مبطّل » مثلا او بدون اجراء مراسم دفن ولباس ديني ، فيمثلون بمن ينوب عنهم في احتفالات « هافا دمانيا » وفي ايام اخر حيث يرتدى هؤلاء الملابس الدينية ويتطهرون ، وبهذا يساعدون الارواح تلك على الصعود في طريقها خلال المطهر (مطرائه) •

وتدخر العائلات ما يجب ان تدفعه من اجل هذه الاحتفالات فهم

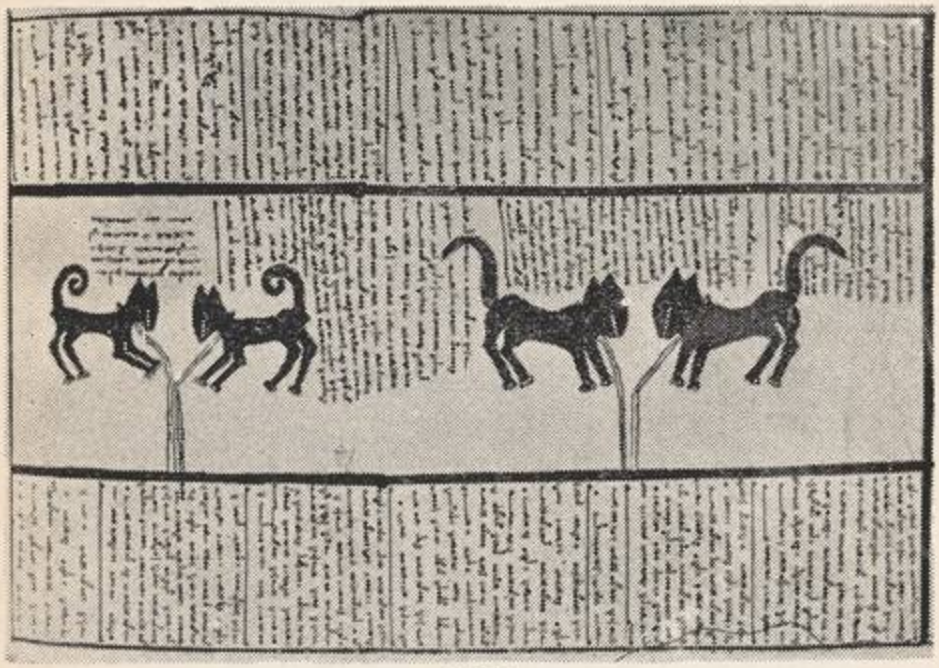

ژانگويي

(۱) اسود نيرغ (۲) كلاب نيرغ

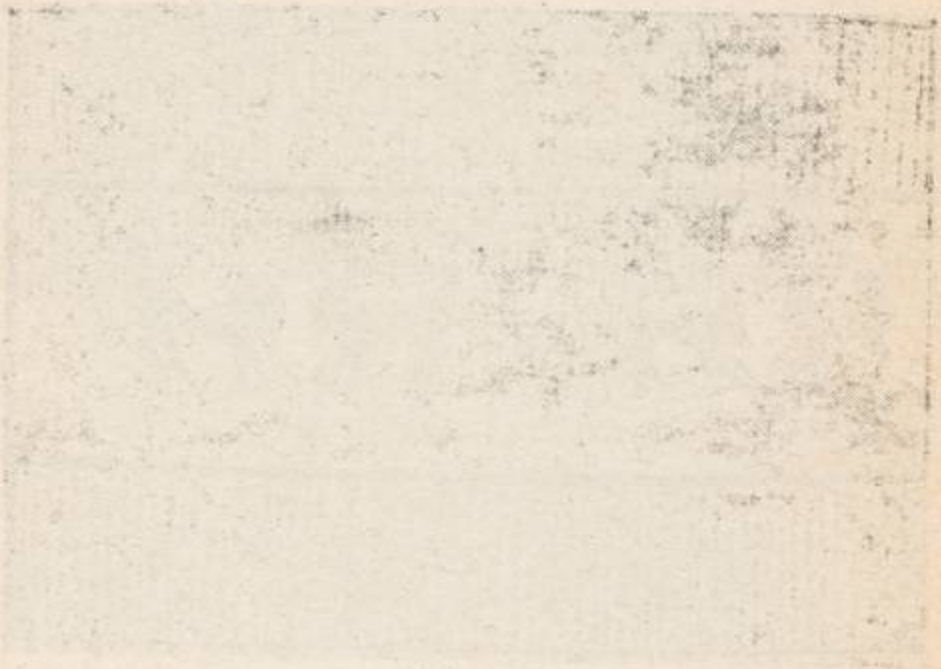

يعتبرون الحواجز مرفوعة خلال ايام « البنجه » المقدسة بينهم وبين الموتى من الاقربين والارواح النورانية التي انجبتهم منذ عهد قديم • وتمر روح المتوفى خلال ايام « البنجه » بعد قيامها من الجدث في اليوم الثالث دونما عائق خلال المطهر ولا يكون الغفران (مسخته) الذي يكلف ثمنا كبيراً ، ضرورياً عندئذ • ولهذا يود اقرباء المريض مرضا خطيراً ، لو ان مريضهم يموت في هذه الايام • وقد لاحظت في قرية قبوراً لثلاثة اشخاص ماتوا بامراض مختلفة في سنة واحدة في هذا الموسم • ولا شك ان تعميداً في النهر كاف للوصول الى هذه النتيجة المرجوة في حالة مريض على شفا الهاوية • والمريض نفسه يتوق لان يغادر هذه الدنيا في هذا الموسم حيث لا شياطين ولا وحوش مفترسة (زانغويي) لها سلطان عليه او ايقاع الضرر بروحه في رحلتها ، فهو سيتم هذه الرحلة الطويلة الشاقة الى بوابة « اباثر » في يوم واحد •

وفي ايام « البنجه » يجب على كل مؤمن حقيقي ان يرتدى الملابس البيضاء بصورة تامة (وهذا لم الاحظه يمارس بصورة دقيقة) ، وعليه اما ان ينتعل الصنادل المنسوجة من الالياف النباتية او ان يسير حافي القدمين •

والحفى هو المعتاد في مثل هذه الاحوال ولو ان الكهان اخبروني من ان الحفى كان يعتبر خطيئة في الازمان القديمة • ان الغاية الحقيقية من هـذا التنبيه هو ان عباد « الحياة » يجب ان لا ينتعلوا جلود الحيوانات الميتة[١٩] • ولا يؤكل من اللحم غير لحم الخروف كاضحية في الطعام المقدس من اجل الموتى • وقبل انتهاء « البنجه » يلزم لتكريس « المندى » تضحية كبش وحمامة وساصف ذلك في فصل قادم • وهـذا العيد يأتى بدخل وفير للكهان •

والعيد الآخر الذي ياتى بعد ٩٠ يوماً من « البنجه » في اليوم الاول من شهر « هطيه » هو عيد « دهفه ديمانه »[٢٠] وهو احتفال بتعميد آدم ،

وفيه يجب على الاتقياء ان يتعمدوا كاسلافهم • وبما انه يقع في فصل الصيف فهو مناسبة محببة لتعميد الصغار • ويحصل المتعمد في هذا العيد في ملابس دينية جديدة (رسته) ، على ما يعادل بركات ٦٠ عماداً • ويحرم ذبح الحيوانات في اليوم الذي يلي هذا العيد •

والامتناع عن اكل اللحوم هو النوع الوحيد في صيام الصابئين •

والايام الثلاثة الاخيرة من الشهر الاخير في السنة (كديه او طابيث) والتي تسبق يوم (كنشى وزهلى) « مبطلة » ايضاً •

وقبل الانتهاء من مسالة التقويم من المفيد ان نقارن ذلك مع تسجيل بترمان Petermann فهو يدون بان « اول گيطه » عام ١٨٥٤ صادف في ٢٣/شباط واول « بابيز » كان في ٢٨/مايس و « اول ستوه » كان في ٢٦/اغسطس واول « ابهار » كان في ٢٤/تشرين الثاني • يوجد اذا فرق قدره تسعة عشر يوماً بين « اول گيطه » عام ١٨٥٤ وبين « اول گيطه » عام ١٩٣٥ • وان الاعياد تتأخر ببطىء • ولو اريد للبنجه ان تأتى دائماً في ايام الفيضان فيجب القيام بتصحيح التقويم قبل ان تنتهى ثمانون سنة اخرى والا فسيقع العيد قبل فصل الفيضان وفي ايام البرد القارص •

وربما كان مما يستحق الذكر قول احد الكهان بان طول السنة مبنى على المدة التي ينضج فيها الطفل في رحم امه ، وقد حسبها تسعة اشهر وتسعة ايام وتسع ساعات وتسع دقائق وتسع ثوان ونصف مضافاً اليها خمسة واربعون يوما هي مدة طهارة الام والوقت الذي كان فيه الجنين بذرة في صلب ابيه • وهذا هو تفكير صابئي نموذجي ، الا انني لم اعثر على ذلك في اي كتاب مقدس(*) •

ويقسم تاريخ الانسان على الارض لديهم الى اربعة ادوار تاريخية ،

(*) المعلومات حول الجنين وولادته موجودة بالتفصيل في كتاب « ديوان تفسير يغره » •

في نهاية كل دور منها كان الجنس البشري قد فنى ما عدا زوجاً واحداً . فمن خلقة ادم وحواء الى فناء الجنس بالسيف والطاعون ، كانت الفترة (٢١٦٫٠٠٠) سنة والزوج الذي نجا هما « رام و رود » ـ السماء والنهر ـ وكما هي الحال في الزوج الاول (ادم وحواء) حصل التزاوج بين الذكر ونظيرة زوجه النورانية لتحقيق استمرار جنس الصابئين بينما جاء سائر البشر من تزاوج رام ورود(*) . وبعد (١٥٦٠٠٠) سنة حصلت كارثة اخرى افنت الجنس البشري بالنار ونجا زوج آخرهما (شوربى وشرهبيل) (وشوربي تعنى كما يظهر ، الانتشار او التكاثر) . واعيدت عملية الذرية الصابئية وذرية سائر البشر كما حصل قبلا مع الزوج الاول . وبعد ١٠٠٠٠٠ سنة اخرى طغى الطوفان على الجنس البشري ونجا نوح وزوجه « نهوريثا » او « نوريثا » (كلمة نوح مشتقة من اصل معنى هدوء العاصفة وكلمة نهوريثا لها طبعا معنى النور) .

ويوجد دمار رابع للعالم في ال « ٧٩ سنة الاولى » من علامة السمكة (نونه) وسيكون الخراب بالريح والهواء . وينظر بعض الصابئين الى الطائرات المحلقة فوق رؤوسهم في العراق الحديث ويتساءلون ما اذا كان دمار البشرية سيكون على هذه الشاكلة ؟ . ويوضح لي صديقي هرمز(**) قائلا :ـ « سيسمم الناس الهواء وهكذا سيموتون » وهو يوحى الى اختناق الناس بالغازات السامة .

(*)ليس تجدد الحياة عند الصابئين بعد كل فترة زمنية ، كما جاء في كتاب الليدي دراور ، ففي الاساطير الصابئية ان الزوج الناجي هو عادة رجل وزوجه وهما يتناسلان ويلدان بصورة طبيعية شرعية ، الا ان البنين يتزوجون بعد ذلك من بنات نظير ابيهم في الدنيا الوسطى « مشونى كشطه » كذلك يتزوج البنات من اولاد نظير ابيهم نفسه . وبهذا يتخلصون من تزاوج الاخوان بالاخوات .

(**) المرحوم هرمز برانهر هو احد مهرة الصاغة الصابئين ومن المتبحرين بأمور دينهم .

ـ ملاحظات حول الفصل السادس ـ

١ ـ مانه ربه ـ واحيانا مانه ربه كبيره ، مانه العظيم • ويوجد خلاف في الرأى حول معنى كلمة مانه فـ « هوفمان » و « باليس » يميلان الى ان معناها « كساء » ويطابقناها بالكسوة التعميدية • ويقول « براندت » انها عادة تعنى « انـاء » او « أداة » • ويدعى « نولدكه » ان الكلمة من اصل ايراني •

ويقول الدكتور « جولسون » ان « مانه الفيدية » تعنى العقل او الفكر او الروح فهم يقولون « فوهومانه » اي العقل النير و « اكيـم مانه » اي العقل السلبي ـ وهما حالتا « اوهورا مزدا » اللتان انتجتا العوالم الحقيقية والعقلية • ويقول « ماكدونل » في كتابه « الاسطورة الفيدية صفحة ١٦٦ » ان « الفيدا » قد قسمت القانون الى « اسو » اي نفس ، وتعبر عن الحيوية الطبيعية حتى لدى الحيوانات ، والى « مانه » كمستقر للفكر والعواطف وكانت تظهر في « ريكفيدا » مستوطنة القلب (هرد) •

ويعطى احد الكهان الصابئين اربعة معان لكلمة « مانه » : (آ) روح (ب) حمامـة (ج) كساء (د) بيت • ويقول « جولسن » ان « مـان » في الفارسية تعنى « بيتا » •

٢ ـ اثرى وملكى • كائنات شبه إلهية موكلة بحمل ارادة الحياة العظمى وتنفيذها • وهي تابعة للخالق واول مظهر من مظاهر خلقه •

وتعنى كلمة « ملكا » مَلِكاً وليس ملاكاً ، وهكذا يترجمها ليدز بارسكى ومع ان وظائف « الملكا » تشـبه وظـائف الملاك العبري ، والملاك في العربية ، وهو الرسول او الملك ، فان الصابئين يستعملون

كلمة « ملاكيا » للدلالة على الارواح الشريرة .

ويظهر في كتاب « إنوش »(*) المطعون بصحته ، تصور لكائنات سماوية ليست بعيدة الشبه بالصابئين اضافة الى امتلاكها لقوى موكلة بالظواهر الطبيعية كالسحب والبروج . وهؤلاء ، في الكتب الصابئية ، بين الارض المادية المظلمة وبين عالم النور النقي الاثيرى ، مباشرو الاتصال ، ويظهرون كتجسيد للصفات المجردة والقوانين او لقوى الطبيعة المادية .

وهم يشبهون « اليازاتات » في « الافستا » حيث يوجد « يازاتات » للعالم الروحي وآخرون للعالم الطبيعي ، وهم يتحكمون بالاشياء المادية في الطبيعة . (J.J.M., P. 481)

ويذكر « جوزيفوس » ان الاسينيين قد استعاروا اسماء الملائكة للتصرف بها اضافة للغوامض الاخرى :ـ

« انه ـ المهتدى حديثا ـ يقسم ان لا يبوح بعقائدهم لاى شخص وباية وسيلة كانت عدا الطريقة التي حصل هو بها عليها ، وعليه ان يمتنع عن السرقة وان يحتفظ بالكتب التي تعود الى نحلتهم وباسماء الملائكة » .

ومن الخطيئة لدى الصابئين كشف اسماء « الملكي » ـ جمع ملكا ـ لفرد من غير دينهم ، وحين أُعطيت اسم احد الملائكة قال مخبرى « ان زملائي سيغضبون عليّ اذا هم علموا باني قد اعطيتك اسماء سرية » . وكلمة « مَلَك » في العامية العربية العراقية تطلق احيانا على الروح الشريرة او الجنى . ومما يستحق الذكر هنا ان يرد ذكر

(*) ليس بين كتب الصابئين كتاب بهذا الاسم ، وانما هناك دعاء بهذا الاسم في كتاب « كنزه ربه » .

« ملك طاووس » اليزيدي او « الملاك الطاووس » ـ امير الظلام ـ في كتاب « دراشه إديهيا » حيث يطلق اسم « طاوسه » على ملك ينوح ويندب لانه قد اخطأ بحق « الحياة العظمى » وانه سمح لكبريائه ان تقوده الى العصيان .

ان كلمة « ملكي » لدى الصابئين تطلق عادة على الارواح الشريرة والطيبة بينما تطلق كلمة « اثرى » على الكائنات النافعة اطلاقا .

وعلى العموم فان « أثري » ومفردها « إثرا » تدل على الارواح التي تهب الحياة وتديمها وهي ذات صلة بالكلمة السريانية « يثرى » اي يغتنى، ولكني لا ارى اساساً لترجمة كلمة « أثرى » بـ« غنى » كما إني لا اتفق مع ليدزبارسكي في حديثه عن « اثرى وملاخا ، ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨ » وقوله من ان الكلمة قد اختيرت لتجنب الالتباس باسماء الملائكة لدى اليهود والاسلام اذ يبدو توضيحه ضعيفا . وانا ارجح اشتقاقها من معناها المجازى : يمتلىء الى ان يطفح . واشك بأن يكون للفعل الصابئي (نثر) ومعناه يطفح ، اصلاً ذا علاقة بكلمة « اثر » . ويذكر البروفيسور « روبرتسن سمث » في كتابه « اديان الساميين » اسم إله في الجنوب العربي يسمى « اثتار » يتحكم في الرى ، ويقول ان « عثارى » كانت تعنى ما يروى من السماء ومن الينابيع (اراضي بعل) . وهنا مصدر معنى اصيل لهطول المياه من السماء على الارض ، وهو يكتسب لدى الصابئين صفة الماء الحي الآتي من بيت الحياة . وهكذا قد يكون معنى « اثرى » . بالاصل ارواح الحياة التي تهب الخصب والغنى على شكل مطر وينابيع . وفي الاراضي القاحلة التي لا تنبت الا حين تهطل امطار الربيع ، فان رسلاً كهؤلاء هم حقاً « واهبو الحياة » . وان حقيقة

تسمية زوجات « الملكى والاثرى » سحباً وقطرات (انانيا ونطفتا) يلقى ضوءا على هذا الرأى • وارى ان كلمة « اثرى » كانت تطلق بالاصل على الارواح النورانية وانها اخذت معنى اوسع بالتدريج • ان الاسم العربي لمجموعة النجوم « الثريا » تصغير « ثروة » تعنى في الاعتقادات القديمة ، كما ذكر البيروني ان المجموعة هـذه كان ينظر اليها كواهبة للمطر •

٣ ـ هيبل زيوا • يترجم الكهان الصابئون هذا الاسم بـ « واهب النور » وهو اسهل واكثر الاسماء النورانية استعمالاً ، ويذكر في التقاليد والاساطير اكثر مما يذكر « منداد هيى » • ويجب الا يلتبس باسم « هيبل » بن آدم • واسماء عائلة آدم تشكل جملة هي : (آدم هيبل شيتل انش) ومعناها (الانسان منح الذرية للجنس البشري) •

٤ ـ اباثر : يوضح الصابئون ان هنالك اباثرين اثنين احدهمـــا « اباثر موزانيا » وهو ملاك النجم القطبـي (ومعه اربعة ملكي أو اثرى) والثاني هو « اباثر راما » وهو لقب هيبل زيوا • وهذا يوضح ما يبدو تناقضاً بين كتاب « كنزه ربـــه » و « ديوان اباثر » وكتب اخرى ؛ فهيبل زيوا فيها يطابق « اباثر » احيانا ومتحداً مع اباثر احيانا اخرى • ويتحكم « اباثر موزانيا » بالموازين التي توزن بها الارواح • ويعتقد البارسيون ان الروح توزن بعد اجتيازها جسر « جنفات » من قبل « ميهر دافار » ـ ميهر القاضى ـ وفي « اليسنه » يكون « فوهومانا » ـ العقل النير ـ هو الذي يزن اعمال الناس يوم الحساب •

٥ ـ إبثاهيل : يربط ليدزبارسكى هذا « الخالق المادي » بالاله « بتـاح » لدى المصريين • ويشير براندت الى ان شخصية ابثاهيل متناقضة ، فهو يظهر كشيطان وكآله ؛ وفي الاعتقاد الحالي لدى الصابئين فان ابثاهيل يحكم على الجن « شفياهى » ، وهو يتسلم ارواح الموتى التي تصل حديثاً ويطلقها في رحلة خلال المطهر منتهيا عند « اباثر موزانيا » •

فاذا رجحت كفة الروح في تلك الموازين فانها تجتاز الامتحان وتعبر في زورق الى عوالم النـور حيث تلتقى بالارواح الطـاهرة الاخرى وبنظيرتها الروح المثلى (دموثه) • والصينيون يعتقدون ايضا بوزن الروح وبتوقفها في المطهر وبالرحلة بالزورق الى الجنة وهكذا فالتشابه مع الكتاب المصري يلعب دورا اكيداً في مصير الروح بعد الموت •

ويوصف ابثاهيل في الكتب الصابئية كخالق او خالق جزئي اولا ، وكعاص لدنيا الانوار ثانيا ، غير انه ندم اخيراً واستجاب • انه ابن « هيل زيوا » (اباثر) من زوجه زهرييل وهي روح انثوية دنيوية • ويعلق « هرمز برانهر » على ذلك فيقول :ـ « ابثاهيل بن هيل زيوا وزهرييل فهو ابن النور والظلام كليهما • انـه ملاك ـ ملكا ـ يتحكم بالنجوم الاقل شانا » •

٦ ـ الفترات الزمنية : يذكر الشهرستاني ومؤلفون عرب آخرون نظرية الصابئين الحرانيين التي تخص هذه الفترات •

فالزمن المخصص لكل فترة (كلبه) ٣٦٠٠٠ سنة • يقول البيروني ـ ص ١٧ ـ « ان الفرس والمجوس يظنون ان استمرارية العالم هي ١٢٠٠٠ سنة وهو ما يطابق رقم علامات البروج وعدد الاشـهر السـنوية » •

٧ ـ هبشبه : ومعناها حرفياً اول يوم في الاسبوع • وتلفظ في الآشورى الذي يتحدث به الآثوريون كما هي لدى الصابئين ايضا « هوشابا » • والاحد ، مجسداً ، يذكر غالبا في ادبيات الصابئين • ففي اسـطورة « هرمز شاه » يظهر « هوشابا » مطابقاً لـ « يوكابر زيوا » ـ يوخاور زيوا ـ والصابئون مثلهم كمثل عباد المسيح و « مثرا » يضفون على يوم الشمس شرفاً خاصاً • ففي دين مثرا يكون ذلك بسبب كون هذا الكوكب مركز حياتهم وشعائر الخصب لديهم ، ولدى المسيحيين

بسبب ما يقال من ان يسوع قد نهض من المـــوت في يوم احد ولان الشمس المشرقة ترمز الى البعث . فالاعتقاد بان الشمس تغرب فـي الغرب الذي يرتبط بالموت وان شـروقها في المشـــرق الذي يرتبط بالولادة ثانية او الانبعاث ، انما هو اعتقاد شائع في جميع انحاء الكرة الارضية . ومن المحتمل ان يكون الصابئون قد ورثوا هذا التقليد عن الايرانيين . ويتحدث كتاب « كنزه ربه » عن تفاهة الاهتمام بالاحد لدى المسيحيين فيقول « في يوم الاحد يبقون ايديهم عاطلة » مقارنا اياهم بالصابئين الذين لا يعتبرون يوم الاحد يوم راحة كالمسيحيين او كما ينظر اليهود الى يوم السبت ، فالعماد والطقوس الدينية تجرى في يوم الاحد وهو ايضا يوم مبارك للعمل .

٨ ـ الكواكب : يلاحظ البروفسور « مولتون » ان الكواكب في النظـام المجوسي مخلوقات « اهرمن » ، والشيطان ويقول انه « يشك ما اذا كانت كذلك حقاً في المزدكية الايرانية الاصلية لانها مسماة باسماء اليازتات » ، فجوبيتر اسمه اورمازد وفينوس اسمها انا هيت الخ .. (كتاب الشعر الديني المبكر في فارس) .

٩ ـ اوجه الموزانة متعددة بين الافكار والشعائر الصابئية وبين الافكـار والشعائر المثرية والسامية والمجوسية والتي ترتبط فيها الشـمس واشخاصها وابطالها ورموزها بمبدأ الحياة الالهي .

١٠ ـ نركل : كان في الاصل إلهاً شمسياً كشامش (الشمس) ومردخ ، وكان إلهاً للحرب والوباء والخراب ، وايضا إلهاً للموتى ، ويرتبط بالآلهة (الانو) الدنيوية .

١١ـ البارسيون المعاصرون كالمجوس (انظر البيرونى) سنتهم اثنا عشر شهرا وكل شهر بثلاثين يوما مع خمسة ايام اضافية كبيسة لا تحسب

(ايام كاثا) • وقد قسم البابليون السنة الى اثنتي عشرة فترة فلكية ذات ثلاثين يوماً لكل فترة مع خمسة ايام وربع اليوم اضافة •

١٢ـ توقف البارسيون عن حساب الاوقات الكبيسة منذ ان هاجروا الى الهند (بعد مجيء الاسلام حسب قول البيروني) •

١٣ـ يستعمل المسلمون واليهود والنصارى في العراق هـذا النوع من الكعك في الاعياد • وهذه الدوائر المقسمة الى ارباع وذات النقط تنقش احيانا فوق الخوانات الطينية في وجبات طقوس الزواج لدى الصابئين • وقد وجدت هذه العلامة قبل المسيح مدموغة في واجهة مزهرية من « تابوس » •

وتستعمل هذه العلامة في الوشم وقد شاهدت الآنسة سميتون W. smeaton شرطياً من عشيرة آل ازيرج في العمارة وقد وشم بهذه العلامة على كلا صدغيه (لان امه كانت تفقد اولادها فارادت ان تحتفظ بحياته) كذلك تستعمل بالوشم للشفاء من وجع الرأس •

١٤ـ تصف الالواح الطقسية لاله السماء « انو » في « اوروك » ـ الوركاء ـ انه في شهر نيسان (ابريل) وهو السنة الجديدة في الحساب البابلي ينهض قبل شروق الشمس ويغسل نفسه في ماء النهر ثم يرتدي ملابس جديدة ويصلي الى « بيل » • ففي السنة الجديدة كانت الالهة تتزاور • وفي الفترة الاشورية ـ البابلية ، يظهر ان عيد راس السنة في شهر نيسان ، كان مرتبطاً بعيد « اكيتو » كما بحث ذلك البروفسور پالس في « عيد اكيتو البابلي » • وتماماً كما يفعل الكهان الصابئون في استطلاع طالع الشعوب والافراد في تلك السنة كذلك كانت « الواح الطالع » تستشار من قبل الكهان البابليين في راس السنة الجديدة • وفترة امتناع الصابئين عن الخروج من البيوت في هذا العيد تذكر بانحباس تموز تحت الارض ثم بانبعاثه وعودة الخصب للارض في

الربيع . ومن المحتمل كما اوضحت ان عيد راس السنة لدى الصابئين كان في الاصل عيداً ربيعياً .

ويشير البيرونى الى ان نوروز الفارسي قد بُعد عن زمانه الاصلي الخاص (ولهذا فهو في زماننا يطابق دخول الشمس برج الاسد الذي هو بدء الربيع) وقد كتب هذا في القرن العاشر للميلاد .

واليوم السادس من شهر « فار داردان » يوم « خرداذ » هو نوروز العظيم وهو عيد كبير الاهمية لدى الايرانيين . ففي هذا اليوم كما يقولون اتم الله الخليقة وهو اليوم الاخير من الايام الستة (الايام الكبيسة الخمسة التي يضعها الصابئون في الربيع ايضا) التي ذكرت في اعلاه . ففي هذا اليوم خلق الله زحل ، ولهذا فساعاته الاكثر حظاً هي ساعات زحل ، ويقولون ايضا « في نفس اليوم جاء زردشت ليشترك مع الله وكيخسرو في الطعام المقدس ثم ارتفع الى الهواء . وتوزع الاسهم السعيدة في نفس ذلك اليوم بين الناس فوق سطح الارض » .

١٥- يذكرنا تعليق الاكاليل على عتبات البيوت بعيد الربيع عند اليزيديين حيث تعلق الاكاليل على البيوت بوساطة « القوالين » . ويقع هذا العيد في نيسان شهر الربيع ويظهر من نواح اخرى في وجبات الطعام الطقسية على ارواح الموتى قريباً من « بروانيا » ، عيد البنجه لدى الصابئين .

١٦- يذكر البيروني صفحة ٣٢٨ ان اليهود يعتبرون اليوم العاشر من شهر محرم « عاشوراء » يوماً مقدساً لان « الله قد اغرق فرعون في مثل هذا اليوم » .

١٧- هنا ايضا تلميح لانحباس تموز (انظر الملاحظة ١٤) . فالبارسيون

المعاصرون مثلهم كمثل المجوس يعتبرون الايام الخمسة الاخيرة من السنة مقدسة .

(تعرف الايام الاولى من هذه الايام العشرة بـ « بنج ـ آى ـ كى » اي الايام الخمسة الاقل شأناً ، وتعتبر الايام الخمسة الثانية ـ كاناكها مبار ـ اياماً كبيسة وتسمى « باغ ـ اي ـ كمى » اي الايام الخمسة العظمى ويقام لها تقدير عظيم اكثر مما يقام للخمسة الاولى) .

« والايام الخمسة الاخيرة من الشهر (ابان ـ ماه) والتي اولها « اشتان » تدعى (فارداردا جان) ، وخلالها يضع الناس الطعام في صالات الموت ، والشراب فوق سطوح الدور ، معتقدين بان ارواح الموتى تاتى خلال هذه الايام من اماكنها في الثواب او العقاب وتقصد المواعين الموضوعة لها تمتص قوتها وتتذوق نكهتها . وهم يقومون بتبخير الدار بخشب العرعر ليستنشق الموتى عبيره ، اما ارواح التقاة فتسكن مع اسرها واطفالها واقربائها في الاعمال ولو انها لا ترى . وكان بين الفرس جدال حول هذه الايام فهي لدى البعض الايام الخمسة الاخيرة من شهر « ابان » ولدى البعض الآخر هي « اندر گاه » اي الايام الخمسة التي تضاف بين شهر « ابان » وشهر « اذارياه » . وحين ازداد الجدل والخصام اختاروا جميعاً عشرة ايام لوضع الامر على اساس ثابت ، إذ انه من الاشياء الرئيسة في دينهم ، وهم يريدون ان يكونوا دقيقين ما داموا عاجزين عن التحقق من الامر بصورة اكيدة . وهكذا اطلقوا اسم « فاروار داجان » على الايام الخمسة الاولى واطلقوا على الخمسة الايام الثانية (فاروار داجان الثانية) . والاخيرة اكثر اهمية من الاولى » ـ البيروني ص ٢١٠ ـ .

والبارسيون المعاصرون كالمجوس يقومون باجراء شعائر خاصة

على ارواح الموتى في الايام الخمسة الاخيرة من السنة وفي الايام الخمسة الكبيسة التي تسبق السنة الجديدة كما يقوم النساطرة المسيحيون في العراق بتناول طعام الذكرى (ذخرانه) من اجل اقرباء الميت واسلافه ومن اجل القديسين في عيد الفصح • ويصاحب عيد الربيع لدى اليزيديين في نيسان تناول وجبات طعام طقسية على ارواح الموتى تتضمن ذبحهم لكبش •

« في اليوم الذي يسبق عيد الربيع يذبح كل يزيدى حملاً او يشترى لحماً لغرض اهدائه للميت ؛ وفي فجر اليوم التالي يتوجه الشباب والشابات الى التلال لشم الازهار • ويزين كل بيت بالاكاليل ، بعد ذلك تاخذ النساء الطعام الذي هيأنه ويزرن قبور موتاهن يصاحبهن « القوّالون » بالطبول والمزامير والصنجات • ويوضع الطعام الذي يعطى بعد ذلك للفقراء فوق القبور بينما ياخذ الكهان بالابتهال ، ولا ينسى النساء تقديم المنح المعتادة لهم • وحين انتهاء زيارة المقابر تقام الافراح والمسرات في ذلك اليوم »• استيفنس : مع دجلة والفرات ـ
Stevense By Tigris and Euphrates. P. 185.

(انظر الفصول ١١ و ١٢ و ١٣ من اجل الاطلاع على وجبات الطعام المقدسة على روح الميت لدى الصابئين والبارسيين) •

وليست غايتي هنا الخوض في العقائد والعادات المتشابهة مع اليابانيين والصينيين التي تتضمن الوجبات الطقسية وزيارة الاسلاف والموتى لاقربائهم وتنظيف البيوت الى غير ذلك ••• يظهر بوضوح ان هذه الشعائر عن الموتى في وقت الربيع منتشرة لدى الاقوام على طول الطريق التي كان يسلكها تجار الحرير •

١٨ـ قد تكون الفكرة ايرانية • يقول مودى :ـ « حين يسير المرء حافياً

فهو يقترف خطيئة في كل خطوة الى غاية ثلاث خطوات ، وحين يخطو الخطوة الرابعة تكون الخطيئة « تانا فيرى » . وتعتبر الخطايا هذه مقترفة اذا كان المرء منتعلا فردة حذاء واحدة وحافياً بقدم واحدة .. ففي الخطوة الاولى التي يخطوها المرء حافياً هكذا يتناقص حليب مائة بقرة ونعجة وجمل ، وفي الخطوة الثالثة يتناقص حليب ثلثمائة بقرة ونعجة ، وفي الخطوة الرابعة يتناقص حليب جميع الابقار والاغنام وكل ذوات الاربع في القارات السبع (كشفار) . ويوضح مودى ان سبب ذلك هو احتمال تماس القدم بالاشياء الدنسة. والكهان الصابئون يكونون حفاة الاقدام اثناء اداء الصلاة واجراء الطقوس . وفي بيوتهم يقفون فوق حصير لدى اجراء المراسم الدينية . وقد جاء في كتاب « گنزه ربه » ما يشير الى اعتبار الحيفى خطيئة .

١٩- هذا العيد وهو يأتي بعد ٩٠ يوم من البنجه يمت بصلة الى اول « خورام روژ » الذي كان يسميه الفرس ايام البيروني « نواد روژ » الايام التسعون ، لوجود تسعين يوما بينه وبين نوروز ، وهذا يقدم دليلا آخر على ان البنجة الصابئية كانت في يوم ما تسبق السنة الجديدة كما هي الحال في « البنجة المجوسية » .

٢٠- كنشي وزهلي (الكنس والتنظيف) . تطهر البيوت وتزين ولا يخرجون خارج دورهم هكذا وصف البارسيون في سورات خلال « فرافاديكان » .

ـ الفصل السابع ـ

ـ التعميد ـ (مصبته)

ان الطقس الرئيسي في شعائر الصابئين هو الاغتسال في الماء ، الذي لا يعتبر رمزا « للحياة » فحسب بل الى درجة معينة ، الحياة نفسها • وقد قال لي احد كهان الصابئين يوماً « ان الارض تشبه امرأة ويشبه السماء الرجل لانه يجعل الارض خصبة » • ويتكرر هذا الرأى عدة مرات في كتابي « الفترسر شياله » وشرح البيفره حيث يعتبر الماء نطفة • والاعتقاد بان الماء يحتوى على سائر قادر لا على اخصاب الارض فقط بل والنساء احيانا ، يظهر في سيرة يحى المعمدان :ـ « لقد اعطى انش اثرا ، انشبى ماءً من « اليردنه » لتشرب ومن ذلك اصبحت حاملاً » و « زكريا وانشبى كانا شيخين وحدث ان شربت ماء واصبحت حاملا من ذلك الماء » •

هاتان الروايتان المختلفتان لنفس القصة رواها لي كاهنان مختلفان • وليست الفكرة خاصة بالصابئين ، فهناك اسطورة لدى بعض المسلمين تقول « انه بعد استشهاد المنصور الحلاج ملأت اخته اناء من ماء النهر واختبأت روح اخيها في ذلك الابريق وحين شربت منه الماء اصبحت حاملا ثم ولدت ولداً بعد تسعة اشهر »[1] • من هنا يظهر ان الاغتسال في الماء هو اغتسال في سائل الحياة • فهو يمنح الجسم العافية ويقى الانسان من قوى الموت ويعد بحياة الروح الابدية[2] • وميزته الثانية هي التطهر ، فكما يطرد الماء القذارة والتعفن والنجاسة من الجسم كذلك يطرد الخطيئة والنجاسة من الروح[3] •

والماء الذي يعكس النور يعتبر شكلا من اشكال النور ، فالشخص

المتعمد حديثاً يعتبر « مرتديا حلة النور » . وفكرة ان الفلك مملوء بضياء سائل وان الماء شكل مكثف من اشكاله ، تظهر في الاعتقاد بوجود الزوارق الفلكية . والماء مع ذلك ليس كله سائلاً سحرياً واهباً للحياة ، ان جزءاً واحداً من تسعة اجزاء منه فقط هو الماء الروحي الحيوي ، وسائر الاجزاء تسمى « تاهمي » وهو سائل عديم الحياة يمر باستمرار في طريقه الى مياه البحار المرة ، في حين يقوم الماء الحي باداء واجبه او يرتفع الى السماء مرة اخرى حيث « اليردنه » السماوية « فرات زيوه » او الفرات النوراني . وقد قال لي « كنزفره » من الصابئين ما يأتي :ـ

« ان ماء هذا العالم يقسم الى تسعة مثاقيل ثمانية منها ماء ارضي وواحد هو ماء الحياة لتقوية جسم الانسان ؛ وما يخرج كفضلات من الجسم البشري هو الماء الارضي ويبقى الماء السماوي في الجسم ليمنحه الحياة »[٤] .

ان طقوس الاغتسال بالماء التي تقام مع اجراءات وصلوات معينة هي احتفال ديني تجلب جميع خواص هذا الماء السماوي وتضعها موضع التطبيق وتجعل متناوله قادرا على الاستفادة منه .

هذه الآراء قديمة قدما سحيقا وتشير الى استمرارية الفكر والتقاليد . فمياه كارون ودجلة والفرات او الزاب هي ذات قداسة متساوية لان جميعها تحتوى على هذا الجزء السحري من الماء الحي « مَيَّه هيّى » او ماء الحياة .

واحتفالات الاغتسالات الصابئية ثلاثة انواع[٥] يسمى الاول « الرشامه » (الوضوء) ، ولا تحتاج هذه الى مساعدة الكاهن ، فكل انسان فيها كاهن نفسه ، وكل طفل صابئي يتعلم هذه الصلوات التي تلقن[٦] له . و « الرشامه » يجب ان تجرى يومياً على ان يكون مجريها غير حاسر الراس ، وان تقام قبل شروق الشمس تماما وبعد التبرز والتبول ، وقبل جميع المراسم الدينية ، والخلاصة فهي كالوضوء لدى المسلمين وبخاصة لدى المذهب الحنفي .

والنوع الثاني من الطهارة هو ثلاث ارتماسات في النهر وتجرى دون الحاجة الى كاهن ايضاً وتسمى « طماشه » ؛ وهي ما يجب ان تجريها المرأة بعد الحيض[٧] وبعد الولادة[٨] ، ولو انها في الحالة الاخيرة يجب ان تكمل بتعميد كامل ؛ كما يجب ان تجرى بعد لمس جثة[٩] الميت ، وبعد الجنابة في المضاجعة والاحتلام[١٠] او بعد اية نجاسة كانت او اي اتصال بشخص نجس ، فالنجاسة معدية ؛ ومن يمس شخصا غير نظيف يصبح غير نظيف هو نفسه ؛ وفي حالة الجنابة يجب ان يجرى هذا الاغتسال حالا من قبل كل من الرجل والمرأة ، وفي حالة الموت تجرى ايضا حالا بعد دفن المتوفى ، وفي حالة الولادة تجرى حالما تستطيع المرأة ان تمشي وباسرع ما يمكن • والطهارة الثالثة هي التعميد « مَصْبُتَّه » وتلفظ ايضا « مصفته » وساستعمل بدلاً من هذه الكلمة اختصاراً ، بالرغم من عدم صحة التعبير ، كلمة التعميد الكامل ، وهذا يتضمن مراسم قداس الزيت والخبز والماء وتصافح اليدين والتقبيل ، وهو ما يسمى منح « الكشطه » ، البركة الاخيرة التي يمثلها وضع يد الكاهن اليمنى فوق راس الشخص المتعمد • ويقوم باجراء هـذا التعميد الكامل الكاهن في يـوم احد ، اثر نجاسات كبرى (الزواج ، الولادة ، التماس مع الميت ، الخ •••) ، وبعد خطايا معينـة كقول الكذب والنميمة ، وبعد عراك حاد ، وفي الحقيقة ، بعد اي عمل يخجل المرء من اتيانه • وكما قال لي احد الصابئين ، انه بعد النطق بكلمات فاحشة يقول الانسان لنفسه من الاحسن لو تعمدت (اصطبغت) بالعاميـة العربية) • والخطايا الرئيسية كالسرقة والقتل والزنا تتطلب اكثر من عماد واحد • وبصورة عامة فكل ما كثر التعميد كان ذلك احسن ، هكذا يقول الكهبان •

الا ان التعميد لا يجرى الا يوم الاحد وفي اعياد معينة وبخاصة فـي الايام الخمسة الكبيسة (البنجه) ، ويكون العامة من الصابئين في مثل هذه

الايام محتفظين عادة بملابسهم الدينية (الرسته) مطوية تهيباً من الطقس البارد مبرزين عملهم بقولهم « كنا مرة نعيش حيث الينابيع الحارة في الشتاء الباردة في الصيف ، وحينذاك كانت « المصبته » سهلة في مثل هذه الايام »(*) .

اليك وصف الوضوء الاول (الرشامه)[11] بصورة مفصلة . حين يقترب الصابئي من النهر يقول : « ابرخ يَرْدنه ربه إدْميه هيّ » (ابارك اليردنه العظمى الماء الحي) او « بِشْميهون ادهيى ربّي أسوتَه وزكوته نَهقِيلَخْ يا آبْ أبوهُن ملكا پرياويس يردنه ربه إدْميه هيّى » (باسم الحياة العظى لك الشفاء والطهر يا ابى واباهم ملكا برياويز ، اليردنه العظمى للماء الحي) . وهنا يجب ان يعقد زناراً (همبانه) قبل ان يتقدم الى الماء بعد ذلك ينحنى ويغسل يديه قائلا « بشميهون ادهيى ربى هللين ايدن بكشطه واسفن ، بهيمنوتا هللين ابملاله ادْ زيوه وشرى طبّن بصرى دنهوره » (باسم الحياة العظمى اطهر يدى بالصلاح وشفتى بالايمان لينطقا كلام النور وليجعل وضوئي حسنا بافكار النور) .

يغسل وجهه ثلاث مرات وياخذ ماء بيديه قائلا « إبرَخْ ، إشْمَخْ ، مشبَهْ إشمخ ، مارى منداد هيى ، إبرَخ مَشبَه هاخْ برْصُوفه ربه ديْقاره إدْ من نافشي افرش » (ابارك اسمك واسمح اسمك مولاى منداد هيى ، حمدا لسيماء الجلال الاعظم الذي قام من ذاته) .

ياخذ بعد لك ماء في يده ويرسم جبينه من الاذن الى الاذن مبتدأ من اليمين الى اليسار قائلا « ان فلان بربلانيثا رَشْمنا بروْشمه إدهيى اشم ادهي واشم

(*) يلزم للصابئين القيام بتصحيح التقويم السنوي بتقديم السنة يوما واحداً كل اربع سنوات ـ وهو ما اهملوه طيلة هذه المدة ـ لتاتى البنجه في ايام الربيع الدافئة وهو وقتها الطبيعي في حساب التقويم الصابئي الاصلي .

إدْ منداد هيى مَدْخَرْ إلي » (انا فلان بن فلانة (يذكر ملواشته) ارسم نفسي برسم الحياة اسم « الحياة » واسم منداد هيى منطوق عليّ) .

ثم يغمس اصبعيه ثلاث مرات في النهر وينظف اذنيه قائلا « أُدنى شَمَّنْ قالَ دْهيّى » (لتسمع اذناى صوت الحياة) .

ياخذ ماء في راحته ينشقه بانفه ثلاث مرات معيداً في كل مرة « نهيرى أره ريهه إد هيى » (لتشم مناخيرى رائحة الحياة) .

ثم بعد ذلك يغسل الاعضاء السفلى من جسمه قائلا « روشمه إيلاوى لَهْوَه بْنُوره ولَهْوَه بمشَّه ولَهْوه بْمشيهه ، روُشمي إمشى روُشمى بَيْردنه ربَّه إدْ ميّه هيّى اد انش ابهيلى لا مصى اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخرالى » . (ليست علامتي هي النار ـ اشارة جدالية للمجوس ـ ولا هي الزيت (مشه يساوي زيت او موسى وهنا اشارة الى اليهود) وليست هي المسح (مشيهه يساوى المسح او المسيح وهنا اشارة للمسيحيين ، ان علامتي هي « اليردنه » العظمى الماء الحي الذي لا يستطيع الانسان ان يحصل عليه بقوته وحده ، ان اسم « الحياة » واسم « منداد هيى » منطوقان عليّ) .

ثم يرتشف ماء في فمه من راحته اليمنى ويتمضمض به ثلاث مرات قائلا « يُمّيَ بوُثه تشبيه تمله » (ليمتلىء فمي بدعوات التسبيح) ويلفظ الماء الى الجهة اليسرى .

يغسل ركبتيه ثلاث مرات قائلا « بركى إدْ مبْريخا وساغدي إلْهيّى ربّى » (لتبارك ركبتاى الحياة العظمى ولتسجدا له) .

يغسل ساقيه ثلاث مرات قائلا « لغرى اد مدريخا دركى كُشطه وهيْمَنوثه » (لتتبع ساقاى سبل الحق والايمان) .

يغمس اصابعه في النهر ويداه ممدودتان معا وراحتاه نحو الارض

قائلا « انا بلان بربلا نيثا ـ الملواشه ـ صبينا ابمصبته اد بهرام ربه برروربى ، مصبتى تناطرى وتسق لريش اشم ادهى واشم اد منداد هيى مدخر الى » (انا فلان بن فلانة عمدت نفسي بعماد بهرام الكبير بن القدرة ، وعمادى سيحرسني ويرفعني الى الاعلى ـ حرفيا الراس ـ الى البدء ـ وهنا يعنى اوج الكمال اي بيت الحياة ـ اسم الحياة واسم منداد هيى منطوقان علي) .

واخيرا يغمس قدمه اليمنى في النهر مرتين وقدمه اليسرى مرة واحدة قائلا « لغرى وايديهون ادشقه واترسر لا تتسلط الى اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخرالى . (لتبتعد عن قدمي ويدى سلطة السبعة ـ كواكب ـ والاثنى عشر ـ علامات البروج ـ اسم الحياة واسم منداد هيى منطوق علي)(*) .

سنرى ان هذا الرسم هو عبارة عن عماد صغير للتخلص من النجاسات الصغرى ولوقاية المرء من الاخطار اليومية ، كما انه تكرار للايمان بالحياة الابدية . ولا يذكر في هذا الرسم ، أو في اية طهارة اخرى حتى طهارة الاواني ، كادوات الطبخ ، الا اسماء الحياة واسم منداد هيى والاسم الفارسي « بهرام » ، وهذا يقابل « يازاتا » (ملاك) نصر لدى البارسيين المتصل بصعود الروح . ففيما يتعلق بهذه الطقوس التطهيرية يمكن ان يعتبر « بهرام » رمزاً لانتصار الروح على الموت والصعود الى عالم النور . ويرينا استعمال هذا الاسم الطبيعة الجوهرية الفارسية لطقوس امتزجت مع طقوس مائية اصيلة وقديمة .

والطهارة الثانية هي الارتماس (الطماشه) وتسمى احيانا « گاياس گوميه » ، وقد شاهدتها تمارس بعد دفن احد الموتى ، حيث رأيت احد حاملي الجنازة يخوض في ماء النهر بعد ان خلع « الرسته » عدا السراويل (شرواله) وحملها صرة معه الى النهر ، وحين بلغ مكاناً عميقاً عمقاً كافياً ،

(*) انظر الملحق حول « الرشامه » .

غطس ثلاث مرات تحت سطح الماء ورش الماء على رأسه ثلاث مرات ايضا ، معيدا في كل مرة دعاء كما يلي :ـ

« بشميهون إد هيي ربي انا ابن بهيله وهيلي يردنه ايلاوي اشرى ايشي انهت اليردنه اصطبه قبل دخيه وروشمه (ملواشـه) وسطلي زيوه اترس بريشي كليله روازي اشمدا هيي واشمه اد منداد هيي مدخر اليّ انا بلان بر فلانه (ملواشه) صبينا بمصبته اد بهرام ربه برروربي مصفتي تاطري وتسق لريش » • وترجمتها (باسم الحياة العظمى اسال القـوة لتتعشني قوة اليردنه الماء الجاري ، لتأتي اليّ لقد إرتسمت في « اليردنه » تحت سطحها وقبلت العلامة الطاهرة ، لقد لبست اردية النور ووضعت على راسي اكليلا متألقاً ، ان اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان عليّ • انا فلان بن فلانة المتعمد بعماد بهرام الكبير بن القـدرة وعمادي سيحرسني ويرفعني الى الاعلى) •

وانا اتصور بان تعبد « الاكليل المتالق » ـ يشير الى الماء المرشوش فوق الراس ـ وهنا اعتبر الماء مرة اخرى مرادفا للنور • وطبعا ان جميع اقسام الرسته تكون قد غمرت في الماء وهي في قبضة الرجل •

ومهما كان الطقس بارداً (وفي الشتاء يوجد الجليد في القنوات المائية احيانا) فيجب اجراء هذه « الطماشه » بعد النجاسات الكبرى • وفي حالـة عدم وجود كاهن لاجراء العماد الكامل اللازم اجراءه في مثل تلك الاحوال فـ « الطماشه » تقوم بدور وقائي موقت ضد قوى الشر وتكون حائلة دون نجاسة الاشخاص الاخرين فالادوات الاخرى بالعدوى •

والطهارة الثالثة هي العماد الكامل • وادواتها الطقسية قليلة وبسيطة ، اذ يجب ان يكون لدى القائم بها بضعة اغصان طرية من الآس موضوعة في حوض ملىء بالماء لئلا تذبل(*) وهـــذه الاغصان او « اگيا » تهيأ لعمـل

(*) ليس من الضروري وضعها في الماء بل المهم ان تكون طرية لتطوى•

اكاليل الآس (كليله)[١٢] التي يستعملها كل من الكاهن والارواح او الروح (ملواشه) ـ وهذا هو التعبير الذي يطلق في الطقوس على الاشخاص الذين يتعمدون ويتسلمون القداس وساستعملها في وصفي ـ فاذا كان هناك علم (درفشه) فاحد الاكاليل تستعمل له ايضاً • ثم يجب ان توجد « الطريانه » او الخوان الطيني ، وهي عبارة عن طبق دائري من الطين المخلوط بالتبن[*] توضع فوق حلقة طينية (كنكانه) • وفي « الطريانه » تجويف شبه دائري تحدده حدود تسمى « ميسري » توضع فيه ال « قَوْقَه » ، وهي عبارة عن مكعب من الطين الناعم المفخور في اعلاه انخفاض دائري بسيط بحجم العملة ذات الخمسة فلوس ، فيه شيء من البخور (ريهه) وهذا عبارة عن مزيج من مسحوق خشب الراتنج (سندراش) وخشب الصندل والجاوي • و « البريهى » الذي يحتل سائر « الطريانه » عبارة عن وعاء بيضوي للنار من طين ، يحترق فيه الخشب والقصب والفحم كوقود ؛ وفي الاستعمال يجب ان يكون الطرف الضيق منه متجها نحو الشمال • وحين توقد النار فهي اما ان تستعمل لحرق البخور او لخبز « البهثه »[١٣] (الخبز المقدس) • ومحيط « الطريانه » التي في حوزتي ، حوالي ٣٥ انجاً وطول التجويف شبه الدائري (ميسره) حوالي خمس انجات في القاعدة وثلاث انجات في الطرف المقابل ومحيط وعاء النار (البريهي) حوالي ١٩ انجا وحوالي الانج والنصف عمقا وهو اقل عمقا في الطرف الضيق منه : وفي « الطريانه » انخفاض يتدرج ابتداء من الحافة الا انه ليس عميقاً •

وفي المناسبات التي يتعمد فيها اناس كثيرون او في مناسبات « اللوفانى » يستعمل اضافة لـ « الطريانه » او عوضا عنها ، صندوق طيني مستطيل الشكل

(*) يستعمل التبن لتقوية الطين وضمان عدم التشقق وليس مادة مفروضة دينيا •

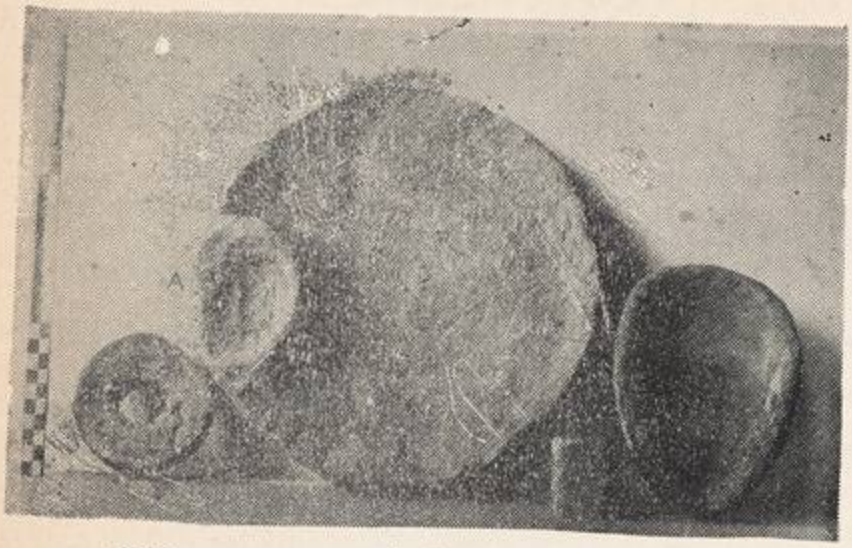

بريهي قوقه طريانه ميسره كنكانه

تكريس كليلة الآس

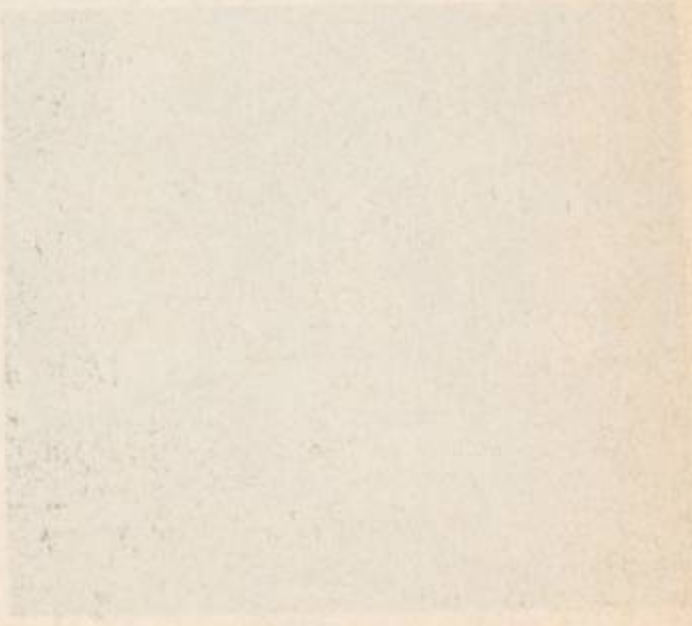

يكون غطاؤه مقعراً قليلاً وله « ميسره » ك « الطريانه » تستعمل من اجل حمل « البريهى » و « القوقه » ك « الطريانه ايضا » .

ويجب ان يكون الدقيق (ويطحن من قبل قبل الكاهن)(*) والملح جاهزين من اجل « البهثه » ، كذلك يلزم وجود كاسات ضحلة الغور من اجل الماء المقدس . والكاسات هذه من النحاس ويبلغ محيط الواحدة منها حوالي احد عشر انجاً او اقل ، وتشبه في الشكل كاسات القداس التي تظهر في ادوات الشعائر المترية . (انظر كومونت Cumont, monuments) وتسمى الكاسة هذه (گبثه) وكان الماء الذي تملأ به هـذه الكاسات في الازمنة التي تعاصر العشاء الرباني المسيحي يؤخذ من « اليردنه » مباشرة ، اي من ماء النهر او حوض العين او من دورق زجاجي (قنينه) مملوء لتوه بالماء ، احيانا اخرى .

ويعمل الخبز كما يلي :ـ يأخذ الكاهن قليلا من الملح والدقيق في يده ويذهب الى النهر ويمزج ذلك بالماء في راحة يده وتتكون لديه نتيجة ذلك رقاقة تشبه البسكويت تدعى « بهثه » . وفي ايام التكريس الجماعي تكون « البهثه » اكبر حجما ، وهي ان لم تؤكل جميعها في اول وجبة للارواح المتعمدة ، توضع في بعض التجاويف ، امـا في جدار البيت او في الجدار الخارجي ل « المندى » . ولا يهم اين توضع ما دام التجويف كان قد طهر بالماء ، ثم تستعمل للوجبة الثانية . ويجب عدم الاحتفاظ بهـا وقتا طويلا فالخبز المعمول يجب ان يؤكل في نفس الجلسة(**) ، كذلك الحال مع الماء المقدس « المبوهه » ، وبعكس ذلك يفقد الماء المقدس صلاحه اذا ترك قائما لليلة واحدة .

وتصوّر « البهثه » في كتاب « ديوان اباثر » مستديرة مع علامة صليب

(*) ليس شرطا ان يكون الدقيق من طحن الكاهن .
(**) ليس شرطاً ان يؤكل كله في نفس الجلسة .

فوقها ، الا انني لم اشاهد مثل هذه العلامة في الطقوس الحالية • ان فكرة الصليب المسيحية الممثلة للتضحية بالدم ، هي على الضد من العقيدة الصابئية ؛ ولم تكن هذه الاشارة مرتبطة حتى لدى المسيحيين بآلة تعذيب المسيح بل كانت رمزاً « للحياة » او رمزاً (للشمس) • وفي وجبات البارسيين الطقسية يؤشر بعلامة الصليب فوق الوجبة الطقسية من اجل الميت ويظن مودى (J. J. M., P. 401) بانها رمز للجهات الاربع من البوصلة ، ويدعم هذا الرأى الطقوس النسطورية ، فالكاهن النسطورى حين يضع اربع رقاقات في صحن القربان على هيئة صليب ، يدمدم بكلمات « من الشرق الى الغرب من الشمال الى الجنوب » • ومن المحتمل انها تمثل رحلة الشمس وعودتها رمزا للبعث (انظر الفصل ٦ ملاحظة ١٤) •

والماء المقدس « ممبوهه » او « ممبوغه » هو ماء صرف ، ولا تخلط الخمرة او عصير الفاكهة بالماء الا في احتفالات « المسخته » من اجل الميت ، وفي احتفالات الزواج ، ومن هذا اعتبرتها تكثيفاً لرمز الخصب النباتي • ويصرح الكاهن بانـــه « في اي وقت من الاوقات في القداسات العاديـة لا يشرب الا الماء الصـرف » • واخر ادوات الشعائر هـو « الدرفشه » ولا يستعمل في جميع حالات التعميد• فهو لايستعمل في حالة تعميد امرأة بعد الولادة مع انه يمكن استعماله في حالة تعميد فرد واحد (شاهدت واحداً يستعمل في التعميد يوم « دهفا حنينا » ، العيد الصغير ، حين كان هناك روح واحد يعمد) • اما في ايام عماد « البنجه » فهو موجود دائماً ؛ ان القسـم المتصالب في « الدرفشه » الذي تتدلى منه قطعة القماش الحريري والمخاطة عليه ايضا قد اعتبر صليباً من قبل اناس اصروا على ان يروا في المندائيين الصابئين شكلا من اشكال المسيحية، وليس هناك اي اساس لمثل هذا الرأى الخاطئ• • ان العلم هو مجرد رمز للنور فالصابئون يتصورون ان نور الشمس والقمر والنجوم ينبعث من اعلام كهذه تماما •

ولا يدخل الماء في طقوس تكريس العلم بل لابد من بعض الصلوات ، وقد دون ليدز بارسكي قسما منها • فقطعة القماش عبارة عن حرير ابيض غير مطبوع وقد قال بعض الصابئين انه يجب ان يحاك بعدد معين من الغرزات ، وقال اخرون بعكس ذلك • والنماذج التي رأيتها ولو انني لم اتمكن من مسها(*) لقياسها كانت متساوية الحجوم واذا حكمت بالمشاهدة فقط كان طول القطعة ثلاث ياردات وكان عرضها ذراعاً واحداً (انظر الفصل السادس ملاحظة ٤) • وبما ان ارتفاع السارية كان حوالي ياردتين فقد كان القماش يرفع الى الاعلى لئلا يتماس مع الارض ويلقى حول السارية • ونهاية القماش ذات اهداب ، وينزلق من فوق السارية اكليل من الآس • في نقطة التقاطع تماماً مختبئة عن الانظار • وتوضع قطعة من سلك ذهبي يسمى « اران درفشى »(**) مع سبعة اغصان من الآس • والسارية تكون من اي نوع من الخشب ويكون اسفلها المدبب المغروس في الارض مغلفاً بالحديد • ان قطعة القماش لا قطعة الخشب هي التي تخص بالتكريس ، ولو كانت هنالك أية أهمية للسارية ولقسمها المصلّب لعين نوع الخشب ولكان من الانواع الطاهرة كالصفصاف او الزيتون • و« الدرفشه » لا تحمل بالمسيرات والاحتفالات(***) •

وقبل التعميد تمسك « الارواح » بالقسم الادنى من السارية ، ثم بالقسم الاعلى بايديهم اليمنى ، معيدين في كل مرة دعوات بعد الكاهن ، وتكون يد الكاهن اليمنى فوق ايديهم (او فوق يده ان كان المتعمد واحداً) وهو يمسك بـ « الكبشه » و « والاكليك » •

(*) يجوز مس العلم (درفشه) في غير اوقات اقامة الشعائر الدينية •

(**) اى (عران) او قرط العلم والعران حلقة معدنية تعلق في ارنبة الانف للزينة •

(***) يحمل العلم (درفشه) وراء جنازة الميت التي يسير وراءها الكهان ومعهم الكتب الدينية •

ولم يكن في التعميد الذي رأيته ، وكان تعميد امرأة بعد الولادة ، « درفشه » . واعتقد ان تدوين ملاحظاتي لهذه المشاهدة ذو اهمية لانها ملاحظات شاهد عيان لما كان يجرى ، بالرغم من أنني اضفت بعض التصليحات والملاحظات بعد ذلك .

ـ تعميد امرأة بعد الولادة ـ

جرت العملية في يوم احد في العمارة حيث لم يكن هناك « مندى » بل كان النهر هو مسرح الغطس بالماء . بدأت المراسم في الضحى بحيث كان اليوم والساعة مشمسين ، وقد وصلت في الوقت المناسب وحين ذهب « الكنزفره » لارتداء « الرسته » أرتنى اخته « كرطاسه » الدقيق ، واغصان الزيتون الطرية في الماء والادوات الشعائرية الاخرى . اوقد « الكنزفره » نفسه النار في الخشب والفحم في وعاء النار (البريهى) الذي كان قائما فوق الخوان الطيني (طريانه) وكان اول عمل قام بـه هو الوضـوء (الرشامه) (وقد وصفت فيما سبق) . وفي عودته من النهر الى البيت (وكان البيت قريبا من النهر وليس على ضفته) اخذ مكانه حافى القدمين ، مرتدياً « الرسته » كاملة ، فوق حصير ، وظهره نحو الشمس مواجها النجم القطبي ، الذي كان يجلس خلفه كما اوضح « اباثر موزانيه » على عرشه . ثم بدأ « الرهمى » وهي صلوات لن اصفها هنا لطولها بل ساكتفى بوصف الفعاليات التي صاحبتها وكانت تتضمن صلوات الاحد ، لان لكل يـوم « رهميا » خاصا به . وسانقل من ملاحظات مطبوعة كملحق لكتابي « مـع دجلة والفرات (By Tigris and Euphrates) مع تصحيحات قليلة .

يتفقد « الكنزفره » يلفظ ايضا « كنزوره » مع الدعاء ، كل جزء من اجزاء « الرسته » بمسها واحدة بعد الاخرى . وتكون تلاوته في صلاته هذه سريعة وجهوريـة بحيث ينبهر نفسه احيانا فلا يعينـه . ياخذ التاج (تاغه) بيديه ويمس بها ، مستمرا على التلاوة ، فمه وعينيه وجبينه ثم

تعميد امرأة (اول كشطه)

تعميد رجل في النهر

يضعها تحت عمامته فوق راسه • يرفع يده اليمنى الى الجهة اليمنى من عمامته ويبقيها هناك لحظات يلتقط بعدها وعاء البخور ويمسه بيده عدة مرات • بعد ذلك يقبض باصابعه شيئا من البخور ويتوقف عن التلاوة لحظة يلتقط اثناءها عودا طويلا من القش يحرك به النار في وعائها ثم يعيد وعاء البخور الى « الطريانه » ويستأنف دعاءه ثم يلقى بقبضة البخور الى النار الموقدة قائلا « ريهه اد هيى بسم »(*) يتوقف عن التلاوة ويفتح كتاباً يقرأ فيه بسرعة وبنفس الترتيل الدعائي • ينحنى بعد ذلك مستمرا على القراءة ثم يجلس القرفصاء وهو لا يزال يقرأ ويأخذ بطرف « نصيفته » الطويل بيده اليمنى ويرفعها الى عمامته بينما هو لا يزال مقرفصا قارئا متأرجحاً من اليمين الى اليسار • ويكون الصولجان « مركته » مستندا الى ثنية الذراع اليسرى • يرخى يده التي تمسك بطرف « النصيفه » الا انه يظل ممسكا بها • يقف ثانية مستمراً على القراءة وعاملا بعض الاشارات بيده اليمنى • ياخذ قبضة اخرى من البخور ويلقيها في النار واضعاً صولجانه للحظة في يده اليمنى (لاحظ انه لم يمس الصولجان بيده اليسرى مع انه يستند الى ذراعه الايسر خلال قسم من المراسم) • يجلس على عقبيه ثم يذهب الى النهر ويمزج الدقيق والملح بالماء لصنع الخبز المقدس (بهئه) بينما تلبسّ « گرطاسه » ابن اخيها الصغير (شكنده) « الرسته » وكان ينظر اليّ بابتسام • (كانت كرطاسه تدير معي حديثا طيلة الوقت دون الالتفاف لما هو جار) • يعود « الكنزفره » حاملا رقاقة صغيرة غير مشويةّ من عجين وبقدر بسكتة صغيرة ، يضعها على جمرات في وعاء النار ويشويها • ياخذها بيده بعد تلاوة دعاء طويل ثم يأكلها ويشرب ماءً من دورق (قنينه) كان قد ملأه حين ذهب الى النهر لعمل العجينة • بعد هذه الاجراءات القداسية يعود الى النهر ليملأ « الكبثه » ويرمى الماء ثلاث مرات على طرف

(*) عطرة رائحة الحياة •

صولجانه • يكرر تلاوة دعاء « مقيمتون هيى قد مای »(*) احدى وستين مرة وهو ممسك بطرف « نصيفته » بكلتا يديه حاسبا العدد على مفاصل اصابعه (يفعل هذا مرة اخرى في ساحة الدار) • ينحنى وهو لا يزال ممسكا بـ « النصيفه » ويفتح راحتيه الى الاعلى ويداه ممدودتان الى الامام ثم ينحنى ثلاث مرات ويداه مسبلتان إلى جنبيه • يدعو بعد ذلك ولده(**) ليعيد الدعاء بعد ابيه وهو ممسك بـ « نصيفته » • يضع « الكنزفره » طرف « نصيفته » فوق عمامة الصغير ويستمر على التلاوة عجلان ممسكا بطرف « النصيفه » مسندة الى الجهة اليمنى من عمامته • بعد ذلك ياخذ التاج (تاغه) ويمس بها عينيه وفمه وجبينه احدى وستين مرة وبهذا ينتهى « الرهمى » (الدعاء التمهيدي في طلب الرحمة) •

يحمل المساعد الصغير (شكنده) اغصان الآس ويحمل « الكنزفره » « الطريانه » والادوات الاخرى ويسيران مشيرين الي ان اتبعهما • اجتزنا الشارع القصير بين البيت والنهر حيث يقوم هناك بيت ولجت بابه الى فسحة بهيجة في وسطها نمت الاشجار والنباتات وكان ينتظرنا هناك كهان ونساء ورجال •

اخذ كاهن شاب وسيم اسود اللحية يرتدى « رسته » بيضاء اغصان الآس من القندلفت وازال من اطرافها السفلى الورق ثم فلقها كل واحدة الى شقين تاركا الاقسام العليا مورقة • وكان « الكنزفره » في هذه الاثناء مشغولا بعمل فطيرة قداسية اخرى شواها ووضعها على قماش ابيض ، ثم اخذ غصنا من الآس وفعل به مثل ما فعل الكاهن من قبل • ترك البيت بعد ذلك وتوجه

(*) ثابت الحي القديم •

(**) ليس شرطا ان يكون هذا الشخص ابن الكاهن انما يجوز ان يقوم مقامه اي شخص لائق دينيا صغيرا او كبيرا ويصح ان تقوم بالعمل المرأة اذا لم يتيسر سواها •

الى النهر (بقيت انا حيث كنت) ولدى رجوعه قام هو والكاهن بعمل ثلاث حلقات من الآس • اخرج « الكنزفره » التاج من تحت عمامته ووضع احدى الحلقات بخنصره الايمن (الخنصر الذي به الخاتم الذهبي الكهنوتي – شوم ياور) وشرع يصلي و « نصيفته » مدسوسة في « الهميانه » ماسا عينيه وفمه وجبينه بالتاج وبالاكليل الذي كان موضوعا مع التاج تحت العمامة • اخذ الطرف المدلى من عمامته واداره حول حنكه• التقط وعاء البخور بيده اليسرى ووضع فيه قبضة من البخور ثم اعاد وضع الوعاء الى مكانه • وقف ثانية وشرع بالقراءة بسرعة كبيرة وحين انتهى ، دس اطراف قميصه السفلى في حزامه وترك النصيفة مرخاة بطولها ، ثم رفع النهايتين ووضعهما على كتفيه ثم عقدهما اخيرا معا بينما كان يكرر صلاة واحدة مرات عديدة •

عاد من بيته الى النهر مستمراً على التلاوة ثم خاض في الماء الى حقيبه • غمس الصولجان مرتين تحت الماء ونصبه قائماً في النهر مسنداً بالعقدة التي شكلها بـ « نصيفته » ثم ترك الاكليل (حلقة الآس) الذي كان في خنصره ليذهب مع التيار • غسل يديه بالماء وامسك بالصولجان ثابتاً في الطين في قاع النهـر •

كانت المرأة التي يراد تعميدها (كانت في فراش الولادة وفي الاحد الرابع بعد ولادتها) والتي ترتدي عباءة سوداء فوق « الرسته » ، واقفة على ضفة النهر تعيد تلاوة الدعاء بعد « الكنزفره » ، ثم بعد ذلك خاضت في الماء اليه • غطست المرأة تحت الماء ثلاث مرات بينما هو يرش الماء عليها من خلفه وتقدمت الى الجانب الايمن من « الكنزفره » فاخذ برأسها وغمر جبينها تحت الماء ثلاث مرات ثم رسمها بامرار يده ثلاث مرات عبر جبهتها من اليمين الى اليسار والبسها اكليل الآس • شربت الماء من راحة يـده ثلاث مرات واعادت بعده تلاوة « كشطه اسيخ قيمخ »(*) وهي ممسكة

(*) معناها : « العهد يحفظك ويثبتك » •

بيده اليمنى .

خرجت المرأة من الماء الى الضفة ، وفي هذه الاثناء خاض الماء نحو « الكنزفره » عدة اولاد صغار يحملون ادوات طبخ منزلية وقدوراً (كل ما استعمل اثناء تلك النجاسة) قدموها اليه ليغمرها بالماء ويديرها من خلفه حول جسمه ثلاث مرات وهي في الماء قائلا : « قازغان اصبينا ابمصبته اد بهرام ربه برروربى مصفتخ تناطرخ وتسق للريش اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخر الخ »(*) على كل اداة من الادوات .

اخذ الجميع طريقهم الى الدار ولم ينقطع « الكنزفره » عن التلاوة وجلست المرأة المتعمدة وهي تقطر ماء امام « الكنزفره » مديرة نحوه ظهرها . اخذ هو قليلا من السمسم من كيس واستخرج عصيراً بمزجه مع الماء في (الكبثه) ورسم به جبين المرأة ثلاث مرات وهي مقرفصة امامه على عقبيها . بعد ذلك مس يدها فنهضت للذهاب معه الى النهر(**) حيث رش الماء فوق ذراعها اليمنى العارية مستعملا يده اليمنى لا اليسرى . ولدى عودتها من النهر حافظت المرأة على يدها ممدودة امامها لئلا تمس اي شيء . وقد اخبرني النسوة انه لا يسمح لها في هذه الحالة ان تفتح شفتيها .

اخذ الكنزفره بعد ذلك « البهثه » واعطى المرأة لتأكل ثم صب ماء من القنينة في « الكبثه » واعطاها لتشرب ، وعندما فعلت ذلك صب ثانية وشربت هي ثانية ثم صب للمرة الثالثة ولكن لترميه في هذه المرة من فوق كتفها الايسر وهو يقول لها « عن شمالك » ، ثم وضع يده فوق راسها

(*) معناها : لقد عمدنا القدور بعماد بهرام الكبير العظيم ، وعمادك يحرسك ويرفعك الى العلى ؛ اسم الحي واسم منداد هيي منطوق عليك .

(**) ذهاب المرأة الى النهر في هذه الحالة انما هو لغرض قيامها هي نفسها بغسل يدها اليمنى لتتناول بها الخبز والماء المقدسين حين تعود الى مجلسها العمادى الاول .

واخذ بالتلاوة • بعد ذلك مد كل من « الكنزفره » والمرأة ذراعيهما اليمنيين نحو النهر والمرأة تعيد بعده يمين الشهادة كلمة فكلمة • جلس « الكنزفره » خلف المرأة محترساً الا يمس شيء من ملابسه الارض ، ثم نهض الاثنان وظهر المرأة دائما اليه ، وانحنى عدة مرات وتقدم ووقف بجانبها واخذ يدها اليمنى في « الكشطه » • حيته وهي تلمس قلبها(*) وفمها وجبينها ثم جلس الاثنان القرفصاء مرة اخرى •

توقف هدير الدعاء لحظة حين غادر « الكنزفره » الدار الى النهر • ثم عاد وقد جلب معه ماء لعمل « بهثه » اخرى(**) وهو يقبض على عجينة غير مشوّية في يده اليمنى وعلى قنينة في يده اليسرى • خبز واكل « البهثه » وشرب الماء ثم نزع « البندامه » عن وجهه وذهب الى النهر ثانية ، وحين عاد رش ماء على صولجانه ثم اخذ طرف عمامته (رغزه) بيده وكرر دعاء « مقيمتون هيي قد مای » احدى وستين مرة •

ويظهر ان هذه المراسم عبارة عن اعادة الطقس الاول • امسك الكاهن بعمامته بين يديه وانحنى عدة مرات ويداه ملتصقتان بجسمه •

اعطى القندلفت يده « للكنزفره » واعاد بعده تلاوة دعاء • انزل « الكنزفره » ذيل قميصه ومس كل جزء من « الرسته » بالترتيب مصليا من اجل كل جزء ثم سحب « التاغه » و « الكليله » التي معها تحت العمامة ورفعهما الى فيه ثم الى كل من عينيه بالتناوب احدى وستين مرة ؛ وبهذا انتهت المراسم بعد صلاة قصيرة وبعد ان استمر هذا الحفل ساعتين كاملتين •

بعد احدى عشرة سنة حضرت عيد العماد الاكبر (بنجه) في العمارة وقلعة صالح ثم قمت بزيارة تلك الربوع سنوياً • وقد حصل التعميد في

(*) تمس بيدها اليمنى فمها وجبينها فقط على شكل تقبيل وتحية •

(**) لا لعمل « بهثه » جديدة انما لقطع قطعة صغيرة من البهثه السابقة واكلها ، فهو لا يخبز بهثه جديدة الا اذا تأكد من نجاسة الاولى •

قلعة صالح في ساحة « المندى » حيث توجد بركة ماء وقناتان من والى النهر مارتين بتلك القناة (انظر الشكل) وقد حفرن وطهرن لاستقبال الايام الخمسة العظيمة ، ايام القداسة والطهارة . كانت طقوس التعميد التي ترجمها « ليدز بارسكى » هي نفس الطقوس التي وصفتها فيما مرّ اعلاه وهي دائما يسبقها « الرهمى » وتفقد الكاهن لنفسه وملابسه وادوات التعميد ، مع الصلاة الخاصة بذلك اليوم ، ولكن هناك بعض النقاط التي يجب ملاحظتها . اولا كان هناك « درفشه » منصوباً في الساحة بين جدار المندى الشرقي وسياج الساحة القصبى ، وكان الصابئون يأتون افواجا لنوال التعميد ويمسكون ، جماعةً « الدرفشه » بنفس الحالة التي وصفتها سابقا ، قبل ان يذهبوا الى الماء الواحد بعد الاخر ، لان الارتماس في الماء فردى دائما ، اذ يجب ان لا تكون في الماء اكثر من « نسمة » واحدة في وقت واحد . وعند خروجهم من الماء يطوفون حول النار واوعية البخور و « الدرفشه » دورة عقارب الساعة من اليسار الى اليمين ، وتنتظر « الارواح » ، وهي مبتلة (مرتجفة احيانا) ، الافراد الى ان يتجمعوا انتظارا للقداس الذي يعطى للجميع مرة واحدة . واعنى بالقداس ، الرسم بالزيت ثم « الكشطه » و « البهثه » و « المبوهه » ثم اخيرا وضع اليد فوق الراس ثم « الكشطه » الاخيرة او تصافح اليدين . وجميع هذه المراسم تقام جماعةً . وحين يكون الجو بارداً والريح عاليةً (وغالبا ما يكون هناك جليد) توقد نار من اجل « الارواح » المبتلة المنتظرة ، وبعضهم شيوخ كبار السن ، ومن المعتاد وضع لوح خشبي فوق الارض ليجلسوا عليه ، اذ يحرم الجلوس على الارض بعد الطهارة ، كما ان الركوع ليس من شعائر الصابئين . وحين يقرفصون لتناول القداس فهم يجلسون على اعقابهم . وبالنسبة للصلاة ، بصورة عامة ، فالسجود والركوع غير معروفين ، كما لا تعرف تغطية الوجه باليدين في اى مناسبة كانت .

تظل الراس منتصبة وتظل اليدان اما عاطلتين عن العمل ملتصقتين بالجسم (السجود عندهم هو انحناء بالقسم العلوى من الجسم فقط) او تقومان باشارات طقسية كاللمس او حل بعض العقد من الملابس ، او تمدان الى الامام والراحة الى الاعلى • ويجب الاعتناء التام بعدم السماح باي جزء من اجزاء « الرسته » بالتماس مع اي شيء غير طاهر • وتوضع في ساحة « المندى » الداخلية أرائك وكراسي ، وبخاصة ازاء الجدارين الشرقي والغربي لجلوس المشاهدين ، وكان بعض هؤلاء يجلسون على الارض ، وكان المشاهدون يدخنون ويأكلون ويتناقشون ، يدخلون ويخرجون كيفما شاءوا غير مهتمين ادنى اهتمام بخفض اصواتهم وغالبا ما كانوا يوجهون للكاهن القائم بالعمل سؤالا يجيبهم عنه بعد ان يوقف التلاوة متحلياً بروح فكهة ، ثم بعد ذلك يستأنف صلاته • ويتعمد الرجال والنساء كل على حدة ، وباوقات مختلفة ، الرجال بـ « الرسته » والنساء كما اشرت في ملاحظاتي السابقة يضعن عباءة سوداء فوق « الرسته » تلتصق بالجسم احتشاماً حين تكون المرأة مبتلة • وخلال هذه المعموديات الجماعية تجرى عملية تعميد الاواني مع تلاوة الدعاء الذي اشرت اليه سابقا بين كل معمودية واخرى ، وفيها يكون الكاهن في الماء الى ركبتيه ويتسلم كل آنية بالترتيب ويمرها حول نفسه ثلاث مرات من اليمين الى اليسار وهو يدمدم بكلمات تعميد على كل منها ، ثم يضعها على الضفة بينما يتسلم آنية اخرى • ولا يمكن ان لا يتعرض لهذه المعمودية السنوية اي قدر او مقلاة لدى الجماعة ، وهم ياتون بها وقد علاها السخام الذي ينشر فوق سطح ماء البركة طبقة سوداء يطردها التيار ببطىء • وتوضع القدور بعد تعميدها مبتلة سوداء في الساحة شمالي « الدرفشه » لتجف ، اما القدور النحاسية فيجب تجديد طلاؤها قبل التعميد لمنع التسمم بالزنجار •

يجهز كل متعمد باكليل آسى يحتفظ به في خنصره الايمن الى ان

ينزعه منه الكاهن في البركة ويضعه فوق رأسه . وقبل ان يخطو المتعمد الى الماء للارتماس يضع هبة مقرونة بغصن من الآس على ضفة البركة ويرش هديته بماء البركة ثلاث مرات .

ولا تقدم العطايا للكاهن دائما بهذه الطريقة اذ يمكن ان توضع في « الطريانه » ايضاً . ويختلف مبلغ الهبة باختلاف الواهب ومكانته المالية ، فقد شاهدت على « الطريانه » ربع دينار ، وعملة تعادل فلساً . ويعمد المعدمون مقابل لا شيء ، الا ان هذا « فقدان لماء الوجه » لا يحب المتقون ان يفعلوه . ولا يجمع الكاهن الهبات امام انظار الناس بل يأخذها غير متباهٍ بها بعد الاحتفالات من المكان الذي وضعت فيه .

بعد اعطاء (الكشطه) يخرج كل متعمد من الماء وقد توج باكليل الآس تتدلى اوراقه الخضر فوق صدغه الايسر ، ويجلس بانتظار القداس الذي سيتناوله المتعمدون جماعة كما وصفنا فيما سلف . يجلس المتعمد على عقبيه او على لوح من الخشب بمواجهة الشمال او « المندى » اذا وجد . هناك يجلس يدفيء نفسه قرب النار اذا كان الطقس بارداً وملابسه تقطر ماء بانتظار تجمع الآخرين . وحين يبلغ العدد الخمسة او السبعة او اى عدد مناسب ، يخرج الكاهن من الماء ويرسم جبين كل منهم بالسمسم ثلاث مرات ، ذلك السمسم المسحوق في « الكبثه » . بعد هذا يمد كل « روح » ذراعه اليمنى مع تلاوة : « بي وشكه امروشتمه » (سل وابحث وتكلم استمع) ، ثم يذهبون الى البركة لغسل اذرعتهم ، وهم لا يمسون الماء باياديهم اليسرى بل يرشون عليها الماء باليد اليمنى ثم يعودون ويجلسون صفاً نسقاً ممدودي الايدي وراحاتها الى الاعلى(*) ، ليتناولوا

(*) تمد الايدى اليمنى بدون تقييد بكون الراحات الى الاسفل أو الى الاعلى ، مضمومة الكف او مفتوحته انما المهم هو تهيؤهم لتناول الخبز والماء المقدسين بايد طاهرة مع عدم جواز النطق في الفترة ما بين غسل اليد وتناول الخبز والماء المقدسين .

القداس الاخير في التعميد

« البهثه » اجزاء صغيرة من رغيف مسطح كبير يستعمل لاكثر من جماعة واحدة • وحين يؤخذ الرغيف من تجويف الجدار يرش بقليل من ماء القنينة • والخطوة الثانيه هي الماء المقدس « ممبوهه » • يملأ الكاهن قنينته من ماء البركة مصطحبا معه « الكبثه » • واثناء صلوات القداس يتحدث المتعمدون ويمزحون مع المتفرجين • ويوجد عادة نوعان من « الكبثه » واحدة للكهان واخرى لافراد العامة • وتعاد تلاوة « بي وشكه » اثناء عودة الكاهن بالماء • ويملأ الكاهن « الكبثه » ثلاث مرات لكل متعمد ، يشرب اثنتين منها ، ويرمى الثالثة فوق كتفه الايسر بينما يقول له الكاهن :ـ « أشَر وبدلْ لشمالخ »(*) • يذهب الكاهن ويقف خلف المتعمدين الجالسين القرفصاء ويمس رؤوسهم باطراف اصابعه عدة مرات يمدون بعدها ايديهم اليمنى نحو « اليردنه » مشهدينها على معموديتهم • هنا يأتي الرفض التام لقوى الشمس والقمر والنار حيث يقولون : « مبطلْ باطلى شامش ••• مبطلْ باطلى سره ••• مبطلْ باطلى نوره (عبادة الشمس باطلة وعبادة القمر باطلة وعبادة النار باطلة) •

والرفض هذا ، بموضعه الهام في المراسم ، يظهر كما لو انه حشر حشرا او ادخل للتحذير من الهراطقة والمرتدين • وفي الصلاة النهائية يقف المتعمدون جميعاً ويعطيهم الكاهن « الكشطه » الاخيرة ويده مغطاة بـ « النصيفه » • وعند الانتهاء من القداس يرمى كل متعمد اكليله ببركة الماء • وحين ذهبت الى اللطلاطه (قرية صغيره قرب قلعة صالح) كانت « ارواح » الشيخ يحيى عدداً من فقراء الصابئين القادمين من الاهوار ،

(*) يجوز ان يعطى الكاهن للمتعمد جرعة واحدة ثم يأمره بالذهاب الى النهر وفي يده « الكبثه » ليشرب من النهر الجرعة الثانية وليرمى الغرفة الثالثة فوق كتفه الايسر اذا كان عدد المتعمدين كثيرا وكان الماء في القنينة لا يكفى الجميع ويجرى هذا عادة في ايام البنجه لكثرة عدد المتعمدين جماعة •

وكانوا ذوى تراكيب بدنية ادنى من اخوتهم في المدن ، بالرغم من وجود شيوخ بينهم ، كانوا في غاية الوسامة .

وحصل التعميد في النهر كما جرى في العمارة . نصب « الدرفشه » في الساحة امام بيت الكاهن وكانت الكتب المقدسة موضوعة فوق كرسي مغطاة بالخام الابيض .

وبالرغم مما ذكرت عن وضع المتفرجين فلا يوجد اي شيء مستهجن في سلوكهم ، فهم لايعتبرون القداس مفيدا للنفوس فقط بل وللابدان ايضا فهو وقاية ضد هجمات الشياطين (شفيا هى) والارواح الشريرة الاخرى التي تجلب المرض والموت وسوء الطالع . وقد سمعت سيدة كبير السن وهي تخرج من الماء بعد ارتماسها الثالث وقد ابقاها الكاهن منتظرة اكثر مما ينبغى كما ظنت ، سمعتها تقول ما يفهم منه طلب الاسراع بالاجراءات من الكاهن ، وكانت محقة في ذلك فقد كان الرجل الطيب قد تلكأ قليلا للوقوف امام آلة التصوير . الا ان الصابئين يسافرون عدة ايام ويتحملون كثيراً من المشاق لغرض الاستفادة من القداس . ان مضايقات وسخريات غير المؤمنين ، او اية صعوبة اخرى ليست بقادرة على منعهم من المشاركة فيما يعتبرونه بركات لا تقدر بثمن[١٤] .

ملاحظات حول الفصل السابع

١ ـ الماء وارواح الاسلاف ، انظر مولتون Moulton حول فرافاشي ، الشعر الديني المبكر في فارس ، ص ١٤٢ • فريزر J.G.FRAZER في الطوطمية والزواج بالاباعد ، وادونيس واتيس وازيريس لنفس المؤلف •

٢ ـ الماء والخلود :ـ في ملحمة على لوحة في تل العمارنة ان « ادابا » الرجل الاول ، استدعى امام « انو » إله السماء حيث قدم اليه خبز الحياة وماء الحياة الا ان « ادابا » رفض لان « ايا » كان قد حذره مسبقا من انه سيقدم اليه خبز الموت • ويأسف « انو » لذلك ، فقد رغب في ان يمنح الانسان الذي كان قد وهبه الحكمة ، المنحة العظمى منحة الخلود ، الا ان « ادابا » جعل ذلك غير ممكن برفضه •

ويذكر غالبا « ماء الحياة » بصورة خاصة في شعائر « ايا ومردخ » كما يقول الفريد جريمياس Jeremias الذي اقتبست منه في اعلاه عن مقالته « السماء البابلي والجحيم » • يقول جريمياس « ان ماء الحياة كان يشرب ايضا ولا يستعمل فقط لرش الماء المقدس وللتطهير كما توضح ذلك قصة « ادابا » وكان ينظر الى دجلة والفرات كانهار مقدسة تجرى الاضاحى لمياههما ـ كما تبرهن على ذلك النقوش التاريخية ـ وتقام على ضفافهما التطهيرات المقدسة • و « ايا وابنه مردخ » هما إلها « ماء الحياة » •

بامر « ايا » يجب ان تفتح الدنيا ينبوعها من الماء الخالد ، كما نقرأ في تعاويذ المرض عندهم :ـ « اذهب يا بني مردخ ••• واجلب الماء من فم النهرين واعمل تعويذتك النقية وقدسه بتعويذتك الطاهرة

هذه ، ورشه على الرجل ابن الرب » .

ومرة اخرى يأتي ذكر « الماء الطاهر ... ماء الفرات ... الماء المختبىء في المحيط قد طهره فم « ايا » الطاهر ... ابناء المياه العميقة والسبعة قد جعلوا الماء نقياً طاهرا ورائقاً .

ويسمح المرء تكرارا ، (اناء مردخ التطهيري) . وكان كاهن « بارو » يجرى التطهير في النهر كجزء من شعائره وبخاصة عند شروق الشمس . وقد جاء في الواح تتعلق بشعائر شامش في « شيبار » ان بيتا للتطهير (يشابه ربما المندى الصابئي) يقام على ضفة النهر مع بيت عبادة وبركة للسماح بمرور الماء الجاري من النهر واليه بقناتين (انظر الفصل القادم) .

مع جميع هذه الادلة لا ارى من الممكن الشك في ان شعائر الماء لدى الصابئين ، المقامة منذ اول ظهور شعائر الماء ، انما هي في الاساس شعائر تمت الى سكان البلاد الاصليين وقد استمرت تحت تأثير اديان مختلفة وحافظت على تقليد طقسي مستمر لا توقف فيه .

٣ ـ الماء الجاري كمطهر من الخطيئة الطقسية والخطأ الخلقي . (انظر الملاحظات حول المقدمة رقم « ٣ ») . وهذه الفكرة في الدين الفارسي القديم تظهر لدى البيروني ص٢٠٢ يقول :ـ « امر » « ياما » الناس بان يغسلوا انفسهم بالماء ليتطهروا من خطاياهم وان يفعلوا ذلك كل عام لينجيهم الله من مصائب ذلك العام ... وبالنسبة لرأى آخر فان سبب الاغتسال هو ان هذا اليوم ـ يوم راس السنة ـ هو يوم « هاروذا » المقدس ، ملاك الماء الذي يتحكم به . لذلك كان الناس ينهضون من النوم في هذا اليوم مبكرين مع انبثاق الفجر ويذهبون الى ماء الينابيع والآبار . وباستمرار ، ياخذون الماء الجاري بانـاء ويصبونه على انفسهم معتبرين ذلك فألاً حسناً ووسيلة لنجاتهم من

الضرر • وهذا « الهاروذا » يمكن ان يكون هو « هاور فاتات » ، الروح المجسدة للصحة والانبات ـ وبهذا يكون التماثل هنا مع فكرة الصابئين قوياً جدا •

ويرسم هيرودوتس صورة لتبجيل الفرس للانهار والنهيرات ، وهنا يظهر مرة اخرى ان هذا عقيدة قديمة اصيلة •

ان لدين « مثرا » الفارسي الذي انتشر بسرعة وقوة لينافس الكنيسة المسيحية الاولى ارتماسا في الماء ايضا وهو رمز واضح لتطهير الروح كما ان لهم ايضا رسما للجبهة وتكريساً للخبز والماء كطقوس الصابئين • ويقول كومونت Cumont في « اسرار مثرا » عن المسيحية والمثرية :ـ « لقد اكتشف كلا الخصمين ، مندهشين ، ولكن دون التلميح للاصل ، التشابه الذي كان يوحدهما وكان يلعنان روح الخديعة التي عملت على تشويه طقوس كل منهما الدينية » •

ومن غير الممكن هنا اعطاء تفصيل عما يعرف بالنحل التي كانت تمارس التطهر بالاغتسال والتي كانت تبرز من فارس ومن بابل ، فعند براندت ورايدزن شتاين في كتابيهما ما فيه الكفاية :

1 — Brandt Die Judischen Baptismen und Ll chasal.
2 — Reitzenstein Die Vorgeschichte Der Christichen Taufe.

ان النحلة المغتسلة السامبسية (Sampsaeans) توحى بشيء خاص ، اذ لا يوجد فيها اي اثر للمسيحية وان الوصف المعطى لمراسمهم يظهر تشابههم القوى للشعائر الفارسية والصابئية • ويعطى رايزن شتاين ص ٢٠٣ ، وصفا للاغتسالات الهندية التي تجرى في عيد « افارونا براغاسا » وفي تضحية « سوما » ؛ ولكليهما افكار اصيلة متشابهة ـ التطهر من الخطيئة وصيرورتهم ابناء للنور واكتساب الخلود • والالفاظ التي يتفوه بها القائمون بهذا العمل حين يغادرون الماء بعد آخر اجراءاتهم تشبه اجراءات الصابئين بشكل يلفت النظر

فهم يقولون :ـ « لقد شربنا سوما واصبحنا خالدين وذهبنا الى النور ».

٤ ـ ماء الحياة : في قسم الخليقة في كتاب « دراشه اد يهيا » جلب « هيبل زيوا » « يردنه » لف بها الارض (أرقه اد تيبل) على شكل دائرة ونصب هناك مقياساً كان يقيس به الماء ، ثم يصب به الماء الحي ؛ « وحين دخل الماء الحي في الماء الفاسد ناح الماء الحي وبكى » .

٥ ـ يمت هذا بصورة تامة الى « پادياب » و « نان » و « البارشنوم » ، الزردشتية ، فالاولى بسيطة جدا وهي تستغرق دقيقة او اثنتين وتقام دون مساعدة الكاهن (J.J.M.,P. 91) .

و « نان» هو الحمام ، والبارشنوم هو الطقس المعقد الطويل الذي يتضمن ثلاثة حمامات طقسية . ومراسم (اليسنا) التي تعنى المشاركة في الخبز المقدس (دارون) والشراب الطقسي (هوما) بمراسم تشبه « اللوفانى » [انظر الفصل ١٣] . والفرق بين « انان » وبين « الطماشه » الصابئية ان الاخيرة لا تتطلب كاهناً للقيام بها .

٦ ـ يجب ان تجرى « الباديا ب » بعد الاستجابة لنداء الطبيعة لدى النهوض من النوم وقبل تناول وجبات الطعام .

٧ ـ الحيض :ـ (آ) البارسيون والفرس القدماء يقولون : « ان النزيف يجعل الشخص ذكراً كان ام انثى غير طاهر ، وليس الشخص وحده فقط بل ، والذين يلامسونه ، قبل ان يطهر نفسه بالاستحمام ويصبح طاهرا » .

« ويظهر في ايران القديمة ... في كل قرية او شارع انه كان يوجد ايضا « داستانستان » او بيت للنساء الحائضات ... وكان المفروض ان يكون هذا المكان على بعد (١٣) ياردة من النار والماء في البيت ، ومن محلات العبادة ، وعلى بعد (٢½) ياردة من المحلات التي يتردد عليها الرجال باستمرار ... وان عليهن ان لا يمسسن اى شيء ، فكل ما يمسسنه يصبح نجساً . واذا كان معهن اطفالهن

واريد اخراجهم من « الدانستانستان » تغسل اولا ايديهم ثم جميع ابدانهم بالماء • واذا مس امرؤ امرأة حائضا اصبح نجساً ، فاذا كان فعله هـــذا عن قصد منه فعليـه ان يطهر نفســـه بالاستحمام » • (J.J.M.P. 171 ' 172 .

ويصف « السير جيفانجي » الطعام الموصوف لامرأة حائض فيقول : « كان عليهن ان يتسلمن وجباتهن باوان معدنية ، لا خشـبية ولا خزفية ، لان السوائل تنفذ في هذه اكثر مما تنفذ في الاولى ويكون من العسير تطهيرها ، ولهذا فضررها بالصحة يكون اكيداً للذين سيستعملونها بعد ذلك • كما عليهن ان لا يستعملن ايديهن عاريات عند تناول الطعام بل عليهن ان يرتدين قفازات او اكياساً في ايديهن ثم يأكلن بوساطة الملاعق » •

« وفي اليوم الذي يتوقف فيه النزيف على المرأة ان تطهر نفسها بالاستحمام قبل الاتصال بالاشخاص الاخرين وبالاشياء ، ويجب غسل وتنظيف فراشها وملابسها الخارجية ، وعلى الذين يلامسونها ان يغتسلوا ايضا • ويعطى « دستور داراب پهلان » في « فرزيات ناما الفارسي » النصائح التالية مأخوذة من تعاليم « بهلوى زنـد » و « بازند » فيقول : (١) حين تظهر الاعراض ، على المرأة ان تغير ملابسها الاعتيادية • (٢) ان تبحث عن مكان منعزل وان تبتعد ، او ان لا ترى ماء او ناراً او رجلاً مقدساً ، ولا الشمس او القمـــر ولا السماء او الجبال ولا النجوم او الاشجار • (٣) ان كل ما تراه يلحقه الضرر او النقصان • (٤) وعليها حين تأكل ان تضع فوق يديها قطعة من قماش عتيق وان تأكل بالملعقة وعليها حين تشرب ان لا تدع نقطة ماء واحدة تسقط على بدنها • (٥) عليها ان تعتزل الناس من ثلاثة الى تسعة ايام تغمس بعدها نفسها بالماء و « الگوميز » • (٦) فاذا فشلت في اداء اى من تلك الفروض فعليها ان تقوم بصلاة النـدم •

(ب) الصابئون : يذكر ميمونيدس في « دليل المعتقدات » نظريات مشابهة فيما يخص الحيض لدى صابئة حران ويقول بان الصابئي كان يعتبر نفسه نجسا حتى بسبب الريح التي تهب عليه من طرف امرأة حائض • وكان الحلاق بسبب عملية الفصد وقص الشعر يعتبر عندهم غير طاهر « وان كل من أمرّ موسى فوق بدنه كان ايضا غير طاهر الى ان يطهر نفسه بالاغتسال » •

(ج) اليهود : اللاويون المنتسبون للسلطة الكهنوتية يمكن ان يكونوا قد تأثروا بالافكار الفارسية فيما يخص النجاسة •

٨ ـ يلزم على المرأة والرجل البارسيين ان يستحما (نان) بعد الجماع •

٩ ـ الرشامه والباديات : (والباديات ابسط اشكال الطهارة او الوضوء الذي يجب على البارسي ان يمارسه عدة مرات يوميا • وكلمة باديات هي الشكل الحديث لـ « بايتي ـ آب » وفي الافيستا والذي صيغته الفهلويه « باديات » • وتعنى الكلمة رش الماء (آف) فوق الاجزاء المكشوفة من الجسم (بايتى) • وفيما ياتى وصف مراسم الباديات : يوجد ثلاثة اقسام في الباديات تعرف جميعها باسم « باديات ـ كوستى » ، والقسم الثاني او المركزي هو الباديات الخاص الذي تسبقه الصلاة وتتلوه • والشخص الذي يقوم باجراء الباديات يقول اول ما يقول : « افعل هذا من اجل مسرة اهورامزدا » • ثم يتلو الصيغة القصيرة « شوم فوهو » وبعد ان ينتهى من ذلك يغسل وجهه والاجزاء المكشوفة من بدنه كاليدين والقدمين وهذا هو الباديات الخاص) • (J.J.M., P. 92) .

و « الرشامه » تشبه الوضوء عند المسلمين ، فالمسلمون كالمندائيين ، يتلون دعاء قصيراً يصاحب كل عملية من عمليات الوضوء • [انظر

كتاب وورتابيت • الدين في الشرق ص ٢١٢] •

١٢- من المحقق ان استعمال الصابئين لطقوس الآس قريب من طقوس البارشوم الزردشتي • والبارسيون المعاصرون يستعملون بدل الآس اغصانا معدنية كانت في الزمن الغابر اغصان شجيرة او شجرة • والصيغة التي يستعملها الصابئون حين يشمون الآس او اي نبات عطري هي « ربهه اد هيى بسمّ » رائحة الحياة منعشة ، تذكر بتاريخ طويل لطقوس قديمة تتصل بالخصب والحياة • ان الكتابات التصويرية التي تمثل انسانا يشم غصنا قد وجدت في الوركاء على لوح يعود الى ما قبل التاريخ (حفريات الوركاء) ويصف ايزيكيل في « المكروهات » وهي عبادة الشمس والكواكب - انساء النائحات على تموز وخمسة وعشرين رجلا يعبدون الشمس متجهين نحو الشرق - لو - وهم يضعون اغصاناً على انوفهم •

ويلبس الكهان المجوس اكاليل من الآس ، وكان السومريون والبابليون يمسكون باوراق النبات امام الآله التماسا للخصب •

١٣- البهثه : يرى زمبرن Zimmern ونولدكه Nöldeke ان هناك علاقة بين البهثه - الخبز المقدس لدى الصابئين - وبين طقوس « بت - بى » اي فتح الفم و « مس - بى » اي غسل الفم البابلية • ومن المحقق ان تعليقات الكهان في طقوس وجبات الطعام على روح الميت لدى الصابئين (كتاب الف ترسر شياله) تقول بان روح الميت تتوقف عن الحيوية وعن العمل الى ان يؤكل طعام باسمها • واكثر من ذلك فان « ذخرانه ربه » اي القداس السنوي على روح الموتى الذي يقام في عيد الربيع كما هو مدون في كتاب « شرح بروانايا » يسمى « بثاها » - فتح - • واخيرا فان « بثاهيل » هو الملاك الموكل بتسلم ارواح الموتى • ولكن البراهين على هذه النظرية قليلة للغاية

لوجود مراجع ضئيلة في هذا الشأن .

١٤- يرى البروفسور ليتز مان Lietzmann في اطلاق المسيحيين السوريين كلمة « يردنه » على البركة برهانا على ان الصابئين قد اخذوا تعميدهم عن الطقوس المسيحية . ويضيف برهانا آخر هو ان الكنيسة السورية تدع المهدات للمعموديات تجرى بينما تكون البركة فارغة من الماء ، ثم يسمح للماء بعد ذلك بدخولها لاجراء الارتماس الفعلي . وعملية السماح بدخول الماء يسمى « پارا » . وجاء في الاساطير الصابئية (الكنزه) ان منداد هيى امر يوحنا ان يدع اليردنه تجرى طليقة ، والفعل في هذا « پارا » ايضا . والآن فان هذا الجريان الطليق امر ضروري في بركة « المندى » . فاذا اعتقد الكاهن بان الماء قد أسن امر بتنظيف القناتين ليعود الماء « حيا » اي جاريا . ويقول ليتز مان :

« ان جميع شعائر التعميد لدى المندائيين ما هي الا تقليد لاحتفالات التعميد لدى السريان المسيحين ، وهي تتماثل وجميع المعموديات في الماء (يردنه) . ويعتقد ليدز بارسكى بأنها شعائر قديمة ويستنتج من ذلك برهاناً على ان اصل المندائيين هو نحلة عمادية تسكن حول ضفتي الاردن ... من كل هذا ينتج : ان المندائيين لا علاقة لهم بيوحنا ابي المسيحيين الاوائل ، وان جميع القصص والحكايات حول يحيى في الادبيات المندائية قد جاءت من العهد الجديد والاساطير المسيحية واضيفت الى الصورة الدينية لهذه الطائفة اخيراً إبان الحكم العربي ، اي ليس قبل القرن السابع » .
(Ein Beitrag zur Mandäerfrage).

من المحتمل ان تكون كل قصة يوحنا ماخوذة من المصادر المسيحية ، ولو اني اشك في ذلك ما دام يوجد ، كما اشار ليدز بارسكى ، حذف واختلافات لا تعد في القصص الصابئية حول يوحنا

والتي تحدث ايضا في العهد الجديد .

اما ان فكرة الطقوس التكريسية الصابئية مسروقة ايضاً او انها « نسخة من طقوس الكنيسة السورية الشرقية » حسب التعبير الذي استعملهالبروفسور ليتز مان فهو امر لا يمكن الدفاع عنه مطلقا . ان فكرة التكريس الصابئية اقرب الى الفكرة الزردشتية منهـا الى المسيحية ولها وحدة جوهرية تنقص الطقوس المسيحية . ان وجود تشابه بين الطقوس المسيحية الاولى وبين الطقوس والعقائد والشعائر الصابئية والزردشتية ممكن جدا الا ان جميع الدلائل تشير الى ان المندائية (الصابئية) والمسيحية قد تطورتا من مركزين مختلفين وتحت تأثيرات مختلفة .

ومن المحقق كما اشار الى ذلك براندت وبوسيه وشتاين من ان شعائر التعميد كانت منتشرة بصورة واسعة بين عدد من النحل الى درجة من الصعب جدا معها ان تقول كيف انبثقت كل منها ؛ لقد مارسها الكاشيون لا كطقس منفرد بل كطهارة متكررة كما يفعل الصابئون . (مشاكل الغنوصية ص ٢٧٧ – ٢٩٦) .

ويقول جوزيفوس Josephus في المجلد الرابع ص ٢٢٢ ان الطهارة لدى الاسينيين شكل من اشكال التعميد لانها كانت تمارس قبل وجبة الطعام اليومية العمومية ، او اذا تدنس « اخ » بتماسه مع افراد فئة ادنى منه دينيا ، او في حالة قبول مرشح عضوا في النظام الكهنوتي . كما ان فئات يهودية اخرى كالهميرو المعمدانيين كانوا يمارسون تطهيرا طقسيا ويقولون : « نحن نأسى لمسلكك انت يا من تنطق بالاسم الآلهي صباحا دون استحمام » .

لقد كانت تلك الارتماسات التطهيرية جزءا من طقوس دينيـة كانت تمارس في العراق لعدة آلاف من السنين قبل المسيح كمـا اشرنا الى ذلك سابقا .

ـ الفصل الثامن ـ

ـ المنـدا ـ بيت العبادة ـ

المندى او بيت العبادة ويسمى بالنصوص الصابئية (مندا) او (مشكنه) هو من السمات البارزة في مندائية الوقت الحاضر • وان حقيقة وجود قواعد صارمة يجب ملاحظتها فيما يخص بناءه وشكله واستعمال القصب والطين مختلطين في تركيبه (في بلد لا يستعمل في الآجر الا للبنايات المهمة كالمساجد والقصور والكنائس) ثم اتصال الكوخ بقناة ماء جار للطهارة ، كل ذلك يشير الى الارتباط بعبادة الماء القديمة البدائية • فالتركيب والنسب والمواد والشكل كلها موصوفة كتابةومعروفة شفاها ، ويؤكد نبي الصابئون قدم هذه الامور قدما سحيقا ـ من عهد آدم ـ • وتوجد حقا اسطورة تقول : « كان المندى قبل يحيى يشبه بيتا من بللور ولكن حين طرد الصابئون من (اورشليم) كان عليهم ان يتخذوا له شكلا من اشكال البناء مما يمكن اقامته بسهولة »• هذه هي الحكاية التي يحبون ان يقصوها عن الزمن القديم • وبسبب الاعتقاد بان البللور عبارة عن ماء متبلور او متجمد فهو يمكن ان يعنى تبجيلا لفكرة كوخ العبادة اي بيت الماء •

هنا تخطر على الذاكرة الصور البابلية والسومرية لـ « ايا » آلـه المياه وهو يجلس في مقصورة من الماء الجاري • ومما يوحى الى ذلك ايضا مؤلف مسز فان بورن (Van Buren) الساحر (المزهرية الجارية والآله ذو الجدول) والذي تترسم فيه عن طريق فن الصور المنقوشة عبادة هذا الآله ، اله الاعماق والانهار ، من الزمن السحيق المهجور الى زمن البابليين المتأخرين ، وهي توضح عمق واستمرارية تراث الاتجاه الديني

نحو الماء لدى قوم يعتمدون كلية على الانهاروالسيول في خصوبة ارضهم . وقد سبق ان بحثت في الاشتقاق المحتمل لكلمة « مندا » بمعنى بيت العبادة ولا استطيع ان اوضح لماذا قلبت كلمة « مندا » الى « مندى » في لغة الحديث والتي تعنى صيغة الجمع . و « المنادى » التي شاهدتها تختلف قليلاً في الحجوم لا في النسب او في التخطيط العام . وفي الايام الخمسة التي تسبق « البنجه » ـ الايام الخمسة الكبيسة ـ يعتبر المندى غير طاهر لان تلك الايام الخمسة مكرسة لقوى الظلام . ولهذا السبب كنت قادرة على تدوين ملاحظات دقيقة عن تركيبه ومقاييسه وعلى اخذ الصور الفوتوغرافية له .

يقام المندى دائما على ضفة نهر ويحاط بسياج من قصب وطين (وهذا ليس ضروريا من الناحية الدينية وانما غايته حجم الطقوس عن الاعين المتطلعة) وهو بلا تغيير ، تلتحق به بركة للطهارة تقع في الجنوب منه تتصل بها من طرفيها قناتان واحدة تأخذ الماء من النهر والثانية تصبه فيه او في الحقول المجاورة لغرض ابقاء الماء جاريا بصورة مستمرة وليكون في البركة ماء حي لا راكد[1] .

ويحتوى السياج القصبي او الطيني كلا من « المندى » والبركة ويمر عبر القناتين . وفي اوقات احتفالات الارتماس التالية ينصب العلم الحريري (درفشه) على ضفة البركة الى الجنوب الشرقي من الجهة اليمنى من الكوخ .

والكوخ عبارة عن بناء بسيط من القصب والبوارى المطلية بالطين . والصرائف او اكواخ القصب هي المساكن المعتادة لسكان الاهوار وللمعدان في الجنوب ، بينما تدل بيوت الشعر السوداء على ان ساكنيها اعراب من الصحراء او بدو رحالة كالصلبة والغجر (نابير في المندائية) او ان نقول انها بيوت الرحالة والرعاة بدلا من ان تكون بيوت القبائل المستوطنة او

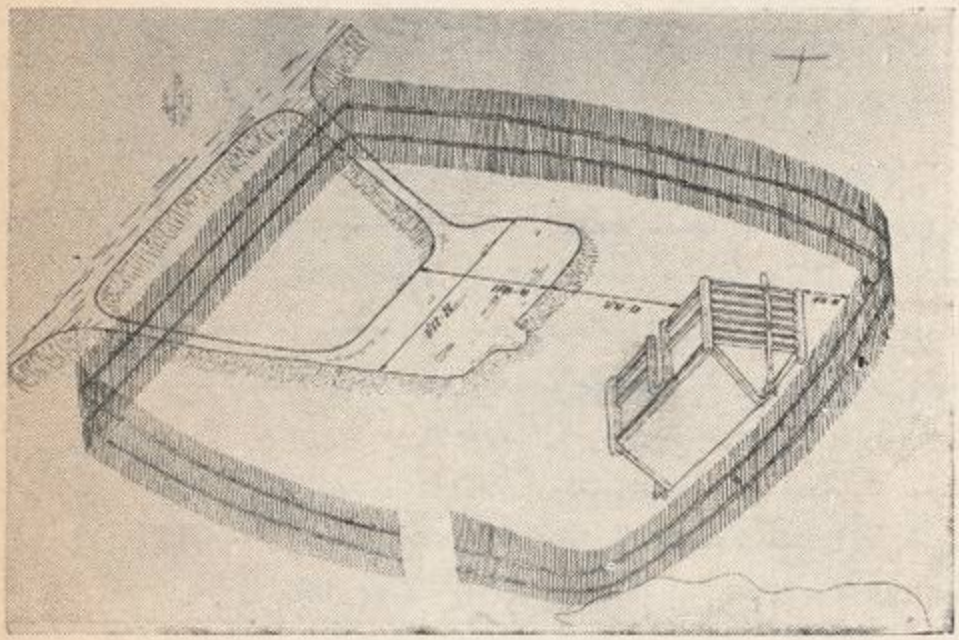

المندى وبركة الماء

شبه المستوطنة • وتبنى قرى اعراب الاهوار من القصب كلياً بينما يتخذ الرعاة والقبائل الصحراوية اصحاب الابل الخيم الصوفية السوداء بيوتا لهم بصورة شاملة ، فاذا ما استوطنت قبيلة رحالة فهي تستعمل اول ما تستعمل البوارى بدلا من نسيج الصوف ، كما هي الحـــال مع بني تميم الذين استوطنوا خلال الخمس عشرة سنة الماضية • وعلى الاغلب فان ضواحي اية مدينة في جنوبي العراق من بغداد فنازلا عبارة عن اكواخ من القصب يسكنها فلاحون او معدان متجولون يزودون اسواق المدن بالمنتجات اللبنية وبالدواجن والاغنام •

يوجد عدة انواع من بيوت القصب ، والنوع العام هو الكوخ الذي تكون دعائمه حزما من القصب تجمع الى بعضها وتشد وتربط من الرؤوس العليا لتشكل انصاف اطواق وهذا يستعمل في الاهوار بصورة تامـــة • والنوع الثاني هو ما يسمى بـ « الجمالي » والذي هو اكثر ثباتا ومقاومة للطقس ، ويختلف في البناء عن الكوخ • فهنا يوضع جسر للسقف يستند الى قائمتين او عمودين متشعبين من الرأسين او الى « شبتين » من القصب تتشعب كل منهما في الرأس الى شعبتين[٢] • والجسر هذا يسند البوارى التي تلقى فوق السقف المنحدر الى الجدارين الجانبيين المنخفضين ، ويكون الجداران الآخران اعلى من الجدارين الاولين كما هو الحال في الكوخ الانكليزي المسقف بالقش • وتتألف الجدران من قوائم من حزم من القصب مربوطة بالبردى او بحبال من الحلفا مع حزم اخرى عرضية تربط بها وتشد اليها الى ان تصل الى الاعلى • والبوارى التي تغطى كلا من السقف والجدران تطلى غالبا بالطين ، وتكون جدران « الجمالي » لدى الجماعات الاكثر استقرارا اكثر تطورا منطقيا اذ تبنى باللبن بدلا من القصب • وبهذا يصبح شبه الرحالة مستوطنى بيوت • ويزداد شـــيوع استعمال الجمالي كلما اقترب المرء من البصرة او الى اي من الحـدود

الايرانية ، وهو شائع جدا في جنوبي العراق • وقد قيل لي ان الكوخ من القش ذا السقف القصبي او المسلح سقفه بالقش وله اربعة جدران من الطين يوجد باعداد كبيرة قرب بحر الخزر حيث يذكر الزائرين باكواخ « ديفون المستديرة » • وربما استنبط هذا السقف المنحدر لغرض انحدار الثلوج منه الى الارض •

والمندى من نوع الجمالي الذي يوحى باصل ايراني • وهو مستطيل الشكل واطول جداريه هما الشمالي والجنوبي ويبنى بحيث يواجه الداخل اليه من فتحته الصغيرة النجم القطبي ، الذي يجب ان يتجه اليه الشخص حين يقوم باداء الصلاة • وفتحة الباب ضيقة وعرضها حوالي (١٤) عقدة وارتفاعها حوالي من ٦٠ ـ ٦٥ عقدة ، واعلاها اضيق قليلا من اسفلها • والطين الملوط على الهيكل القصبي للباب مقولب على شكل قوس ثلاثي • ويجب ان تُزيّن حافة الجهة العليا الجنوبية للمندى بقنوات ثلاث تدعى « ميسرى » ، وهذا لا يعمل على شكل واحد • وجسر السقف (هردى) البارز من جهتي المندى يستند على حزمتين قويتين من القصب الملوط بالطين ، وفي حالة « المنديين » اللذين شاهدتهما لاول مرة كان للجسر البارز من السقف مسندان آخران على شكل عمودين متشعبين في الرأس لدعمه • وكان العمودان ـ وهما من خشب الزيتون ، على بعد بضعة عقد من عمودى القصب الاصليين ، وكانا منعزلين عن البناء نفسه لان الجسر الذي كان يمتد من الشرق الى الغرب كان اطول من الكوخ • وقد تختلف الابعاد ، الا ان الصابئين اخبروني ان عدد حزمات القصب يجب ان لا تختلف ، والقوائم التي تنهض من الارض الى الجسر (ارضانا)[٣] في جانبي المندى الشرقي والغربي (بضمنها القوائم التي تسند الجسر) تسمى (شباب) ـ مفردها « شبّه » وهي الكلمة المعتادة لدى سكان الاهوار الاعراب وعدد الهطر ـ الحزم الافقية التي تتصاعد

المندي

طراز الجمالي ذى الجدران الطينية

الى الذروة ـ سبعة وبهذا يكون عددها جميعا في المندى اثنتين واربعين ، ويسمى العمود الذي يسند طرف الجسر « تكمه » ، وطول جزء التكمه الذي يبرز من الوجه المملوط للجدار حوالي (٥٧) سم • وصورة المندى الفوتوغرافية في (اللطلاطه) ترى كيف تستعمل الاقسام المتقاطعة • والمساند المائلة الظاهرة في الجدارين الشمالي والجنوبي تسمى اجنحة (گادفى) وعددها سبعة ، اربعة في الشمال وثلاثة في الجنوب •

وداخل المندى يوضح تركيبه اكثر مما يوضحه خارجه ، الا انني لم اكن قادرة على اخذ صور شمسية له لعدم وجود الضوء الكافي • ففي الداخل يرى المرء تحت البوارى طبقة من القصب اليابس مركومة فوق بعضها البعض يشدها رباط حولها (الرباط يلف كل قصبة على حدة ولكنه غير معقود) وبهذا يتكون نسيج يذكر بالستر القصبية اللاتي يصنعها النساء لتحجبهن عن اعين الرجال في الخيمة • ويعترض تلك الطبقة من القصب في الزاويتين اليمنيين من جهتى السقف المائلين سبع ربطات من القصب تعارضها مرة اخرى ثلاث ربطات طويلة تمتد من الشرق الى الغرب • ولا توجد في المندى نافذة ولا اية زينات داخلية ، وكل ما يمكن ملاحظته في الداخل هو وجود علاقتين « شگاصه » تبرزان كحرف (٧) ، واحدة في كل تكمة ،وضلعا الزاوية في شكل (٧) غير متلاقيين في نقطة الزاوية ، والغاية من هاتين العلاقتين ايجاد مشجب لتعليق الملابس وما شابهها •

ولم يستعمل في بناء المندى اي حديد او مسمار مطلقا ولكن من المحتمل ان لا تكون لهذا اية اهمية دينية لانه ينطبق على كل كوخ قصبي في الاهوار • والنور الوحيد في المندى ياتيه من الباب ، وليست هنالك زينات داخلية او فراش للارض • ولا تجرى اية شعائر دينية داخل المندى مما يجوز لافراد العامة الاشتراك فيها ، وحتى الصدقة المباركة (زدقه بريخه)

اي الطعام المهم من اجل روح الميت تجرى خارج جدرانه في الساحة من حولـه .

ويتوصل الى البركة عـادة بدرج بسيط يستطيع بوساطته الموكل بالطهارة النزول والصعود دون صعوبة ، والبركة عميقة في جانب ضحلة في جانب آخر ليستطيع الاطفال والبالغون ان يجدوا العمق المناسب لكل منهـــم .

ويجب تطهير المندى سنويا بعد النجاسة التي تسببها له الايام الخمسة التي تسبق « البنجه » ـ وهي مكرسة لقوى الظلام الخمس ـ وتجرى هذه الطقوس قبل آخر يوم من ايام « البنجه » . كنت اذ ذاك في قلعة صالح حين جرى التكريس فرأيت قسما من الاحتفال (يسمى بالرطنه طراسـه اد مندى) ، وفي المرة الثانية شاهدته عيانا من البدء الى الانتهاء وقـد استغرقت « الطراسه » من اثنتى عشرة ساعة الى ثماني عشرة دون توقف .

وفي كل مناسبة وبالرغم من وجودي في ساحة « المندى » في سـاعة مبكرة فقد كنت متأخرة بالنسبة للممهدات التي تتضمن كنس وتنظيف الساحة وتطهير ضفاف البركة . كان المندى قد طلى بطين جديد قولب فوق الباب ليشكل قوسا ثلاثيا مستديرا عند القمة ولظهور هذا الشكل بوضوح في التصوير فلست بحاجة الى ان اصفه اكثر مما فعلت . غرس الى اليمين من المندى « درفشان » اي علمان طقسيان ووضع بجانبهما خوان طيني (طريانه) وعليه ادواته المعتادة واوقدت على الارض نار تسعر في كل مرة بقصب مطهر ، وكانت الارض امام الكوخ مهيأة من قبل خادم حافي القدمين كان قد قام بعمل اخاديد ضحلة الغور عرضها حوالي ثلاث عقـد تسمى « ميسرى » تبدأ من بيت العبادة وتتجه الى البركه وقد وضع التراب المزاح في سلة ورفع . واول جدول او اخدود كان يمتد من يمين موقـع الباب ، والثاني من يسار موقعها ، والثالث عن يمين الاول ، ويمتد الرابع

من الزاوية الجنوبية للجدار الشرقي ، والخامس من الزاوية الجنوبية للجدار الغربي . هذه الجداول او الاخاديد تمتد بخطوط مستقيمة وفي نظام دقيق . واخيرا قام الخادم بعمل جدول افقي يمتد من الجدول الثالث الى الجدول الرابع تاركا قطعة ارض مربعة ازاء الكوخ .

وهذه الحدود (ميسرى) تحدد مناطق مطهرة ، فاذا صادف ان مست احداها نجاسة امكن تطهيرها حينئذ وحدها . ولا شيء اقرب من ذلك الى « كرشا » البارسية والى الساحة المغلقة لديهم « پاڤى » . وقد حدثت مثل تلك النجاسة مرتين اثناء مشاهدتي للاحتفال حين اجتاز احد الاطفال الحدود ، وعندها قام الكاهن الموكل بالعمل بالذهاب الى البركة وبعد تطهير نفسه غمر البقعة النجسة بالقاء الماء من الاناء عليها بينما كان يتلو دعاء الطهارة .

وقد نقلت الى داخل الساحات المطهرة ، بعد ان غمرت بماء البركة ثلاث مرات مع دعاء (بهرام) ، قدور واوان وكؤوس وملاقط للنار وطوق رحى واحواض ومدقات وهاون وسكاكين لا قبضة لها ، كانت تستعمل في الاحتفال . وقد استعمل قماش الموزلين الابيض الجديد لغربلة دقيق الحنطة ، وقد غمر بالماء ايضا كما غمرت بالماء ابرة ايضاً (لم استطع ان اكتشف لماذا استعملت هذه الابرة)(*) .

وقد اشترك في هذه المراسم « كنزفره » وكاهنان وقندلفتان (شكنده) ولكن « الكنزفره » ـ الشيخ رومي ـ لم يكن رئيس الاحتفال من الاول الى الاخير . فقرب نهاية المراسم قام بدور الرجل الميت لان « الطراسه » يجب ان تكون باسم « ريش امه »(**) وكانت في هذه الحالة باسم من

(*) ليس للابرة اي دور في هذه المراسم وقد تكون قد شاهدتها المؤلفة صدفة .

(**) درجة « ريش امه » اعلى من درجة « كنزفره » .

يدعى « بهرام يحيى » وهو من اجداد الشيخ رومي الاوائل ، فهو بهذا يجسد اسلافه الخاصين . (يجب ان يكون « الريش امه » من عائلة كهنوتية عالية الشرف من عشيرة المندوية)(*) . ولهذا السبب ، لبس في الاخير « رسته » جديدة كاملة لان (كما سترى بعد ذلك حين اصف طقوس اللوفانى) الذين يمثلون الميت عليهم ان يرتدوا ملابس طقسية جديدة . ان لموكل باجراء الطقس الرئيس الذي ياتى بعد « الكنزفره » كان كاهنا (ترميده) ـ الشيخ عبدالله ـ وكان حاضرا في كل المراسم والطهارات منذ الفجر ، وقد وجدته لدى وصولي الى المندى يقوم بالطقوس المحكمة التي تؤهله للقيام بهذا الدور والتي كانت اولا تدبير انقداسات الخمس لـ « الكنزفرا » ولزميليه الكاهنين والقندلفتين الاثنين (شكندا) . بعد ذلك تبع هذا عمل اكليل الآس وتدشين الملابس ووضع « البندامه » على الفم وهكذا . بعد ما قام الشيخ عبدالله بدوره بتعميد « الكنزفره » وزميليه الكاهنين والقندلفتين ، وحين تجمع الكل على الضفة بملابسهم المبتلة ، تمّ رسمهم بالسمسم المسحوق .

والفرق بين هذا القداس والقداس العادي هو ان الكاهن و « الكنزفره » يشتركان بالمراسم في ترتيل الصلوات بدلا من الوقوف صامتين كالعامة او كالقندلفتين . قام الشيخ عبدالله بعد ذلك بملط تجويف صغير او عش في الجدار الشرقي الخارجي للمندى بطين طرى ثم ملأ قنينته ورش الجدار بالماء من البركة ، وبعد ذلك صنع مه « البهثه » ـ الخبز المقدس ـ حيث اخذ حفنة من الدقيق والملح وذهب الى البركة وعجنها بقليل من الماء في راحته ثم قبض عليها وادخل قبضته مع يده الاخرى في الماء . ولدى عودته وضع

(*) يمكن ان يصل الى رتبة « ريش امه » اي « كنزفره » بعد اجراء الطقوس اللازمة ، ولا يشترط ان يكون من عشيرة المندوية .

العجينة المستديرة ، على النار (وكانت تسعر بالقصب المطهر) على رماد حار وغطاها بوقود مشتعل وفي دقائق اصبحت خبزا • ثم قام بوضع قطع منها في التجويف المشار اليه في اعلاه • شرع باعطاء الخبز المقدس والماء الى اربعة من المشتركين معه ؛ ومرة ثانية اختلفت الاجراءات عن الاجراءات المعتادة للعامة لان « البهثه والمبوهه » قد اعطيتا الواحدة بعد الاخرى لكل فرد في وقت واحد عوضا عن القيام بذلك مرتين• بعد ذلك اعطيت البركات وتحرك « المحتفل » الى الخلف والى الامام على الخط بضعة مرات واضعا يده على رأس كل منهم ثم جاء بعد ذلك يمين « اليردنه » المعتاد حيث مد المشتركون اذرعهم اليمنى خلفهم باتجاه النهر لا البركة (هـذه قاعدة لا تتغير فالنهر ما دام يغذى البركة يمكن ان يكون باى اتجاه بينما يجب ان يكون المندى على الضفة اليمنى مواجها الشمال وبركته الى الجنوب منه)• وخلال كل عمليات العماد والقداس كان الموكل باجراء الطقوس هـو الوحيد الذي يلثم وجهه بـ « البندامه » غير ان « الكنزفره » والكاهنين الآخرين يحتفظان بصولجانيهما (المركنه) • وقف الجميع بعد ذلك واخذ الكاهنان من بينهم يرتلون ، والقندلفتان صامتان ، ثم اعطيت اخيرا « الكشطه » النهائية للكاهن الموكل بالعمل الذي اكل بعد ذلك « البهثه » وشرب « المبوهه » • تلا ذلك ، الصلوات الطويلة والمراسم التي تحرر الاجزاء المختلفة من « الرسته » من قدسيتها الخاصة التي لحقتها عن طريق التكريس اثناء المراسم الاولى • وقد اشترك « الكنزفره » والكاهن في هذه العملية • وحين نزعت « التاغات والاكليلات » رميت الاكاليل في الماء •

وبهذا انتهى ما يمكن ان يسمى الفصل الاول من المراسم • اما القسم الثاني فقد ظهر فيه الكهان وهم يقومون بدور الذباحين والطحانين والطباخين والخبازين ، واصبحت المساحات المقدسة داخل الحدود « ميسري » مسرحا لفعالية نشطة •

واثناء هذه العمليات لاحظت ان جميع القدور والمقالي التي كانت قد غمرت في الماء قبل ادخالها في « الميسرى » مطلية من الداخل والخارج لانها كانت تلتمع وهي على الارض .

قام « الكنزفره » للتحضير لعمله ، بازاحة عمامته و « نصيفته » وتعليقهما فوق سطح « المندى » وهكذا ظهر شعره الطويل بظفائره الصغيرة تنوس حول رأسه . وخلع الكاهنان قسما من ثيابهما وشرعا بالعمل بكنس المناطق التي كانت مقسمة بحدود فكنسا جميع ما فوق سطح الارض من طين واوساخ ورمياها في البركة ، وبقيت ثلاث كرات من الطين في احدى الساحات استعملت اخيرا كما اظن لتكون اثافى (مناصب) للاواني التي توضع فوق النار الا اني نسيت ان اسأل عن الغرض(*) منها .

غيّر ال « كنزفره » الآن ملابسه قطعة بعد قطعة بملابس جديدة ، وبعد ان انتهى من ذلك ذهب الى البركة وغطس ثلاث مرات ، ثم اخذ اناء ورش بماءه جميع انحاء « المندى » وهو يتلو الدعاء . وهكذا غسلت الجدران الخارجية والسقف جميعا ، الا ان الجدار الشمالي لم ينله ما نال الآخرين ولو ان الماء كان يصل اليه من الاعلى . وكان « الكنزفره » يتلو اسم « الحياة » واسم « منداد هيى » على كل عمل يقوم به : « اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخر الخ » .

بعد ذلك قام برش داخل « المندى » بالماء من قنينته وهو واقف في عتبة الباب ثم غسل حوضا مطليا حديثا وملأه من ماء البركة ، وبعد ان تم هذا دخل « الكنزفره » الى الكوخ وغسل المندى كاملا بغمره من ماء ذلك الحوض الكبير ، وهو واقف على القاعة المبتلة ، وقد اصاب التطهير هذا السقف والضلوع وكل قسم من اقسام « المندى » .

(*) الغرض من الكرات الثلاث المذكورة هو استعمالها كاثافي فقط .

بعد ذلك أدخل الى الساحة نص طقسي مكتوب على صفائح من الرصاص ملفوف بقماش ابيض ، ثم غمرت هذه اللفة ثلاث مرات بالماء ، وكان النص يحتوى على « المسخته » (اجراءات من اجل ارواح الموتى) وطقوس الصدقات المباركة (زدقه بريخه) ، تلك الدعوات التي تقرأ خلال الاجراءات التي تلي ؛ واستمر « الكنزفره » والكهان على غسل « المندى » ، الاول من الداخل ، والآخران من الخارج ، واخذ احد القندلفتين من الخارج حزمة من القصب المقشر غمرت ثلاث مرات في الماء ، كما جاء بالقمح والسمسم والحبوب المختلفة الاخرى ، ملفوفة بقماش ابيض ، وكان القصب يشبه الوقود الذي كان يستعمل لايقاد النار • وهكذا في هذه الحال يجب ان لا يمس اي مشترك مطهر اى شيء غير مطهر ، ولهذا ولاجل ان لا يمس المطهرون اي شيء غير مطهر كان الوقود يرسل اليهم عائماً عبر البركة • وفي كل وقت يمس اي شخص داخل « الميسرى » اي شيء خارجها عليه ان يرتمس ثلاث مرات في الماء • اما الخشب المبتل والحبوب (والاخيرة منثورة على قماش ابيض فوق سطح المندى) فانها تجف بسرعة بتأثير الشمس والريح • وقد لاحظت ان « الكنزفره » والكهان كانوا يأكلون من حين لآخر من الحبوب والفواكه ، لانهم كانوا صائمين الا من الخبز المقدس والماء ولا يمكنهم الخروج من (الميسرى) لاي غرض آخر •

اوقدت نار في احدى الساحات ، وقد اشعلت اعواد القصب بواسطة قصبة موقدة مدت الى الداخل من خارج الساحة ، ثم نقلت ربطات مغسولة من القصب الى داخل الكوخ لتستعمل اخيرا في اوعية البخور (بريهى) •

شرع الكهان الآن بتحضير الطعام ، بخبز الخبز ارغفة مستوية • والاطعمة الخماسية المقدسة التي جيء بها من اجل « المسخته » والتي ستجرى عليها المراسم في المندى هي :-

١ ـ حب الرمان •
٢ ـ جوز الهند •
٣ ـ سفرجل •
٤ ـ لوز •
٥ ـ زبيب او عنب طري ابيض(*) حين يكون في موسمه •

الى جانب هذا كانت هناك الفواكه والخضروات الموسمية التي طهرت من اجل « الزدقه بريخه » • وكان هناك التمر والسمسم والملح التي ستوضح استعمالاتها فيما يلى :ـ

عند هذا الحد ، وقد مر على حضوري اكثر من اربع ساعات ، تغيبت لمدة ثلاثة ارباع الساعة ، وفي هذه الفترة كانت تجرى عمليات مختلفة ، فالطحين كان يطحن داخل « المندى » قبل صنع العجينة التي ستستعمل لـ « المسخته » • وبالاضافة الى ذلك فقد كان الكهان يخبزون ارغفة مستوية صغيرة ، بعد ارغفة صغيرة اخرى ليأكلوا ، كبحا لجوعهم • وقد وضع الزبيب وحبوب الرمان على طبق من القصب لتطهيرها ثم جففت في الشمس وهكذا صنع بالاطعمة التي هيئت من اجل « المسخته والزدقه بريخه » وقد وضع السمسم لمدة قليلة فوق النار ، ونزعت قشوره ثم وضع في الهاون ودق مع بعض التمر ووضع المزيج بعد ذلك من قبل الكاهن في زاوية من قميصه ثم عصر بعصارة حديدية كانت النتيجة سائلا (مشه) يسيل في « الكبته » ثم ينقل بعد ذلك الى « القنينه » ، وهذا هو العصير من مزيج السمسم مع التمر الذي سيستعمل اخيرا في رسم ارغفة « المسخته » (فطيرى) • وقد كانت القطرات التي تتساقط بعد كل عصرة قليلة ولذلك كانت العملية متعبة ، ومع هذا فقد اخبروني انه في العام السابق كان الكاهن قد نجح في استخلاص ما يكفى لملء « القنينه » •

(*) المهم وجود العنب ابيض كان ام اسود •

ولدى عودتي كانت التحضيرات ، للمسخته تأخذ مجراها حيث مسك بحمامة من نوع « الحر » ذكرا(*) كامل الخلقة قد ربيّ لهذه الغاية ، وكان ولد صغير يمسك به خارج الساحات المطهرة ، وقد وجدت نفسي مدفوعة لمداعبته بنتف ريش الطير . بعد ذلك فتحت الخامة البيضاء التي تلف النص الديني المكتوب على الرصاص وأخرجت الصفائح الرصاصية ووضعت عمودية تواجه ساحة المندى مستندة الى جداره داخل احد المربعات . والشيء الغريب في تضحية الحمامة في المسخته عدم النطق بأية كلمة بصوت عال سواء كان ذلك من قبل القائم بالعمل او من قبل القندلفت الذي يساعده(٤) .

وكان القندلفت يحمل الحمامة والسكين التي ستستعمل في الذبح وقطعة الخشب التي ستمسك مع السكين وغصناً من الآس ملقى على كتفه الايمن ؛ وذهب الى البركة وارتمس ثلاث مرات قبل ان يلتحق بـ « الكنزفره » وياخذ موقفه الى الشرق منه .

قام « الكنزفره » بالدعاء الصامت في تضحية الطير وهو يواجه « المندى » جالسا على عقبيه ماسكا الحمامة بحيث تتحرك السكين في قطع رقبتها من الشمال الى الجنوب . وكما هو دائما ، فالذباح كان يمسك بقطعة صغيرة من الخشب مع سكينة . وقد قيل لي ان « الكنزفره » وهو يمسك بجناح الحمامة يدوس على جسمها بقدمه اليمنى الحافية ، وحين راجعت مخطوطة تصف هذا الطقس وجدت استعمال القدم اليمنى في ذبح الحمامة منصوصا عليه .

اخذ القندلفت جثة الحمامة والسكين الى البركة وغمرهما ثلاث مرات وسمح لقطعة الخشب ان تطفو ببطء على سطح الماء والتحق بعد ذلك بـ « الكنزفره » في ساحة التضحية ثم غادراها معا .

(*) المهم هو الحمامة دون الاهتمام بجنسها .

أخذ « الكنزفره » جثة الحمامة ووضع قليلا من الملح على الجرح وعرّض الرقبة ثلاث مرات الى لهيب مشتعل من حزمة قصب (كانت قد طهرت سلفا) كان يمسك بها القندلفت ثم بعد ذلك اخذ هو والكاهنان الحمامة ودخلوا بها الى « المندى » وقد كان الثلاثة قد قاموا بغسل ايديهم قبل الدخول الى الكوخ •

ان طقوس « المسخثه » داخل المندى تطابق طقوسها التي تقام عند تكريس الكاهن التي سأصفها في فصل قادم • وقد اعتمدت في وصف هذه « المسخثه » وغيرها من « المساخث » على الكهان اذ لا يسمح الا لهم بدخول المندي للقيام بذلك العمل ، فمن الضروري ان تستر عن الاعين الدنسة اجراءات تكريس الفطائر الست والستين واكل الطعام المقدس (طبوثه) مع لحم الحمامة وشرب الخمرة والدفن الاخير لبقايا الحمامة والفطائر مع ما عليها من قطع اللحم المقدس • وكل ما رأيته من هذا الاحتفال هو اتمام دفن اللفافة التي تحتوى على كل ذلك في بقعة في الشمال الغربي من المندى • ويجب ان لا يكون الدفن وراء الجدار الشرقي للمعبد كما يجب اختيار بقعة بكر دائما ؛ ولست ادرى ماذا يحصل لو كانت المساحة قد استعملت كلها سابقا • وبما ان ذلك لم يحصل منذ سنين عديدة فقد يعود ذلك الى ان الدفنات السابقة قد نسيت اوان (منادى) اخرى قد كرست • والفرق بين « المسخثه » من اجل « الكنزفره » وتلك التي من اجل « الشوليه » قد يحث بدقة اكثر في الفصل الاخير الذي يعالج تناول الطعام على روح الميت ، كذلك عن طبيعة « الزدقه بريخه » الكاملة التي شاهدتها بعتمة على ضوء الشموع • الا ان « الزدقه بريخه » والدفن الاخير قد كانا في نهاية يوم مليء بالعمل ، وواجبي هنا ان اصف ما شاهدته حقيقة •

كانت الضحية الثانية كبشا سيستعمل شحم إليته في « الزدقه بريخه »(*)

(*) ليس لاستعمال الشحم هنا اية اهمية دينية وانما يؤخذ لمجرد استعماله كدهن للرز •

وكان الكبش ينتظر الذبح مربوطا في ساحة « المندى » خارج الساحات المقدسة . غادر الكاهنان « المندى » وتركا « الكنزفره » وحده ومعه الحمامة المذبوحة والمساعد ، وكان صوته يسمع مرنما من داخل المندى المظلم ، كذلك انشد الكهان ورتلوا ايضا ، ولكنهم كانوا منشغلين بالضحية الثانية وبالاستعداد لذبحها . قص القصب قصيرا واخذ الى البركة وغسل غسلا تاما ثم وضع في احدى الساحات على شكل بساط (چباشه) ستطرح فوقه الضحية [شاهدت ذبحا آخر لكبش من اجل « اللوفاني » وكانت الضحية مطروحة فوق فراش من سعف النخيل على جانب النهر وتحيط بالبقعة « ميسرا » مربعة تمتد اخاديدها نحو النهر][٥] .

القى الكبش (لا يجوز ذبح النعجة) على احد جانبيه خارج الحدود المقدسة واظلافه مربوطة معا ، وتقدم « حلالى » لتنظيف سيقانه واظلافه . كان غسل الاظلاف دقيقا وشاملا ، وقد استغرق حوالي عشر دقائق ، تلا ذلك تنظيف الذيل والالية وجميع صوف القسم الخلفي بغسلها على نفس الدرجة من الدقة ، وكان هناك كاهن ينظف صفائح الرصاص الطقسية ويغسلها (قد دنسها كما افترض ذبح الحمامة) . في هذه اللحظة حصل التلوث في « الميسرى » بعبور احد الاطفال اليه ، فتوقفت الاجراءات موقتاً ما عدا وظائف « الكنزفره » الذي كان في داخل المعبد . وانتهى هذا الحادث العرضي الصعب بعد ان رفع « الحلالى » الكبش وحمله معه الى البركة وخاض به الماء وغطسا معا ثلاث مرات ثم خرج يحمله بصعوبة ومشقة اذ لم يكن الكبش المبتل مجزوز الصوف ، ثم وضعه فوق القصب ورأسه الى الشرق وذيله الى الغرب وغسلت السكين مع الدعاء الاعتيادي وقص رباط الحلفاء الذي كان يشد ربطة القصب فانبسطت، ووضع اناء كبيراً تحت رقبة الكبش ليتساقط فيه دمه . قام « الشيخ عبدالله » الموكل بالذبح باجراء « الرشامه » ورش عصاه بالماء ، وتفقد كل جزء من ملابسه بمسها ، مكرّساً اياها ، ثم وضع التاج والاكليل على رأسه مع الدعاء المعتاد. ولا تلبس

التيجان الحريرية الا في ايام « البنجه » .

في غضون ذلك كان يتبادل الكاهن الآخر والمساعد الدعابات مع المتفرجين . وقف المساعد بجانب الشيخ عبدالله كشاهد على الذبح (الشاهد ضروري في عملية الذبح) ، وكان الشيخ يجلس على عقبيه جنوبي الضحية متجها الى الشمال . قص حنجرة الكبش وهو يهمس باذنه منحنياً عليه :ـ « بِشِمْ إد هيى واشم اد منداد هيى مدخر الخ ، بثاهيل قرْيَخْ هيبل زيوا فَقَدْ إلَخْ مِينَخ سَخ بسرخ دكيه كل من آكل منخ نهبى نِتَسِي نتقيّم اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخر الخ ... » .

وترجمتها :ـ « باسم الحياة اسم منداد هيى منطوق عليك بثاهيل يدعوك هيبل زيوا امر بذبحك أيها اللحم الطاهر . كل من اكل منك سيعيش وسيكون سليما راسخا . اسم الحياة واسم منداد هيى منطوقان عليك » .

كانت السكين كجميع السكاكين التي يستعملها الصابئون في الضحايا او الطقوس ، من الحديد وكانت قد حميت في النار الى حد الاحمرار بعد ان انتهى الذبح لغرض تطهيرها تطهيراً تاما ، وكانت قطعة الخشب الصغيرة وطولها حوالي (٦)(*) عقد تمسك لصقها اثناء قص الحنجرة ، ويمكن ان تكون هذه القطعة ، من خشب الزيتون او تمر الهند او الصفصاف او التوت او من اي خشب طاهر آخر(**) . والايضاح الوحيد الذي حصلت عليه من الكهان حول هذه العادة هو : ان الذبح بالحديد (برزله) فقط ، محرم[٦] . وكما حدث سابقا في ذبح الحمامة أخذت السكين وقطعة الخشب الى البركة ونزل الشيخ عبدالله في الماء ليطهر نفسه . خلع ملابسه الا من السراويل ثم غطس ثلاث مرات وهو يفرك القميص بين يديه يزيل منه بقع الدم ، وفي الوقت الذي كانت تغسل فيه السكين بعناية سمح لقطعة

(*) يكون طول قطعة الخشب عادة بقدر ثلاث عقد تقريبا .
(**) انظر الملاحظة على ص ١٠٢ .

الخشب ان تطوف على سطح الماء • وكان الدعاء اثناء هذه الطهارة كما يلى :
« اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخر الى • نخست ابرزله وهللت بيردنه انا نكاسه ما رى هياسه وشرلى وشفقلى هطا يى هوفى (هوباى) اشخلائى وتقلاتى وشب شائي ديلى بلان برپلانيثه (اسم القائم بالذبح واسم امه) اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخر الى » • وترجمتها :

(اسم الحياة واسم منداد هيى منطوقان على لقد ذبحت بحديد وتطهرت في الماء الجارى اعف عني يا آلهي انا الذباح اغفر لي وحرّرني من خطيئتي وآثامي وحماقاتي واخطائي واعمالي الشريرة انا فلان بن فلانة • اسم الحياة واسم منداد هيى منطوقان علي) •

ويلاحظ ان الاسماء النورانية النقية لا تقحم في هذا الدعاء فالخطيئة التي ارتكبت انما هي خطيئة ضد الحياة العظمى باغتيال حياة •

كذلك صب ماء من البركة على رقبة الكبش الذبيح ونشرت ملابس الكاهن المبتلة فوق سطح « المندى » لنجف • وحين لفظ الكبش آخر انفاسه جيء بمشعل من القصب وقرب من عنقه ثم قطعت اظلافه وفصل رأسه ووضع في طشت وشرع بسلخه وتقطيعه من قبل الذباح نصف العارى يساعده احد المساعدين • نتف الصوف اولا وقطع قليل من شحم الاليه ووضع داخل « المندى » من اجل « الزدقه بريخه » • وقد اجريت كل تلك العمليات والكبش راقد فوق حصير القصب وكان الكاهن يغسل يديه بين حين وآخر • بعد ذلك عُوّم لوح من الخشب عبر البركة وباتجاه الكاهن ومن خارج الحدود (ميسرى) • وبعد ان تعرض للغطس ثلاث مرات اتخذ الذباح تلك الخشبة لتهريم اللحم • وبينما كانت هذه الاعمال جارية ظهر « الكنزفره » من داخل « المندى » مرة اخرى واجرى « الرشامه » وملأ قنينتين من ماء البركة اخذ واحدة معه ووضع الثانية بجانب ضلع الباب الايمن « للمندى » واختفى ، يتبعه المساعد ، في داخل

المندى ليظهر مرة اخرى فقط ليجيب عن سؤال وجهه اليه بصوت عال احد الكهان (ولم يكن من بين المشاركين) وكان يجلس خارج الحدود .

وكان هذا الكاهن قد وجه نقدا حول الطريقة التي كانت تجرى فيها الطقوس وكان بيده كتاب (شرح بروايه) . وليس مثل هذه الاعتراضات بمستنكرة ولهذا قرئت احدى فقرات الدرج ونوقشت وسوّي الامر وعاد « الكنزفره » الى تعازيمه داخل المندى . وكان الكاهن الثاني الموكل بالقداس ـ الشيخ فرج ـ قد تعرى الا من سراويله وغطس بماء البركة ثلاث مرات وغسل ملابسه (رسته) وارتدى قميصا ثم غسل السراويل وحدها ونشر بعد ذلك ملابسه جميعا فوق النار المدخنة لتجف .

تلا ذلك شيّ اللحم ، فقد وضعت في اناء قطع صغيرة من اللحم رش عليها الملح والقيت كما هي فوق النار . بعد ذلك بقليل رفعت قطع اللحم ورش عليها الملح مرة اخرى ثم وضعت في طبق آخر وكانت النتيجة قطعا من اللحم محترقة يغطيها الرماد والملح لا تثير الشهية . وكان الكهان والمساعدون يتناولون قطعا من اللحم بين حين وآخر . ونقل الجلد والصوف وبعض من اللحم غير المطبوخ الى خارج المندى ، وقامت امرأة برمى الاحشاء في النهر . وحين انتهى التهريم والطبخ جيء باللوح الخشبي المدمى وبالقصب والقيا على النار واستعملا وقودا بالتدريج .

يبدأ الآن الدور الثالث حيث ارتدى الكاهنان ملابسهما كاملة وغسلا صولجانيهما ثم دُعيا من قبل « الكنزفره » الذي خرج ليملأ ثلاث قنينات بالماء ، فدخل الثلاثة جميعا الى الكوخ لتلاوة « الرهمى » وباقي « المسخته » التي ساصفها في فصل قادم .

وكانت اصوات التراتيل تسمع لوقت طويل ، فقد عدت في الظهيرة وبعد الظهر ثم في الغروب الى الليل ومن وقت لآخر كنت اسمع وانا في

الخارج وقع اجسام تترنح وهي تقرأ ذلك القداس الطويل .

واخيرا جاء الدور النهائي وهو « زدقه بريخه » باسم « الريش امه » الميت وكان النظر الى الاشياء يبدو كليلا على ضـــياء النار التي لا تزال محترقة ، وعلى ضياء المصباحين المعلقين على العصا . خرج « الكنزفره » والكاهنان من الكوخ واجتازوا الحدود واتخذوا اماكنهم بجانب العلمين « درفشه » المغروسين بالارض في النهاية الشرقية للساحة . قاموا اولا بكنس الارض ووضعوا « طريانه » كبيرة عليها ثم وضع فوقها وعلى اخرى قريبة منها ملح وخبز وقشور برتقال وقطع صغيرة من الشحم المشـوي (شحم من إلية الكبش الضحية) مع رز وسمك(*) وزبيب وحب الرمان وماكولات اخرى تكون طبيعتها جميعا نباتية ما عدا شحم الكبش الذبيح والسمك . وظهر المساعد (شكنده) كالشبح في الظلمة وجلب غصـنا من الآس وضعه فوق هذه المائدة للنعمة (طبوثه) كما كان يدعى ذلك الخليط من المأكولات . كان العلمان الى شرق هذا المنظر الغريب قليلا . حدث بعد ذلك تفقد « الرسته » الاعتيادي قطعة بعد قطعة حيث كانت تمس وتكرس ، وكان المساعد جالسا يواجه الكهان ويمسك بيده اغصان الآس . بعد ذلك جاء دور « الذخرانا » او الذكرى او التذكر الجليل للارواح المباركة لاولئك الذين في عالم النور ويضمنهم روح « الريش امه » الذي كان قد مات منذ امد بعيد .

اخذ كل من « الكنزفره » والكاهنين قبضة من الطعام وامسكوا بها بينما كان احد الكاهنين يتلو صلوات « الزدقه بريخه » مع دعاء « ابا هاثان » (انظر فصل ١٢) ثم وضعوا الطعام في افواههم واكلوه . كان « الكنزفره » يقوم بدور صامت خلال هذا الاحتفال وقد قال المشاهدون انه خلال هذه الاجراءات انما يمثل سلفه الذي باسمه وباسم زوجته تقام هذه الدعوات

(*) لا يستعمل السمك في زدقه بريخه المندى مطلقا .

(انظر الفصل ١٢ ... من اجل الطقس الكامل لهذه الزدقه بريخا) .
وحين اكل بعض الطعام الذي كان امامهم امسك « الكنزفره » بقطعة من الآس واخذ يقرأ في كتاب . وضع الثلاثة اغصانا من الآس[٧] في عمائمهم كالريش وشرب الواحد بعد الآخر خمرا (همره) من الكاسات (كبثه) التي معهم باسم الميت . بعد ذلك نهض الكاهنان ووضعا طرفي طبرشيليهما (نصيفه) على رأس شخص « الكنزفره » الصامت الجالس على عقبيه واخذا يصليان . سلم « الكنزفره » بعد ذلك الكتاب الذي كان يقرأ فيه الى الكاهن القائم بالعمل (الشيخ عبدالله) الذي اخذ يقرأ فيه بدوره . وقد سمعت في هذه القراءة ، قائمة باشخاص الموتى :ـ « فلان ابن فلانة لتغفر له خطاياه » .

في نهاية هذا المطاف الطويل جاء دور تحرير « الرسته » . وكان الثلاثة المتعبون في ذلك الضياء الخافت ينحنون لشم الآس قائلين : « ما احلي رائحة الحياة يا مولاي منداد هيي » . كان ذلك هو النهاية وقد رأيت في الظلام كاهناً يحفر قبراً للحمامة والفطائر ويدفنها ويذهب الى البيت .

ـ ملاحظات حول الفصـــل الثامن ـ

١ ـ يظهر ان البركة الطقسية (ابسو) ذات العلاقة بـ « ايا » آلـه ـ المياه ـ كانت تشكل جزءاً من العقائد السومرية في « اريدو » المدينة القديمة التي تقع خرائبها على مسافة قريبة من « مندى » حديث في سوق الشيوخ • وقد بحث الاب (بوروز Burrows) « مشاكل من ابسو ، روما ١٩٣٢ » عن « ابسو أو ابزو » واستنتج بانه لم يكن مبزل سوائل كما اقترح سابقا ، بل لابد ان كان حوضا او بركة ، واشار الى ان بعض اسماء شعائر « ابسو » في « لاگاش » تشير الى برك متصلة بقنوات او ما يشابهها •

٢ ـ انظر مقالتي « كوخ العبادة لدى المندائيين » في « مجلة مصر القديمة والشرق حزيران ١٩٣٤ » حول تعليق الدكتور موري (Murray) الهام عن الاعمدة القصبية المطلية بالطين • ويظهر انه كان للبنايات ذات السقوف المنحدرة اهمية دينية في العراق في الازمنة الاولى • وقد كتب (مالاوان) (Mallawan) (العراق مجلد ٢ القسـم الاول) عن الحفريات الحديثة في « الارباشية » فقال ان السـقف المطلي في القرون الاولى والمصور على الواح نضيجة من « العبيد » ، وهو الآن في المتحف البريطاني ، انما هو تأكيد لتفسيرنا لتعويذة على حجر •• من فترة تل الحلاف الذي يظهر انه سقف انحداري ذو عمود ـ تكمه ـ منحنٍ الى السقف •

لقد كان للشكل « المُجمْلَن » للبناء معنى ديني في العصر الزردشتي الفارسي الاول ، والى ذلك يشـــير قبر كورش في « بارزاگادا » وهو على شكل المندى ، كذلك تشير بنايات اخرى الى تلك الفترة •

والبناء كانموذج يمكن ان يؤخذ على انه يمثل ، على شكل اكثر ثباتا ، الخيمة ذات الجسر ـ هردى ـ الافقي الذي يسنده عمودان قائمان • انه شـــكل عزيز على الرجال الذين يختارون عيشـــة الاستقرار • وقد قيل لي ان معبد « شنتو » وهو ايضا من هـــذا الصف المجملن انما هو على هذا الشكل ، لهذا السبب •

٣ ـ لقد اندهشت حقا وانا اقرأ الطقوس الأكديـــة لـ « ثورو دانجن » (Thureau - Dangin) للتشابه بين « طراسة المندى » وطقوس الاكديين في تكريس المعبد بعد النجاسة او الزلزال او الاعتداء • لقد ترجم المؤلف عدة الواح مكتوبة توضح هذه المراسم وفيها تظهر عدة مظاهر للطقوس المندائية وبخاصة في ذبح حيوان على فراش من قصب ، وفي التلاوة عليه قبل تضحيته برش الماء النقي ، وفي الخوانات الثلاث للطعام واشعال النار ، وفي المناحة ـ قريبة من المسخته ـ ، وفي جلب الحبوب والزيت والطحين والفاكهة والاطعمة الاخرى ، وفي « الماء فوق الخوانات » • وفي رؤيتي للمراسم الاولى شاهدت مرة ثلاث قطع من الخام الابيض منشورة ايضا الا انـــي اخبرت اخيراً ان هذا قد حصل عرضا ، وقالوا انهم سابقا كانوا يفرشون قطع الخام الابيض احيانا ، غير ان ما شاهدته كان قطعا نشرت لتجف •

٤ ـ الصلاة الصامتة : تكون الصلاة صامتة حين يعتبر المصلي ميتاً طقسياً ، او انه في مناسبة غاية في القدسية ، وفي حالة العروس اثناء تعميدها • ويظهر ان لذلك علاقة بصـلاة البارسـيين (باج) ، فهي تتلى في مناسبات اخرى ، اي في ذكرى الاشخاص المتوفين •

٥ ـ اشرت سابقا الى ان عادة ذبح ضحية على فراش من قصب ترجع الى الازمنة الاكدية • ويظهر ان المجوس قد مارسوا عادة مشـابهة ،

يقول هيرودوتس : « الانسان الذي يرغب ان يضحي يجلب ضحيته الى قطعة طاهرة ، وهناك يذكر اسم الاله الذي يرغب في تقديم الضحية اليه • ومن المعتاد ان يكون في العمامة اكليل من الآس في اغلب الاحيان ولا يسمح للمضحى ان يصلى طلباللبركة لنفسه فقط بل ان يصلى من اجل الملك ومن اجل جميع الشعب البارسي الذي هو واحد منه • ثم يقوم بتقطيع جثة الضحية الى قطع ويغلى اللحم ويضعه فوق الاعشاب الطرية المتيسرة ومن بينها البرسيم بصورة خاصة » (العمامة والاكليل تطابقان العمامة والاكليل لدى الصابئين) •

٦ – يتحدث مولتون (Moulton) في « الزردشتية الاولى ، ص ٤٠٨ » عن المجوس فيقول انهم كانوا يجزرون ولكن ليس بالحديد بل وبالخشب ؛ لاحظ ايضا ان المجوس كانوا يلبسون البياض والعمامة واكليل الآس ويجزرون بجانب الماء • لقد كانوا يعنون كثيرا بان لا يدنسوا الماء بالدم •

٧ – الكليلة او اكليل الآس في مراسم التعميد توضع بين العمامة والتاج (تاغه) الا انها في هذه المراسم التي وصفتها هنا توضع في طيات العمامة •

ـ الفصل التاسع ـ

ـ الكهانة ـ تدشين الكاهن او الترميده

الكهانة كما ذكرت سابقا آخذة بالتضاؤل ، فليست سلطة الكاهن كما كانت عليه من قبل ، كما تناقص دخله وجعلت الحياة العصرية من الصعب عليه متابعة وظيفته الشاقة المفروضة عليه عقيدة ، واطاعة الاوامر التي ينصح هو الآخرين باتباعها • ان الطهارة والاغتسال ضروريان دينياً بحيث يجب عليه ان يقوم بهما في محلات طاهرة من النهر ، ولهذا فحياة المدن لا تلائمه ، واذا سكن بعيدا عن المدن فان اتباعه من سكان الاهوار الفقراء لا يقدمون له ما يكفي لان يعيش به •

والكهانة وراثية[1] ، وتوجد عوائل كان فيها الاب والابن كاهنين ولعدة قرون دون توقف ، ولا اعني بذلك ان الكهانة مغلقة على غير الاسر الكهنوتية فالصابئي المنحدر تاريخياً ولبضعة اجيال معينة بطهارة معينة ويمتلك الصفات البدنية والعقلية الضرورية ، يمكن ان يصير كاهنا ، الا ان الكهانة من الناحية العملية تميل الى ان تتسلسل من الاب الى الابن •

ويبدأ التدريب عليها منذ الصغر حيث يلبس الصغير « الرسته » ويقوم بوظيفة القندلفت (اشكنده) لابيه • ويبدأ بتعلم الابجدية منذ الثالثة او الرابعة من عمره وحين يتعلم القراءة والكتابة يطلق عليه اسم « يلوفا » • ويبدأ بحفظ الادعية والصلوات حين يكون قادرا على النطق • وما كان يسمح في الازمنة الاولى للسكين او المقص ان ينالا من شعر الطفل المرشح[2] للكهانة منذ زمن الطفولة فصاعدا ، اما الآن فيمكن ان يهيء الصبي للكهانة على ان يمتنع عن قص شعره بعد سن البلوغ ، كما عليه ان يكون سالم

الاعضاء البدنية تماما .

ولا يمكن ان يصبح كاهنا من كان مختونا او غير منجب او خصيا ، فالجسم يجب ان يكون « سليما نقيا كاملا » . واذا ما حدث ان تعرض كاهن لضرر يفقده رجولته او احد اعضاء جسمه فلا يسمح له بممارسة وظائفه الدينية . ومن الواضح ان فقد العين الواحدة او بتر عضو داخلي من جراء عملية جراحية لا يؤبه له في الوقت الحاضر ولو ان بصر الكاهن حسبما جاء في ديوان « الفترسر شياله » يجب ان يكون لا غبار عليه . ويعتبر الجنون بعد تدشين الكاهن حالة ممكنة الشفاء الا ان الكاهن المجنون يمنع بطبيعة الحال من ممارسة وظائفه الدينية .

وليس بدن الكاهن فقط هو ما يجب ان يكون سليما ، بل وسلالته ايضا ، اذ عليه ان يكون منحدرا من دم صابئي نقي وان تكون اسرته طاهرة جسميا وطقسيا لعدة اجيال ومن جهتي الام والاب . وتاريخ الاسر معروف لدى الصابئين وبخاصة اسر الكهان الذين يحتفظون بالانساب الطويلة مدونة عادة في حواشي الكتب المقدسة ، وهي ترجع الى ما يقارب الخمسمائة عام او اكثر . فلا يسمح للفرد ان يصبح كاهنا اذا كانت احدى جداته خلال فترة ثلاثة اجيال قد تزوجت مرملة او ليست بعذراء ومن هنا يمكن ان يقال ان كل كاهن قد ولدته امرأة عذراء .

وقد قيل لي عدة مرات ان الجنس ليس حائلا دون الكهانة ، فقد وجد كاهنات من النساء وحتى كاهنات من الدرجة العليا (كنزفرى) ، ولو ان « الكنزفره » حين يكون امرأة لا يستطيع ان يعقد اكثر من زواج واحد في اليوم الواحد . ويوجد في كتاب « الكنزه » ذكر لكاهنات صابئيات، ومع ذلك فديوان « الفترسر شياله » يحذر من تدشين امرأة ككاهن حيث يقول « احذروا ان تدشنوا امرأة كاهنا » (ازدهرّ دلا تطرسون تاغه ال انثى) . ولم اصادف انا كاهنة ولم اسمع من يتحدث عن واحدة لها

وجود في الوقت الحاضر ، ولكنهم اكدوا لي انه كان يوجد منهن في الزمن الماضي وان اسماءهن تذكر في دعاء الاسلاف (ابا هاثان) .

وحين يكون الصبي قد حفظ ما فيه الكفاية من الطقوس والصلوات ويكون قد اعتاد على القيام بالعمل كقندلفت ودرس الكتب المقدسة تحت ارشاد كاهن او استاذ (كنزفره) يكون بهذا جديرا بتسلم اولى درجات الكهانة ليصبح « ترميده » . والسن الاعتيادي لاكتساب هذه الدرجة هو بعد سن البلوغ عادة . ويكون تدشين الكاهن اكثر تعقيدا ان كان متزوجا اذ يجب ان تثار في مثل هذه الحالة مسألة ما اذا كانت زوجه في فترة طهارة ام لا ، فالزوجة اذا ما ادركها الحيض اثناء القيام بتكريس الكاهن الزوج او اذا ما اسقطت او ولدت فان نجاسة كبرى تحل بالتكريس كله ويتعرض جميع القائمين بالعمل الى تناول العماد ، مبتدئين بتعميد « الكنزفره » ثلثمائة وستة وستين عمادا . واذا ما حدث ان نجست ايضا زوج « الكنزفره » القائم بالعمل فيمنع من ان يبلغ درجة رئيس امة « ريش امه » اضافة الى الثلثمائة وستة وستين عمادا الاولى .

وعندما يزكي « الكنزفره » « الشوليه » ، كما يسمون المرشح للكهانة ، ويجده على درجة كافية من المعرفة بالطقوس والعقائد والكتب المقدسة تبدأ احتفالات التدشين في يوم السبت من الاسبوع .

ولم اشاهد انا الحفل الا انني حصلت على عدة افراد رووا لي الاجراءات بتفاصيل تامة وكانت رواياتهم متطابقة .

يجب ان يكون كل شيء جاهزا قبل البدء بالمراسم ، القصب والكبش الضحية وكلما هو ضروري من ادوات الشعائر . ويتجمع الصابئون من جميع النواحي ، فتدشين كاهن حدث يستدعي السرور والبهجة ، وتسبقه عادة احاديث كثيرة عنه . يجمع « الكنزفره » الذي

يقوم على راس الحفل ويدعى « ربّى » اكبر عدد ممكن من الكهان – يجب ان يكون هناك ما لا يقل عن سبعة كهان وقندلفتين(*) – ويعمد هؤلاء بعضهم بعضا في النهر (او في المندى) ؛ ويتناول المرشح نفسه عمادين احدهما على يد « كاهن » والاخر على يد « الربى » . ويحضر كبش بعد ان يغسل ويطهر كما مر معنا . ويذبح بجانب الماء فوق نفس الفرشة المعتادة من القصب والمحددة بحدود « ميسري » . وهذا الكبش كما اوضح احد الكهان عبارة عن فداء (فدوه)(٣) للمرشح ، بعد ذلك يؤخذ « الشوليه » الى المندى او الى بيت « الربى » حيث يتأكد الكهان من سلامة جسمه بصورة نهائية(٤) او كما وصفها « الكنزفره » بان « المرء حين يشترى ياقوتاً يختبره ويفحصه ليرى انه صاف لا عيب فيه هكذا هم يفحصون جسم الشوليه » . بعد هذا الامتحان يرتدى المرشح ملابسه (رسته) وتقوم امرأتان عجوزان – تجاوزتا سن الحيض – بغسل ساقيه واحدة من اليمين والثانية من اليسار .

بعد ذلك يبنى الكهان كوخا من القصب في الطرف الجنوبي من ساحة بيت « الكنزفره » ويشبه هذا الكوخ كوخ الزواج ويسمى « انديرونا » ، وهي كلمة تذكرنا بالاسم الذي يطلق على قسم الحريم في بيت بارسي « انديرون » . والكوخ مستطيل الشكل وزواياه مستديرة وفي الجدار الشمالي منه بروز من الجهة اليمنى من المدخل وسقفه مستوٍ مغطى بستارة من الموزلين المصبوغ باللون الازرق(٥) ، وعندما استفسرت عن معنى هذه الستارة الزرقاء امتنع بعض الكهان عن الاجابة ، وحين الححت قالوا انها عادة ليست بذات اهمية . اما بالنسبة لصديقي « هرمز » فالستارة الزرقاء هذه تدعى « عباءة الروهه » . واللون الازرق بالنسبة للصابئين هو لون حجاب الروهة ، كما ان اللون الشاحب والعنبرى

(*) المهم في هذه المراسم وجود « كنزفره » ولا عبرة بعدد الكهان .

والازرق السمائي هي الوانها الرمزية ايضا . واظن ان « الانديرونا » تمثل الروح الارضي او الحيواني (الروهه) او نفس الحياة وقد ارتبط اللون الازرق في اذهان الكهان « بالروهه » ام الكواكب فهو يخص الناحية غير الدينية من شعائرهم او ما ندعوه بالاحرى بالتعزيم . ويبدو الرمز بسيطا ، فانتقال « الشولية » من كوخ الى آخر يعنى انه يمر من حياة تسيطر عليها روح ارضية الى حياة تسيطر عليها روح نورانية(*).

وقد قيل لي انه في الماضي كانت تدس قطعة من خيط ازرق بين أوراق الكتب المقدسة رمزا او تعويذا ضد الروح وهذا كان يدعى « سهم روهه » اي حصتها . ويقال الآن انه يدس في مكان ما من التجليد الا انني لم الاحظه .

وحين يكون الكوخ جاهزا يقوم « الكنزفره » والكهان والقندلفتان بالوضوء ثم باقامة « الرهمى » ، وبعد الممهدات هذه ياخذ الكهان السبعة ومعهم الاستاذ امكنتهم داخل « الانديرونا » متجهين الى الشمال ، ويقف « الكنزفره » في اقصى اليمين ، وامام كل منهم كتاب مفتوح هو كتاب « سدره اد نشمائه » .

اليك الآن وصف المشهد تفصيلا : الساحة تغص بالناس وامام « الانديرونا » تترك مساحة يجلس فيها المرشح بملابسه الجديدة وقد خيطت في جهة الطبرشيل اليمنى قطعة من الذهب وفي الجهة اليسرى منه قطعة من الفضة . هناك يجلس فوق كرسي مواجها مدخل « الانديرونا » وبين يديه كتاب « سدره اد نشمائه » ، مغلقا ، ومعه غصن طري من الزيتون وقد نصب علمان « درفشه » واحد عن يمينه والاخر

(*) قال الشيخ عبدالله (وهو كنزفره معاصر) ان انتقال «الشوليه » من « الانديرونا » الى « الشخنته » يعنى انه قد ارتقى من درجة فئة المندائيين العامة الى درجة (الترمذه) اى ادنى درجات الكهانة .

عن يساره شمالي « الانديرونا » وجنوبي المرشح الجالس على كرسيه . وعن يسار كل علم وضعت « كنثه » (صندوق من الطين فوق غطائه توجد ادوات المراسم) ، وفي الزاويتين الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية من الساحة يتجمع المشاهدون من الصابئين ويقف النساء والاطفال بين وبنات في الزاوية الشمالية الغربية يطلقون صيحات الفرح من وقت لآخر . وفي الزاوية الشمالية الشرقية كان هناك نساء(*) مهمتهن خياطة التيجان (تاغى) . وفي شرقي الساحة كان يقف اناس سنتبين واجباتهم فيما يلي :

يؤتى بقماش حريري ابيض وبنسيج قطني ابيض ايضا عرضه حوالي الذراع ويسلم الى « الكنزفره » في « الانديرونا » ، ويكون الحرير من نوع القز ، أي حرير طبيعي منسوج ، باليد ، يقوم « الكنزفره » بقصه الى قطعتين يصنع من واحدة منهما تاجا له ومن الاخرى تاجا للمرشح . ثم ياخذ النسيج القطني ويقطعه الى قطع عرض الواحدة حوالي الثلاث عقد ، فاذا كان هذا التكريس اول تكريس يجريه ، فانه يقطع القماش الى ثلاثين قطعة ، اما اذا كان التكريس الثاني او اكثر فانه يقطع القماش الى اربع وعشرين قطعة . وياخذ احد المساعدين هذه القصاصات الى النساء الموكلات بالخياطة حيث يطبقن كل واحدة طولا ويخطن الحواشي الخشنة لكل قصاصة ويوصلن الحافتين ويخطنها ايضا ، بعد ذلك ياخذ الناس الواقفون الى الشرق تلك القصاصات ويقلبونها ظهرا لبطن ليكون الخياط الى الداخل ويعيدونهن الى الخياطات اللواتي يتممن عملهن بخياطة نهايات هذه القصاصات او الشرائط ليعملن منهن حلقات . وهذه التيجان تخص الكاهن الجديد ، وتقرأ الادعية على كل واحدة منها في اليوم التالي .

يتلو المرشح من الذاكرة « سدره إد نشمائه » باجمعها ، بينما يتابعه

(*) يجب ان تكون هؤلاء النسوة عذراوات وان يكون عددهن ٢٦ وليس بينهن من هي في ايام الحيض .

الكهان الجالسون في « الانديرونا » ونسخهم من الكتاب نفسه مفتوحة امامهم ليتأكدوا من عدم وجود اي خطأ ، فالشخص لا يعتبر مستحقا للكهانة ان لم يحفظ « سدره اد نشمائه » عن ظهر قلب ، كذلك حفظ « القداس الكامل للمسخته » و « الرهمى »[٦] .

وبعد كل تلاوة ناجحة يطلق النسوة اصوات الفرح . ينهض المرشح بعد ذلك ويؤذن له بدخول « الانديرونا » حيث يقبل يد « الكنزفره » وايادي الكهان وياخذ مجلسه بجانب « الكنزفره » . تقرأ فوق رأسه تسع صلوات ، ثم بعد ذلك يصرف الوقت بالتعبد الى الغروب . يخلع الكهان ملابسهم ويخرجون ومعهم المساعدان من « الانديرونا » تاركين « الربى » والمرشح في داخلها وهما في ملابسهما الكاملة .

يقوم الكهان ـ يساعدهم افراد من العامة ببناء « شخِنْته » مقابل « الانديرونا » تماما بحيث يكون مدخلها مقابل مدخل « الانديرونا » بالضبط (ليس للبيت هذا اي باب او نافذة) اي في الجدار الجنوبي (للشخنته) ويبنى هذا الكوخ من القصب على شكل « جمالي » مستطيل بسقف منحدر الجانبين ، ويشبه في الحقيقة « المندى » الا انه لا يملط بالطين وليس على تلك الدرجة من التعقيد . ففي جداره الشرقي يوجد ثلاث قوائم وثلاث عوارض ، وفي جداره الغربي اربع قوائم واربع عوارض ، ويغطى اعلاه بالموزلين الابيض . وحين يخيم الظلام يقضي « الكنزفره » والمرشح الليل في « الانديرونا » يقرءان الكتب المقدسة او يقيمان الصلوات . ويوضع في « الانديرونا » كل ما يمكن ايجاده من الكتب المقدسة وبالاخص كتابان هما ديوان « آله ريشايه » وديوان « ملكوته اليثا » ، فان لم يكن هذا الكتابان من بين الكتب اعتبرت المراسم باطلة .

ولا يظل المرشح واستاذه « الكنزفره » يقظين وحدهما بل ويظل معهما كذلك جميع الكهان وافراد العامة حيث يقضون الليل بالمرح ودق

الطبول واقامة الافراح . فاذا رغب المرشح بمغادرة « الانديرونا » فله ان يفعل ذلك لمدة قصيرة على ان يبقى هناك « الكنزفره » ، فاذا خرج هـذا فعلى « الشوليه » ان يبقى لان « الانديرونا » يجب ان لا تكون خالية(*) .

وفي الفجر الباكر قبل شروق الشمس يخرج « الشوليه » واستاذه (ربى) اى « الكنزفره » من « الانديرونا » ويقفان بين الكوخين حيث يبدأ المرشح بتلاوة كتاب الارواح (سدره اد نشمائه) . وبعد ان ينتهى من ذلك يدخل « الشختته » بينما يذهب الكهان الى « الانديرونا » ويقومون بهدمها وتخريبها(**) . ويقول « سيوفى » بانها تحرق ، ولكن جميع الذين سألتهم عن ذلك استنكروا هذا مع الدهشة .

يجب ان يبقى المرشح داخل الكوخ الجديد (شختته) الى صباح يوم الاحد الثاني ، لا يخرج منه الا لاجراء الوضوء (الرشامه) او استجابة لنداء الطبيعة ، او لغسل طعامه في ماء النهر ، ويقول الكهان ان المرشح يستطيع من الناحية العملية مغادرة الشختته لمدة ساعة تقريبا اذا حل الكنزفره محله ، لكنني اميل الى الظن بان ذلك لم يكن ممكنا في الايام الخوالي .

ولدى اول دخوله في « الشختته » يرتدى « الشوليه » رسته جديدة (كان يرتدى رسته جديدة في اليوم الاول) ويقوم الكهان وقد

(*) لا يجوز الخروج من الانديرونا لكليهما في الليلة الاولى .

(**) في يوم الاحد الاول بعد يوم السبت وهو بداية العمل يقوم الكنزفره ببناء (الرهمى) وتعميد (الشوليه) وعلى هذا ان يقوم بتلاوة صلاة استئذان وطلب الغفران (مشبه زيوه الكبير) وبعد الانتهاء من تلاوتها يدخل الى الماء ليتعمد حتى اذا انتهى من ذلك خرج من الماء واخذ كتاب (كنزه ربه) ووضعه فوق راسه مسندا اياه بيده اليمنى وهكذا ياتى من الماء ليدخل الى « الشختته » .

انتهوا من تكريس اردیتهم (رسته) بعد الطهارة الاولى بتزيينه بحلقة الكهانة (شوم ياور) وبتيجانه والاكليل (اكليله) والصولجان (مركنه) اي بجميع شارات درجة الكهنوتية . وتكون حينئذ الصلوات طويلة ولا يمكن تدوينها هنا . تؤخذ بعد ذلك ابرة وخيط وتفحصان جيدا ثم تخاط كل قطعة وكل عقدة في الملابس المقدسة في محلها الخاص ويصنع « بالكنزفره » مثل هذا الصنيع .

ويجب ان يقضى الاسبوع الاول في حالة من الطهارة المطلقة[٧] . فيصرف « الكنزفره » اكثر وقته في الكوخ مع المرشح يرشده ويصلي معه ، وباعتبار هذه الاوقات اوقات سرور فالمرح والفكاهة قائمان على قدم وساق خارج الكوخ ، ولا يمنع المرشح من تناول لحوم الضأن والخضروات والفواكه والسمك اذا ما طهرت بصورة صحيحة وهيئت وطبخت من قبل احد الكهان . او من قبل امرأة تتحدر من عائلة كهنوتية وقد تجاوزت سن الحيض(*) . ويجب ان يقوم المرشح بصنع خبزه بنفسه ، وقد هيئت له « طريانه » و « بريهى » لهذا الغرض(**) ؛ وتعامل هذه الاشياء بعناية تامة ، اذ ان اية حادثة عرضية تحدث لاي اداة من ادوات الشعائر خلال عملية التكريس تستدعى اجراء العديد من المعموديات . فاذا انكسرت « الطريانه » خلال الاسبوع الاول أو في ايام الطهارة الستين التي تلي بعده ، فعلى المرشح ان يتعمد ستين عماداً ، وكذلك يفعل استاذه ـ ربى ـ فاذا كان المكسور « البريهى » تعمد كلاهما لدى خمسة كهان ، اما في حالة كسر « الكنكانه » فلدى ثلاثة كهان واذا ما عامت « المركنه » فوق سطح الماء او اذا ما كسرت ، فعلى كل منهما تناول خمسين عمادا ، واذا فقد الخاتم

(*) لا يجوز ان تقوم امراة بعمل طعام المرشح في مثل هذه الحالات .

(**) ليس فرضا ان يصنع المرشح الخبز بنفسه اذ لا يجوز له ترك الانديرونا لمدة طويلة .

« شومياور » فخمسون عمادا ايضا ، وستون في حالة التاج ، فاذا تضررت السراويل او « البرزنكه » او « الهميانه » أو « الطبرشيل » (نصيفه) أو فقدت فعلى « الكنزفره » والمرشح تناول عماد ثلاثي على يد ثلاثة كهان.

واخطر تلوث خلال الاسبوع الاول هو الاحتلام الليلي . ولهذا السبب لا يسمح للمرشح بالنوم طيلة ايام الاسبوع ، وذلك باحداث ضجيج مستمر يمنعه ويحرمه من النوم حيث تقرع الطبول ويرتفع التصفيق ويشارك الضيوف بصيحات الفرح التي تصم الآذان ، ويكون السرور مستمرا وبضوضاء . فاذا ما هوم المرشح من وقت لآخر وخزه الكاهن ، ولكنني استنتج انه لابد ان يعطى مجالا قليلا اذا كان النعاس خفيفا . فاذا ما حصل ، رغم كل التحفظات ان حدث مثل ذلك التلوث خلال الايام الثلاثة الاولى ولياليها يخضع « المرشح » و « الكنزفره » لثلثمائة وست وستين عمادا يتناولانها في نهاية مدة الاحتفالات . واذا حدث التلوث في اليوم الرابع او في ليلته فعليهما اجراء ستين عمادا ؛ وخمسين في اليوم الخامس وثلاثة عمادات على يد ثلاثة كهان ان كان في اليوم السادس مع تلاوة « الرهمى » احدى وعشرين مرة . واذا حصل الاحتلام قبل منحه التيجان فيؤجل التكريس كله عاما كاملا .

ويرتدى « الشوليه » كل يوم « رسته جديدة »(*) وتوزع الملابس والطعام يوميا باسمه على الفقراء . ويتناول كل يوم « البهثه » و« المبوهه » من الكهان . ويقوم بتلاوة « الرهمى » ثلاث مرات يوميا مع اقامة الصلوات صباحا وظهرا ومساء . ويعلمه « الكنزفره » كل يوم ثلاث كلمات سرية (ان كلمات القدرة هذه عددها احدى وعشرون كلمة) . وبما ان تلك الكلمات اكثر قدسية من ان تلفظ فقد كان « الكنزفره »

(*) ان الرسته الجديدة التي يلبسها الشوليه يوم الاحد تظل عليه سبعة ايام ولا تستبدل باخرى جديدة .

يخطها فوق التراب .

في الصباح الباكر من يوم الاحد التالي وبعد « الرهمي » يقوم « الشوليه » بتعميد « الكنزفره » في الصباح الباكر من يوم الاحد ذاك ، وبعد اجراء « الرهمى » يقوم « الشوليه » بتعميد « الكنزفره » ، والمراسم كما هو المعتاد غير ان الصلاة ليست جميعها مما يصلى في العماد الاعتيادي ، ويسمى هذا العماد « مصبته اد زهريثا » ويعادل بفضله ٦٠ عمادا . ويقوم بتعميد « الشوليه » سبعة كهان او ثلاثة على ان يكون احدهم « كنزفره » .

تنتهى بذلك المرحلة الاولى للتكريس ويشرع « الشوليه » بفترة الطهارة التي تستغرق ٦٠ يوما ، يجب عليه خلالها القيام بالاغتسال (طماشه) ثلاث مرات يوميا قبل « رهمى » الضباح وعند الظهيرة وبعدها على ان لا يرتدى ملابس اخرى جافة الا بعد الانتهاء من واجبه اليومي . ويعيش المرشح بعيدا عن اسرته وعن زوجه اذا كان متزوجا كما يجب ان يكون غذاؤه حسب قول بعض الكهان خاليا من اللحم تماما الا ان آخرين يقولون ان لحم الضأن ولحم الطيور الطاهرة (غير آكلات المحوم) مسموح بها(*) ويمنع اكل لحم الدجاج والبيض منعا تاما فطعامه الاصلي هو الخضروات والفاكهة والحليب ويحرم عليه القيام بالذبح ويقوم هو نفسه بصنع خبزه وبتنظيف الحبوب سبع مرات قبل طحنها(**)؛ ولا يسمح له بالذهاب الى السوق او الى الحمام العمومي أو المرافق الصحية العامة ، كما لا يجوز له خلع سراويله كلية او حسر رأسه ، وتكون هذه القاعدة من الدقة والاتقان بحيث يكون عليه ان يضع فوق راسه كساء يثبّت ما عليه من غطاء حين يقوم بالاغتسال في النهر . فاذا رغب ان يمشط شعر راسه

(*) لا يمنع عنه أكل اللحم اذا كان مذبوحا من قبل الكهان انفسهم .

(**) يقوم هو او سواه بتنظيف الحبوب ولا عبرة في عدد مرات التنظيف .

فعليه ان يذهب الى غرفته او الى كوخه لانه يعيش على انفراد في بيته الخاص طيلة فترة الطهارة ، وهناك يزيح غطاء رأسه بعد ان يدخل في ناموسية من الموزلين كتلك التي تحمى من البعوض • وان زيارة عارضة له من قبل شخص ما أو مس شيء غير طاهر ، يوما ما ، يخرج ذلك اليوم من حساب الايام التسكية على ان يعوض بيوم آخر مع تعمد خاص به في هذه الفترة • ولهذا فنادرا ما تنتهى هذه الفترة من الطهارة في مدة ٦٠ يوماً •

وعند انتهاء هذه الفترة بسلام يقرأ « الشوليه » « مسختته » الاولى(*) وتكون باسم راعيه (ربى) •

وفي يوم السبت من الاسبوع تكنس ساحة « المندى » وتنظف وتطهر البركة وقناتا الماء الملحقتان بها ويطلى المندى بطين جديد ويملط الطين على شكل قوس ثلاثي حول مدخل الكوخ ويطهر الوقود وتغسل حبوب القمح والسمسم وتحضر • وباختصار تتخذ جميع الاستعدادات لاعمال الغد قبل ان تغرب الشمس •

وفي صباح يوم الاحد التالي يغسل « المندي » من الداخل والخارج ويؤتى بالحمامة والكبش المهيئين للذبح كضحية كما مضا في الفصل السابق • يرتدي « الكنزفره » نفس « الرسته » التي كان قد ارتداها في اول يوم من ايام تكريس « الشوليه » ثم يقوم بذبح الحمامة بعد ذلك يخلع « الكنزفره » هذه « الرسته » لتحفظ بعناية في صندوق ، مع الاحتراس بعدم مسها باية نجاسة، فحدوث ذلك يعرض الى اجراء المعموديات كعقوبة• وحالما يرتدى « الكنزفره » هذه « الرسته » عليه ان لا ينبس ببنت شفة •

(*) قبل قيامه بعمل وقراءة مسختته الاولى عليه ان يقوم بتعميد استاذه (الكنزفره) مرة ثانية وهي الاخيرة التي تدل على نجاحه في عمله وبعدها يدخل الى المندى لعمل وقراءة المسختة •

والآن اصف ما مررت عليه سريعا في الفصل الاخير وهو « المسخته » .

ـ مسخثة الشوليه ـ

يؤتى بالحمامة الذبيحة الى داخل « المندى » ويقوم احد الكهان بنزع بعض الريش من صدرها ثم يقتطع قليلا من اللحم من ذلك الموضع في الصدر الايمن ويضع عليه الملح ويخرج به ليشويه على النار . بعد ذلك يوضع اللحم المشوي فوق « طريانه » كبيرة داخل المندى كانت قد وضعت قريبة من الجدار الشرقي الملاصق للباب . وتوضع امام « الشوليه » « طريانه » صغيرة يوضع فوقها « البريهى وانقوقه » ، اما ما تبقى من الحمامة فيوضع ملفوفا في خوص النخل الاخضر في موضع بين السقف والجدار الشمالى من « المندى » مقابل « الطريانتين » تماما على ان لا يكون راس الحمامة بمواجهة « الشوليه » (في تكريس المندى كانت الحمامة تواجه « الكنزفره » التي تكون « طريانته » في اقصى اليمين) ، وتكون الاجراءات والمراسم هي نفسها من الناحية العملية عدا قيام الكهان الثلاثة بقراءة « المسخته » ، ولكل منهم « طريانه » كبيرة واخرى صغيرة . ويقوم « الكنزفره » بتكريس اثنتين واربعين « فطيرة » كما يكرس كل من الكاهنين الآخرين اثنتى عشرة فطيرة لكل منهما . وتوضع طاق رحى في الجهة الغربية من « المندى » ، وهنا يشرع المرشح بتلاوة الادعية الخاصة « بالمسخته » ويقوم راعيه (ربى) بالتحلل من ملابسه ويصبح متفرجا محتفظا بكتاب « شرح تكريس ششلام ربه » مفتوحا بين يديه ليتابع تلميذه ويلقنه ما قد يغيب عن باله .

يبدأ المرشح بتفقد ملابسه : « شروالي اترس » ، ثم ياخذ عصاه وقنينتين فارغتين بيده اليمنى ويذهب الى الحوض الملحق بـ « المندى » حيث يضع القنينتين على الضفة ويتوضأ (رشامه) ، ويطهر عصاه (مركنه) بالماء

ويملأ القنينتين ويضع احداهما شرقي مدخل « المندى » والاخرى فوق « الطريانه » الكبيرة التي يجلس قبالتها ، وعلى « الطريانه » الصغيرة يوجد وعاء النار والبخور وعلى الكبيرة توجد الاطعمة الطقسية وفي « ميسرى » « الطريانه » الكبيرة توجد « كبثه » مملؤة بزيت السمسم ممزوجا بعصير التمر ، وكان قد عصر بعد خلط السمسم بالتمر وهرسهما كما وصفت سابقاً .

اما الاطعمة التي تستعمل في هذه الطقوس فهي موضوعة بالترتيب وعلى استدارة « الطريانه » ابتداء من الزاوية الشمالية « للميسره » كما يلي :

١ ـ الطبوثه : وهي الزبيب والسفرجل وحب الرمان وقطع من جوز الهند وشيء من اللوز المقشور وبعض لحم الحمامة المشوى .

٢ ـ قنينة ماء .

٣ ـ « كبثه » فارغة .

٤ ـ ست وستون رغيف خبز صغيراً (فطيرى) ، كانت عجينتها قد هيئت من قبل الكهان دونما ملح .

ويقوم القندلفت (اشكنده) بتهيئة الارغفة ، الا انه لا يقوم بخبزها بل يقوم بامرارها ثلاث مرات فقط بحركة دائرية من فوق النار .

يكون موقع المرشح خلف « الطريانه » ذات الطعام ، وامامه ادوات النار والبخور [انظر اشكل من اجل ملاحظة التشابه مع الترتيبات الفارسية في احتفالات افرنجان] .

وحين يجلس المرشح فهو اما ان يجلس فوق لوح من الخشب او على كرسي من القصب ويبدأ بتلاوة جميع الادعية والتراتيل عن ظهر قلب . يبدأ المرشح بتكريس ملابسه وتاجه وهو يذكر اسم استاذه (ربى)

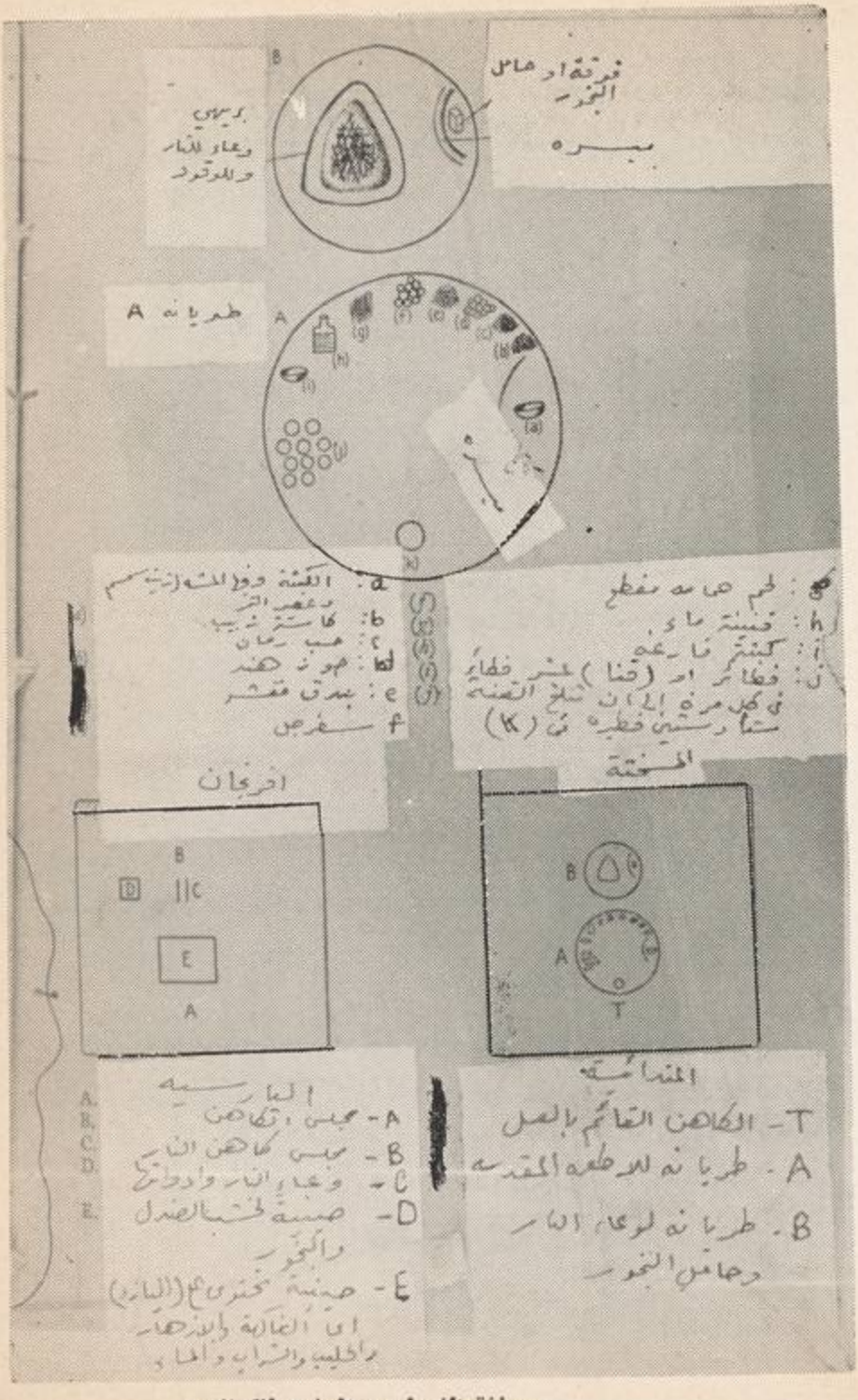

مسخنة الشوليه [المرشح للكهانه]

الذي قام بتكريسه في كل موضع فيه ذكر لاسم (يذكر اسم الميت في مسخثة الميت ولكن في مثل هذه « المسخثه » التي هي لشخص حي يذكر اسم الشخص المطلوب اي المقامة باسمه) • ويكون عدد الادعية هنا خمسة ولا حاجة لاقتباسها • فبعد دعاء « مندا اقرن » يتلو « بشم اد هيى ربى اسوثا وزكوثا نهويلى الهازانشمثه دفلان بربلا نيتاادهازه مسخثه هيله اكبر »، وما بعدها • ثم يشد « البندامه » حول القسم الادنى من وجهه (حنكه) ويأخذ القنينة بيده اليسرى وقليلا من البخور الذي فيها بيده اليمنى ويتلو « هيل هيى قد مايي » [بقوة الحي القديم] بينما يضع الشاهد اربع زبيبات في « الكبثه » الفارغة فوق « الطريانه » ويقرأ المرشح « باسم الحياة انت ماء الحياة الخ ••• » وحين يصل الى كلمات « اللواتي فارقت اجسادها » يصب قليلا من الماء على الزبيب في « الكبثه » حتى اذا وصل في دعائه الى عبارة « روح المسخثه » يذكر اسم « الكنزفره » ثم يرمي البخور في اناء النار ويناوله « الكنزفره » غصنا من الآس ياخذه ويبدأ بتلاوة ستة ادعية ثم يأتي القندلفت ويأخذ العجين الذي لا ملح فيه ويمرره ثلاثاً فوق النار مرددا « اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخر الخ ••• » اي « اسم الحي أو الحياة واسم منداد هيى منطوقان عليك » وتسمى هذه العملية « سهاده اد نوره » اي شهادة النار(*) •

يضع المرشح قدح الماء الممزوج بالزبيب فوق « الطريانه » ثم يأخذ شيئاً من العجين ، وغصن الآس لا يزال في يده ، ويقوم بتلاوة تسعة ادعية •

بعد ذلك يغمس خاتمه « شوم ياور » في ذلك القدح من ماء الزبيب ويسمى « همره » ويتلو دعائين ثم ياخذ « الكبثه » التي تحتوى على عصير السمسم والتمر (مشه) ويضع الاكليل و « البهثه » فوق « الطريانه » ويتلو ثلاثة ادعية ، فاذا وصل بالدعاء الثالث الى عبارة « بالبوشه اد

(*) معناها التسهيد في النار لا شهادتها •

يوزاطق منداد هيى » يلف الاكليل بـ « البهثه » ويتلو نفس الدعاء الى نهايته ، حتى اذا انتهى من ذلك جلس وبدأ بتكريس الفطائر التي يناولها بدوره الى القندلفت ليضعها واحدة فوق الاخرى كل عشرة سواء فوق « الطريانه » حتى ينتهى من تكريس وتجميع الفطائر الستين الواحدة فوق الاخرى .

ـ طقوس الفطائر ـ

يمسك المرشح بالاكليل فوق كل فطيرة ويضع على كل منها شيئاً من حب الرمان وجوز الهند والفندق والسفرجل والزبيب وشيئاً من لحم الحمامة ، ثم يغمس اصبعه في الزيت (مشه) ويمر به عليها وهو يتلو بعض الادعية .

وهكذا يرسم كل فطيرة خمس عشرة مرة ، وحين ينتهى من رسم الفطائر الستين يستأنف تلاوة دعاء كان قد تلاه سابقا حتى اذا بلغ ذكر « روح فلان البيت اباثر » يصل الى الدعاء الخاص بالاسلاف (ابهاثان) اي التضرع الى الاسلاف ، وينتهى الدعاء الاول بدعائين دون الرسم بالزيت . وهذه المراسم مهمة لدرجة ان « الكنزفره » يظل يتابع تلاوتها بقوله : « وقل قد قسمت ونزعت العلامات المثلثة الخ ... » .

ويرد « الشوليه » محترسا ان يكون صحيح الرد فيقول : « قطعت وقسمت وابتلعت جزءاً من ال (با) واقتطعت شيئاً من الفطيرة العليا وشيئاً من الفطيرة السفلى » . وبينما هو يكرر هذه العبارات يكسر قطعة من الفطيرة العليا واخرى من الفطيرة السفلى من الكوم الذي امامه ويضع هاتين القطعتين الى جانب « البهثه » بعد ازالة الاكليل منها مضيفا الى ذلك شريحة من لحم الحمامة ثم يقوم بعد ذلك بالدعاء مادا كلتا يديه فوق اكوام الفطائر ، والبهثه في يمينه ، ويتلو ثلاثة ادعية وهو واضع يده على لثامه ؛ بعد ذلك يحل اللثام ويغمس «البهثه» مع ما اضيف اليها ، في الخمرة ،

ويضعها في فيه ، ثم يبتلعها باجمعها ويشرب بعد ذلك الخمرة . يناولـــه المساعد « كبثه » اخرى وقنينة من الماء كان قد وضعها خارج « المندى » في المدخل عند بدء اجراء المراسم . يصب المرشح شيئاً من هذا الماء في « الكبثه » ويشربه وعليه الآن ان يرفع صوته ويتلو سبع صلوات يدخل فيها اسم « الكنزفره » في محلاتها المناسبة . وبعد تلاوة هـذه الصلوات السبع يمد يديه فوق « الطبوثه » ويتلو تسعة ادعية . بعد ذلك يجلس ويتلو دعاء « طاب طابه الطابى » وهذا الدعاء مرتبط دائما بطقوس تناول الطعام . بعد ذلك يتلو اربعة عشر دعاء ياتى بعدها دعاء « طاب طابـه الطابى » الذي يخص « سام بن نوح » اي « طاب طابه الطابى واترس كنيانه الرهمى » . ينهض بعد ذلك ويتلو دعائين .

يجرى ذلك كله بينما تظل ست من الفطائر لم تمس فوق الطريانه .

يعيد المرشح شد لثامه ويعيد تلاوة ما مر جميعا من ادعية منذ ان بدأ بشد اللثام في المرة الاولى . وانا عاجزة عن اكتشاف سبب استبعاد هـذه الفطائر الست من التكريس مع الفطائر الستين الاولى(*) ، وهكذا تطلبت هذه اعادة طويلة للطقوس حيث ينهض « الشوليه » ويتلو ستة ادعية ، بعد ذلك يتلو دعاء « ابريخا ومشبه » الكبرى مرة اخرى ثم دعاء « طاب طابه الطابى » ــ اباهائان قد مايى او صلاة الاسلاف ــ . ودعاء « مشبه زيوه ربه قدمايى » .

يعطى بعد ذلك يده اليمنى للمساعد من اجل العهد (كشطه) قائلا : « اسيخ قميخ » الكبير (رفتى) ثم دعاء « طاب طابه الطابى » مرة اخرى .

تنتهى « المسخثه » عند هذا الحد ويقوم « الشوليه » او بالاحرى الكاهن الجديد بعمل القداس الاعتيادي (الماء والخبز) باسمه الخاص بدلا من اسم « الربى » ؛ ويهيء المساعد (بهثه) فيها ملح ومشوية عـلى

(*) لم يعط الكهان تفسيراً لهذا .

النار (يجب ان لا يغيب عن البال من ان البهثه التي كانت تهيأ للمسخثه كانت بدون ملح وغير مشوية) .

ولا يعود الماء يؤخذ (للممبوهه) من القنينة بل من ماء البركة مباشرة ومن قبل المساعد ويجرى كل ذلك بمصاحبة الادعية التكريسية المعتادة . وعند الانتهاء من التكريس يضع الكاهن صولجانه تحت « الطريانه » ذات « الطبوثه والفطائر » .

يأتي له المساعد بمزيد من ماء البركة ويقوم بقراءة دعائين هما :

١ ـ اتملون هيى(*) .

٢ ـ طاب طابه الطابى .. و (دعاء الاسلاف) ثم يرمى الماء على صولجانه .

بعد ذلك يعيد تلاوة دعاء « شال شلوثه » ـ وهي مدونة في اكثر الكتب الطقسية فلا حاجة لاقتباسها هنا ـ ثم دعاء « قوم من هيى اسوثخون ... الخ » . بعد ذلك يتفقد المساعد ملابسه بالطريقة المعروفة ليتأكد من مكان كل قطعة منها ، ويناوله الكاهن الجديد (الكشطه)(٨) ثم ياخذ بالدعاء متحللا من ملابسه وتاجه وتنتهي بهذا هذه الشعائر الطويلة .

اما فيما يخص الفطائر الست والستين والحمامة فان المساعد يقوم بلفها بقماش ابيض ويدفنها كما مر معنا في الفصل السابق في مكان ما من ساحة « المندى » ولكن ليس في الجهة الشرقية منه . وقد اخبرني احد الكهان متباهيا ان تكريسه في « المسخثه » قد استغرق ست ساعات فقط ؛ لقد كان عملا بطوليا استثنائيا . انه امتحان عسير ليس لذاكرة الكاهن فحسب بل ولاحتماله الجسمي ايضا .

(*) ادعوا للحي .

ملاحظات حول الفصل التاسع

١ ـ الكهانة الوراثية : كانت كهانة « بارو » في عبادة ـ الشمس في سيبار وراثية كما كانت وراثية ايضا لدى اليهود والمجوس .

٢ ـ الشعر : ان قص الشعر ـ والشعر رمز لاشعة الشمس ـ ربما كان يشكل خطيئة ضد النور . خذ قصة شمشون مثلا ، فهو في القصة تجسيد للشمس او لبطل الشمس ، فشعره الطويل ـ اشعته ، يقص بالشتاء وبقوى الظلام ، فينمو شمشون ضعيفا ، وحين تطول اشعته في الربيع يصبح قويا فيكسر قيود الثلج والموت وينهض ويسحق اعداءه . ويوجد الشعر الطويل كخاصة من خواص الكهان الذين يتخذون من الشمس رمزا للآله . فالكهان الحرانيون كما وصفهم المؤرخون العرب ، كانوا يلبسون البياض وكانت شعورهم طويلة كما كانوا يرتدون الزنار ابضا . واليزيديون الذين يظهر ان لهم عبادة ـ شمس ، يطيلون شعورهم ويلبسون القبعات العالية والملابس البيضاء كما كان يفعل الحرانيون القدامى .

ونقرأ في العهد القديم ان ام شمشون نذرته ولم تدع مقصا او سكينا يقترب من شعره . ويظهر انه كان يوجد نوعان من المنذورين ، الموقت وهو الذي يقص شعره حين ينتهي نذره والدائم وهو الذي لا يقص شعره منذ الطفولة .

ويظهر ان الشعر في الراس مقدس ، الا ان الشعر على البدن يعتبر غير نظيف عند اليهود والعرب في العراق ؛ ويصور الشياطين بابدان مشعرة ؛ كما تقوم العذراء لدى اليهود والعرب قبل الزواج بازالة شعر بدنها (ليس لدى الصابئين مثل هذه العادة) .

والشعر في الراس وبخاصة في اللحية علامة على الشرف ، ويرتبط قص الشعر غالبا بفكرة الانقطاع لله (الراهب والراهبة) او انه يحلق او يقص علامة على الحزن الشديد من اجل الموتى ، فاليزيديات حين يموت ازواجهن يحلقن شعورهن الطويلة ويلففنها حول شاهد القبر او يرمينها فوقه .

والمفروض ان للشعر علاقة سحرية بصاحبه حتى بعد ان يقص ، فالعراقيون يرمون شعرهم الذي ينسل مع المشط في النهر لا كتقدمة أو نذر بل لئلا يناله عدو يستعمله في السحر ضدهم . ولا يرى المرء شعورا كنذور في الاضرحةأو على قبور القديسين كما هي الحال في جنوبي اوربا . والمسلمون حليقون بشكل عام ، تام او جزئي ، وهذا يتوقف على الذوق الشخصي .

والصابئون ، عامةً وروحانيين ، يعتبرون قص شعر الرأس أو اللحية عملا غير طاهر .

ويدفن البارسيون اظفارهم وشعورهم ، ومن عاداتهم الاستحمام بعد حلق شعر الوجه والراس . ومن المحتمل ان يكون هذا بسبب اعتبار اي شيء ينمو فوق بدن الانسان غير طاهر ومصدرا للدنس بعد ان يزال من الجسم . وقد اخبرني احد الاصدقاء البارسيين ان الكهان عندهم يحلقون شعورهم او يقصونها ، غير ان القص يجب ان يقوموا به هم انفسهم لا الحلاق . ويعتبر السيخ قص الشعر محرما .

٣ ـ الفدوه : ان ذبح كبش أو طير في بعض الاحيان لدفع الشر عن شخص أو دار ، عادة تمارس في العراق بصورة عامة دون التمييز ما بين الاديان . فالمسلمون والنصارى واليهود واليزيديون يمارسون هذه العادة وبخاصة في مناسبات الزواج حين تدخل العروس دار

زوجهـا متخطيـة دم كبش مضحى • وفي زواج الملك في العراق حديثا اجتازت سيارة العروس الطريق الى باب القصر فوق دم ضحية كان قد قطع عنقها قبل دخول السيارة بلحظات • وتقول المرأة احياناً حين يموت لها ميت (فدوه لك) ومعنى ذلك ان الموت قد قبل تعويضا عن شخص ما كان يقصده • وقد سمعت كلمة « قربانك » ايضا في مثل هذه المناسبات • وهذه التعابير لا يستعملها الصابئون مطلقا واذا كانوا يستعملونها فانا لم اسمعها منهم •

٤ – يجب ان يكون المرشح للكهانة لدى البارسيين « سالما من الجذام أو أي جرح ينزف والا حرم من درجة الكهانة • ان المرشح البارسي يؤخذ الى غرفة ملاصـقة ويعرى ويفحص فحصـاً جسـدياً كاملا » • (J.J.M., P. 205) .

٥ – يحرم لبس الملابس الزرق لدى الصـابئين كما هي الحال لـدى اليزيديين • كذلك يحرم الصابئون لبس السـواد لانه لون الحزن والموت ، اما فقراء اليزيديين فيلبسون السـواد • ويعتبر المسيحيون والمسلمون في العراق اللون الازرق لونا يناسب الاحزان •

ويرى اللون الازرق على شكل ازرار وخرز وشذر ولازورد وفخـار كوقاية ضد العين الشريرة • والزر ذو الثقوب السـبعة أو الخمسة او الاثنين المعروف بـ « دهشه » او « خضرمه » غالبا ما يخاط في ملابس الطفل بين الحلى او يشد في سرج الحصان او يوضع في صدور الزوارق والقفف • واستعماله شائع في العراق •

٦ – يشبه ذلك ما يجرى اثناء مراسم « النافار » او الدخول الى الكهانـة لدى البارسيين حيث يجب على المرشح ان يتلو « مينو – نافار يسنه » في طقوس « اليازاشناگاه » – في هيكل للنار • كما يفترض ان يكون قد اجرى « الياسنا » و « الفسباراد » وسبع صلوات من « الافستا »

الصغرى ، يتلوها عن ظهر قلب • وعلى المرشح البارسي ان يستحم ويلبس البياض ويلف العمامة •

٧ – في حالة تكريس كاهن بارسي على المرشح « ان يقضي ايامه التي تبلغ الثلاثين يوماً في حالة عزلة ليحرر نفسه من الافكار الدنيوية كما ان عليه ان ينام على الارض لا على الفراش وان يتناول طعامه بعد اقامة الصلاة • وحسب العادة الحاضرة اذا احتلم المرشح اثناء « احد البارشنومين » فعليه ان يستأنف (البارشنوم) ثانية •

٨ – اليد اليمنى التي تعطى في العهد (كشطه) يقبلها صاحبها بعد تحررها ويرفعها الى جبهته للسلام •

ـ الفصل العاشر ـ

الكهانة (تتمة) : تكريس الكاهن الاعلى (كنزفره)

يجب ان يقوم بتكريس كاهن الى درجة « كنزفره » (يلفظ كنزفره أو كنزوره) كاهن بدرجة « كنزفره » وكاهنان بدرجة « ترميده » واثنان من المساعدين (شكنده) • ويجب ان يكون الكاهن (ترميده) المراد رفع درجته الى « كنزفره » ذا اخلاق فاضلة محترماً لبقاً متقنا لتلاوة الطقوس والمراسم قادرا على شرح الكتب المقدسة • كما يجب ان لا يكون ابناً لرجل من العامة (سواديه) بل يكون ملكاً بن ملك (ملكه برملكه) اي مولوداً لعائلة دينية صالحة ، لان التاج هو رمز عمله الملكي كحاكم ومشـــرع وزعيم • ولا يتم تكريس « الكنزفره » الا حين تقترب المنية من شخص تقي من افراد الطائفة طاهر طقسياً ومن سلالة الكهان(*) ومتزوج ومنجب • وحالما يظن ان ذلك الشخص قد اقترب من نهايته يخبر « الكنزفره » والكهـان وتتخذ الاستعدادات للاحتفال الديني المسمى « انكرتا » او الرســـالة •

يقوم الكهان باجراء « الرهمى » ويتعمدون هم والمساعدان ، ويقوم كاهن بتعميد « الكنزفره » كما يتعمد هو بدوره على يديه ، وينال المندى تطهيرا شاملاً ، وتحدد له الحدود (ميسرى) وتطهر ويغسل الكوخ داخلاً وخارجاً تماماً كما جرى في تكريس « المندى » (طراسه اد مندى) وفي تكريس الكاهن •

(*) يجوز ان يكون مثل ذلك المحتضر التقى من غير سلالة الكهان •

بعد ذلك يؤتى بالشخص المحتضر(*) وقد ارتدى ملابس الموت الجديدة (رسته) الى ساحة « المندى » يرافقه حشد من الصابئين ، لان تكريس « كنزفره » حادث نادر وتعتبر المناسبة فرحاً عظيماً • فاذا كان المحتضر في وضع يفهم فيه ما يدور من حوله فهو يشعر انه سعيد ان يختار لحمل « الرسالة » ، لانه أو لانها ، سيتطهر من جميع آثامه الماضية وسيمر الى عالم الانوار دونما اقامة في المطهر (مطرانه) •

تغسل بذور السمسم وتحمص قليلا على نار حطب مطهر ثم تقشر وتسحق مع التمر في هاون من حديد(**) وتوضع في قماش ابيض نظيف « گداده » ثم تعصر بملقط من حديد ليتساقط العصير في « كبثه » ويحفظ قسم من هذا الزيت (مشه) الحاصل ، في الكبثه لعمل « المسخثه » • وتؤخذ قطرات قليلة منه في قنينة صغيرة تختم بطين مكرس ويؤشر عليها بختم « شوم ياور » « الكنزفره » المرشح وببصمة ابهامه •

يدخل المرشح الى « المندى » ويقرأ « الرهمى » باسم الشخص المحتضر ، ثم يكرس تاجه بالصلاة المعتادة ويتلثم (يشد بندامه) بحيث يغطى فمه ومنخريه • ويكون الزيت النقي الطاهر (مشه دخيه) امامه فوق « الطريانه » ، وحين يشد لثامه يرفع الزيت ويتلو عليه تسع صلوات معينة ، بعد ذلك يخرج من بيت الدين (مندى) مع المساعد ويذهب الى حيث المحتضر في ساحة « المندى »(***) • يغسل المحتضر بالماء من رأسه الى اخمص قدميه ويعرى ثم يلبّس لباساً جديداً (رسته) ويوضع لـه

(*) لا يؤتى بالشخص المحتضر من فراش الاحتضار بل يذهب اليه •

(**) يجوز اجراء هذه العملية في اي هاون ومن اي معدن على ان يكون طاهرا من الناحية الدينية •

(***) يجوز اجراء الرهمي هذا بدون « مندى » ، الا ان اجراء طقوس المسخثه يلزم ان تكون في « المندى » •

الاكليل (انظر الفصل القادم حول طقوس الميت) • وحين يتم ذلك يدس الكاهن قنينة الزيت الصغيرة في جيب صغير في يمين صدر القميص (الدشه) ويضع المساعد يده اليمنى في يمين المحتضر ويتكلم عوضاً عنه ان لم يكن قادرا على النطق ، ويدور الحديث على الوجه التالي[1] :

الكنزفره المرشح : كشطه إسْيَخْ قَيْمَخْ (يجعلك الحق كاملا ويرفعك الى العلى) •

الجواب (المساعد أو المحتضر) : بى وَشْكَه وأمَرْ واشتمه (ابحث وجد ـ ويترجمها الكهان سل وتسلم ـ وتكلم واسمع) •

الكنزفره المرشح : انا أسْبِرْلَخْ وأنَت إسْبَرْ له لباثر (لقد جلبتها لك وانت تحملها الى اباثر) •

يقبل « الكنزفره » والمساعد يديهما ويمسان بهما جبهتيهما ثم يغمس « الكنزفره » اصابع يده اليمنى الاربعة في الزيت الذي في (الكبشه) ويرسم المحتضر ثلاث مرات من اليمين الى اليسار عبر جبينه وعبر فمه •

وحين يتوفى الشخص ـ وغالبا ما تعجل بنهايته صدمة الماء البارد والتأثر والاجهاد ـ يتجمع الكهان ويقرأون الادعية المعروفة بـ « هشمه مائه » ـ الختم ـ على « الكنزفره » المرشح[2] • فاذا كانت الوفاة مساء فلا يغير المرشح ملابسه ويظل هو و « الكنزفره » الموكل بالاحتفال وجميع القائمين بالمراسم يرقبون الجثمان طيلة الليل بعد ان يغلقوا المدخل الى ساحة المندى لئلا يندس شيء ما فيلوث الساحات المحددة • وتشيع الجنازة في فجر اليوم التالي • اما اذا حدثت الوفاة في وقت مبكر من النهار كاف للقيام باجراء مراسم الدفن قبل ان تغرب الشمس فيحمل الميت الى القبر حالا • والاجراءات الموصوفة في اعلاه هي اكثر من المعتاد حتى في نهار الصيف الطويل لان مراسم الدفن بحد ذاتها تستغرق ساعات كثيرة ، والدفن يجب

ان يتم قبل غروب الشمس .

ويحدث ـ ونادرا ما يحصل هذا ، ـ لان الصابئين دقيقون في تمييز علامات الموت الوشيك ـ ان يشفى الرجل المحتضر ، وفي هذه الحالة تقرأ باسمه « مسخثه » وتعتبر المراسم التي تخص المرشح باطلة وعليه ان ينتظر شخصاً آخر لائقاً يقترب من منيته .

ويصاحب جميع الكهان الميت الى المقبرة ومعهم الاعلام (درفشى) وجميع الكتب المقدسة المتيسرة ؛ ولا يختلف الدفن عن دفن الآخرين عدا عن ترك قنينة الزيت الصغيرة في « دشه » القميص مع الجثمان . ويؤكل « لوفانى سام رايي » في التشييع (انظر الفصل القادم) الا ان « الزدقه بريخه » تكون على نطاق اوسع ، لان الاجراءات تتضاعف بتضاعف عدد الاعلام . وبعد الانتهاء من « لوفانى سام رايى » يعود الجميع وهم بملابسهم الاعتيادية .

ويصبح بيت المرشح مكاناً لمشهد من السرور والابتهاج ، ويظل البيت مفتوحاً على مصراعيه ويقدم الاتقياء الطعام هدايا يأكل منها الزوار . ولا يمكن للمرشح ان ينام لمدة ثلاثة ايام بلياليها لئلا تلوث طهارته بالاحتلام . وهو يمتنع عن اكل اللحوم خلال هذه المدة ، كما يجب ان يعيش في ظروف طهارة طقسية قاسية ، فالفترة هذه تتعلق بفترة الايام الثلاثة بين الوفاة(*) ولحظة انطلاق روح المتوفى من القبر . وفي فجر اليوم الثالث بعد الوفاة تخرب الاختام فوق القبر وتمحى ويتجمع الكهان والمرشح في « المندى » الذي يكون قد غسل ونظف ، وتؤخذ الاستعدادات لعمل « مسخثه » كما وصف في الفصل التاسع في تكريس « الشوليه » . وفي الحقيقة فان « المسخثه » التي يجريها المرشح باسم

(*) المهم في حساب هذه الايام الثلاثة هو يوم الدفن لا يوم الوفاة .

المتوفى حامل الرسالة « انگرثا » لا تختلف عن تلك التي قام بها « الشوليه » باسم « الربي » ، عدا عن دخول الكاهنين مع « الكنزفره » (الذي يكون في حالة اعياء) الى بيت العبادة والبدء بقراءة الصلوات معه لئلا يرتكب خطأ ما ، بالرغم من انه هو وحده الذي يقوم برسم الفطائر واجراء المراسم . وحين تنتهي « المسخته » تتبعها « زدقه بريخه » شبيهة بتلك التي تلت « المسخته » في تكريس « المندى » . وكما مثل « الكنزفره » هناك دور الرئيس (ريش امه) الميت ، فالمرشح هنا يقوم بتمثيل دور المتوفى حامل الرسالة .

وساصف هذه « الزدقه بريخه » بتفصيل اكثر في فصل قادم ، لانها توضح الافكار التي يستند اليها طقس الطعام . وفي نهاية المراسم يقوم المرشح دون ان يخلع ملابسه بعمل « لوفانى » باسم المتوفى شبيه بالذي يقام عادة في اليوم الثالث بعد الوفاة الاعتيادية (انظر الفصلين التاليين) . وحين ينتهي من ذلك يعود الى بيته حيث يجب ان يعيش معتكفا لمدة خمسة واربعين يوما وهي المدة المخصصة للمرور خلال المطهر .

وخلال تلك الفترة يجب على المرشح ان يهيىء طعامه بنفسه ، ويكون مقتصراً على اللبن الخاثر والسمك والخضر والفاكهة ، وعدم الاقتراب من اللحم ، كما يجب ان لا يضاجع زوجه ، وان يعيش وحيداً في غرفته لئلا تتلوث طهارة اعتكافه . فاذا حدث تلوث ، رغم كل الاحتياطات ، فان مدة الاعتكاف يجب ان تستأنف . واذا لم يحدث ما يعكر عزلته واعتكافه وانتهت المدة ، ونال الدرجة كاملة ، فانه يقوم باجراء طقوس زواج لاحد الكهان ؛ فان لم يوجد كاهن يرغب في الزواج آنذاك بقي المرشح معلقاً . وهذا نادراً ما يحدث فتعدد الزواج مباح ، والكاهن عادة يرغب بمساعدة زميله . فاذا حدث بطريق الصدفة عدم تيسر هذا ،

فسيبقى المرشح معلقاً الى يوم وفاته ، ولم اسمع بحالة كهذه(*) .

وحالما ينتهي المرشح من اجراء مراسم ذلك الزواج يتحرر من عزلته ويمارس حقه في درجته الجديدة كاملة . و « الكنزفره » فقط هو الذي يقوم بمراسم عقد زواج عذراء لزوج صابئي ، فزواج الثيب كما مر في فصل سابق ، يجريه كاهن يدعى « ابيسق » وهو كاهن كامل من حيث كهنوته منع من اجراء اية طقوس اخرى غير عقد زواج السيدات (الثيبات) .

وهناك درجة اخرى في الكهونتية هي درجة «ريش امه » او « رئيس الامة » ، ولا يوجد من يشغل هذه الدرجة في الوقت الحاضر وسوف لن يوجد ، نظراً لحالة الكهنوتية المتضائلة ، لان « الكنزفره » يحصل على هذه الدرجة آليا حين يقوم بتكريس خمسة كهان(**) . واليوم فان تكريس كاهن واحد امر نادر ولهذا فـ « الكنزفره » في الواقع هو ملك طائفته ، فهو الوسيط في خصوماتهم مع الحكومة او مع شيوخ العشائر وهو قائدهم في جميع الشؤون الزمنية والروحية ومرجعهم الاخير .

وحين يتزوج « كنزفره » (واكثرهم يتزوج اثنتين على الاقل) فيجب ان يقوم بالمراسم « كنزفره » آخر واربعة كهان(***) واثنان من المساعدين ، اما في حالة الفرد العامي فيكفي « كنزفره » واحد وكاهنان .

(*) يعني التعليق هنا عدم السماح للكاهن بالقيام باجراء اي طقس ديني مطلقاً اذا اراد ان يظل منتظراً نواله درجة « الكنزفره » وبعكسه يجوز له ان يعود الى درجته السابقة « ترميذه » وبهذا يحق له ممارسة اعماله ككاهن .

(**) لا يحصل الكنزفره على درجة « ريش أمّه » الا بعد قيامه بتكريس سبعة كهان «ترميذه » .

(***) يصدق هذا اذا كانت الزوجة ابنة كاهن ، اما اذا كانت ابنة فرد اعتيادي فيكون الكهان « كنزفره » واحداً وكاهنين ومساعدين اثنين .

وفي حالة وفاته تتخذ احتياطات تامة لقراءة « مسخته » خاصة وعمل « لوفانى » وفير في الايام الاول والثاني والثالث والسابع والخامس والاربعين بعد الوفاة(*) . ولا يكلف عمل « المسخته » هذه عائلته ثمناً باهضاً ، لانها ستقام هبة وعوناً ، فالكهان كالاطباء لا ياخذون ثمنا من اجل خدمة يؤدونها الى زملاء لهم . وحتى الطعام في « اللوفانى » ، والذي يجب ان يكون وفيرا وعلى نطاق واسع، يكون عادة مما يقدمه زملاؤه الكهان والاتقياء من ابناء الطائفة .

ولا يأكل « الكنزفرى » (جمع كنزفره) والكهان من الطعام الا ما يصنعونه هم بانفسهم ، او ما هيىء حسب اشد الطقوس طهارة ، كما يجب ان لا يكون الخبز الذي يتناولونه من خبز العامة من الناس . ويحرم عليهم الشراب والتبغ والقهوة(**) ، ومن العبث تقديم الطعام او الشراب لهم حين يزورونك لانهم لا يقبلون مثل هذه الضيافة(***) . وفي الايام التي يكون فيها ذبح الحيوان محرماً حسب الاصول الدينية الصابئية ، يكون طعام الكهان اكثر تقشفاً من طعام الفرد العامي ، اذ يحرم عليهم حتى اكل البيض ، ويجب ان يتجنب الكهان في هذه الايام اكل الطعام الساخن او الذي سخّن ثانية كما يجب تناول الخضر والفواكه دونما طبخ . هذه هي الوصايا الدينية ، غير ان الكهان يقولون انهم يأكلون الخضر مطبوخة ولا يعتقدون ان ذلك خطيئة جدية . وقبل تناول الطعام يجب غسل كل شيء في ماء النهر (وهي قاعدة عامة على جميع الصابئين) مع تلاوة صيغة (اسم الحياة واسم منداد هيى) . وحتى

(*) تحسب المدة بعد يوم الدفن لا يوم الوفاة .

(**) يجوز لهم تناول القهوة اذا قاموا بعملها هم بانفسهم .

(***) يحرم على الكهان تناول اي طعام او شراب من صنع الآخرين ، سواء اكانوا صابئين ام من اديان اخرى .

الحبوب التي يتخذهـا الكاهن لعمل خبزه يجب ان تطهـر(*) مـع تلاوة صلاة خاصة قبل تناول الطعام • والماء هو كل شراب الكاهن ويجب ان يؤخذ مباشرة من النهر او من العين •

واذا ما ارتكب كاهن ما خطيئة عظمى كالزنا مثلا ، منع من القيام بجميع وظائفه ، فهو لا يمكن ان يعمد وحين تغادر روحه الجسد ستعذب في النار والجليد وتستغيث ولا من مجيب (كَثْ نافِقْ من بَغْره شيالْته ابنوره وبرده هَوْيه وقَرْيه ولِكَّهْ اينش دي إينله) •

لقد اوضحت سابقاً ان الخطأ في الطقوس لا يمكن التكفير عنه بسهولة ، فمثلا اذا ما شارك كاهن في عقد زواج فتاة ظهر انها ليست عذراء (واللواتي يقمن بفحص العروس يخطئن احيانا بتشخيص بتولتها) يمنع من القيام بوظائفه الدينية الى ان ينال خمسين عماداً كاملا ، وفي ملابس جديدة بينما يتعرض « الكنزفره » في مثل هذه الحالة الى تناول (٣٦٠) عمادا قبل السماح له بممارسة وظائفه الدينية • وقد تعرض الشيخ دخيل والشيخ رومي لمثل هذا التكفير عن الذنب • وتقام المراسم في مثل هذه الحالات على عجل ، وساوضح ذلك كما شاهدته في « اللطلاطة » عام ١٩٣٤ حين تعرض كاهن لمثل هذا الخطأ •

كنت هناك منذ بدء التطهير وافتتحت المراسم بعمل « زدقه بريخه » باسم الكاهن الخاطىء قام بها كنزفره وكاهنان جاء احدهما من ايران خصيصاً لهذه الغاية ، وكان الكاهن الخاطىء يرتدي « رسته » جديدة تماما ، ويمسك بيده صولجانا « مركنه » جديداً ايضا ، وكان صامتا حين شرع زملاؤه الثلاثة ياكلون من اجل الميت ـ فهو يعتبر ميتا طقسيا • وكان يجلس مواجها الجنوب عوضا عن الشمال •

(*) ليس من المفروض دينياً تطهير الحبوب والملح أو ما شابهها في مثل هذه الاحوال •

(أ) زدقة بريخا قبل تعميد كاهن خاطىء
(ب) تعميد الكاهن
(ج) الفطسة الثالثة في تعميد الكاهن

كاهن في « رسته » كاملة

تلا ذلك عماد يسمى « عماد شيتل » وقراءة صلوات تكريس « الرسته » والاكليل والبخور والاعلام من قبل القائمين بالمراسم جماعة ، بينما جلس الكاهن الخاطىء يواجههم الى اليسار منهم قليلا • وحين رفعوا ذيول قمصانهم الى احزمتهم ، نهض الكاهن الخاطىء وذهب الى بركة المندى وغمس صولجانه افقيا ثلاث مرات تحت سطح الماء ثم مس خاتمه (شومياور) واكليله الآسي دون ان ينبس ببنت شفة • بعد ذلك لبس تاجه ومس عمامته ولفها فوق راسه كما هو المعتاد •

ولم تختلف الاجراءات الحقيقية بعد ذلك عن اي عماد اعتيادي لاي رجل من العامة ، غير ان الغطسات الثلاث وغمر الجبهة ثلاث مرات بالماء والرسم الثلاثي وشرب الماء الثلاثي من راحة اليد ، كل ذلك كان يتناوله من الكاهن الاول ثم من الثاني ثم من الثالث بالترتيب ، وهكذا اعيد كل عمل تسع مرات • عاد الكاهن المتعمد بعد ذلك الى الضفة بانتظار الزيت المقدس بينما ملأ الكهان الثلاثة ، وهم لا يزالون واقفين في الماء ، قنيناتهم ، بامرار القناني من وراء اجسامهم في الماء قبل ان يخرجوا • وقام الثلاثة بعجن السمسم بالماء ثم شرعوا برسم الكاهن ثلاث مرات لكل منهم وكان المجموع تسع مرات ايضا • وهكذا كانت تجرى كل خطوة من الطقوس ؛ كل عمل كان يجرى ثلاث مرات على يد ثلاثة كهان ويكون المجموع تسع مرات ، وما عدا هذا فلم يكن هناك شيء آخر يميز هذا التعميد عن التعميد الاعتيادي في المناسبات الاعتيادية حين يجرى كل عمل ثلاث مرات ومن قبل كاهن واحد •

واعيدت العملية بتمامها ظهرا ، ثم اعيدت كذلك قبل الغروب وهكذا نال الكاهن الخاطىء تسع معموديات في ذلك اليوم • وحالما يجرى عليه خمسون عمادا تقرأ له « زدقه بريخه » مرة ثانية وتكمل بهذا طهارته •

ويجرى تعميد كنزفره خاطىء بنفس الطريقة ولكن على يد سبعة كهان وبهذا ينال ثلاثا وستين معمودية في اليوم الواحد ، ولو قام بهـذه المعموديات كاهن واحد لاستغرق ذلك سنة كاملة يكون الخاطىء خلالها معلقاً من الناحية الدينية .

ويحرم على الكاهن القيام بوظائفه الدينية حين تكون زوجه في ايام الحيض ، كذلك يحرم عليه القيام بها الى ان تتطهر من نجاستها بعـد الولادة . وهو لا يستطيع دخول الساحات المحددة (ميسرى) اثناء اجراء « المسخته » في مثل تلك الظروف كما لا يمكنه اجراء اية طقوس دينية لزوجه بل عليه ان يستعين بكاهن آخر .

هذه امثلة قليلة عن الصعوبات التي تعترض سبيل الكاهن ، ولتعدادها جميعا عليَّ ان أكتب كتابا كاملاً ؛ ولهذا فليس اذاً من الغريب ان تسمع الصابئين يقولون « ان ديننا صعب جدا » .

ملاحظات حول الفصل العاشر

١ ـ التلفظ كما يلى : (كُشْطَهْ أسْيَخْ قَيْمَخْ

بِي وَشْكَه وِشْتِمَه

انا أسْوَرْ لَخْ وأناتْ أسْوَرْ لي لاواثر)

جاء في مخطوطة في اكسفورد وصف لهذا الطقس : (يقول الشاهد للشخص المحتضر : ابحث وجد وتكلم واسمع ، ان الاثرى الذين عظّمتهم وحمدتهم سيكونون اعوانك ومحرريك ومنقذيك في موطن النور العظيم موطن الاشعاع والحمد للحياة) • ثم يقول الشاهد للمحتضر : (هذا العهد « كشطه » الذي اتيت به اليك خذه الى اباثر) • وقد قيل لي ان الكاهن هو الذي تكلم والشاهد هو الذي اجاب •

٢ ـ ان المراسم باجمعها موحية ، فالشخص الذي هو في اتم صحته ويعان على ان يكون خارج الحياة عن طريق الطقوس الشديدة المقامة حوله ، يمكن ان يمثل (الكاهن ـ الملك) المحتضر الذي يستبدل بخليفة اقوى منه واصغر عمرا • ولا اعرف طقوسا معاصرة كهذه توضح بجلاء : (الفكرة المهيمنة) كما جاءت في كتاب (الغصن الذهبي) •

ـ الفصل الحادي عشر ـ

الموت والطقوس على روح الميت

يراقب المريض على وشك الموت مراقبة دقيقة ليلاً ونهاراً لئلا يموت وهو بملابسه الاعتيادية • وتهيأ للمريض ملابس دينية جديدة (رسته) ويكون الطبرشيل (النصيفه) فيها طويلا طولا كافياً لتغطية القدمين • وفي يمين « النصيفه » في القسم الذي يكون بمستوى الصدر حين تلبس ، تخاط قطعة صغيرة من الذهب او خيوط قليلة منه ، وتخاط في الجهة اليسرى قطعة صغيرة من الفضة او من خيوطها • (اذا كان المريض كاهناً يهيء له اهله « رسته » كاهن كاملة ويدفن مع ادواته الطقسية ومعه التاج والصولجان والختم ـ شوم ياور) • وحين تقترب المنية من المريض ويبلغ اليأس منتهاه يطلب الى احد الكهان ان يكرس اكليلاً ، فيقوم بقطع اغصان طرية من الآس ويصنع منها اكليلا حسب الطريقة المعتادة ؛ ويقوم باجراء الطهارة الصغرى (رشامه) وخلالها يلبس الاكليل بخنصر يده اليمنى ويتلو في نهاية الطهارة :

« حمدا لك ربي ، لتمنح الحق والصحة باسم الحياة الاولى العظمى ، ومن عوالم الانوار السامية التي هي فوق كل شيء ، لتكن لي الصحة والطهارة والقوة والسلامة والنطق والسمع وسرور القلب وغفران الخطايا (يسمى نفسه) من اجلي انا الذي اقام سنته وعبادته ، ومن اجل روح فلان بن فلانة (يذكر اسم المريض) صاحب هذه « المسخته » ـ العروج ـ ولتغفر خطايا اسلافنا ومعلمينا واخواتنا واخواتنا من الذين غادرت ارواحهم ابدانهم والذين لا تزال ارواحهم في اجسادهم (الاحياء) • بقوة ياور زيوا وسيمات هيي » •

بعد ذلك يتلو أربعة ادعية من اجل التاج والاكليل معيداً دعـــاء « منده اقرن » مرتين ، مرةً لنفسه ومرةً باسم الشخص المريض ، ثم يتلو بعد إن يكمل « الرهمى » دعاء « بيّنه من هيى » ويده اليمنى تستند الى رأسه • يجلس بعد ذلك ويأخذ بدعاء سري ينهض بعده فيتلو ادعية (زهير ومزهر) و (كث قيمي اثرى بشخانون) • و (ثيار كليل نهور) • يزيح التاج من على راسه حذراً من ان ينزاح عن جبهته ، وينزع الاكليل من خنصره ، ويقبل التاج احدى وستين مرة وهو يرفعه ليمس به عينيه بالتناوب ، ويعيد الشيء نفسه على اكليل الآس للرجل المحتضر معيداً صلواته مرة بعد مرة وهو يرفعه الى عينيه بالتناوب (اي احدى وستين مرة) قائلا : « كشطه اسيخ[1] تاغى كشطه اسيخ مارى » (ليمنحك الحق الصحة يا تاجى ويمنحك الحق الصحة يا مارى) • ويجب ان يتذكر القارىء ان اسم (آسا)[2] او آس يعنى ايضا شفى او عافى ، وان اكليل الآس ينظر اليه كمانح للصحة والقوة وليس كرمز لهـــذه الصفات فحسب •

بعد ذلك ياخذ الكاهن الأكليل ويودعه لدى اهل المحتضر ليكون جاهزا للاستعمال عند الضرورة • وحين تقترب المنية ـ واحياناً يكون المريض دارياً بما يدور حوله الى النهاية ، فيطلب هو ان يعمل لـــه ذلك ـ • يؤتى بالماء من النهر وتخلع عنه ملابسه ويغسل ثلاث مرات من رأسه الى اخمص قدميه[3] فاذا كان الطقس بارداً يسخن قسم من الماء ويخلط بالباقي لتكون الصـــدمة اقل أثراً • يرفـع المريض بعد ذلك ويوضع فوق فراش نظيف مواجهاً النجم القطبي (انظر الفصـل الاول ملاحظة رقم ٥) ويلبس ملابس جديدة مع عدم عقد الزنار • وحين يدرك من حوله انه يموت فعلاً (يطبقون جفنيه دلالة على ذلك) يعقدون عقدة الزنار ويضعون « الكليله » في مكانها تحت العمامة ، واوراقها الخضر

تتدلى فوق الصدغ الايسر ويثبتونها بخياطتها في العمامة لئلا تتزحزح من مكانها • كذلك ترتب « الرسته » وتخاط اقسامها(*) كل في مكانه والا فان تقلص الميت يجعل نظامها امراً غير ممكن • وتغطى القدمان اخيراً بطرفى الطبرشيل (التصيفه) ، فاذا ما عاش المريض بعد كل تلك الاجراءات لا يمكن استعمال « الرسته » الا للاغراض الاعتيادية بعد ان تقصر « التصيفه » وينزع عنها قطعتا الذهب والفضة ، ولا يمكن ان تستعمل لرجل محتضر مرة اخرى(**) •

وحين يتوفى شخص ما يقوم بعض الحاضرين بعقد الزنار عقدة اخيرة ويدس طرفاه الى الجانبين • ولا يتم الدفن الا بعد الوفاة بثلاث ساعات(***) فاذا قرّبت الفترة هذه الوقت من الغروب يؤجل الدفن الى صباح اليوم التالي • ويوكل امر الدفن الى اربعة من « الحلاليه » اي الى رجال طاهرين طقسيا ، والى جمع من العامة (سواديه) ولا يشترك الكهان بعملية الدفن • ويجب ان لا يكون « الحلاليه » عمياً او صماً او عرجاً أو ان تكون بهم اية عاهة جسمية، ويجب ان يكون رئيسهم (ريش) أو « الأب » متزوجا وابا لاطفال • وحين يدعى هؤلاء للقيام بعملية الدفن يقومون اولا باجراء الوضوء (الرشامه) ويرتدون ملابسهم الدينية ويدس الرئيس بحزامه سكيناً من الحديد لا قبضة لها (سكين دوله) تتدلى من سلسلة متصلة في حلقة يضعها الرئيس في خنصر يده اليمنى • وقد اخبرني

(*) لا يخاط من الكفن سوى الاكليل وقطعتي الذهب والفضة •

(**) لا يجوز استعمالها مرة اخرى لمحتضر غيره اذا ما خيطت « الاكليلة » تحت عمامة الميت وهي علامة على تحقق الوفاة ولا يمكن استعمالها ايضا لنفس المريض فيما اذا تشافى في المرة الاولى •

(***) ان هذه الفترة ليست فرضاً دينياً انما هو عرف للتحقق من الوفاة وعدم الاستعجال بدفن الميت اذ قد يحدث ان تعود الحياة الى الميت خلال هذه الفترة •

احد الكهان ان « سكين دوله » التي تستعمل في مراسم الدفن يجب ان تحمل كلمات نقشت عليها هي : « گاوريل شليهه » اي جبرائيل الرسول •

تقوم النساء في هذه الاثناء بتحضير (اللوفانى)(*) او الوجبة الطقسية • وكلمتا (لُوفه) وتلفظ « لوفه » و « لوفانى » تستعملان بصورة عامة للتعبير عن الطعام الطقسي من اجل الميت ، ويظهر انهما يعنيان « تحبك معا » او « تتحد » ويمكن ان تترجم بـ « العشاء الرباني » اي المشاركة ؛ فهي بالفعل تعنى ان ارواح المتوفين وأرواح الاحياء متحدة في قداس الطعام الطقسي وان القوة التي يمنحها هذا الطعام وهذا الشراب هي لكليهما : الاحياء في الدنيا واولئك الذين غادروها •

وحالما ينتشر نبأ الوفاة يتجمع الجيران ليعيروا الاسرة المنكوبة القدور والاواني وليساعدوا في طحن الدقيق وخبز الخبز ، كما يجب الحصول على الخضروات والفواكه والاسماك أو الطيور للذبح باسرع ما يمكن • والبكاء محرم ، ويجب على النساء الصابئيات ان لا يحنين التراب على رؤسهن والا يمزقن ثيابهن أو شعورهن والا يلطمن صدورهن او يردسن في مراسم الدفن كما يفعل المجاورون ، اذ ان الفئات الدنيا من عامة المسلمين واليهود والنصارى يظهرون حزنهم بتلك الاساليب• ان الدموع ستكون نهرا يجب على روح المتوفى ان تعبره ، وان الشعر المقصوص سيشكل حوائل وقيوداً حول قدميه ، هكذا يقول الصابئون ، (يستعمل الزردشتيون نفس هذه الاستعارة) •

ومع ذلك فقد سمعت وانا امر ببيت توفى فيه احدهم لتوه نواحاً ينبعث من ساحة الدار ، ولن انسى ما نسيت شخص فتاة شابة سمعت بوفاة

(*) يقوم النساء او الرجال بتحضير « اللوفانى » غير ان النساء يكن انسب في مثل هذه المناسبة لانشغال الرجال باجراءات الجنازة والتشييع •

اخيها فانبطحت فوق الارض المبتلة وهي تصرخ صرخات الحزن ، الى ان تلطخ شعرها ووجهها وملابسها بالوحل وظهرت كأنها شبح من طين • كما استوقفني من جهة اخرى في قلعة صالح شيخ مسن ذو لحية بيضاء تلاعبها الريح ، وكان وجهه مشرقا بالسرور وهو يقول لي : « لقد مات اخي صباح هذا اليوم انه رائع عظيم وقد منعت النساء عن البكاء » • وكان لسروره ما يبرره فقد كانت الوفاة في موسم « البنجه » وذلك يعني ان روح الميت سترتفع بسرعة الى عالم الانوار وستنجو من مخاطر وعذاب المطهر •

ويجب ان يراقب الميت باستمرار ويوضع بجانبه اناء فيه ماء يجدد باستمرار ، وقطعة من الحجر او الحصى ومصباح يشتعل فوق كرسي أو منضدة أو طبلة ، فالظلام يجب ان لا يخيم على الغرفة ، ويستغنى بعضهم عن المصباح قائلا ان الشمس نفسها تكفل وجود النور او النار كما يسميها اخرون • وهذه الثلاثة وهي النار أو النور والحجر (الارض) والماء ، تبقى حيث وضعت الى اليوم الثالث بعد الوفاة •

كما يجب تهيئة أعواد من القصب والبردى وسعف النخل وحبال من سعف النخل ، تغسل طقسيا وتحضر لاستعمال (الحلاليه) ويجب ان يقوم بعد ذلك كاهن او « حلالى » بناء « المندلته » او « المندلثه » و (يستعمل كلا اللفظين) • وهي بنية ثلاثية تقام في ساحة دار المتوفى ويتلو نصبها طقس ديني كامل •

المندلتا : عبارة عن حفرة بيضوية الشكل حوالي اليادرة طولا تحفر بالمعول ويكون عمقها اكثر بقليل من طول اليد ، توضع فيها كمية غير مربوطة من القصب بشكل عمودي ، وتكسر الى طول من ثلاث الى الى ثلاثة اقدام ونصف ثم توضع ثلاث قصبات على الارض امام الحزمة القائمة من القصب وثلاث خلفها •

تقسم الحزمة الى ثلاثة اقسام ، وتؤخذ قصبة فيها عقد وتطهر في الماء وتشق الى شقين ثم تسلك من تحت وتلف مرتين حول الحزمة الاولى ثم يلف طرفاها معا ويدسان في اسفل الحزمة لتثبيتها • وهكذا تثبت الحزم الثلاث مبتدئين بربطها وشدها من الحزمة اليمنى ، ثم يكرر ربط القصب المشقوق حولها من اليسار الى اليمين ويتبع ذلك عملية معقدة نوعا ما • يغرس شريط من القصب في منتصف كل حزمة ويمرر حولها اولا حول النصف الايمن ثم النصف الايسر ، وفي كلا الحالتين يمرر ويلف حول الحزمتين الافقيتين ايضا ثم يلف شريط آخر من القصب حول الحزم باجمعها ويثبت كما مر سالفاً ، اي بلف طرفيه معا ودسهما الى الاسفل • وهكذا يكون لكل حزمة ثلاثة اشرطة • يقص القصب بعد ذلك من الاعلى لينتصب بارتفاع قدم وربع تقريبا من سطح الارض ثم تقص الحزمتان الافقيتان ، وتكون عند ذلك ، الحزم منتصبة منفصلة الواحدة عن الاخرى • واخيراً تدار قصبة طويلة لينة ذات عقد ورأسها نحو اليسار حول الحزم الثلاث وتثبت كما مر سالفا • يهال التراب حول الحفرة وتغطى الحزم قليلا ، وبهذا تكون « المندلته » جاهزة ما عدا الختم • يتجمع « الحلاليه » الرئيس وزملاؤه الثلاثة ، واحد الكهان في ساحة الدار ويكون الكاهن قد قام بالوضوء وتلاوة « الرهمى » كاملا وتفقد ملابسه « رسته » وقام بتطهير جميع ادوات الشعائر ، كما يكون قد احضر معه الكتب المقدسة ملفوفة بقماش ابيض •

يقف الجميع متوجهين الى النجم القطبي (بيت اباثر) ويتلو الكاهن :

« بِشْمَيْهون دْهِيِّ ربى لُوفَه ورْواهَه إد هيّى وشافَقْ هَطايي نَهْويله الهازانِشِمْشَه دبلان بربلا نيثا إدْ هازا مَسِخْشَه وشافَق هطايى نهويله » •

وترجمتها : « باسم الحياة العظمى ، لوفه ـ مشاركة او العشاء الرباني

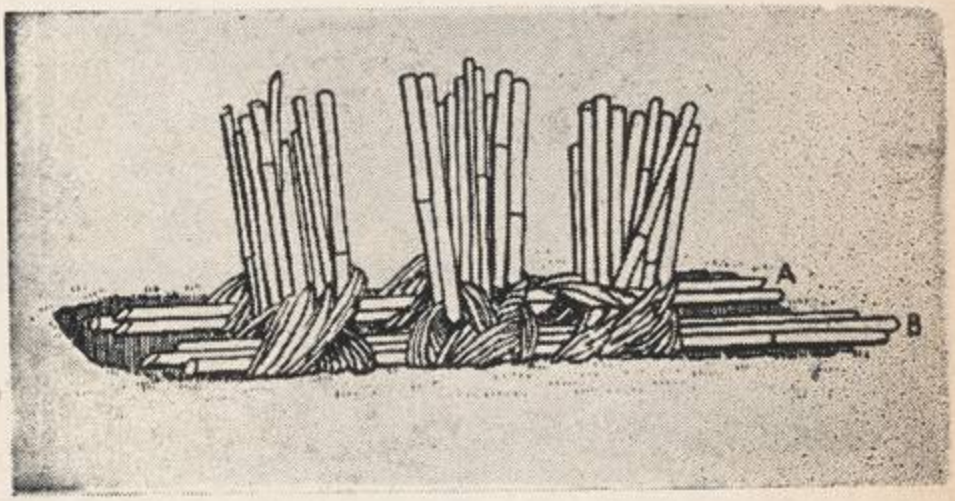

المدلتا

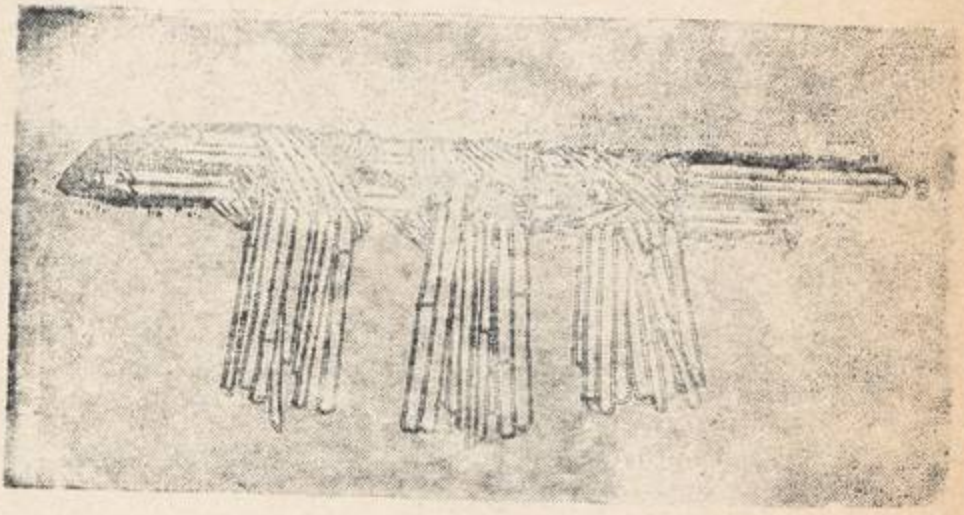

ـ ورواهه ـ حرفيا سبب التنفس ثانية اي الانبعاث ـ وانبعاث الحياة وغفران الخطايا تكـون لروح فلان بن فلانـة صـاحب هـــذه المسخته[٤] لتغفر خطاياه »[*] .

عندئذ يشد جميع « الحلاليه » لثمهم (بندامه) حول افواههم وانوفهم ويضعون الورد او اي زهر آخر ذي رائحة بين « البندامه » وانوفهـم لئلا « تصل اليهم رائحة الموت » .

البنيـه : يطرح البردى دونما ربط فوق سطح الارض وعلى قـدر حجم المتوفى اذ ليس هنالك قيود في كمية وطول البردى ، ويتطلب الامر ايضا اربعة حبال من الليف (سعف النخل) طول الواحد منها اربـع قامات تستعمل لحياكة « البنيه » وتحضر سلفا . (القامة هي بطول امتداد الذراعين اعتبارا من اطراف الاصابع) .

تعمل في وسط كل حبل احبولة ثم تصف الحبـال جميعا جنوبي البردى ويجلس العمال مواجهين الشمال . يعقد طرفا كل حبل عقدا خفيفا ويسلك العامل في كل عقدة يداً من يديه تسهيلا للعمل ، ثم تحاك الحبال من تحت ومن فوق البردى مع ترك مسافة بين كل حزمة واخرى تليها من البردى مشكلين بذلك نسيجا خفيفا . وحين يصـــل الحد الى السعة المطلوبة يوقف العمل وتترك اطراف الحبال مطروحة على الارض من الجهة الشمالية .

يلزم على « الحلاليه » بعد ذلك ان يحضروا « الكرسي » أو التابوت . ويعمل « الكرسي » بجانب الجثمان ، وطريقة صنعه تشبه طريقة صنع « البنيه » ولكن باستعمال القصب الذي ينسج على ثلاث من اصول جريد النخل توضع بين طبقتين من القصـب ويمرر الحبل اولا حول قليل من

(*) انظر الملحق

قصب الطبقة السفلى ثم حول الجريد ثم حول قليل من قصب الطبقة العليا ثم العودة به باتجاه معاكس مرة اخرى • ولا تعقد اية عقدة ؛ وتشكل اصول الجريد مقابض للنعش • ويجلس ثلاثة من « الحلاليه » اثناء هذه العملية باتجاه مشرق الشمس ، اي نحو الشرق ، بينما يتجه الحلالى « الرئيس » قبالتهم اي مواجها الشمس الغاربة •

وحين يتم عمل كل شيء مطلوب يحمل « الحلاليه » الاربعة وهم حفاة الاقدام مثل جميع الذين سيشتركون بمراسم الدفن ـ يحملون الجثمان ويضعونه فوق « البنيه » ثم ينقلونه مع « البنيه » الى « الكرسي » واخيرا تثبت الجثة بلف هذه التركيبة بالحبال التي بقيت مرخاة في « البنيه » ويسلكونها في الاحبولات التي ذكرناها سالفا وذلك لمنع الجثة من عدم الانتظام او السقوط • يحمل « الحلاليه » الاربعة بعد ذلك النعش على اكتافهم ويكون الرئيس في الجهة اليمنى عند راس الجثمان ؛ واثناء تحرك الجثمان وخلال المرور من الساحة تبذل محاولات ومناورات للحيلولة دون تعريض الجثمان لتبديل اتجاهه وهو الشمال دائما ، بحيث اذا ما انتصب الميت فسيواجه النجم (القطبي) •

يتحرك الموكب الجنائزي مجتازا الساحة وعلى حاملي النعش تخطى « المندلته » • وحالما يفعلون ذلك يتوقفون ويعود الرئيس فينحنى على « المندلته » ويملط اعمدتها الثلاثة بالطين ثم يختمها بـ « السكين دوله » وهو يتلو الصيغة المقتبسة في اعلاه • بعد ذلك يستأنف دوره في حمل النعش ويتجه الموكب نحو المقبرة يتبعه الرجال فقط • وسبب عدم السماح للنساء بالسير وراء الجنازة هو الخوف من عدم طهارة احداهن لان ذلك سيلحق الضرر بروح الميت ويجعل المراسم عبثا لا طائل تحته •

وتكون المقبرة عادة في فضاء مفتوح خارج المدينة او القرية ومن الصعب تمييزها عن الارض من حولها لان الصابئي لا يقيم اي شكل من

اشكال القبور فوق الميت(*) . وقد سمعت بعضهم يقول « ما الفائدة ؟ فالجسم نجس ومملوث حين تكون الروح قد فارقته » . ولهذا تغور القبور بعد قليل من الوقت وتتساوى مع مستوى سطح الارض ولا تبقى علامة أو حجر يميز قبرا عن آخر . ومع ذلك ففي السنين الاخيرة بدأ بعض اغنياء الصابئين ، مقلدين بذلك مجاوريهم ، باقامة اضرحة من الطابوق يكتب عليها اسم الشخص فوق لوحة من المرمر ، وهذا الصنيع يمقته المتقون من بينهم وهو نادر في مقابر الصابئين ولا ترى الا ضريحا او اثنين من هذا النوع في المقبرة الواحدة . وهناك عرف من أن الدفن في الارض لم يكن دائماً عادة الصابئين ، وقد سمعت ذلك من عدة افراد منهم ، فقد قال لي الشيخ نجم(**) : « لقد كان الدفن لدينا يوماً ما يشبه الدفن لدى الفرس ، فكنا نضع موتانا في محل مكشوف تحيطه اسوار وتأتي الطير وتأكل الجثث » .

واضاف آخرون ان الوحوش المفترسة هي التي تأكلهم مستبعدين وجود اسوار . ومن المعلوم طبعا ان الجثة تراقب مراقبة شديدة خلال الايام الثلاثة الاولى ولياليها ولا تهمل الا بعد ان تكون الروح قد غادرتها(٥) .

ولدى الوصول الى المقبرة ياخذ « الحلالى » الرئيس معولا ويحفر به ثلاث مرات في التربة وهو يتلو الصيغة المذكورة في اعلاه .

في هذه الاثناء يكون (الترميده) الذي سيقوم بعمل اللوفانى (اذا

(*) بالرغم من ان الدين الصابئي يعتقد بان خير القبور الدوارس فهم في الوقت الحاضر قد شرعوا ببناء القبور والاضرحة ووضع الشواهد باسماء الموتى وهي عادة يجارون بها مجاوريهم من الاديان الاخرى .

(**) الشيخ نجم الشيخ زهرون « كنزفره » صابئي معاصر موطنه البصرة .

لم يوجد كاهن يقوم الحلالى بعمل ذلك) والذي كان قد تبع الموكب الجنائزي الى المقبرة ، ومعه « الكُنثه » ووعاء النار (بريهى) ووقود مطهر وعلم (درفشه) وكتب مقدسة . يتوضأ في النهر باسم المتوفى ثم يتبع ذلك باجراء « الرهمى » (باسم المتوفى ايضا) ، ويعد اجهزته وينصب العلم في الساحة الى اليمين على بعد قريب من القبر والى الجنوب منه ثم يقرأ في الجزء اليسار من كتاب « الكنزه » وهو يبحث كلية عن الموت ومصير الروح في الدنيا والآخرة . فان لم يكن هنالك كاهن يحل الحلالى محله الا انه لا يقرأ بل يتلو : « بشميهون اد هيى ربى لوفا ورواهه ادهيى وشافَق هطايى نهويلى الهازا نشمثه ديلان بربلا نيثه اد هازا مسخثه وشافق هطايى نهويلى دبهائن وروبانن وداهن ودهوائن ونفق من يغريهون والقيمن ابغريهون تيمرون قيامين هيى بشخائون هيى زكن الكلهن اوادى » وترجمتها : « باسم الحاية العظمى لوفه (مشاركه ، اتحاد) وانبعاث للحياة وغفران للخطايا يكون لروح فلان بن فلانة صاحب هذه « المسخثه » وغفران للخطايا سيكون لآبائنا ومعلمينا واخواتنا واخواتنا من الذين فارقت ارواحهم الاجساد والذين لا يزالون احياءً . ستقول (الحياة في موطنها) ان الحياة منتصرة على كل مخلوقاتها) .

ويكون حفر القبر قائماً في نفس الوقت ، وليس عمقه مفروضاً ولكن من الواجب عمل حفرة اضافية خلف الرأس تترك خالية تدعى (لحداً) . بعد ذلك توضع الجثة في القبر متجهة دائما الى الشمال ، ويوضع فوق « رسته » الميت قليل من الاحجار كما توضع واحدة على فمه . وتقول الاسطورة توضيحا لذلك انه حدث مرة بعد ان توفى احدهم ان بدأت اسرته تموت ايضا بعده الواحد بعد الآخر ، وحين اخبر « الكنزفره » بذلك نصحهم بحفر قبر الميت الاول ، لفحص الجثة ، وفعلوا ذلك فوجدوا ان طرف الطبرشيل « الكنزاله » قد اندس في فم

الميت • ومن المحتمل ان يكون اصل هذا الشيء والتحفظات الاخرى هي الخشية من احتمال عودة الميت ومحاولته اخذ احبابه معه ـ نتيجة الاوبئة المعدية كالطاعون الذي يضرب عضوا بعد آخر في الاسرة • ويقول الصابئون انه خلال الايام الثلاثة الاولى التي ترتبط فيها الروح والنفس بالجسد بروابط متناقصة تدريجيا فان الروح القلقة تغدو ذهاباً واياباً بين بيتها الخاص والقبر • وانا افترض ان « المندلته » قد اتخذت لصد الميت من الحاق الضرر بالاحياء • أو قد تكون « بيت الروح » كما هي الحال في الصين • واحيانا يوضع « كرسي » اضافي من القصب فوق الجثة • بعد ذلك ياخذ « الحلالى » الرئيس وهو متجه الى الشمال معولا ويهيل التراب على الجثة ثلاث مرات مرددا في كل مرة : (باسم الحياة العظمى لتكن « لوفه » و « رواهه » الحياة وغفران الخطايا من نصيب فلان بن فلانة صاحب هذه المسخته ولتغفر لي خطاياي) •

يملأ الآخرون الحفرة بالتراب الى ان يكون القبر على شكل رابية صغيرة ثم ينحنى « الحلالى » الرئيس ويبل القبر من جوانبه الاربعة ويختم الطين المتكون مبتدءاً بالرأس (بختم السكين دوله) ، ويعود بعد ثلاثة ايام ليزيل هذه الاختام[٦] لانتفاء الحاجة بعد الآن لحفظ الجسم ، وحين يقوم بالختم ياخذ السكين التي لا مقبض لها والمربوطة الى الحلقة ويخط بها حول القبر خطاً (ميسره) ثلاث مرات • ولابد ان تكون هذه المراسم موغلة في القدم ، ومن المحتمل ان تكون من اصل ايراني لان لدى البارسيين ما يشابهها[٧] •

يبدأ (اللوفانى)[*] في اللحظة التي تنزل فيها الجثة الى القبر ويدعى « لوفانى سامرايى » على اسم سام بن نوح ، فسام كما تقول

(*) انظر نص « اللوفانى » في الملحق

الرواية كان جد جنس الصابئين الأول ؛ وكان راعيا وقد عاش بعد الطوفان عمراً مديداً ، وحين بلغ من العمر سبعمائة وخمسين عاماً صار عاجزاً ، لا يقوى على ممارسة الوضوء (رشامه) دون عون ؛ وظهرت له الكواكب السبعة وبدأت تغريه بمفاتن هذه الدنيا ولكن دون طائل ، لان سام كان برماً بجسمه وبعدم كمال هذه الدنيا ومشتاقا لعالم النور • بعد ذلك رأى سام « هيبل زيوا » على شكل كاهن يقول له « انهض واجر وضوءك » ، فاجابه سام انه غير قادر على ذلك دون معين لوهنه • فاعاد هيبل زيوا الامر عليه فنهض وهو يحس ان جسده قد اصبح بقوة جسد شاب في الرابعة والعشرين من عمره • اجرى « الرشامه » ، فقدم له هيبل زيوا اختيار احد امرين اما الاستمرار على حاله هذه ، حال الشباب المعجز ، وبهذا سيعيش ربما الى فترة الف عام ، واما ان يفارق جسده ويتجه الى عالم الانوار • وقد اختار الشيخ وهو يقف هناك بكامل قوة الشباب الامر الثاني • وهكذا مات ، وعلّم هيبل زيوا الكهان والصابئين واولاد سام المجتمعين هناك ، كيفية تحضير الجسم للوفاة وطقوس الدفن وكيفية اقامة وتناول « اللوفانى » على روح الميت • من هنا جاء اسم « لوفه سام رايي » والاسم المعروف بالعربية هو « ثواب سام بن نوح » •

ـ اللوفه او لوفانى سام رايى (اثناء الدفن) ـ

تفرش فوق الارض قطعة نظيفة من الخام او الكتان الابيض أو حصير من القصب (باريه) او حتى فراش من القصب او البوه ويوضع عليه :

١ ـ ارغفة خبز مسطحة • وتكون حبوب هذا الخبز قد غسلت وجففت تحت اشعة الشمس فوق قطعة خام بيضاء(*) • [تدعى الارغفة

(*) لا ضرورة هنا لغسل الحبوب •

لهمه ويعبر عنها غالبا بـ ـ شمبلثه ـ ، اي القمح في طقوس تناول الطعـام] .

٢ ـ سمك مشوي (برنده اونونه) ويهيء من قبل الكاهن(*) ويكون من الاسماك النظيفة المحللة شرعاً .

٣ ـ قطع من شحم اللّية المشوي من خروف قـد ذبح سلفا اذا كانت العائلة تستطيع تقديم ذلك والا فلحم طيور كالزرزور او الدراج أو الحمام . فاذا كان اللحم لحم حمامة سمى (با)(**) .

٤ ـ قطع من جوز الهند وهـذا يستورد من الهند فهـو لا يزرع فـي العراق .

٥ ـ لوز طويل (انكوزه) ويستورد من ايران ولا يزرع في العراق .

٦ ـ بندق (اموزه) ويستورد من ايران ونادرا ما يزرع في العراق وفي شماله فقط .

٧ ـ رمان (رمانه) وهذا ينمو في العراق الا انه ليس متيسرا في جميع الفصول ولما كان من الاطعمة الخمسة الاكثر قدسـية ، فتستعمل حبوبه الجافة بدلا عنه حين لا يتيسر العثور عليه طرياً .

٨ ـ سفرجل (سفرجله) والحصول عليه متيسر عادة ، وهو لا يتيسر في العراق ، ويستورد من ايران .

٩ ـ بصل (كيوارا) والحصول عليه متيسر دائما .

٩ ـ عنب أو زبيب (أنبه) ويمكن الحصول عليه محليا في موسمه الا ان الزبيب يستورد دائما .

(*) يهيء السمك ويشوى من قبل اي فرد صابئي طاهر طقسياً .

(**) يستعمل هنا اللحم لا الشحم ، من الخروف ، ووظيفة الشحم دائماً هي دوره كسمن للطبيخ ، وقد تشوى بعض القطع منه وتؤكل ، اما الحمامة والعصافير وما شابهها فتذبح عند عدم تيسر الخروف او السمك ، وتكون عادة في اللوفانى المحدود العدد جداً .

١١- ملح (مهله) .

يضاف الى هذه الاطعمة الضرورية (طبوثه) الفواكه والخضر الموسمية ، وقد اخبرني رجال من اسر كهنوتية ان اللحم والسمك لم يكونا قبلا يؤكلان في « اللوفانى » لان اخذ الحياة خطيئة . غير ان كهانا آخرين ينكرون ذلك .

يجلس المشاركون في هذه الوجبة الطقسية زوجاً زوجاً متقابلين يمسك كل زوج رغيفا من الخبز بينهما بيديهما اليمنيين معيدين الصيغة التي تقال دائما على الطعام (حتى الطعام الاعتيادي) وهي : « اسم الحياة واسم منداد هيى منطوقان عليك ايتها النعمة « طابثه » او ايها الطعام السليم طعام ياور زيوه وسيمات هيى » .

ان كلمة « طابثه » ، وتلفظ طافته احيانا ، لا تطلق على الاطعمة الطقسية فحسب بل على جميع الاطعمة المحللة السليمة ، ولهذا الاصل معنى منح الصحة (ولتكن صحيحا حيا) ، ويقال في العامية العراقية (هو طيب)وهو يعنى بصورة عامة (انه حي) . وتعبير « انت طيب » تعبير رقيق في التعزية ؛ وتعبير « طاب طابه الطابى » يوضح هذا المعنى .

يقتسم كل زوج متقابل الرغيف الى نصفين ويأكلان بضعة لقم ثم يشرب الجميع من اناء واحد ملىء من ماء النهر ، وهم يرددون زوجاً بعد آخر ما يلى :

الاول : بريخت مارى مشبتّ (حمدا لك وتباركت يا مولاي) .
الثاني : اسوثه نهويلخ (لتكن الصحة لك) .
الاول : اسوثه نهويلخون طابثه برختـــه تهويلخون (لتكن لك الصحة والنعمة المباركة) .

اللوفاني ـ اقتسام الخبز ـ

وبعد ان يمر اناء الماء من زوج الى زوج آخر ، يمد الجميع ايديهم اليمنى نحو الطعام مطبقين اكفهم على قطع من الخبز لفت فيها نتف من مختلف الاطعمة • ويقوم كاهن او احد العامة بتلاوة الدعاء التالي والجالسون يردون عليه ما يقول :

« باسم الحياة • اسم منداد هيى منطوق عليك ايها الطعام السليم (طابثه) • ادن من صلاح الحياة ومن الاشياء الخيرة • لقد قال منداد هيى الذي نطق باسم الحياة « طاب طابا الطابى » ـ دعاء يعنى ان الخير والصلاح للصالحين ـ وستثبت اسماء اولئك الذين سيذكرون اسماء الموتى• نبحث ونجد ونتكلم ونستمع • وقد بحثنا فوجدنا وتكلمنا واستمعنا بحضورك يا سيدي منداد هيى رب الشفاء • اغفر له (الميت) خطاياه وزلاته وعثراته ونقائصه واغلاطه واغفر لاولئك الذين هيأوا هذا الخبز وهذه « المسخثه » وهذا الطعام السليم • اغفر لهم خطاياهم وزلاتهم وعثراتهم واغلاطهم يا سيدي منداد هيى • ويا ايتها الحياة العظمى الاولى اغفروا ايضا للذين اعطوا الصدقات وعملوا الصالحات لهم ولازواجهم ولاولادهم ولكهنتهم ، واغفروا خطايا فلان بن فلانة صاحب هذه « المسخثه » واغفر لي خطاياى وخطايا ابي وامي ومعلمي وزوجاتي واولادي وكهنتي ، واغفر لاولئك الذين هيأوا هذا الخبز وهذا الطعام مانح الحياة (طبوئه) وانتم يا اجدادي ومعلميّ ومؤدبي واساتذتي لتنقلوا من اليسار الى اليمين • ستقولون : (قامت الحياة في موطنها) حمدا للحياة والنصر لها على جميع مخلوقاتها »(*) •

ترفع الجماعة قبضاتها المسكة بالطعام الى افواهها ، وحين تنتهى من اكل اللقمة المقدسة الاولى ، تشرع بالتهام ما امامها من طعام الى ان تشبع ، فان لم يوجد احد من فقراء الصابئين لأكل المتبقى من الطعام يرمى كل

(*) انظر الملحق ـ نص اللوفانى ـ •

المتبقى مع جميع كسرات الخبز في النهر اذ ينبغى ان لا تسقط على الارض حتى ولا كسرة واحدة[٨] .

بعد انهاء اللوفانى يتجمع الجميع حول القبر الذي يكون قد ملىء بالتراب وختم كما وصف في اعلاه ويقولون : « تكلمت الحياة العظمى وفتحت فاها ببهائها الخاص ونورها وانتصارها ، حمدا للحياة »[٩] .

يفك (الحلاليه) لثامهم « بندامه » ويلقون بالازهار التي كانت حول افواههم وانوفهم فوق القبر فاذا كان القائم بمراسم « اللوفانى » كاهنا فانه ينزع لثامه ويرفع تاجه بالادعية الطقسية المعتادة الا انه يمهد لها بدعائين . (١) بيّنه من هيي (لتقبل الحياة ومناهيى والاثرى وملوك عالم النور « هذا الكنز الغالي » ويغفروا له ما به من نقص او اهمال وليغفر خطايا المتوفى فيحرره « هبشبه » من المطهر (مطراثه) ويرفعه الى عالم النور الاعلى) . (٢) صلاة تصلى بصمت وبوضع الجلوس .

يتفرق الناس ويذهب « الحلاليه » الى النهر مع جميع الذين مسوا الجثة او الاشياء التي تتصل بها ليقوموا باغتسال ثلاثي كامل (طماشه)[*] [١٠] .

في نفس اليوم يجب اقامة « زدقه بريخه » ـ عمل رحيم من اعمال التقوى ـ من قبل كاهن او عدة كهان فان لم يوجدوا فمن قبل احد افراد العامة . وهذه « الزدقه بريخه » التي اجريت يوم الدفن (هناك بضعة انواع كما ساوضح) تدعى « زدقه بريخه سام رايى » .

زدقه بريخه بعد الدفن :

وهذه يمكن ان تقام اما في ساحة المندى (لا في داخله) أو في ساحة دار الكاهن او « الكنزفره » (اذا كانت الدور على ضفة النهر) أو في اي مكان قريب من النهر ؛ فاذا لم يتيسر كاهن كما مر معنا ، يمكن ان

(*) يذهب « الحلاليه » بعد هذا الاغتسال (طماشه) لتناول « لوفاني سامرايي » على روح المتوفى .

يقوم بها فرد من العامة (على ان يكون حلالياً) وتكون المراسم عندئذ قصيرة وتفقد كثيرا من فاعليتها ، كما يجب ان يكون القائم او القائمون باجرائها حفاة الاقدام .

فاذا كان القائم بها كاهناً ومعه علم « درفشه » فانه يركز قاعدته المغلفة بالحديد في الارض في يمين وشرقي المواد الطقسية الاخرى وهي :

١ - كُنثه (عبارة عن صندوق من طين غير مفخور واعلاه يشبه الصينية كما يشبه الطريانه بما له من تجويف (ميسره) تنتصب عليه القوقه - وعاء البخور - وعن يساره فوق الغطاء يوجد وعاء النار - بريهى -) .

٢ - طريانه اي خوان طيني كبير يكفي لجلوس بضعة اشخاص حوله . فان لم يكن للقائم بالعمل طريانه يقوم بحفر الارض قليلا بمعوله ثم يعدلها ويرشها بالماء الطاهر من النهر ويملجها بطين نظيف وحين تجففها الشمس يكنسها وينظفها ثم ياخذ سكينا حديدية او اية اداة حديدية اخرى ويعمل بها حداً (ميسره) على شكل دائرة بحجم طريانة كبيرة ، ويعمل اضافة الى ذلك اربع دوائر صغيرة في الزوايا (گربى وتيمى ومدته ومربه)(*) وتكون خارج الدائرة وتمس محيطها .

٣ - يضع في مركز « الطريانه » الكبيرة كنگانه (حلقة طين غير مفخور) وعليها « طريانه » صغيرة بحجم « الطريانات » الطقسية الاعتيادية وفي تجويفها كومة صغيرة من الملح بدلا من مكعب البخور المعتاد .

ويصف حول حافة « الطريانه » الصغيرة قطع صغيرة من المأكولات هي :

(*) اسماء الجهات الاربع ومعناها حسب ترتيبها : الشمال ، الجنوب ، الشرق والغرب .

١ ـ سمك (يغسل ويشوى من قبل الكاهن) .
٢ ـ بصـــل .
٣ ـ حب رمان .
٤ ـ لوز طويل .
٥ ـ فندق مقشرّ .
٦ ـ سفرجل .
٧ ـ جوز هند .
٨ ـ عنب أو زبيب .
٩ ـ خضروات وفواكه موسمية .

وفي الناحية الجنوبية من « الطريانه » الصغيرة كبثه مهيأة لتسلم الفطائر الثلاث الاولى والـ « صا » . وفوق « الطريانه » الكبيرة التي تنتصب عليها « الطريانه » الصغيرة يوضع كثير من الخضر والفواكه و « كبثه » فارغة للماء و « كبثه » اخرى لفطيرتين اخريين .

وينال كل شيء يستعمل هنا الطهارة الثلاثية بماء النهر عدا الملح والوقود مع دعاء (اسم الحياة ... الخ) . ويمكن ان يكون الوقود الموضوع في وعاء النار فحماً أو خشباً كما يجب ان لا يغيب عن البال بان الوقود الذي يستعمل في « المسخته » لا يكون الا خشباً أو قصباً مطهرين .

صنع الفطائر الخمس والصا :

سبق ان وصفت تحضير الدقيق وهـــذا يؤخذ ويرش عليه الملح ويمسكه المساعد متهيئاً بينما يقوم الكاهن بغسل يديه وذراعيه في النهر ثم يقدم له مساعده مقداراً كافياً من الطحين والملح لعمل فطيرة واحدة .

يمزج الكاهن ذلك بالماء ويعجنه في راحة يده ، ويكون حجم الفطيرة بحجم الكعكة ، الا انها اخف منها وزنا ، وحين تسوى بشكلها الخاص ، تخبز على وعاء النار وتوضع في « الطريانه » وهكذا توضع الفطائر الثلاث الاولى على الكبثه (الأولى) ، وتوضع الاثنتان الاخريان على الكبثه الاخرى • بعد ذلك يقو مالكاهن بعمل « الصا » وهو يشبه ، بعد ان يداف باليد ويجهز على الجمر كما صنع بالفطائر ، اسطوانة تبلغ حوالي اربع عقد طولا • وفي مقالة حديثة لي « الگبرانا في الشرق والغرب عام ١٩٣٧ » اشرت الى التشابه بين الصا والگبرانا النسطورية التي هي عبارة عن مادة عجينية تشبه بالشكل ما لدى الصابئين ، وتلعب دوراً مهماً في مراسم « القربان » • ويظهر انها اثر قديم لشعائر قديمة في الحياة والخصب •

وحين يخبز « الصا » يضعه الكاهن فوق الفطائر الثلاث في « الكبثه » ثم يقوم باجراء الوضوء وتكريس تاجه وهو هنا يعمل تغيراً في الصلاة الاولى للتاج فيقول :

« حمدا لك يا مولاي ليجعلك الحق كاملا ، باسم الحياة العظمى الاولى من عوالم الانوار السامية التي هي فوق الجميع ، لتكن لي الصحة والطهارة ، والقوة والعدل (شراره) والنطق والسمع وسرور القلب وغفران خطاياى انا فلان بن فلانة الذي قدم هذه الصلاة وهذا التعبد ، ولتغفر خطايا فلان بن فلانة (اسم المتوفى) صاحب هذه « المسخثه » وآبائنا الأوائل والعظماء والاخوان والاخوات واولئك الذين غادروا ابدانهم والذين لا يزالون احياءً ، بقوة ياور زيوا وسيمات هيى » •

تأتي الصلاة الاعتيادية لتكريس التاج بعد ذلك تتلوها صلاة « مندا خلقنى » وبعدها يدخل الكاهن اكليل الآس في خنصره الايمن ويذهب الى النهر ويغمر يده اليمنى وذراعه في الماء ماسكا « المرگنه » على

ذراعه الايسر ثم يعود ليجثم امام « الطرابين » معيدا بشكل مختصر الصلاة التي مرت معنا فيما سبق (اسم الحياة واسم منداد هيى منطوقان عليك ايتها الاشياء الطيبة ـ طابثه ـ الخ ...) .

ياخذ الـ « صا » ويقطعه الى قسمين ويأكل كسرات منه ثلاث مرات . ثم بعدها ياكل ثلاث قطع من كل من الفطائر الخمس وثلاثاً من كل نوع من الماكولات فوق « الطرابين » . بعد ذلك يملأ « الكبثه » من ماء النهر أو من ماء قنينة ملئت لتوها ان لم يكن النهر قريباً . ولا توجد « الكبثه » في بعض الاحيان وهنا يغرف فقط او يصب قليلا من الماء في راحة يده ويشرب ثلاثا قائلا :

الكاهن : « مبارك انت يا مولاى وحمدا لك »

الحاضرون : « لتكن لك العافية »

الكاهن : « لتكن صحة الحياة لكم وليكن الطعام المبارك (طابثه برخته) لكم »

يتلو بعد ذلك الصلاة المعروفة (اجدادنا الاوائل) (ابهائن قدْ مايى) ثم صلاة « طاب طابه الطابى » وقد سبق ان ترجمها ليدز بارسكى ؛ يتبع ذلك ادخال اسماء الاسلاف والموتى مبتدئين بالارواح النورانية (ملكى واثرى) ثم آدم الانسان الأول ابن قين الى (آدم الارضى) لا آدم الروحى والاشخاص الشهيرين في التاريخ الديني ، والاسلاف الاوائل الذين حفظت اسماؤهم دون تسجيل سبب الاعتناء بهم في الطقوس الدينية ؛ بعد ذلك يأتى اسم الكاهن نفسه واسماء بنيه وامه وزوجه واولاده ومعلميه الخ ... ثم اسم المتوفى نفسه واسماء اقاربه ، يضاف الى ذلك الاسماء التي يقترحها الحاضرون . ويقال بعد كل اسم « لتغفر خطاياه » أو « خطاياها » حسب المناسبة وقد اقتبست هذه الصلاة كاملة في الفصل القادم .

وحين تنتهى هذه الصلاة يضع الكاهن يده على رأسه بينما يتلو دعاء « بيّنه من هيى ومن مارى » ثم يجثم ويتلو صلاة سرية بصمت . بعد ذلك يتابع الصلوات المعتادة في التحلل من تاجه وترمى « الكليله » في النهر ويعود بادواته و بـ (الدرفشه) الى بيته .

هذه ابسط انواع « الزدقه بريخه » الجنائزية ومعدل الاجرة التي تدفعها اسرة المتوفى هي حوالي تسعة دراهم ولو ان هذا المبلغ يضاعف في اغلب الاحيان(*) .

وهناك اشكال من « الزدقه بريخه » اكثر احكاما تقام لدى وفاة كاهن أو « كنزفره » أو أي شخص غني يستطيع ان يدفع ثمنها ؛ وفيها يمكن ان يقوم بالعمل كاهنان او ثلاثة او سبعة . فاذا كان القائمان بالعمل اثنين من الكهان ومعهما علمان (درفشه) فالترتيبات تضاعف ، كذلك يضاعف القداس ما عدا عمل « صايين » ـ واحد في كل « طريانه » داخلية وما عدا قيام الكاهنين بقطع « صا » واحد بينهما اثناء المراسم .

فاذا كان القائمان بالعمل كاهنين ويوجد علم واحد تعمل « صايان » الا ان طاقم الترتيب في (الطرايين) يظل هو هو كما لو كان لكاهن واحد وعلم واحد عدا عن قيام الكاهنين باقتسام « الصا » بينهما اثناء مراسم اقتسام الخبز .

فاذا كان القائمون بالعمل ثلاثة كهان وثلاثة اعلام فتكون الترتيبات ثلاثية ايضا ويعمل « صا » واحد لكل طاقم فيجلس كاهنان ويواجههما كاهن واحد من اجل اقتسام الخبز بين الثلاثة .

واذا كان القائمون بالعمل ثلاثة بعلم واحد ، تكون الترتيبات كما

(*) تبلغ هذه الكلفة العشرة دنانير أو أكثر في الوقت الحاضر .

لو كانت لكاهن واحد وعلم واحد ولكن يعمل « صابان » يوضع احدهما على الفطائر الداخلية ، والآخر على الفطائر الخارجية ويجلس الكهان الثلاثة حول « الطريانه » الكبيرة .

واذا كانوا اربعة أو سبعة كهان توضع « طريانتان » كبيرتان وعلمان (أو طقوم من الطرايين كبيرة وصغيرة) .

يجلس الكهان الاربعة حول الطاقم الايمن زوجا زوجا متقابلين ، والثلاثة ومن بينهم « الكنزفره » يجلسون عن يمين « الطريانه » ، فاذا كان هناك سبعة اعلام وسبعة كهان فيكون لكل منهم طاقمه الخاص وتضاعف الترتيبات اللازمة لكاهن واحد سبع مرات .

وحتى عند هذا الحد من نهار الدفن فالاجراءات غير كاملة ، اذ حين تنتهي « الزدقه بريخه » يذهب الكاهن الى بيت المتوفى حاملا معه كتاب « كنزه ربه » وكتبا مقدسة اخرى (يطلقون على الجميع اسم گنزى - الكنوز -) وادواته للقيام بـ « اللوفانى » . وتكون عائلة المتوفى قد قامت بخبز كثير من الارغفة « اغلب الخبز الذي يعمله افراد الشعب العراقي من اجل غذائهم الاعتيادي يكون مسطحا وغير مختمر ومستديرا » .

ويكون معدل عدد الخبز حوالي الثلاثين(*) .

هناك يفرش على الارض في ساحة الدار ، حصير قصب (باريه) أو صينية معدنية كبيرة او حتى عباءة (عباءة صوف محلية) ، فان لم تكن هذه الاشياء جديدة ونظيفة يفرش فوقها خام ابيض نظيف ، يوضع فوقه هذا الخبز وكل الاطعمة الضرورية (للوفانى) . ويجتمع حولها

(*) ليس هنالك نص بعدد الارغفة ويتوقف ذلك على عدد الحاضرين .

« الحلاليه » الاربعة حامل النعش وجميع الذين حضروا الجنازة ويعاد (اللوفانى) الذي اجرى عند القبر • يقسم رغيف بين كل زوجين وتؤكل عدة لقم من كل شيء فوق المائدة ويشرب الجميع ماء من كأس واحدة (نياره) مع الاجابات التي دونتها فيما سبق ••• ياخذون بعد ذلك قطعة من خبز ليّن يلفون بها بعضا من الاطعمة المتنوعة المنتشرة امامهم ثم يمدون ايديهم اليمنى نحو الطبق المركزي أو فوقه بينما يقرأ الكاهن صلاة (باسم الحياة كما مر معنا) •

ياكل الجميع بعد ذلك الى ان يشبعوا ثم يتبعهم النساء والاطفال ، وما يتبقى يقدم للمحتاجين لـ (الثواب) كما يقولون او يرمى في النهر • وتظل القراءة في الكتب المقدسة وبخاصة (الكنزه) مستمرة ليل نهار من قبل كاهن أو « يلوفا » حتى صباح اليوم الثالث بعد الوفاة[١١] • ويفعل هذا لمساعدة الروح الحائرة العزلاء المتربثة في الارض • ولا تتم مفارقة الروح للجسد بسرعة • ويشبّه كتاب (تفسير يغره) مغادرة الروح بانطفاء شمعة المصباح التدريجي واليك ما قاله احد افراد العامة الصابئين في هذا الشأن :

« حين تدنو المنية ياتى ملك الموت (صاورييل اي عزرائيل) الا ان « قمامير زيوا » يهبط ليساعد الروح وليدافع عنها ضد الاخطار • و « قمامير زيوا » و (شاها بريل زيوا)[١٢] هما شكلان من اشكال « هيبل زيوا » • ياتى « صاورييل » من عالم الظلام ليقبض الروح حين تفارق الجسد • وحين يزف الوقت (اي في اليوم الثالث) تغادر الروح الجسد نهائياً وتكون حالتها كمن يغط في نوم عميق ، ولا تعود الى الوعى الا تدريجيا فهي ثقيلة ـ دى ـ لا ترى • وفجأة تحرر ذاتها من هذا الثقل وتبصر « صاورييل » و « قمامير زيوا »[١٣] بانتظارها ، والاول روح ظلامية والثاني روح نورانية • وعند مفارقتها الجسد تكون على شكل

شخص يرتدي ملابس الا انها من هواء وليست حقيقية . ولا نستطيع ان نراها فاذا كان المتوفى من فاعلي الشر تكون ملابسه سوداء اللون فان سأل عن السبب اجابه الملكان : « اليست هنالك كتب مقدسة منحت للانسان منذ ايام آدم ؟ الم تر الى الشمس والقمر والنجوم ؟ ووهبت عقلا فهلا سألت امن صنع الله هو ام من صنع الانسان ؟ وتقول الروح .. « يا ليتني اعدت الى جسدي لأكون صالحا خيرا لا افعل الا حسنة » ويجيبه الملكان لا مفر لك فمن من الموتى عاد ؟ » .

بعد ذلك تذهب الروح الى « بثا هيل » الذي وهب سليمان الحكمة وتقاد الى مقرها في المطهر .

لقد تحدثت فيما مر عن الاعتقاد بانتقال الروح بعد الوفاة الى نظيرها الجسم الاثيري .

تندفع الروح لدى انعتاقها كالرصاصة نحو عالم ابثاهيل كما عبر عن ذلك احد الكهان محلقة فوق الجبل الابيض العظيم المسمى « سور » والذي يقع المطهر وراءه ، وهذه حرفيا عبارة عن « بيوت مراقبة » - ناطره - . ويراقب أو يحكم كل « مطارئه » روح كوكبي أو روح نوراني ، وتستقبل الروح على بوابة المطهر بوجبة خفيفة تتناسب والطعام الطقسي الذي اكل باسمها على الارض ، فتعرف الروح ان ذويها قد ذكروها . ولهذا يكون « اللوفانى » على نطاق واسع على قدر الامكان في اليوم الثالث ، فتنحر العائلة الغنية حوالي السبع خراف ، وتؤكل الاطعمة من كل لون (عدا المحرم تناولها في اللوفانى) وتتضمن الرز والزبد والعسل والخامر .

تستغرق الرحلة خلال المطهر خمسة واربعين يوما وفي حالة الروح الطاهرة اربعين يوما[١٤] ، فهي حين تجتاز البوابة الاولى في اليوم

الثالث تتقدم في سيرها مستعينة بـ « اللوفانى » الذي تقيمه الأسرة والذي يؤكل باسمها على الدوام • وفي اليوم السابع تصل الروح الى مدخل كبير يجب ان تجتازه ، ولهذا يقام لها « لوفانى » عام كالذي اقيم في اليوم الثالث ليؤكل باسمها ، وعندها تقدم الارواح التي تقطن المطهر (ديفي) للروح وجبة طعام جديدة •

بعد اليوم السابع تعيد النبسوة القدور والمقالي التي استعيرت من الجيران ، اذ لن يقام « لوفانى » مرة اخرى الا في اليوم الخامس والاربعين وهو اليوم الذي ينبغي للروح ان تصل فيه الى موازين « اباثر » • والطعام الذي يؤكل عندئذ ـ لوفانى عام ـ من الارض من قبل اصدقائها وذويها سيمنح الروح الحياة والقوة في محنتها • وتوضع حسناتها وسيئاتها في كفتي ميزان ، فاذا رجحت كفة السيئات او تساوت الكفتان بقيت الروح في المطهر لنيل طهارة وعقوبة تناسبان وخطيئتها[١٥] • فاذا كانت روحاً مشاغبة فستذهب الى « مطارثه نيرغ » ـ مارس ـ وان كانت مختالة فخورة فستذهب الى مطهر « بيل » ـ جوبيتر ـ • ويحتفظ بمطهرات خاصة للكهان • ولا يوجد في المطهر ، الكواكب السبعة فقط ، بل وعوالم ابناء « ابناهيل السبعة » وابناء « هبشبه » وآخرون ممن يحتفظون بمحلات للتطهير • ويكون التطهير حسب الخطيئة ، فتعذيب الشرير يتضمن العذاب بالنار والثلج ، ويمشط بمشط من حديد ، وتلدغه الحيات ، وتنهشه السباع والذئاب والكلاب ، فاذا كان على غاية الشر يهبط الى جوف « اور » وهي نار مرة وجليد مرة اخرى ، حيث ينال التطهير النهائي ، عندما تقوم الساعة ، وحينئذ تحمل الارواح التي لا تزال تعاني التطهير الى الاعلى بوساطة قوى النور والحياة او بوساطة « هبشبه » نفسه رحمة بهم ثم يغمرون بمياه « فرات زيوه » السماوية ، اليردنه السماوية ، في معمودية شفاء كبرى نهائية •

واذا كانت الروح روح شخص تقي فلن ياخذ تطهيرها وقتا طويلا، اذ بعد توقف طويل ، تعود الى الموازين وتوزن مقابل روح « شيتل » انقى ارواح الكائنات البشرية • ولنقتبس هنا قول « الكنزفرة » :

« بعد ان تكون الروح قد مرت بالمطهر تصل الى النجم القطبي (اواثر) حيث توزن (اواثر ليس النجم القطبي بل ان النجم هو مستقره) توضع الروح في احدى كفتي ميزان وتكون روح شيتل في الكفة الاخرى ، فشيتل هو انقى روح بشري ؛ وقد جاء عنه في كتاب كنزه ربه « انه بعد ان عاش آدم ألف عام رغب الرب بدعوته الى الجنة فالتمس ان يمكث في الارض وقتا اطول وقبل التماسه وبعد الف عام اخرى ارسل الأله من يقبض روحه مرة اخرى ، فالتمس آدم ربه ثانية فاجلت منيته ثانية ، وحين مرت الالف الثالثة قال آدم خذوا شيتل عوضاً عني فقال شيتل انا في الثمانين من عمري يا ابي ولما اتزوج بعد ، ومع ذلك فقد تهيأ ليموت من اجل ابيه آدم ، ولم يطلب الا القيام باجراء « الرهمي » بعد ذلك قبض الملك روحه » •

فاذا خفت كفة الروح عن كفة شيتل ارسلت لاعادة تطهيرها وان لم يكن كذلك دخلت في سفينة نور تبحر في نهر يحيط بعوالم الانوار الى المواطن الآلهية حيث يقيم ذووه الذين توفوا منذ اقدم الازمان • وقد يكون مستقره النهائي في عالم « يوشامن زيوا » أو « هيبل زيوا » أو « سيمات هيي » أو عوالم ارواح نورانية عظمى اخرى • وتعدد عوالم النور لا تحصى •

لقد اعطيت كشفا لما يجرى بعد الموت وقد صرح احد الكهان وهو يميل دائماً الى التفسير العقلي فقال ان المطهر بعذابه ووحوشه المفترسة ما هو الا لتخويف الاشرار ، وقال ان هذه الدنيا هي المطهر • وقد جاء

بكتاب « تفسير يغره » ليبرهن على ان الروح تنقل بعد انعتاقها في اليوم الثالث الى عالم « مشونى كشطه » وهناك وبالتدريج تعان بالصلوات التي تقام في وجبات الطعام المقدسة المأكولة باسمها على الارض وتمر بحالة سبات ، وتتخلص من نجاساتها كما تتخلص دودة القز من الشرنقة وترتفع اخيراً لتتحد مع نظيرها النوراني • وبمظهرها هذا تصعد وتمر خلال الثلاثمائة والستين بابا في ذلك العالم الى حيث الكمال النهائي للنفس في عالم الانوار •

ملاحظات حول الفصل الحادي عشر

١ ـ كشطه : تعنى الكلمة حرفياً (الحق) ـ عمل الحق ـ العهد واعطاء اليد اليمنى بالعهد أو صدق الولاء ، وتجسد « الكشطه » في بعض فقرات الكتب المقدسة .

٢ ـ فعل « اسا » في اللغة المندائية لا يمكن ترجمته « يشفى » بقصر المعنى على جعل المريض شافياً ، انه بالاحرى يستعمل بمعنى « منح القوة والحياة ، بصورة سحرية » ؛ من هنا فان من الاحسن ان تترجم كلمة « اسوثه » بـ « صحة أو قوة » من ان تترجم « شفاء أو انقاذ » وفي صيغة الجمع « اسوائه » تعنى « وسائل الصحة أو عطايا تهب الحياة » . (J.J.M., P. 54) .

٣ ـ يغسل البارسيون الجثة بـ « الكوميز » وماء البئر . (في بعض الاحيان وفي حالة الشيوخ بصورة تامة عامة حين يبلغ اليأس من حياتهم منتهاه ، كان يعطى الحمام النهائي في اللحظة الاخيرة من الحياة (JJM, P. 54) .

٤ ـ ان تعبير (روح هذه المسخته) لا يعنى بالضرورة قيام مسخته حقا بل تعنى بان الروح تعان على الصعود بوساطة المراسم والصلوات التي تقام باسمها . ان طقس « المسخته » الخاصة باهض الثمن على من يريدون اقامته . والتعبير يستعمل في حالة الموتى حديثا الذين تقام الصلوات من اجلهم .

٥ ـ فيما يتعلق بالتقاليد الصابئية (وهي ليست عامة على اية حال) حول كشف الاجساد للعراء في الازمنة القديمة فان هـذه الممارسـة

لا توجد بين الزردشتيين فقط بل هي ايضا كانت تمارس من قبل قبيلة قحطان في وسط جزيرة العرب كما جاء على لسان جيرانهم (دوتى Doughty الصحراء العربية ـ م ٢ ص ٤١) . والدلائل على مثل هذه العادة توجد في بلوجستان ؛ وقد وجد الاثريون في وادي الاندس دليلا على شكل مدفونات عظمية . ولنقتبس من الدكتور فرانكفورت (علم الآثار والمشكلة السومرية) قوله بان هذه عبارة عن مدافن « كانت فيها العظام فقط مجموعة ومدفونة بعد تعريض الجسم للوحوش والطيور » . وهو ياخذ هذه المدافن كادلة اضافية على ان « المستوطنين الاوائل » ما بين النهرين كانوا قد انحدروا من المرتفعات الايرانية وكانوا يحملون ثقافة امتدت شرقاً الى حدود وادي الاندس بالضبط » . ويكشف البارسيون اجساد الموتى للنسور في « ابراج الصمت » غير ان اشارة لعادة قديمة تفرض ان الجسد كان يترك بعد رقابة الايام الثلاثة الاولى ، وجدت في « ساگ ـ داد » اى الاتيان بكلب لمراقبة الجثة . وكون هذا الكلب الذي يجب ان يكون ذا اربعة عيون ، اي ان له علامات خاصة ، ليس مجرد رمز للكلاب ذات العيون الاربعة التي تحرس جسر « شنفات » في العالم الآخر تظهر في الشروط الاولية بان بصر الطيور مثل « الساريكار » والغراب الاسود والنسر يمكن ان تقوم بوظيفة (ساگ داد) ولكن في هذه الحالة يجب ان يسقط ظل هذه الطيور فقط فوق الجسد . وفي التيبت لا يزال هذا العمل شائعاً :ـ « تقطع اوصال الجسم من قبل اللاما قبل تعريضه للطيور والوحوش المفترسة » .

٦ ـ كسر اختام قبر المسيح صباح يوم البعث اي فجر اليوم الثالث بعد الوفاة ، ولما كان الختم الصابئي ختما وثنياً فلا يمكن ان يكون قد استعير من المسيحيين ولو ان النساطرة ايضا يختمون القبور بصليب

(اي شارة الحياة) ويزيلون الاختام في اليوم الثالث . ومن المحتمل ان يكون لهذه العادة اصل عام مشترك .

٧ - يقول مولتون Moulton (كنوز السحر المجوسي) : هناك تفصيل مهم في تشييع الجنازة لدى البارسيين هو تمرير « الكاشا » ثلاث مرات حول المكان الموضوعة فيه الجثة . و « الكاشا » - ابستان كرشه - عبارة عن جدول يخط بقطعة معدنية لتاشير الارض واقامة حائل ضد دخول الدنس الى المواقع الطاهرة .

٨ - يعتبر الخبز في العراق بصورة عامة مقدسا كرمز للحياة ، فالفلاح الذي يسير في الطريق يلتقط قطعة الخبز حين يجدها ملقاة هناك وينفض عنها الغبار ويضعها حيث لا تداس وهو يذكر عليها اسم الله . وفي فلسطين كان الفلاحون يعتبرون من الخطأ بيع الخبز ، الى الحرب العالمية الثانية ، اذ ان الخبز في رأيهم يجب ان يوهب لا ان يباع .

٩ - ملّل وبثه هيّى رّبى ايميهون ابزيوه وقاره إد نافشيهون ومشبن هيى .

١٠- قارن هذا بوصف مودى للجنازة البارسية : « يسمح لحملة الجثمان فقط بالتماس مع الجسد ، فاذا مسه شخص ما سواهم فعليه ان ينال اجراءات تطهيرية أو حماماً مقدساً تحت ارشاد كاهن . (J.J.M., P. 55) .

والتشابه قوى بصورة اجمالية ، فبعد غسل الميت أو المحتضر ، كما وصفنا في الملاحظة رقم (٣) ، يسلم الجسم لرعايه شخصين يستحمان اولا ثم يلبسان كساء نظيفاً ويقومان باجراء « الكستى » - يتزنّران - ويتلوان قسماً من صلاة « سروش باج » ، ثم يدخلان الى غرفة الميت

وهما يمسكان بايديهما « بياوند » او خاما ابيض . يوضع الجسم على الارض فوق ملاءة نظيفة بيضاء ويلقى عليه الكفن ويترك الوجه مكشوفاً واحياناً يغطى قسم من اسفل الوجه بـ « البادان » . ترفع الجثة وتوضع فوق بلاطات حجرية في « الغرفة الامامية » ، الا انها كما يقول مودى كانت توضع في الازمنة الاولى في قسم مفروز من الارض داخل الدار ، حفر بعمق بوصات قليلة وكسى بطبقة من الرمل . ولا نزال نلاحظ هذه العادة في « بعض مدن كجرات » وتتخذ الاحتياطات اللازمة لتجنب مواجهة الجثة للجهة الشمالية .

« وبعد وضع الجثة فوق البلاطات الحجرية يخط احد الرجلين حولها ثلاث « كاشات » ـ انظر الملاحظة رقم ٧ ـ ثم يغادران البيت وهما لا يزالان ممسكين بالبايوند بينهما ويتمان صلوات « سروش ـ باج » .

« وتتضمن المراسم فوق الجسم قبل رفعه (الساگ ـ داد) (ملاحظة رقم ٥) ويقوم كاهن يلبس البادان بتلاوة ادعية بجانب النار التي جيء بها الى الغرفة حيث توضع الجثة بعد « الساگ داد » الاول (لان الكلب يجلب لينظر الى الجسد اكثر من مرة) . ويحرم رفع الجثة ليلاً .

« وحوالي الساعة قبل الوقت المحدد لحمل الجنازة الى البرج يدخل الى البيت اثنان او اربعة (اذا كانت الجثة ثقيلة) وهم يرتدون البياض بصورة كاملة ، وبعد ان يجروا « بيداب كستى » الطهارة الصغرى ، وتغطى جميع اقسام الجسم عدا الوجه ، يدخلون الدار ممسكين بـ (بايوند) بينهما » (J.J.M., P. 63, 62) .

« واحيانا يقوم بوظيفة الشخصين الاولين وبوظيفة حاملي الجثمان

نفس الاشخاص . وقبل تلاوة الكاثا (يجب ان تجرى قبل مغادرة الجثمان البيت) يقوم كاهنان باجراء (الباديات كوستى) وبعد تلاوة الصلوات باسم « گاه » يذهبان الى الغرفة حيث يوجد الميت ويقفان لدى الباب او في الداخل على بعد من الجسد وهما يمسكان (البايوند) بينهما ويرتديان « الپادان » على وجهيهما ويأخذان (الباج) ويتلوان «اهونا فيتى كاثا » التي تخص (اهورا ـ مزدا) رئيسه الخالد ، والحياة المستقبلة ، والبعث ، ومواضيع اخرى (J.J.M., P. 65) .

« وحين تنهى تلاوة (الگاه) يقومون باجراء « الساگ داد » النهائي ... وحين يلقى الجميع النظرة الاخيرة على النعش ويقدمون له الاحترام ، يغطى حملة النعش وجه الميت بقطعة من القماش ويثبتون الجسم الى النعش بحبال من القماش ايضا لئلا يسقط حين رفعه وحمله » (J.J.M., P. 65) .

ولا يسير وراء الجنازة الى برج « الصمت » الا الذكور من الاقربين ، وبعد الانتهاء من المراسم وترك الجثة للنسور « يعود الجميع الى البيت ويستحمون جميعاً قبل استئناف حياتهم الاعتيادية » (J.J.M., P. 69) .

١١ـ ان الوقت المحدد لمغادرة الروح للجسم والقبر يتعلق بوقت تفسخ الجثة في الطقس المعتدل ، ويمثل المسيح وهو يغادر مدفن الهيكل في فجر اليوم الثالث .

يقول مودى (ص ٧٦) : تبقى روح المتوفى لدى البارسيين في تخوم هذه الدنيا ثلاثة ايام تحت رعاية « سروشا » الخاصة ، وفي الفجر بعد الليلة الثالثة تذهب الى العالم الآخر .

١٢ـ شاهاريل يوصف بصور متنوعة في كتاب « كنزه ربه » فهو مرة

« مانا » واخرى « گفنا » ـ يترجم الصابئون هذه الكلمة شجرة وانا اترجمها كرمة ـ وثالثة « اثرى زيوه » .

١٣ـ منكر ونكير ملكا الموت عند المسلمين . وگبريل وعزرائيل لدى العبرانيين وگابريل وگوريل اشليهه تشبه تماما « سروشه » الزردشتية .

١٤ـ هذا يذكر بصعود المسيح في اليوم الاربعين . « والاربعون » لدى الساميين تستعمل للتعبير عن الكثرة ، ولذلك فهي ليست مهمة لو لم تكن متممةً للبعث في اليوم الثالث ورفع الاختام . ويجب ان لا يغيب عن البال ان القداس الطقسي من اجل الروح هو « المسخثه » ـ العروج .

ولدى المسلمين احتفال خاص تصاحبه الصلوات في اليوم الاربعين بعد الوفاة يدعى « الاربعينية » وفيه توزع الاطعمة على الفقراء . ويتناول الصابئون « اللوفانى » في اليوم الخامس والاربعين ، بينما يقيم البارسيون احتفالات « سروش » في اليوم الثلاثين بعد الوفاة . وياكل يهود بغداد وجبة طقسية نباتية على روح الميت في اليوم الثلاثين بعد الوفاة .

١٥ـ يكتب مودى عن طريقة وزن اعمال روح الميت لدى البارسيين في موازين « ميهر » فيقول : (اذا رجحت كفة الاعمال الصالحة حتى ولو بنسبة ضئيلة على كفة الاعمال السيئة يسمح للروح باجتياز الجسر (جن فات) الى الجنة واذا تساوت الكفتان تذهب الروح الى محل يدعى « همشتا كيهان » ، اما اذا رجحت كفة المساوىء حتى ولو بنسبة ضئيلة فيلقى بها الى جهنم) (J.J.M.,P. 63 — 64)
(همشتا ـ كهيان هي المطهر البارسي أو محل التطهير) .

ـ الفصل الثاني عشر ـ

تناول الطعام على روح الميت

لقد وصفت في الفصل السابق وفي الفصول التي سبقته وجبات طقسية مختلفة ، كتلك التي تؤكل في تكريس المندى ، والتي تؤكل في تكريس « كاهن » او « كنزفره » ، وفي الزواج وفي الوفاة ، وأشرت ايضا الى طبيعة وغاية تلك الوجبات الطقسية والى ما يرافقها من اجراءات ، والى الاطعمة التي تتناول فيها • وفي هذا الفصل ساعالجها مجتمعة وبصورة خاصة في الشكل المركز التي تجرى او تؤكل فيه اثناء ايام « البنجه » (پروانيا) •

وللوجبة الطقسية درجات من القدسية والفعالية ، فابسط جميع تلك الاشكال هو الشكل الخاص أو العائلي أو ما يسمونه « لوفانى البيت » وقد اشير اليه في الفصل الاخير على حدة لتوضيحه كشكل خاص مختلف عن اجراءات « اللوفانى » العامة التي تقام في الايام الاول والثالث والسابع والخامس والاربعين بعد الوفاة •

في « لوفاني البيت » يجتمع ثلاثة أو أكثر من اقرباء الميت في ساحة الدار ـ يؤكل الطعام في الهواء الطلق ـ(*) وبعد اجراء « الرشامه » يجلسون حول صينية أو قماش ابيض نظيف يوضع فوقه الطعام ، وفي هذه الحالة لابد من وجود الاطعمة المقدسة الخمسة التي تتواجد في « الزدقه بريخه » بالاضافة الى الخبز والخضر والفواكه • ومن المرغوب فيه تناول لحم الخروف أو السمك او لحم الطيور لا الدجاج(**) • وجميع الاواني

(*) يجوز تناول هذه الوجبة الطقسية في الهواء الطلق أو في داخل الغرف •

(**) لا يدخل لحم الدجاج في اية وجبة طقسية مطلقاً •

والادوات والاطعمة التي تستعمل (ما عدا الملح) يجب ان تنال ثلاث انغماسات في الماء مع قراءة الصيغة العمادية في النهر • والشعائر عبارة عن شكل بسيط من اشكال اللوفانى العامة : يترأس الجماعة رب البيت أو أي شخص آخر يمثله ويقطع الخبز بين كل زوجين متقابلين من الجالسين ويقبض بكف اليد اليمنى على قطعة خبز يلف بها بعض من الطعام الموضوع امام الآكلين ، بينما يقوم الموكل بالطقس بتلاوة : « بسم الحياة العظمى « لوفه » (مشاركة) و « رواهه » (انبعاث) الحياة وغفران للخطايا ، ليكن لفلان بن فلانة » • تؤكل بعد ذلك لقمة الطعام ويشرب الماء مع اجابة الجالسين ، وبهذا يتم تناول الوجبة ويرمى ما تبقى منها في النهر •

لقد وصفت شكلين من اشكال « اللوفانى » العامة في الفصل الاخير •

و « الزدقه بريخه » تأتى بدرجة اعلى في القدسية ، ولهذه الوجبة الطقسية انواع مختلفة حسب المقام • فهناك « زدقه بريخه » للزواج وللدفن وقد وصفتهما في الفصل الخامس والحادي عشر ، ويمكن اجراء الثانية من قبل « الحلالى » اذا لم يتيسر « الكاهن » ، الا ان الاولى لا يمكن ان تقام الا من قبل « كنزفره » وكهان • وفي فصل تكريس « المندى » وتكريس « الكنزفره » ذكرت اني ساحتفظ بوصف « زدقه بريخه » التي تقام في هذين الطقسين الى موضع آخر • انها اكثر اشكال « الزدقه بريخه » إحكاماً ودقة ، ويرتبط معها تناول « الهمره » ومراسم الآس التي توحى بانها رمز الحياة الخالدة المتصلة بتلك الشجرة دائمة الخضرة وذات الاريج ، لدى الصابئين • ويجب ان لا يغيب عن البال ان في واحدة منهما يكون « الكنزفره » قائما بدور « ريش امه » ميت وفي الثانية يقوم الكاهن المرشح لمنصب « الكنزفره » بدور الرجل الذي يساعده موته على الارتقاء الى هذه المرتبة •

ويختلف ترتيب الخبز المقدس فوق « الطرابين » قليلا عن

« زدقه بريخه » الوفاة • فشحم الالية من الكبش المضحى يكون قد غلى على نار وقود مطهر امام « المندى » ، ثم يؤتى برز ابيض ويطبخ في ذلك الشحم المغلى وتملأ « كبثه » من هذا الرز الدهين وتوضع بجانب الملح في « الطريانه » الداخلية • ويكون ترتيب الفطائر الخمس و « الصابين » الاثنين نفس الترتيب الذي جرى في « زدقه بريخه » يوم الوفاة • وهناك اضافة هامة هي وجود قنينة مملوءة خمراً (همره) •

وحين يتهيأ الكهان ، يكون هناك ثلاثة منهم بضمنهم الموكل بالطقوس يساعده شاهد (شكنده) ، ياخذون « الصابين » بايديهم اليمنى حيث يمسك الموكل بالطقس واحد الكهان بواحد ويمسك الثلاثة الآخرون بالثاني ، وتتلى الصيغة الاعيادية :ـ « باسم الحياة العظمى « لوفه ورواها » ـ الحياة الخ ••• » قبل قطع الصابين الى قطعتين • وفي حالة تكريس « المندى » يذكر اسم « الريش امه » المتوفى (فلان بن فلانة صاحب هذه المسخته والذخرانه) • وفي حالة « الكنزفره » الجديد يذكر اسم الميت حامل الرسالة (انكرته) • بعد ذلك ياكل الكهان ثلاث مرات من كل شيء فوق « الطريانه » ويشربون من الكاس العام « نيارا » أو من « الكبثه » مع تلاوة الصيغة التي اقتبستها مرات عديدة • وبعد ذلك ياخذ كل واحد قطعة من الخبز ، يلفون بها اجزاء من مختلف انواع الطعام ويمسكونها بايديهم اليمنى ممسكين بها شادين اذرعتهم فوق « الطريانه » يتلون دعاء الاسلاف (ابهائن) ، وقد ذكرته كاملا في هذا الفصل • والقائم بدور « الريش امه » المتوفى او « بدور حامل الانكرته » لا يتكلم خلال القسم الاول من « الزدقه بريخه » ، بل يجلس مع الآخرين ، الا انه يعيد الصيغة المعتادة و « الابهائن » صامتاً •

يتبع دعاء « الابهائن » شرب « انهمره » ويمتزج شرب هذا العصير الطازج من الفاكهة والماء مع طقوس الآس وصيغة عطر الآس (شم عطر

الآس) وهو عبارة عن رمز للخلود الدائم الخضرة ولقوى الربيع الانبعاثية وللنسل والنمو . ساقتبس هنا بعض صلوات الآس بالرغم من التعرض لتطويل هذا الفصل دون ما ضرورة ؛ لأن هذا العمل يبرهن على ما قلت .

ياخذ الشاهد القنينة المليئة بالخمر وقبضة من اغصان الآس المقتطفة طرية ويتلو :

« بشمْ إدْ هيّى ربّى مِن يومه دِپراش أيار ، من أيني مَيّه إلهاخه الخ ... » . ثم يعطيهما كليهما الى الموكل بالطقس الذي يكسر صمته حين يستلمهما ويتلو : « أنا أنا إشْكَنْدَه رامَه أنا من بيت اب الخ ... » .

يقسم الآس ويوزعه على مساعديه الثلاثة ، وحين يتسلم كل شخص آسه ، يدسه تحت عمامته ، بعد ذلك يتلو الموكل فوق كل منهم بالترتيب وهو يسلمه اكليل الآس :

« بشمْ إدْ هيّى ربّى إبيومه إدْ شِرْشَه إد آسه هَدْنه قُدّام مَلْكه ترص ، ملكه يا مِن إپشاط الهُول وإترى واشكندي إهبلون ومارْلُون انصب مناي آسا هَدْنه وبْرِخْتَه بِشكنائه برُخْ وابرخته بشخنائه وانهر وتاقن اترى واشخنائه إد ليمينخ ولسمالخ يا طبى من ريش بريش » وترجمتها : « باسم الحياة العظمى ، في اليوم الذي غرس فيه الآس امام الملك وضع الملك يده عليه وسلمه للاترى وللاشكندى وقال لهم « خذوا منى الآس الطرى وامنحوا البركة لسكان الارض وهكذا منحت البركة للساكنين » . وقد اضاء ونور الاثري والساكنين الذين يقفون عن يمينه وعن يساره الى الابد » . كما يقر الدعاء الثاني وهو : « بشم إد هيى ربى بيومه اد أسگى هيل الوات ياور الوائيهون أسگى الوائيهون والياور ابيمينه أهبلي وامرْ له نصب منى آسه هدنه وابرخته

بشخائه ابرخ برخته ابرخ بشخائه وهيزخ ياور بهثه الهي والهيبل زيوه مبرخلي • ومبارخله الهيبل زيوه وامر له بريخت أنات ابون هيبل زيوا اخوث آمه اد بيمينخ وننفش • شرشا اكواث شرشي اد آمه هدثه ونهويلخ هاله سغيه اكواث ميه هيي » • وترجمتها :

« باسم الحياة العظمى ، في اليوم الذي قابل فيه هيبل ، ياور جاء لهم بالآس ، الآس جاء به اليهم واعطاه الى ياور في يده اليمنى وقال خذ مني الآس الطري وبارك الناس بالبركة• لتعم البركة الناس• فتح ياور بعد ذلك فاه وبارك هيبل زيوا وقال له : مبارك انت يا ابانا هيبل زيوا الذي انت كالآس الذي في يدك اليمنى • ان دينك سيزدهر كازدهار نبتة الآس وسيجلب لك القوة والنمو كالماء الحي » •

وتوزيع اغصان الآس وقراءة هذين الدعائين تبدأ بالشاهد ، ثم تعطى للكاهن عن يمينه ثم « للترميده » عن يساره بعد ذلك ياخذ « كبثه » ويصب فيها قليلا من « الخمر » ويعطيها الى الكهان والى المساعد (يطلق عليه في النص اسم بروخا يى) • يشرب كل متناول ثلاث مرات من الاناء الصغير بينما يتلو الموكل لكل واحد منهم : « باسم الحياة العظمى لمعت الكروم ـ يترجمها الكهان الاشجار ـ في المياه ونمت الى الاعلى •••• لتجعل صنوك يرتفع وينيرنا ولتجعل نورك يشرق علينا نحن الاثرى المحتشدين • وانت تأتي في زيّ غير منظور • دع نورك يشرق علينا وانوار الملكى ، ودع عطرك يغمرنا ويمنحنا القوة » •

ومهما كان الامر في ترجمة هذه الصلاة التي ارى من الصعب ترجمتها والتي اؤمل ان يصححها بعضهم(*) يوما ما فالمعنى العام يظهر واضحاً ، فالمتناول يكتسب قوة وسلطة قوى النور والحياة التي توهب للاشياء النامية •

(*) كانت ترجمة رجال الدين الصابئين المعاصرين قريبة جداً من هذه الترجمة •

وبعد ان يشرب الجميع الخمر ينهضون الا ان الموكل بالطقس يستأنف دوره كميت ويجلس امامهم وتقرأ عليه تسعة ادعية(*) .

بعد ذلك ينهض الموكل بالطقس ويأخذ هو أو احد الكهان كتاب الصلوات في يده ويقرأ اربعة وعشرين دعاء وهي طويلة يبلغ بعضها الصفحات ولا ارى تدوينها هنا ضرورياً .

ولدى الانتهاء من هذه الادعية ياخذ كل منهم الآس بيده اليمنى ويعيدون بعد الموكل الدعاء التالي :

« آسه آسه ملكه نصبه ملكه بريهه اد آسه متِكَرخْ
ملكه متِكَّرخ بريهه اد آسه
وهيبل زيوا امبارخ له
امبارخ له الهيبل زيوا وآمرله

بريخت أنات ابون هيبل زيوا اد اثيت الهازن شرشى اد اسه هدني ، وطراسته بشخانه إد أثرى وشخانه بزيوا نهرى بريهه بسيمه من ريش بريش » . وترجمتها :

(ايها الآس ، ايها الآس ، الملك ياخذ والملك مندمج بها . الملك محتضن في عطر الآس ، بارك هيبل زيوا ، بارك هيبل زيوا وقال له مبارك انت يا ابانا هيبل زيوا يا من جلبت هذه الاغصان من الآس النقي وغرستها في مواطن الاثرى ومواطن النور المشع لاستنشاق عطرها اللطيف الى الابد والى الابد » .

بعد ذلك يجمع الموكل الآس والاغصان التي وضعها فوق « الطرابين » ويتلو دعاء آخر واثناء هذا الدعاء يشم جميع القائمين

(*) لا نرى ضرورة لذكرها هنا .

بالمراسم الآس . وقد اخبرني الكهان : « ان ستين خطيئة كبرى تغفر لهم بقوة هذا العطر »[١] .

بعد ذلك يرمى « الكنزفره » الآس وجميع الطعام المقدس (طبوثه) المتبقى ، في الماء الجاري (يردنه) ويحل العلم (درفشه) بقراءة دعائين ، ويلفه ويركنه في محل ما .

وهناك انواع من « الزدقه بريخه » ، كتلك التي تجرى حبا بالتقوى وتقام لشخص يكتب له الكاهن احد الكتب المقدسة ، ويعتبر هذا الشخص مجسدا لنفسه بعد الموت ، اي انه ياخذ « الزدقه بريخه » سلفا[٢] . ويكون طقس هذه « الزدقه بريخه » مزيجاً من تلك التي وصفت في اعلاه (لان الخمرة تشرب فيها ويوزع الآس) وبين مراسم « دهقه ديمانه » التي ساصفها بعد ذلك . ويلبس الشخص الذي تجرى باسمه « رسته » جديدة ، فاذا كان من العامة فيتسلم الخبز والماء المقدسين بيدين غير عاريتين ، وفي كل مرة يرد فيها اسم خاص ، يستعاض عنه باسم الشخص الذي يكتب الكتاب له مع ذكر اسماء عائلته واسلافه .

ومن الاشياء الرئيسة في هذه « الزدقه بريخه » الفطائر الخمس و « الصا » والملح وانواع من الاغذية النباتية[٣] . وتختلف الادعية والطقوس الاخرى باختلاف مناسبات الوجبات الطقسية .

وتأتي « المسخته او العروج بدرجة اعلى من حيث القداسة ، وقد وصفت في الفصول التي تناولت تكريس « المندى » والكاهن و « الكنزفره »[٤] ، ويوجد فيها انواع مختلفة من الاجراءات والادعية وتفاصيل الطقوس ، الا ان الخصائص الرئيسة لها هي : ذبح الحمامة ، وعمل وتكريس ست وستين فطيرة دون ملح ، ووضع لحم الحمامة مع اطعمة « الطبوثه » الخمسة على الفطائر ، ورسمها بالزيت (مشه) ، ومزج

العنب أو الزبيب لصنع الخمر وشربها ، واخيرا دفن المتبقى من الحمامة والفطائر جميعا • ويجب ان لا يغيب عن البال بان الانواع الخمسة من الاطعمة المقدسة فقط هو ما يستعمل (اضافة الى الخبز غير المملح) ، وان شرب الخمرة لا يعوض عن التكريس الاعتيادي للخبز المملح وعن الماء النقي ، فهما يؤكلان ويشربان ايضا • وتقام « المسخته » على روح الميت ولكن مع توقع الافادة للاحياء • ان عدد الذين يقومون باجراء كل « زدقه بريخه » يختلف باختلاف غرضها وهي كما يلي :

١ ـ مسخته الشوليه (المرشح للكهانه) وتتطلب طاقماً واحداً من « الطرايين » ويقوم الكاهن الجديد برسم جميع الفطائر الست والستين باسم استاذه (ربى) وتسمى هذه « المسخته » (مسخته اد بخرى) اي الوليد •

٢ ـ مسخته « المندى » ويتطلب القيام بها ثلاثة كهان وثلاثة طواقم من « الطرايين » وفيها يدخل « الكنزفره » الى المندى مع المساعد الذي يكرس اربعاً وعشرين من الفطائر ويجعلها في صفين ، وحين يلتحق به الكهان الثلاثة يكرس كل منهم اربع عشرة فطيرة ويضعونها في صفين ، صف باثنتى عشرة ، وصف باثنتين ، ثم يتبع ذلك « زدقه بريخه » مع الخمرة والآس •

٣ مسخته « الكنزفره » الجديد وفيها يقوم « الكنزفره » المرشح بجميع المراسم وتكريس الفطائر الست والستين ويتبع ذلك « زدقه بريخه » تشبه التي اجريت في رقم ٢ (تدعى ايضا زدقه بريخه انكرنا) •

٤ ـ مسخته شيتل (تدعى ايضا مسخته بخرى) ويقوم باجرائها ثلاثة كهان احدهم « كنزفره » • واجراءاتها كما جاء في رقم ٢ وتقام للذي يموت دون اكليل (كليله) •

٥ ـ مسخته زهرون رازه كسيه وتقام كما تقام مسخته رقم ٤ مع فروق بسيطة ، وهي تجرى لمن يموت في احد الايام « المبطلة الصغرى » (راجع الفصل السادس) .

٦ ـ مسخته آدم ويقوم باجرائها سبعة كهان وتتطلب سبعة طواقم ويقوم كل كاهن برسم وتكريس ست وستين فطيرة متبعين اجراءات « زدقه بريخه رقم ١ » . وتقام هذه لمن يموت في يوم من الايام « المبطله » الكبرى اي في الايام الخمسة التي تسبق « البنجه » وفي اليوم الذي يلى « دهفه ديمانه » وفي ايوم السادس والسابع من السنة الجديدة. كما تقام ايضا على روح من يموت قتيلا ، أو من يموت دون اجراءات دينية ضرورية ، أو من يموت من عضة كلب ، أو حيوان مفترس ، أو حية ، أو لسعة عقرب ، أو نتيجة اية حادثة عدا المذكورة في مسخته رقم ٧ .

٧ ـ مسخته ساما نديريل[٥] ويقوم باجرائها ثمانية كهان على ان يكون بينهم « كنزفره » واحد على الاقل وتقام لمن يموت على اثر سقوطه من نخلة ، أو من يموت محترقاً أو غريقا في نهر ، وتتطلب هذه ثمانية طواقم ، وان يقوم كل من الكهان بتكريس ست وستين فطيرة كما جاء في رقم ١ .

فاذا مات احد في مكان ودفن ثم نقل الى مكان آخر فتقرأ باسمه مسختان مسخته آدم ومسخته شيتل . واذا كانت المتوفاة امرأة اثر ولادة أو في اليوم الاول بعد نجاستها فتقرأ لها مسخته آدم اما اذا كانت وفاتها في اليوم الثالث وما بعده فتقرأ لها مسخته زهرون رازه كسيه ، اما اذا كانت الوفاة بعد اليوم السابع فتقام لها مسخته شيتل . فان توفيت بعد اليوم الثلاثين بملابسها الدينية دون ان تحصل على التعميد المطلوب فتقام لها « زدقه بريخه دقماشى » أو (هافا دمانى) ـ هافا مانيا ـ وساصفها بعد

ذلك • وتقام من اجلها في احد ايام « البنجه » كذلك تقام لها مسخته آدم •

فاذا مات عريس أو عروس خلال اجراءات الزواج أو اثناء الاسبوع الذي يليها لا يمكن ان تقرأ له اية مسخته ولا يمكن ان توضع على رأسه اية « أكليلة » كما لا يمكن ان تحمل وراء جنازته اية كتب مقدسة بالرغم من ان « الحلاليه » يقومون ايضا بحمله وباجراء اللوفانى على القبر • ان « الزدقه بريخه » الاعتيادية لا يمكن ان تجرى له في يوم الدفن أو في أي يوم يليه •

واذا مات احد الزوجين بعد الايام السبعة الاولى دون ان يتناول طقوس التعميد اللازمة تقرأ له « زدقه بريخه دقماشى » ـ هافا دمانى ـ في ايام « البنجه » وتقرأ له مسختتان ، مسخته آدم ومسخته ساماندیریل • فان لم يكن عدد الكهان كافياً يستعاض عن المسخته الاخيرة بمسخته شيتل •

وتكلف مسخته ساما نديريل مئة وستين روبية (حوالي اثنى عشر دينارا) في حين تكلف مسخته شيتل حوالي خمسين روبيه (حوالي اربعة دنانير)(*) •

والفرق بين مسخته واخرى هو في الدعوات التي تقرأ لا في الاجراءات• والرزمة التي تحتوى على النعمة (طبوثه) وعلى الحمامة الضحية يجب ان تدفن في مكان بكر داخل ساحة « المندى » كل عام ولكن ليس في الجهة الشرقية من المندى مطلقا •

وفي ايام « البنجه » (پروانايا) يصبح واجب تناول الطعام على ارواح

(*) ليس تكاليف مثل هذه الاعمال الدينية مشروطة ، الا ا ن عمل (مسخثة شيتل) تكلف في الوقت الحاضر نحوا من خمسين دينارا وتكلف مسخثة (ساما نديرييل) اكثر من مائة دينار •

الموتى المتوفين حديثا وعلى ارواح الاسلاف روحيين أو حقيقيين واجبا مقدسا ، لأن الايام الخمسة هذه معلقة بين عالم النور وعالمنا هذا ، وان « الارواح التي تفارق اجسادها » وتلك التي لا تزال في ابدانها تتمتع فيها بصحبة واتحاد يفوق جميع ما تحمله ايام السنة[٦] .

ولا تقحم هنا ارواح الاسلاف فقط بل وتعتبر حاضرة حضوراً حقيقياً . ان الطقس الصابئي في وجبة الطعام هذه يرتبط بـ « ذكر الموتى بالاسم » وليس الموتى حديثا فقط ، بل وذكر اسماء الاقرباء والاسلاف والمعلمين والكهان الى ما يرجع بعيدا الى آدم وشيتل وانش والى ارواح نورانية ودنيوية كانت مصدر انتعاش نوع الانسان . والكلمة التي تطلق على ذكرى اسماء الاسلاف هي « ذخرانا » اي التذكر او الذكرى[٧] . ومعنى اصل كلمة ذخرانا أو « ذكر العربية » يوضحه جيداً التعبير الذي يستعمله العامة في العراق حول « خضر الياس » ـ النبي اليشع ـ الذي يسمى شيخ النهر : « ان تَذْكُرْهُ يحضرْ » .

ان روح الشخص أو الكائن الذي يلفظ اسمه في « الذخرانا » لا تحضر في ذهن الناطق فحسب بل تأتي بصورة حقيقية ايضا ولو انها ليست مرئية ، ومن هنا فـ « الذخرانه » تصبح دعوة أو استدعاء .

ـ تناول الوجبات الطقسية لها في افكار الصابئين نسخة طبق الاصل في العالم الروحي ، وقد اوضحت سابقا كيف ان الارواح اثناء مرورها في المطهر كانت تقدم لها موائد اثيرية تحصنها في رحلتها . فالوجبة الطقسية اذاً ، وبخاصة « الذخرانا » هي بالمعنى الحرفي تمثل المشاركة المقدسة ، وهو طقس يستدعي حضور ارواح العشيرة ، ورفضها لفكرة ان يكون اي عضو من اعضائها قد توقف عن الحياة .

وكل وجبة طقسية تقام في ايام « البنجه » لابد ان تتصل بـ « الذخرانه

واللوفاني والمسخته والزدقه بريخه » . وتصبح كلمات « فلان بن فلانه صاحب هذه المسخته » ، « فلان بن فلانة صاحب هذه المسخته والذخرانه » . ويقام « اللوفاني » في كل بيت ويتجمع الاقربون يذكّرون القائم بالعمل باسماء من يرغبون بادخالهم في القائمة التي يتلوها . وتُضحّى الخراف في هذه الطقوس ويؤكل الطعام ، الذي يحتوى ايضا على الفاكهة والخضروات، باسماء الموتى .

وفي ايام « البنجه » وفيها فقط ، حين يكون السلك الكهنوتي عالماً جميعه بالاحياء والموتى الممجدين وغير الممجدين ، وحين تكون قوى الربيع والانبعاث في ذروتها ، والمياه في فيضانها ، فان الطقوس المنقذة يمكن ان تقام لهذه الارواح ، وتسمى هذه الطقوس طقوس « هافا دمانى » وهي تقام على شخص (وكيل أو نائب) ولو ان الكهان يسمونه « الميت » .

ان العبارة التي تطلق على هذه المراسم في « الرطنه » [اللغة المندائية العامية أو الهجينة] هي (زدقه بريخه مال قماشي) اي زدقه بريخه الملابس . و « هاف دمانى » هذه يجب ان يقوم باجرائها كاهنان و « كنزفره » و « مساعد » ، واحيانا يكفي للقيام بها كاهن واحد و « كنزفره » ومساعد (شكنده) .

وتكون الاجهزة اللازمة لها من طعام مقدس و « طرابين » و « درفشى » أو « درفشه واحد » ، هي نفس ما يستعمل في اية « زدقه بريخه » اعتيادية . وفي الحالة التي شاهدتها كان يوجد ثلاث « طريانات » موضوعة فوق ثلاث حلقات صغيرة من طين معمول ومطهر ، تحيط بكل منها حافة طينية بارتفاع عقدتين تقريباً . وكان الطعام المقدس موضوعا فوق كل « طريانه » ، وقد وضعت جميع الاشياء بحالة جاهزة ، اما في ساحة (المندى) الذي كان قد طهر وكرس تطهيرا سنويا ، أو في محل خاص آخر مطهر ايضا تحيطه الحدود (ميسرى) ، وهي جداول تعزل مساحة مقدسة وتمنعها من الاتصال

بالاشياء الخارجية • ويقوم الكاهنان و « الكنزفره » والمساعد بالوضوء (الرشامه) ثم « يبنون الرهمى » (واجراء الرهمى دائما يعبر عنه بالبناء لا بالقراءة والتلاوة) ثم يكرسون انفسهم وملابسهم الدينية وادواتهم الطقسية •

بعد ذلك يقوم احد الكاهنين بتعميد « الكنزفره » ويقوم الثاني بتعميد المساعد ، ثم يقوم « الكنزفره » بعد ذلك بتعميد الكاهنين والمساعد (للمرة الثانية) ، وبعدها يقوم بتعميد الوكيل ثم يعمده (الوكيل) احد الكاهنين أوكلاهما • يشرع الكاهنان بعمل الخبز المقدس (فطيرى) و « الصا » ويضعان ذلك فوق « الطريانه » مع الاطعمة الاخرى في « زدقه بريخه » يوم الدفن (انظر عمل الفطائر والصا) • يصحب المساعد الوكيل الى الماء الجاري ويشرع بالاستئذان ، وعلى الوكيل منذ هذه اللحظة الا ينبس ببنت شفة طيلة مدة المراسم الا اذا كان المتوفى الذي يقوم بالتوكل عنه كاهناً ، فعندها يعيد الاستئذان مع نفسه بصمت بعد المساعد • وصيغة الاستئذان هي :

« بشميهون إدْ هيّى ربّى ، انا ابن بهيله وهيلى يردنه الا وى أشرى ايثى انهث اليردنه اصطفه قبل دخيه وروشمه القيش واصطلى زيوه واترس بريثى كليله راوزى اشم اد هيى واشم اد منداد هيى مدخر الى ».

بعد ذلك ودون اي كلام ينزل الوكيل ا لى الماء ويعيد بصوت غير مسموع : « انا فلان بن فلانه » ـ اسم المتوفى ـ تعمدت بعماد بهرام الكبير بن القدرة وسيحفظنى عمادى ويرفعني الى العلى » • يغطس في الماء ثلاث مرات ثم يرتدى عند خروجه من الماء رسته جديدة(*) • وكما هي الحال مع الميت يجب ان تخاط في جانبي الطبرشيل (نصيفه) الايمن والايسر قطعتان من الذهب والفضة على التوالي • بعد ذلك يأتى الوكيل

(*) لا يرتدى الرسته الجديدة الا بعد اكمال صورة التعميد لا حين خروجه من الماء •

ويجلس امام « الطريانه » مواجها انجم القطبي (بيت اباثر) بينما يذهب « الكنزفره » وقد وضع « كليله » في خنصر يده اليمنى ، ومعه الكاهنان والمساعد ليقوما باجراء الوضوء ثانية في « اليردنه » .

يعودون ويقفون صفا نسقا مواجهين الشمال بحيث يكون « الكنزفره » في اقصى اليمين والمساعد في اقصى اليسار ، ويعيدون صيغة « شروالى اترس ... الخ » ، وهم يمسون كل جزء من اجزاء ملابسهم بايديهم ، بعد ذلك يعيدون تلاوة : « حمدا لك ربي ، الحق يشفيني باسم الحياة الاولى العظمى التي هي فوق جميع الاشياء في عوالم النور السامية ، الصحة والطهارة (أو النصر) والقوة والسلامة والنطق والسمع وسرور القلب وغفران الخطايا ليكن ذلك لروحي انا فلان بن فلانة (اسم القائم بالعمل) الذي اجريت هذه الصلاة وبنيت هذا الرهمى . ولتغفر خطايا فلان بن فلانة (اسم المتوفى) صاحب هذه « المسخته » (العروج) وهذه « الذخرانه » (الذكرى أو التذكر) ولتغفر خطايا آبائنا ومعلمينا واخواتنا واخواتنا الذين ماتوا والذين لا يزالون احياء ، ولتغفر خطاياى » .

يقوم الجميع بتلاوة الصلاة جماعة ويعيدون الادعية الاربعة الخاصة بتكريس التاج (تاغه) وحين يتلو الكنزفره دعاء « مَنْدَه إِفْرَنْ » يفعل ذلك باسم المتوفى ، بينما يقف الكاهنان حول (الوكيل) الجالس ، وفي نهاية الصلاة يضع « الكنزفره » اكليل الآس فوق رأس الوكيل . ولا يلبس اكليل الآس الا من قبل الوكيل في مراسم « دهفه ديمانه » ولا يلبسه الكاهنان و « الكنزفره » . بعد ذلك يضع المساعد يده اليمنى بيد الوكيل اليمنى ويقول : « اجلب هذا العهد (كشطه) وخذه الى (اباثر) » ، ويجيب الوكيل (صامتا) : سل وابحث واسمع . بعد ذلك يقبل كل منهما يده اليمنى ويرفعها الى جبهته ثم يتصافحان ثانية ويكرران المراسم ثلاث مرات .

يذهب الكهان القائمون بالعمل الى « اليردنه » فيغمرون اذرعتهم في الماء ويعودون ليجلسوا القرفصاء حول « انطريانه » . ياخذ « الكنزفره » واحد الكاهنين « صا » واحدا ويأخذ الكاهن الثاني والمساعد « الصا الثاني » ويمسك به كل اثنين منهما بيديهما اليمنيين ، فاذا كان عدد الكهان العاملين مع « الكنزفره » ثلاثة فيمسك اثنان منهم طرفاً من « الصا الاول » ويمسك الاثنان الآخران بطرف (الصا الثاني) مقابل « الكنزفره » والمساعد ويقومون بتلاوة : « باسم الحياة العظمى ، لوفه ورواهه (انبعاث) وغفران خطايا لتكن لروح فلان بن فلانة (اسم المتوفى) صاحب هذه المسخته والذخرانه ، لتغفر خطاياه » .

ثم يتلون بعدها : « باسم الحياة العظمى ، لوفه ورواهه الحياة وغفران الخطايا لتكن لفلان بن فلانة (المتوفى) ولهذه الارواح واولئك الذين اتحدوا (متلفون) والذين دعوا (متقربون) في هذه المسخته والذخرانه ولآبائنا ومعلمينا واخواننا واخواتنا اولئك الذين ماتوا والذين لا يزالون احياء ، لتغفر لهم خطاياهم » .

يقتسم كل متقابلين « الصا » بينهم ويأخذون قطعة من كل فطيرة يغمسونها في الملح ويأكلونها بعد ذلك يأكلون من كل شيء فوق « الطريانه » ثلاث مرات ويغمسون كل قطعة يأكلونها في الملح ما عدا التمر . ويأكل معهم « الوكيل » بعد ان تلف يداه بقطعة من القماش الابيض لئلا تمسا الطعام . فاذا كان المتوفى كاهنا ، يقوم الوكيل (وهو كاهن ايضا) بغمر يده وذراعه في « اليردنه » مع الآخرين ويأكل دون ان يلف القماش حول يديه ، واذا رغب احد المشاركين بالاحتفال ان يأكل اكثر من ثلاث لقم من كل شيء فوق « الطريانه » فبامكانه ذلك . بعدها يشربون الماء من اناء واحد (نياره) أو من ماء البركة نفسها مع دعاء : « بريخت ماري مشبت الخ ... » . (انظر الفصل الحادي عشر) .

بعد ذلك يمد جميع المشاركين بالمراسم ، والوكيل معهم – ويجب عليه ان يعيد الصـــلاة صامتا ان كان عارفا بها ، كذلك يفعل المشـــاهدون المتجمعون ما وراء الحدود – ايديهم اليمنى فوق الطعام ويعيدون تلاوة صلاة « الاسلاف » باكملها . وقد احتفظت بوصف هذه الصلاة حتى الآن لانها تمثل تماما روح « الذخرانه » . ونص « الذخرانه » في الكتب قديم ، وقد استنسخ واعيد استنساخه بحيث اصبح مشوشا ولا تتطابق الا قليل من النسخ . ففي التلاوات تلفظ كلمات (نهويله ونهويلي ونهويلخون) كلها بلفظة « نهويلى » وبهذا يغمض المعنى . ولم استطع العثور على ما هو مقبول في النصوص المتبقية ولهذا يصبح التفسير عسيراً .

لتغفر الخطايا من « اجله أو من اجلها أو من اجلي أو من اجلهم » يكون هذا التعبير بعد اسماء المتوفين حديثا وهو شيء مفهوم ، حين توجه الدعوات لارواح نورانية أو ارواح نقية من الاسلاف ، من انه تضرع لطلب المساعدة ممن يقدر عليها ؛ ولكن في نسخ عديدة يكتب الفعل بما يفهم منه « لتغفر خطايا اباثر أو لتغفر خطايا هبشبه » وهو تضرع يبدو سخيفاً ، لان هذه الكائنات معصومة لا ينالها الخطأ .

وانا اميل الى اعتبار الصلاة باجمعها تضرعاً لارواح الاسلاف الذين يقدرون لا على عون المتوفى الذي تقام باسمه المراسم فحسب ، بل وعلى عون الموتى الآخرين والاحياء على الارض لتحريرهم من اعبائهم ولتخفيف خطاياهم .

ولهذا وبسبب ان جميع نسخ « ابهاثان » ليست متطابقة (وقد شرع احد الكهان بتصحيح نسختي حين قرأها من حيث النحو) فانا ادون النص الآتي مع اعتقادي بان نسختي هي اكثر النسخ صحة ، اي ان التعبير فيها يكون ، « لتغفر الخطايا من اجله » – وغالبا ما يتحدث الكاتب عن نفسه بصيغة المفرد الغائب – وهذا الاسلوب في كتابة الدعوات باسم الاحياء هو الذي ادى الى هذا الاضطراب .

الاسلاف الاوائل ، أو « أبهاثان قدمايي »(*)

(ان كلمة « ذخرانا » لا تستعمل الا في البنجه فقط)

(باسم الحياة ، واسم مَنْدادْ هيي منطوق عليك ايها الطعام الطيب ، ستقربني من طيبة الحياة ، وقد كشف ذلك منداد هيي الذي قال باسم الحياة « طابْ طابَه الطابي » • ان اسماءهم ستبحث وتجد وتصغى • لقد بحثنا ووجدنا وتكلمنا واصغينا لك يا مولانا منداد هيي رب القوى ، واهبة الصحة • اغفر له (الميت) خطاياه وزلاته واغلاطه واغفر لاولئك الذين هيأوا هذا الخبز وهذه « المسخته » وهذه النعمة الطيبة (طبوثه) • اغفر لهم خطاياهم وزلاتهم وآثامهم وانتهاكاتهم واغلاطهم واغفر للمتقين والمحسنين امثال فلان بن فلانة (اسم الميت) صاحب هذه « المسخته » و « الذخرانه » (الذكرى) اغفر له خطاياه • ولتغفر خطايا آبائنا الاوائل ، ولتغفر خطايا :

يوشامن بن ادموثَ هيي[٨] صاحب هذه المسخته والذخرانا ،

وأباثر بن بهرات ،

وهب‌شبه وكاناد زدقه ،

و ٢٤ اثرى[٩] ابناء النور ،

وبثاهيل بن زهرييل ،

و آدم بن قين وحواء زوجه ،

و شيتل بن آدم ، ورام ورود ،

و شوربى وشورهييل ،

و شوم بر نو ونوريثا زوجه ،

وبهيا يوهانا بن انشفى قته وانهر زوجه ،

و ٣٦٥ كاهن الذين قدموا من مدينة اورشليم[١٠]

(*) صلاة خاصة بذكر الاسلاف •

واغفرلي ، لروحي انا القارىء ، فلان بن فلانة ، ولابي وأمي وزوجي ومعلمي واطفالي (الاحيـاء والموتى) ، ولجميـع ارواح المندائيين (هنا يبدأ بتلاوة اسماء الاسلاف) :

جميع ارواح الآباء الصالحين ،

و ارواح الكهان ،

و ارواح الكنزفرى ،

و ارواح الريش أمي

و ارواح الناس والناصورائيين والكهان والمندائيين والكنزفرى من عهد آدم الانسان الاول الى يومنا هـــذا ، وجميـع الذين تعمـدوا في « اليردنه » ، لهم ولازواجهم وابنائهم ومعلميهم ،

لوفه ورواهه (المشاركة وانبعاث الحياة) لكم .

وتوجه الجملة الاخيرة لجميع الحاضرين .

يغادر الكهان و « الكنزفره » والمساعد « الطريانات » ويقفون صفاً نسقاً حسب الترتيب السابق ، ويشرعون بابطال الطبرشيل (نصيفه) مـع دعاء خاص به ، ثم يقرفصون ويتلون دعاء سرياً بصمت ثم يتابعون تلاوة عدة ادعية ، يرفعون بانتهائها التاج (تاغه) [حذرين من ان يكشـفوا عن جباههم ، والا تعرضوا لعقوبة تناول ٦٠ عماداً] . ويمسكون بـه امامهم ويقبلونه ويضعونه على العينين بالتتالي ، ويعيدون هذا الاجراء احدى وستين مرة وهم يكررون : « كشطه اسيخ تاغى »(*) .

ويتابع الوكيل هذه الحركات بالأكليل الذي كان يلبسه ولكن دون كلام . فاذا كان الوكيل كاهناً ، فهو يلبس التاج بدلا من الاكليل ، ويسمح له بان يتفوه بصيغة الابطال هذه مع سائر الكهان .

(*) العهد يثبّت تاجي .

وبعد ان يقوم الوكيل بتقبيل الاكليل ثلاث مرات يلقيه في الماء ويذهب ليخلع ملابسه الجديدة في « الشخته » ـ كوخ غير مكرس ـ او في « المندى » ، ويرتدى ملابسه الاعتيادية الخاصة • ويكون قيامه بدور الميت قد انتهى الآن ، فله ان يتكلم مرة اخرى وان يختلط بالآخرين •

اما بالنسبة للمتوفى الذي مُثّل في الاحتفال ، فالكهان يقولون ان « ملك النور يمنحه كساءً من النور ، وهو سياكل وينتعش ، فقد كان من قبل ضعيفاً شقياً يرتدى ملابس غير طاهرة » •

ملاحظات حول الفصل الثاني عشر

١ – شم اغصان الآس – انظر الملاحظات حول الفصل السابع ملاحظة رقم ١٤ .

٢ – كلمة زنده – رافان تعنى روحاً حية ، وهي عكس « انوشه – رافان » اي الروح الميتة (حرفياً ، غير الخالدة) . وتقام جميع الاحتفالات الطقسية البارسية على شرف الاحياء والموتى كليهما . وتكون الصلوات نفس الصلوات عدا عن الجزء الذي يذكر فيه اسم المقامة باسمه الشعائر ، فانه يذكر في الديباجة اذا كان حياً مع كلمة « زنده – رافان » ... فاذا كان ميتا تذكر معه كلمة « انوشه – رافان » (J.J.M., P. 444) .

والبارسيون كالصابئين تماما يجرون مراسم « سروش » – مساعدة الروح في عروجها – سواء في حياة الشخص او بعد الوفاة . يقول مودى : « في الاجيال المتاخرة حين تحصل السيدات البارسيات على مراسم « زنده – رافان » ، (السروش هنا يكون من اجل الميت) فانهن يبدين رضا وارتياحاً ... وينظرن الى المسألة من زاوية انهن اذا ما متن وحال دون اجراء « السروش » الضروري حائل ما ، ولم يجر باسمهن من قبل اقاربهن ، أو قام دون ذلك اي مانع ضروري ، فان « السروش » الذي كن قد حصلن عليه في حياتهن ، سيعينهن وسيكون له اثر مفيد » (P. 445).

٣ – تطابق « الزدقه بريخه » بصورة اجمالية الباج البارسي (انظر الفصل القادم) .

٤ ـ انظر الفصل القادم للمقارنة بين « المسخته » الصابئية و « الياسنه » البارسية .

٥ ـ سامانديريل روح للنبات ويعنى الاسم (زهرة الكرم) . مع اضافة « ييل » للدلالة على معنى آلهي .

٦ ـ انظر الفصل السادس والملاحظات حوله .

٧ ـ الذخرانا (ذكرى او تذكر) وتقابل الياد البارسي (تذكر) .

« ان جميع المراسم الطقسية تقام باسم شخص او على ذكره ، اضافة الى اقامتها باسم كائن سماوي او كائنات سماوية ، والكلمات المستعملة هي ... « ليتذكر هنا » . والمراسم يمكن ان تقام باسم ، او على ذكر الاحياء او الاموات ... ان النطق باسم الشخص الذي تقام من اجله المراسم ، حياً كان ام ميتاً ، يتلوه ذكر اسم الشخص الذي يشير الى ان المراسم يمكن ان تقام » (J.J.M., P. 383—84).

وتأتى كلمة « ذخرانا » في « بشطتا » في العشاء الاخير والتي هي نظرا للايدي الممتدة في الاناء ومراسم تناول الخبز والخمر (همره) تحمل كلما يشير الى انها وجبة طقسية على غرار الطقوس الايرانية والصابئية .

ويستعمل المسيح هذه الكلمة التي يستخلص منها المترجمون عن الاغريقية معنى « تذكر » .

(ان اطعام الجميع) بخمسة ارغفة وسمكة واحدة على شواطىء بحيرة الجليلي ، والوجبة في الفصل الرابع (١ ـ ٣) يظهر انها تسجل وجبات طقسية . ويذكر ترتوليان استعمالاً طقسياً للحليب والعسل . ان (الأكّاب) او عيد الحب لدى المسيحيين الاوائل ، لا تزال الكنيسة النسطورية تمارسه (انظر نهاية هذه الملاحظة) .

وكانت هذه الاعياد تميز المسيحية الاولى ، حتى ان (بلنى Pliny الاصغر ١٠٤ ب٠م) يذكر في تقريره للامبراطور (تراجان) بانها مميزاتها الرئيسة • وتوصف (الأكّاب) عند هيبوليتس Hippolytus بانها « عيد تذكاري من اجل الموتى » • لاحظ بان الارغفة الخمسة موجودة ايضا في « السروش باج » • ان الوجبة المسيحية التي ذكرت سالفاً و « القربانه » النسطورية في الوقت الحاضـــر توحيان الى ارتباطهما في الايام الخمسة الكبيسة •

يقول بلس Bliss [الاديان في سوريا وفلسطين الحديثتين] (في يومى السبت المخصصين للاحتفال بذكرى الموتى ـ يقع احدهما قبل الصوم الكبير بثمانية ايام ، ويقع الثاني في يوم السبت الـذي يسبق عيد التجلّى ـ يمكن لكل عائلة ان تجلب الى الكنيسة خمسة قرابين او ارغفة ، قامت هي بخبزها ، ملفوفة بقماش ، وعليها ورقة دون عليها اسماء موتاهم ، كما يرفق بذلك بعض النقود للكاهن • واثناء التهيؤ ، ياخذ الكاهن كسرات من احد الارغفة الخمسة رمزا لتذكر الموتى لكل عائلة • وفي نهاية كل قداس يسترجع رب كل عائلة قربانه أو رغيفه (ناقصا الكسرات التي استعملت في المراسم) ملفوفا بالقماش • اما باقي الارغفة ، وتكون في بعض الاحيان كثيرة ، فتظل تحت تصرف الكاهن يوزعها أو يهبها او ياخذها لبيته كمـا يشاء • ولا يقتصر هذا العمل على يومي السبت المذكورين في اعلاه ، بل يمكن الحصول عليه في اي وقت يراد فيه تذكر الموتى فيه) •

ويوزع المسلمون الطعام على القبر واحياناً يؤكل الطعام عـلى القبر في اليوم الثالث ويوزع الطعام على فترات وبخاصة في اليـوم الاربعين على فكرة ان هذه المكرمة تعين الروح في العالم الآخر •

ويشبه هـذا الوجبة الطقسية لدى اليهود ، التي رغم تفسيرها ورغم النص الملائم لها ، كانت بالاصل طقساً للخصب والانبعاث . ان مد الايدي فوق الخبز في الشهادة وكلمة « فطير » التي يستعملها يهود العراق ، واغلب التفاصيل ، توحي بذلك . واكثر من هذا فان ذكر اليهود للموتى (ذخرانا ، هاشكابا) متصلة في العراق بوجبة طقسية تؤكل على ذكر المتوفين . وهذه الوجبة يجب ان تتضمن « قمحا » اي رغيفا وفاكهة ارضية وفاكهة شجرية .

و « الذخرانا » النسطورية بتوزيعها الخبز واطعمة اخرى ، ولحماً ، في باب الكنيسة ، وبتلاوتها لاسماء الموتى ، وباستعمالها « الكبرانا » اي « الصا » في « القربانا » تتصل اتصالا وثيقا بالطقس الصابئي من عدة وجوه. وتطلق كلمة « ذخرانا » ايضا على « عيد للمحبة » أو توزيع اللحم على الناس عامة والذي يلى «الذخرانا» في الكنيسة ، وفي هذا يشارك كل فرد من افراد الجماعة .

٨ – يوشامن ، كما جاء في كتاب « كنزه ربه » ، كان ابا « اباثر » ، وهو احد اعاظم ارواح الحياة . ويتحدث كتاب « الكنزه » عنه بوصفه الحياة الثانية . وهو يلعب دوراً مرموقاً في القسم الرابع عشر من كتاب « كنزه ربه » ، قسم « نبط العظيم » ، الجهة اليمنى .

٩ – من الواضح ان هذه هي تجسيد للساعات الاربع والعشرين .

١٠– يظهر انها اشارة الى عدد ايام السنة الشمسية وهي ٣٦٥ يوماً . غير ان الكهان البالغ عددهم ٣٦٥ ، فيفترض انهم اولئك الذين فروا الى بابل الجنوبية بعد الاضطهاد الذي وقع عليهم في اورشليم . (قصة مريای في كتاب دراشه اد يهيا) .

ـ الفصل الثالث عشر ـ

الوجبات الطقسية البارسية

لقد عزمت على حصر بحثي الرئيسي في الصابئين انفسهم ، غير ان العلاقة بين الوجبات الطقسية المجوسية والصابئية على درجة كبيرة من الاهمية ، بحيث تحتاج الى فصل خاص • وتوجد بالطبع فروق ملحوظة بينهما اولها انه بينما تكون « الياسنه » البارسية نباتية الصفة بصورة تامة عدا عن منتجات الالبان ـ زبد وحليب ـ فان « المسخته » الصابئية تتضمن ذبح كبش وحمامة • ولا استطيع الا ان اعتبر الاضاحي الصابئية (واقصد تحت هذا العنوان ايضا دفن الفطائر) بقايا بعض طقوس قديمة لها صلة بالتربة • والنص الطقسي الوحيد الذي عثرت به على ذكر هذه الاضاحي هو كتاب « شرح پروانايا » ، وتاريخه لا يعود الى زمن مبكر • وقد كان تقديم الضحايا بابلياً ويهودياً ، كما مارسه المجوس في الزمن القديم ، حسبما ذكره هيرودتس وسترابو وديوجنيس بلا ريت • من هنا يحدس المرء بانها قد تكون بقايا شعائر سامية فيما يظهر بصورة رئيسة من انه طقوس ايرانية الصبغة •

ثانيا ان الاهمية النسبية لارتباط النار والماء معكوسة لديهما ، وثالثاً وجود بيضة لدى البارسيين بينما هي محرمة تماما لدى الصابئين • ان التكريس بالحليب فقط ، الذي هو شكل وجبة طقسية بارسية ، يمكن ان يعتبر مقابلا للتكريس البسيط في ماء المعودية ، فكلاهما يعتبر سائل « حياة » •

وكما ان لدى الصابئين صيغة تنطق لدى تناول الطعام وبشكل موسع لدى تناول الوجبات الطقسية ، فالبارسيون ينطقون « الباج » قبل تناول

الطعام المعتاد ، ويجعلونه اكثر احكاما وتفصيلا لدى تناولهم الوجبات الطقسية • وكلمة « باج » كما عرفها مودى « كلمات معينة أو صلوات تتلى دينياً على شرف كائنات خاصة مثل « اليازاتات » أو الملائكة ومثل « الفرافاش » اي الارواح الحارسة للاحياء والاموات » (J.J.M., P. 354) .

ويوجد ايضا لدى البارسيين ثلاث صيغ للصلوات تتلى شكراناً قبل تناول الوجبات واحداها ، وهي الاطول ، يتلوها كهان في المراسم الدينية الداخلية • ولكن يظهر ان « بارسوم » كان في الازمنة القديمة تضرعا حتى في ابسط اشكال الشكر الذي يتلى قبل تناول الوجبات(J.J.M., P. 372) .

ويقام « الباج » تصاحبه وجبات طقسية ، بعد الوفاة وبخاصة في فجر اليوم الذي يلي الليلة الثالثة بعد الوفاة • وبهذه المناسبة يقرأ « الباج » يصاحبه تناول الخبز المقدس على روح الميت ، وتقام « الياسنه » الشبيهة بـ « المسخته » باسمه في هيكل النار • وكان ذلك الطعام وتلك الملابس تتخذ بنيّة اطعام واكساء الروح سحريا في العالم الآخر • وتظهر في كتاب « فارفاردين ـ ياشت » حيث يضع الكلمات الآتية على افواه الارواح المتوفاة :

« من سيحمدنا ؟ من سيقدم لنا ضحية ؟ من يفكر فينا ؟ من يباركنا ؟ من يستقبلنا باللحم والكساء بيده وبصلاة جديرة بالغبطة ؟ » (J.J.M., P. 469) .

هنا نحصل على نفس الامنية في « هافا دمانيا » التي وصفناها في الفصل الاخير • وعلى العموم فان « الباج » يطابق « الزدقه بريخه » الصابئية • ويضع لنا « مودى » شروط اجراء « الباج » في النظام الديني كما يلي :

آ – يجب ان يقوم بالتلاوة كهان يمسكون بـ « الباريشنوم » ويتحلون بـ « الخوب » .

ب – يجب ان تتلى « باج » على مجموعة من هدايا – تقدمات – معينة كالدارون اي الخبز المقدس وانفواكه والماء ومنتجات الحليب كالدهن والزبد .

جـ – يجب ان توجد نار موقدة في وعاء ، وقودها خشب الصندل ، ومن الضروري وجود البخور اثناء التلاوة .

د – يجب ان تتلى في محل مغلق خاص في « يازاشناگاه » مثلا أو حين تتلى في مسكن خاص تكون في موقع منه ينظف خصيصاً ويغسل ويحدد بحدود (پافى) (J.J.M. P. 358) .

والنقطتان « جـ » و« د » تماثلان «البريهى» ووعاء البخور لدى الصابئين. وفي المخطط الذي رسمه مودى لترتيب الاداوات الطقسية داخل موقع محدد بالخطوط « پافى » يرينا النار والبخور في موضعيهما الصابئين ، اي بعيدة عن الكاهن . ويوضع امام الكاهن حب الرمان كما هو في الطقوس الصابئية ، مضافاً الى الفاكهة والارغفة المقدسة (دارون) . وتماما كما توجد انواع مختلفة من « الزدقه بريخه » في الطقوس الصابئية ، تقام باسم الكائنات المقدسة ، كذلك توجد لدى البارسيين انواع من « الباج » . فالباجات تقام للميت ، وفي فترات بعد الموت ، كما يُشرَّف الميت باقامة « جاشان » وهو مركب من عدة مراسم تنتهى بـ « الساتوم » الذي يقرب ، حسب وصف مودى ، من « اللوفانى » الصابئي . يقول مودي :

تتلى صلوات الساتوم بصورة عامة مع الوجبات ، ونقرأ في « هوما ياشت » : (ايتها الهوما ان هذه الكاشات لك ، ولك هذه الساتومات ، وهذه الوجبات ، ولك كلمات الصدق هذه) . يظهر من هنا

نشوء العادة في تقديم الطعام على صينية ثم تلاوة السانوم عليها • ان تقديم الوجبات رمزي يظهر وجود نوع من المشاركة العقلية او الروحية بين الاحياء وارواح الموتى • ففي حالة الميت يقدم الاحياء وجباتهم ذكرى للميت وبينما هم يقدمونها هبة لهم فهم يقومون بنفس الوقت كما ذكر في اعلاه وتعبيرا عن رغبتهم ، بتقديم افكارهم النيرة وكلماتهم الطيبة واعمالهم الصالحة (J.J.M. P. 428) • ويكون البخور موجودا كما هي الحال في « لوفابى الصابئين • ويقول مودى عن كلمة « جاشان » « يشتق البعض الكلمة من «جاش» اي يتذوق ـ يأكل ، اي من حقيقة كون ان الجاشان ينتهى بنوع من العشاء الرباني (المشاركة)حيث يتجمع جميع الاشخاص ويشاركون بالدارون ـ الخبز المقدس ـ وباليازدا ـ الفواكه والماكولات المقدسة الاخرى » (J.J.M. P. 456) . واليازدا تقابل « الطبوثه » لدى الصابئين وصلاتهم فيها هي « زيدانا ومزودانا » • ثم يصف في مكان آخر كيف تغسل يد المتناول وكيف يجلس ويده ممدودة • ومراسم الجاشان الرئيسة هي « افرنجان » وهو على درجة اعلى قدسية من الوجبة الاعتيادية الا انه اقل درجة من « الياسنا » •

ان صلوات « افرنجان » يمكن ان يقوم بتلاوتها جميع الكهان حتى اولئك الذين لا يلاحظون « البارشنوم » واولئك الذين لم يصلوا الى الدرجة الثانية في المراتب • ويقوم بها بصورة عامة كاهنان أو اكثر (J.J.M. P. 376) .

ويدعى هؤلاء الكهان « زوطي » ، ويسمى القائم الرئيس بالطقس « راسبى »[ومساعد وظيفته تدبير النار التي يلقى عليها البخور] • والمطابقة بين هؤلاء وبين « الترميذى » و « الشكنده » واضح • واهم الخصائص هي قراءة قوائم بالكائنات السماوية وبخاصة الكائن السماوي الذي تقام باسمه الـ « أفرنجان » ، و « الباد » او الذكرى التي يذكر فيها اسم المتوفى (الفصل ١٢ ملاحظة ٢) • هذه هي الذخرانا او الذكر

الجنوب
هذه
جنوب
هنا صوامع للقناء فوق هذا «الخوان» او المنصة الحجرية
a. كوب لعصير «الهورما» يوضع فوقه طهور
b. كاسة للخبز المقدس والزبد
c. حاون و مدقة لهرس «الهورماء لغصان الرمان
d. كاسة «للهورماء لاغصان الرمان
e. كوب يحتوي على الحلقة وشعر الثور
f. السكين
g. كوب يحتوي على ماء مقدس
h. كوب الهورما
i - كاسة للحليب الطازج
j - المهرجان: خوامس صدلية الشكل وفوقها
K - كوب لحمل اغصان الهورما في وقت معين
(a) (b) (c) (d) (e) (f) (g) (h) (i) (j) (k)
«خوان» (منصة حجرية للقنا والماء) (القدس)
مجلس الكاهن
الشمال

بالاسم • ويوضع المايزد او الطعام الطقسي في صينية يجلس اليها الكاهن ومساعده فوق بساط ، بعد قيامهما باجراء الطهارة الصغرى (باديات ـ كوستى) •

« يجلس الزوطى وامامه على خام ابيض صينية تحتوى على مايزد وهي فواكه وازهار موسمية ، وحين تكون هناك كميات وافرة من المايزد فالمجموع يشكل حينئذ « سيك » اي اكثر من صينية واحدة • وبالاضافة الى الفواكه والازهار يتواجد في الصينية ايضا حليب وشراب وماء «وشربت» في إوان صغيرة أو اقداح زجاجية • وبجانب الصينية ذات الفواكه والازهار والاشياء الاخرى التي ذكرت يوجد وعاء للنار بمواجهة الزوطى » (J.J. M. P. 391) .

ويقول مودى ان الخبز المقدس كان في الاصل ضمن ما تتضمنه اليازد [انظر المخطط ••• منقولاً عن مودى] •

ويظهر ان تقديم شحم الكبش في الوجبات الطقسية كان في السابق جزءاً من الطقوس التي تقام فجر اليوم الثالث للوفاة • ويقتبس مودى من « داراب هرمز دايار » في « ريفايات » حيث توجد بعض الأوامر ما يلى : « اعطوا للنار شيئاً من الگسباند » ـ كبش أو نعجة أو معزى ••• ـ وهذا « الشيء » كما كان لوقت متأخر هو « چارب » اي شحم المعزى •

وكان شحم الالية حسب التعليمات ، هو الجزء الخاص بـ « الفرافاش » (ى• دبليو • ويست في كتابه ـ الكتب المقدسة في الشرق المجلد ٥ النص البهلوي القسم الاول من ٢٣٧ ـ ٤٠٦) •

وتماثل الفطائر الخمس الصابئية في « الزدقه بريخه » « الدارون الخمس » في « البانج تو » اي مع الاغصان الخمسة للبارسوم •

ويكرّس كل رغيف لكائن الهي ، فالرغيف الاول مثلا لـ « سيروش » الملاك الموكل بالموتى وبايصالهم الى مملكة النور •

ويظهر وصف مودى لـ « الياسنا » التشابه الوثيق بين تلك الوجبة وبين « المسخته » الصابئية • واليك ذلك الوصف :

الموقع :ـ لهياكل النار البارسية حُرُم تعزلها عن بعضها وتلتصق بها تعرف بـ « دارى مهر » ، وفي بعض الاحيان يوجد بيت منفرد • ومهر (مثرى) هو « اليازاتا » أو الملاك المتحكم في النور والعدل (J.J.M., P. 262) وقد ارتبط منذ القديم كما هو الحال مع « شامش » بنفس فضائل العدل ، فهو لذلك يظهر كروح حارسة للشمس (وياورزيوا لدى الصابئين يحتل مركزا بارزا في المسخته وقد اشرت سابقا الى امكانية كونه يحل محل اله ـ الشمس) • ويوجد داخل « دارى مهر » « يازاشنا ـ گاه » وهو المحل الذي تقام فيه الوجبات الطقسية •

وتعزل « اليازاشنا ـ گاهات » المختلفة عن بعضها البعض الآخر بـ « الباقي »، جدول لصد النجاسة• وهو يستخدم كحدود لكل واحدة منها كما يستعمل كمبزل للماء المستعمل في المراسم • فاذا ما دخل بعض الناس داخل الحدود المؤشرة بـ « الباقي » اثناء اجراء الطقوس ابطلها • واذا كان هنالك اثنتان من « يازاشنا ـ گاه » فيفصلان بممر ضيق مغلق بين باقين ، اثنين •

وتبنى « اليازاشنا ـ گاه » بحيث تسمح للزوطى أو الكاهن الموكل بالمراسم ان يواجه الجنوب (J.J.M. P. 264) .

ولا شيء اقرب من ذلك الى الترتيبات المتخذة في ساحة المندى حيث تكون « الميسرى » متصلة بالبركة لتبزل الماء المستعمل في التطهير •

الطهارة التمهيدية :ـ يستعيض البارسيون عن « البردنه » لدى الصابئين بالماء الماخوذ من صهريج الهيكل (الذي يجب ان ياخذ ماءه من جدول او من ماء جار وليس من ماء الانابيب) وفي اوان سبق ان غسلت • وبينما يترك الكاهن اناء الماء يطفح ثلاث مرات ينطق باسم بحر قزوين بالفهلوية

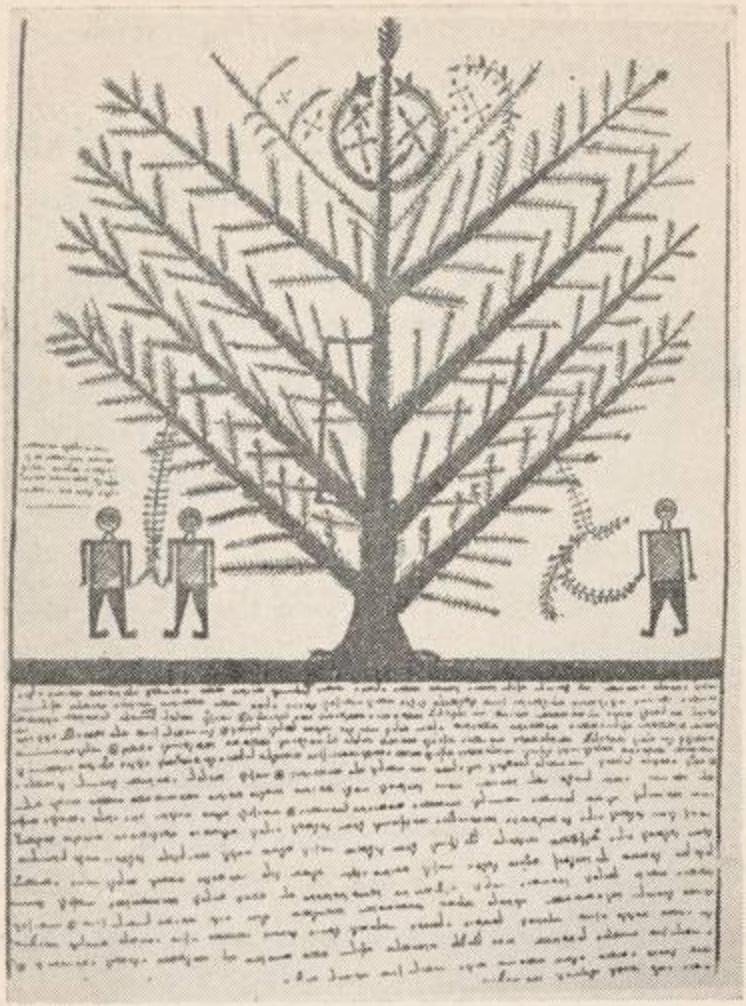

الشجرة المرضعة [لانا إد ماربى يانقى]

والافستانية ثم باسم نهر « اردفي ـ سورا » وبهذا يجعلون التطهر على هذا الشكل بديلا من الارتماس في « الماء الحي » .وتغطس جميع الاواني والادوات بالماء ثلاث مرات .

والطهارة البسيطة لاغصان الزيتون عند الصابئين (اي الطهارة الثلاثية مع ذكر اسم الحياة) هي عبارة عن احتفال محكم لدى البارسيين .

فالبارسوم البارسي ، وهو عبارة عن اغصان قطفت لتوها ، تمثل الآن ببديل لها معدني يوضع على حوامل هلالية الشكل معدنية من نحاس أو فضة . ويعلق مودى على ذلك فيقول : (يوحى القمر وهلاله بفكرة النمو وبالاعتقاد بان للقمر تأثيرا على نمو النباتات . وهكذا فان البارسوم ، وهو رمز لدنيا الله النباتية، حامل معدني هلالي الشكل) (J.J.M. P., 279) .

هنا يخطر على البال التصوير الغريب في كتاب (ديوان اباثر) ل (لانا ادماربيا ينقيا) بقمة هلالية الشكل . فهذه الشجرة الصابئية الغامضة يقال انها تطابق ال « سندركه » ـ شجرة القمر ـ الآله . المذكورة في الصلوات ، ويوحى الهلال بفكرة النمو والخصب .

وتربط اغصان « البارسوم » الى بعضها البعض بحبل من ليف النخل وهكذا تمنح الاغصان الاصطناعية ، بصورة سحرية ، مرتبة الطراوة والحياة. وتوجد لدى مودى فقرة مهمة تخص هذا الاحتفال حيث تؤخذ خوصة من نخلة الهيكل (أينه وسندركه ـ العين والنخلة في صلوات الصابئين) بسكين مطهرة . يقول مودى :

(يغسلها الكاهن بعدئذ مرة اخرى بماء الياف ثم يضعها في اناء ما ويحملها الى « يازاشنا ـ گاه » ، هناك يشق الخوصة الى ستة اقسام رقيقة ويفرد كل ثلاثة اقسام في مجموعة ويبرمهما حبلين ويعقد طرفي كلا الحبلين . ويضعهما بعد ذلك في كأس معدني طاهر لتستعمل بعد ذلك في

ربط البارسوم • وقد قلنا في اعلاه بان البارسوم يمثل خليقة الاله ، فالاغصان المفروزة أو الاسلاك في البارسوم تمثل احتواء الخليقة على اقسام متنوعة ، ويشير الرابط الذي يربط البارسوم الى بعضه البعض الى اتحاد أو وحدة هذه الاقسام • ويظهر انه يشير الى ان الطبيعة كل واحد واننا معها في هذا الكل • ونعرف من التعليق الفهلوى على « الياسنا » حين يشير الى الرباط (أيوايون غانا) بان الفكرة أو الغرض الرئيس هو كما يظهر ، الاتحاد • والكلمة (ايوا يون غانا) تستعمل ايضا في « الافيستا » لاجراء « الكستى » أو الخيط المقدس • واحد التفاسير للكستى هو انه يوجد في دائرة من الانسجام جميع الذين يرتدونه (J.J. M. P., 292) .

واذاً فان لكلمة « أيوايون ـ غانا » نفس معنى « اللوفانى » الذي له عند الصابئين نفس هذا المعنى في الربط معا وفي الاشتراك الوثيق •

وتجرى الطهارة كما يلى :

(يصب الماء المقدس في الطقوس على البارسوم وهذا الماء الطاهر ـ زاو ثره ، يمثل او انه رمز المطر الذي تحصل منه الدنيا على نعمة ما من الآله) (J.J.M. P., 280) .

ولا يرمز الماء عند الصابئين للخصب فحسب بل وللانبعاث او لاستمرار الحياة بعد الموت •

تحضير الخبز (دارون اوميازدا) : يمكن ان يقوم عند البارسيين اي شخص طاهر من فئة الكهان يخبز الخبز المقدس • ويختلف عدد الارغفة المطلوبة باختلاف المناسبات •

« انه خبز مستدير مستو ، فطير ، يعمل من دقيق الحنطة والدهن • إن مراسم الياسنا والفسبارا والفنديداد تتطلب كل منها رغيفاً واحداً ، ويختلف العدد بالنسبة للباج ، فالباج المقام على شرف جميع « اليازاتات » يلزم

له اربعة ارغفة ، ويتطلب باج « سروش » ستة ارغفة ، والنصف من تلك الاربعة وهذه الستة هو ما يعرف بال (نام ـ پاديلا) اي الارغفة المسماة ، ويعرف النصف الآخر بـ (ڤاكار ـ نامنا) اي غير المسماة (J. J. M. P., 296 ' 297).

[وسروشا يماثل (گوريل اشليها عند الصابئين كما يماثل ايضا ياور زيوا] .

ويوضح مودى من ان صانع الخبز يدمغ الارغفة « المسماة » ـ الدارون الخاص ، بثلاثة صفوف من هذه العلامات :

ooo

ooo

ooo

وبينما هو يتفوه بكلمات : « افكار طيبة ، كلمات طيبة ، اعمال طيبة) يصنع ثلاث علامات مع كل عبارة . (J.J.M.P., 279). [ان وضع النسطوريين على ارغفة القداس علامات مشابهة لهذه، يتصل بها اتصالا وثيقا . وانا لا اعلم ما اذا كان لرسم الفطائر صلة به ايضا قد يكون ذلك].

تحضير الهوما :ـ يماثل تحضير الهوما تحضير « المشه » عند الصابئين فكلاهما يهرسان في الهاون . وتماثل (الهافانيم والدستا) لدى البارسيين (الهاون والدست) عند الصابئين .

والهوما نبات طبي ينمو في ايران وافغانستان وهو نوع من (الايفدرين) ، والجبل أو الجبال التي تذكر كمواطن لنمو هذا النبات نمواً زاهياً هي بصورة خاصة جبل « البرز » . ولكن يجب ان لا يغيب عن البال ان اسم البرز لا يشير فقط الى جبل البرز الحالي ، وهو قمة في القفقاس ، بل كان يطلق على جميع سلسلة الجبال الممتدة من هندكش في الشرق الى القفقاس في الغرب .

وتوصف الهوما كنبات ذي اغصان وعساليج وتحتوى على خصائص طبية وهي ذات لون ذهبي (J.J. M. P., 303) .

« وتكون سبق ان جففت ، وسوف لا اصف غسل اغصان الهوما الدقيق أ والصلاة المقامة في تكريسها • تؤخذ هذه الاغصان وتضاف اليها اغصان الرمان وتهرس في هاون مع قليل من الماء ويصفى العصير الناتج في مصفاة • (هرس السمسم والتمر لدى الصابئين وتصفيتهما بوساطة الگداده) [لاحظ ان كلا من البارسيين والصابئين يستعملون في كل من الحالتين زوجاً من النباتات المقدسة فالبارسيون يستعملون الهوما والرمان ، ويستعمل الصابئون السمسم والتمر] •

وهناك فرق في هذه النقطة بين الطائفتين ، فبينما تستعمل « المشه » من اجل « رسم » الارغفة المقدسة ، فان الهوما تستعمل كشراب مقدس وهي بهذا تطابق « الهمره » لدى الصابئين • والهوما كـ « الهمره » تشرب بعد ان يكون الكاهن قد تناول الخبز المقدس •

ترتيب الموائد او البلاطات الحجرية وادوات الشعائر :ـ يجب عقد مقارنة بين (المخطط في هذا الفصل والمخطط في الفصل التاسع) لنرى الصلة الوثيقة بين ترتيب الخوانات لدى البارسيين ، وترتيب الطرابين عند الصابئين• فمائدة النار اكبر عند البارسيين كما هو متوقع وفوقها مائدة صغيرة يوضع فيها اناء الماء هي بديل من تردد الصابئين المستمر على « اليردنه » او بركة « المندى » • وقبلة البارسيين نحو الجنوب ، وقبلة الصابئين نحو الشمال ، غير ان مواقع الكاهن والموائد متماثلة نسبياً •

فالكاهن البارسي يجلس على بلاطة حجرية (والصابئي يجلس على لوحة أو على مقعد من القصب) وامامه فوق بلاطة الحجر الرئيس توجد الادوات المطلوبة للمراسم • وهذه الادوات ، ابتداء من الزاوية الجنوبية الشرقية ، ثم تدور باتجاه الثابت الشمسي هي :

آ ـ كوب للاحتفاظ بعصير الهوما الاحتياط ويوضع فوق طبق •

ب ـ اناء مسطح للخبز المقدس والزبد •

ج ـ هاون ومدقة لهرس اغصان الهوما والرمان •

د ـ اناء مسطّح يحتوى على اغصان الهوما والرمان •

هـ ـ كوب يحتوى على الحلقة (ڤراس ـ ني ـ ڤيتي) •

و ـ سكين •

ز ـ كوب فيه ماء مقدس •

ح ـ كوب الهوما •

ط ـ كوب حليب طازج •

ى ـ حاملان اثنان على شكل هلالى مع البارسوم •

ك ـ كوب لمسك اغصان الهوما بوقت معين •

والى مسافة ما عن هذه المائدة ، توجد مائدة لاناء النار وبجانبها حاملان صغيران للبخور وخشب الصندل • ويوجد بجانب الكاهن من الجهة اليمنى خوان حجري مستدير (سائر الموائد مربعة) من اجل حمل اناء الماء ـ كندى •

بقى ما يقال عن بعض هذه الادوات • فالزبد والحليب كما ذكرت سابقا يمثلان تبجيل البارسيين للبقرة والثور كرمزين للحياة والقوت • وتظفر الحلقة بشعر من الثور المقدس وهذا تماما كالحالة مع الحلقة لدى الصابئين حين يغمرونها في كوب الخمر ، هكذا فالحلقة « ڤاراس » بعد تصفية الهوما تعامل نفس المعاملة بوساطة الكاهن البارسي •

توضع الحلقة (ڤاراس) فوق المصفاة ويمسك الكاهن بالكوب الذي يحتوى على الماء النقي (زوثرا) بيده اليسرى ويضع يده اليمنى فـــوق

القاراس • يشرع بالتلاوة وبنفس الوقت يصب الماء فوق القاراس ويفرك فيه العقد (عقد الشعر) يتلو بعد ذلك دعائين « اشيم فوهي » يتلى ثانيهما في الباج بصمت •

بعدها يقبض على المصفاة ، والقاراس بيده اليمنى وعلى كوب عصير الهوما بيده اليسرى ويكرر كلمات « هوماتا وكختا وهڤارشتا » ثلاث مرات ، ويصب عصير الهوما في المصفاة التي يمسك بها فوق البلاطة الحجرية باوضاع تختلف باختلاف تكرار الكلمات الثلاثة • فحين يتلو كلمة « هوماتا » في كل مرة ، يمسك المصفاة في الجهة اليمنى من البلاطة ليتساقط عصير الهوما فوقها من خلال المصفاة ، وعند كل تلاوة لكلمة « كختا » يساقط عصير الهوما بنفس الطريقة في كوب الماء (زوثرا) وكان قد افرغ في الهاون خلال المصفاة ومعه « القاراس » • وعند تلاوة كلمة « هڤارشتا » يسمح لماء الهوما ان يتساقط في الهاون •

« يوضع كوب عصير الهوما في محله الخاص على البلاطة الحجرية وتوضع فوقه المصفاة ومعها « القاراس » ثم يصب بالمصفاة جميع العصير الذي في الهاون وهو مزيج من ماء زوثرا وعصير الهوما أو هو بالاحرى عصير اغصان الهوما والرمان (أرڤارام) ومن خلال المصفاة الى كوب الهوما في الاسفل • وبعد ان تفرغ محتويات الهاون يوضع ثانية في محله الخاص » (J.J. M. P., 311) .

وتماثل المصفاة التي يمر خلالها المزيج تصفية « المشه » من خلال « الگداده » غير ان « المشه » تخلط مع عصير « الهمره » فيما تبقى من الطقوس •

والهوما كالمشه عند الصابئين ، تحضر قبل الوجبة الطقسية ، حيث تغسل البلاطات الحجرية بصب الماء عليها بحركة متصالبة :

(خلال التلاوات الثلاث يصب الماء بحيث يجعله يسقط من الشمال الى الجنوب وخلال التلاوات الثلاث الثانية يجعله يسقط من الغرب الى الشرق) • (J.J.M. P. 273) .

[قارن تسمية النساطرة للجهات الاربع حين يضعون صليباً فوق ارغفة الخبز المقدس] •

وتحضيرات البارسيين للاحتفالات والطقوس اكثر احكاما من الاحتفالات والطقوس الصابئية وهنا انصح القارىء بمراجعة صفحات كتاب مودى •

تأتي بعد هذا كله الوجبة الطقسية •

الوجبة الطقسية :ـ في الصلوات التمهيدية يذكر اسم الملاك (عند الصابئين يذكر مسخته ساما ندريل أو مسخته اد زهرون ••• الخ) واسم الشخص الحي أو الميت الذي تقام من اجله المراسم ، ويتلو ذلك التضرع للقوى السماوية المختلفة (اسوئه ملكه لدى الصابئين) كما يشار بصورة خاصة الى الماء الطاهر (زوثره) والى البارسوم ويعاد التضرع السابق والمقدمات •

« يمر بيديه القابضتين على البارسوم من خلال الانحناءات الهلالية للحوامل ، بعد ذلك ياخذ (الزوطى) مجلسه (J.J.M. P., 323) .

وتجرى تلاوات طويلة من « الياسنا » يشترك فيها الكاهن الموكل بالنار من حين لآخر يتبع ذلك صلوات التكريس والتلاوة على « الدارون » وتدعى هذه « فصول سروش ـ دارون الياسنا » •

« وفي اقسام خاصة في تلاوة هذه الفصول ياخذ الزوطى من حين لآخر قبضة من الماء الذي في اناء الماء ـ كندى ـ بيده اليمنى ويرشها على البارسوم وعلى الحبل (أيوايون غان) الذي يربط اسلاك البرسوم ، وهو

اثر لازمنة قديمة كان يستعمل فيها شيء غير الاسلاك ، فقد كانت اغصان الاشجار تستعمل كبارسوم ، وكان الماء في السابق يرش على هذه الاغصان النباتية ليبقيها طرية » (J.J.M. P., 324) .

بعد ذلك يتلو الكاهنان : « اقدم هذه الاشياء وهذا الدارون والمـــاء والهوما ... الخ في حالة الصلاح » ويضع كاهن النار ، البخور في النـار ويقول : (ايها الناس يا من كنتم بها جديرين ، لصلاحكم وتقواكم كلوا من هذه الميازدا وعطاء اللحم) (J.J.M. P., 342) .

يشرع الزوطي بعدها بتلاوة صيغة « الباج » او صلاة الشكران معتقدا انه اصبح اهلا لاكلها ، فياكل كسرة من الخبز المقدس وينهى « الباج » .. بعد ذلك يمكن ان يؤخذ الخبز المقدس الى خارج « اليازاشناگاه » ، ويمكن ان يطعمه اعضاء آخرون في الحفل ان كانوا حاضرين .

وهذا ما يقال له (دارون ـ جاشنى) أو التنـاول الطقسـي للخبز المقدس .

ويوجد لدى الصابئين في الطقوس ما يماثل هذا .

ان عصير الهوما الذي وصف تحضيره في اعلاه يشرب الآن من قبل الكاهن بعد تلاوة ادعية الهوما وهذا يماثل شرب « الهمره » عند الصابئين ، وقد اوضحت سابقا بان الهوما تحل محل « الهمره » و « المشه » . تلي ذلك صلوات طويلة جدا ، ثم تحضر اغصان الهوما للمرة الثانية اي تهـرس وتعصر وتصفى ثم توضع وحدها من اجل متطلبات الحفل وهنا يلاحظ مودى قائلا : « هناك عادة ، ولو انها ليست ملحوظة بصورة عامة ، هي اعطاء قطرات قليلة من عصير الهوما الى طفل مولود حديثاً أو الى رجل يحتضر . وتعطى هذه القطرات من الوجبة الثانية للهوما » (J.J.M. P., 326) .

[توضع (المشه) فوق صدر المحتضر الذي هو بديل عن « الكنزفره »

لدى الصابئين] يتبع ذلك قراءة طويلة تتضمن فيما تتضمنه من ادعية ، تلك التي تكون في حمد (سروشا) • وينطق البركات على بيت الاسرة المحتفلة ، ووصف مودى لهذه الفصول طويل جدا بحيث لا يمكن اقتباسه بتمامه غير ان النتيجة هي الشبه القوى جداً بما لدى الصابئين •

يتبادل بعد ذلك الزوطى ومساعده (كاهن النار) نوعا من قبلة السلام الزردشتية ، وهذا يعنى ان يقبض كل منهما بيديه على اليد اليمنى من الآخر ثم يرفع كل منهما اطراف اصابعه الى فيه • واعطاء الكشطه لدى الصابئين هي باليد اليمنى فقط ثم يتبع ذلك التماسك كـ « البارسيين » ان يقبل كل شخص يده اليمنى الخاصة • والنساطرة النصارى يعطون اليد للمصافحة يتبعها تقبيل اطراف الاصابع على النموذج البارسي ، في القداس وفي مراسم اخرى ؛ ويقص مودى ان لدى بني اسرائيل الهنود ايضا تماسكاً باليد يتبعه التقبيل ، وهم كالنساطرة يتبادلون التماسك بالايدي والتقبيل اثناء الاحتفال •

ويتم الكاهنان البارسيان الباج (يماثل هذا ، الرهمى لدى الصابئين) ويقومان باجراء الكستى (الرشامه لدى الصابئين) • بعد ذلك تأتي مراسم تشير ثانية الى تطابق صهريج الهيكل (البئر) مع النهر حيث يذهب كلا الكاهنين الى الصهريج والزوطى قابض بيده على الهاون المحتوى على « الزوثرا » •

يواجهان الشمس ويجريان ما يسمى « زور ـ ميلاقى » اي مزج الماء المقدس (زوثرا) بماء الصهريج بعد ان يسحب الماء من الصهريج اولا • (J.J. M. P., 329) . .

وبالمثل فان جميع الماء المقدس المتبقى من « المسخته » مضافاً اليه الطعام المقدس الزائد ، ترمى في « اليردنه » ، فالحياة تعود الى الحياة •

وليست العقيدتان متماثلتين فقط بل وتتماثل الافكار فيهما أيضاً • فهل

يبقى في ذهن القارىء شك بان لكلا هذين الطقسين اصلا مشتركا ؟ فلو ان الصابئين قد قلدوا العقيدة البارسية بعد مجيء الاسلام ، لما وجد المرء تقدم الماء عندهم على النار ، واكثر من ذلك ففي طقوس الياسنا توجد إشارات قوية الى ان هذا الطقس الذي هو احد صيغ الانتعاش من اجل بعث الحياة كان يتركز في الاصل حول الماء لا حول النار .

ان نقطـــة الالتقاء اذاً هي ابعد من ذلك بكثير ، وتقاليد الصـــابئين واعرافهم الذي تذكر من ان دينهم والمؤمنين الاوائل به كانوا قد عاشوا في البلاد الجبلية بين بحر قزوين وحران – اي انهم يمتون من حيث الخطوط العريضة الى « عمان – مندا » – يتخذ شكل الاحتمال ، ان تاريخ وجبـة الطعام الطقسي وهو ليس لدى البارسيين والصابئين فقط ، بل ولـــدى اليهود والنصارى ، تصبح معرضة لانوار كشافة جديدة .

ملاحظة عن الفصل ١٣ : في « شال شلوته » وهي صلاة في نهايـة الرهمى تاتي عبارة : حمـداً للشـجرة الاولى او النخلـة العظمى والمعين « سندركه وأينه » حمدا لتانا الخفي حمدا لششلام العظيم (ششلام ربه) الذي يجلس على حافة (كفه) العين والشجرة . يجب ان يكون لـــدى البارسيين ايضا بئر ونخلة داخل الساحة المقدسة (الهيكل) .

ـ الفصل الرابع عشر ـ

الالفباء الصابئية

يطلق الصابئون على الالفباء اسم « آ ـ با ـ گا » ، ويمثل كل حرف بالنسبة لهم قوة من قوى الحياة والنور ؛ والحرفان الاول والاخير (الفا واوميكا) هما نفس الحرف ، ويمثلان كمال النور والحياة . ومع ذلك فهم يقولون ان هذا الكمال لم يخلق ذاته بل خُلق . وحين خلق الـ « آ » (٥) حسب رواية احدهم ، وهو يمثل ملك النور (ملكه دنهورا) ، صاح : « ليس هناك اقدر مني » ؛ وحين نطق بهذا ، راى على وجه الماء حروف الالفباء الاربعة والعشرين[1] وكانها جسر ، فقال في نفسه : « من خلق هذه ؟ لم افعل انا ذلك ، فلابد ان يكون هناك من هو اقدر مني » . وجاء في احدى الاساطير ان الحروف كانت قد كتبت في الاصل على قميص « مارا اد ربوثه » (رب العظمة) . كما ان هناك اسطورة اخرى تمثل « هيبل زيوا » وهو يعلم آدم الابجدية .

من هنا تأتي نظرة الصابئين الى حروفهم من انها سحرية ومقدسة . وتقع الكتابة تحت تأثير الكوكب « انبو » (ينطقرنه ـ انوو) . وتنقش حروف الالفباء على قدر عددها من قطع من الفضة أو الذهب ، وتوضع تحت وسادة الشخص الذي يرغب بالارشاد السماوي ، حين تنزل به نازلة ما ، حيث يقوم بافراد حرف واحد كل ليلة ، حتى اذا رأى مناماً يتعلق بما لديه من محنة اعتبر الروح التي تعود لذلك الحرف قد انكشفت له ، وانها راغبة بمساعدته ، وحينئذ يلبس ذلك الحرف كطلسم في عنقه . واكثر الادراج الطلسمية تبدأ بحروف الالفباء حسب ترتيبها ، واحياناً بقيودها الحركية

ايضا • وقراءة الحروف بصوت مسموع تعويذة لطرد الارواح الشريرة • ولقراءة الحروف هذه أو التعويذ بها فعل خاص مشتق من ترتيبها وهو « آ با گا » فـ « آباكا » مساوٍ لـ (يقرأ او يتهجأ) •

والحرفان الاول والثاني عبارة عن دائرة (٥) من المحتمل انها تمثل قرص الشمس ، رمزاً للنور ، وهما ينطقان كالصوت (آ) • ومما يستحق الذكر هنا ان الالف الفنيقي (ا>) يمثل راس الثور • و « الفا » معناها « الثور » ، وكان الثور رمزا للسماء والشمس • وحروف المد هي نفس هذه الدائرة[٢] باجراء بعض التعديلات ، وهي قد تمثل الشمس غاربة أو مشـــرقة وقـد اتخذ تشـكيل الزاوية لغرض التوضـيح • فحرف « با » (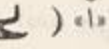) يلفظ كما لو كتب مع حرف المد «آ» (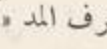)

والتفسير الصابئي للمعاني الباطنية ، أي لما ترمز اليه الحروف مهم لانه تقليد قديم بالرغم من ان ما يرمز اليه في الاصل قد نسي على نحوبين • وكان هناك عدم اتفاق بين الصابئين حول معاني بعض الحروف واتفاق حول البعض الآخر • وكان احد مراجعيّ كاهنا وكان الآخر مثقفاً دينياً ومن عائلة كهنوتية • وهنا ادون كلا التفسيرين بسبب عدم اتفاقهما :

آ ـ اعلى الجميع وهو الكمال والنور والحياة وبدء ونهاية كل شيء •
با ـ اب ، الاب الاعلى •
گا ـ گوريل شليهه ـ جبرائيل الرسول •
دا ـ دِركه ـ السبيل أو القانون •
ها ـ (١) هيّ ربى ـ الحياة العظمى •
(٢) هيل زيوا •
وا ـ • ويلى (تكتب ويله ـ ويل لمن لا يصغى للغة الحياة)
زا ـ زيوا وتعني الكلمة الاشعاع والنور الفاعل • والحرف رمز لصـــورة

الشمس فوق الافق أو للشمس كواهبة للحياة .

هه ـ وهذا الحرف مقدس لدرجة انه لا يستعمل كثيراً ، وهو يمثل عين الله ، وهذا تفسير غير كاف . ويستعمل هذا الحرف فقط كملحق لصيغة الشخص الثالث المفرد . يقول نولدكه : « نعلم منذ القديم ان انباط العراق الذين يمكن ان تنسب المندائيين اليهم ايضاً ، كانوا يلفظون حرف « ع » وحرف « ح » بشكل تشعر معه انهما غريبان على لسانهم » . ويأتي الحرف في نهاية الكلمة ويعنى « له أو لها أو لهم » في حالة المفعول به ، وينطق على التوالي : « هي . أى . ها . آ » . ويكتب غالبا ذيلا للألف غير ان شكله الخاص بيضوي .

طا ـ (١) طاب ـ طيب أو حسن .

(٢) ـ مشتق من طير الذي يمثل الروح وهي تعود حين تفارق الجسد (تعود الى عالم النور) . ومن الواضح ان هذا الحرف يمثل صورة الطائر محلقاً رمزاً للروح المنعتقة ، ف « مانا » تحرك جناحيها عائدة الى « مانا العظيم » . والطاء في اكثر النقوش السامية هي « طائر » .

ولنقتبس هنا ترنيمة من كتاب « كنزه ربه ـ جهة اليسار » تتعلق بعودة الروح البهيجة بعد الموت :

« استوطنت البحار »

« الى ان نبت لي جناحان »

« والى ان اصبحت مخلوقا مجنحا »

« والى ان اصبحت مخلوقا مجنحا رفعنى جناحاى الى موقع النور »

وكلمة (طس) لدى الصابئين تعنى (يطير) الا ان المعنى الاكثر استعمالا ليطير هو (يهر) .

يا ـ (١) يومونو ـ اليوم

(٢) يامن ـ اليمين

واليمين رمز للنور ، واليسار رمز للظلمة ، كمـــا ان اليمين للكائن واليسار للذي لا يكون .

كا ـ (١) كليله ـ اكليل الآس .

(٢) كشطه ـ الحق او عمل الحق .

لا ـ (١) لشان ـ لسان ، يتحمد .

(٢) آله ـ العالم ، وهو خطأ بيّن .

ما ـ مانه ربه كبيره ـ العقل العظيم الاول أو الروح .

نا ـ نهوره ـ نور .

سا ـ سيمات هيى ـ ام جميع الحياة .

اى ـ أَينْ ـ العين أو عين الماء ، وهو ليس حرفاً حلقياً لدى الصابئين بل هو مجرد حرف مد .

يا ـ ييره انات هيى . (وقد ترجمها كاهن هكذا : انت شجرة الحياة . وانا قترحت ان يكون معناها « فاكهة » ، غير ان جميع الحاضـــرين اصروا على انها شجرة . وانات هيى تعنى عند ليدز يارسكى كائناً روحياً انثوياً وينطقها : « اناث هيى » .

(انظر براندت الدين المندائي ص ٢٣) (Brandt)

حول المعاني المختلفة لكلمة « ييرا » .

صا ـ صوت أناتْ قدْمايى ـ انت الصوت الاول .

قا ـ قال انات قد مايى دهيى ـ انت قول الحياة الاول .

را(*) ـ

شا ـ شامش ـ الشمس .

تا ـ توبه ـ التوبة .

أد ـ وهذا يعتبر حرفا دائماً ، مع انه اداة اضافة .

آ ـ انظر الحروف الاول .

وهذه الالفباء هي بذاتها شرح موجز حول تقاليد ومعتقدات الذين يستعملونها الا ان تحليلها يجب ان يترك لطلاب النقوش السامية المهرة .

(*) لم تضع المؤلفة معنى لهذا الحرف وحين سئل الشيخ عبدالله الشيخ سام عن معناه اجاب ان معناه « ريش » اي رئيس .

الحروف الابجدية

المندائية	العربية
	آ
	بَ بِ بُ بْ
	گَ گِ گُ گْ
	دَ دِ دُ دْ
	هَ هِ هُ هْ
	وَ وِ وُ وْ
	زَ زِ زُ زْ
	هه
	طَ طِ طُ طْ
	يَ يِ يُ يْ
	كَ كِ كُ كْ
	لَ لِ لُ لْ
	مَ مِ مُ مْ
	نَ نِ نُ نْ
	سَ سِ سُ سْ
	إي
	پَ پِ پُ پْ وتلفظ ايضاً « ف »
	صَ صِ صُ صْ
	قَ قِ قُ قْ
	رَ رِ رُ رْ
	شَ شِ شُ شْ
	تَ تِ تُ تْ وتلفظ احيانا ثَ
	إدْ و آ

نموذج من الحروف بعد ربطها بالحركات

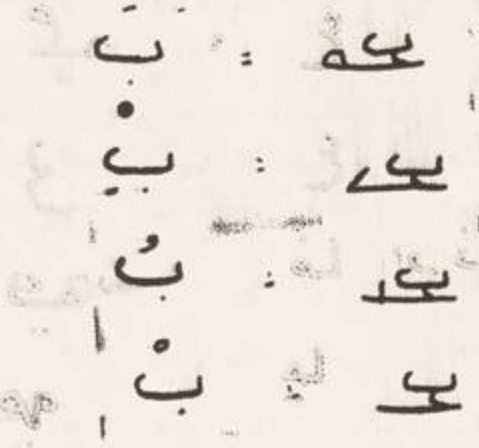

نموذج من الحروف مع الحركات التي لا يجوز اتصالها

حروف تكميلية(*)

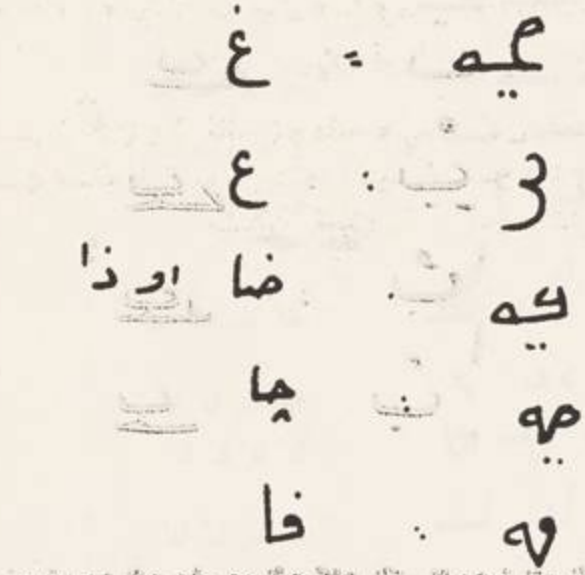

(*) ادخلت على الحروف في عصور متأخرة لتساير التطور وهي ليست مستعملة في الكتب الدينية بل يقتصر استعمالها على الكتابة في اغراض الحياة العامة أو في الشروح على الكتب الدينية .

الحروف المندائية وقيمتها العددية(*)

الحرف		القيمة العددية	الحرف		القيمة العددية
آ	=	١	سو	=	٦
بو	=	٨	با	=	٩
كى	=	١	ب	=	٨
دا	=	٥	ضو	=	١٢
د٥	=	٤	قى	=	٢
هو	=	١١	را	=	٩
وى	=	٤	ر	=	٨
زا	=	٨	شو	=	٦
زه	=	٧	تى	=	٢
طا	=	١٠			
ط	=	٩			
يو	=	٤			
كى	=	٦			
لا	=	٧			
ل	=	٦			
مى	=	٢			
نا	=	٣			
ك	=	٢			

(*) الحقنا هذه الصفحة بالفصل لعلاقتها بالابجدية .

ـ ملاحظات حول الفصل الرابع عشر ـ

١ ـ يشار الى ان حرف « إد » والحرف الاخير « آ » قد وضعا لجعل العدد فلكياً ، اي اربعة وعشرين حرفاً .

٢ ـ الشكل (٥) يسمى « حلقه » (حلقةْ) و (>) يسمى « عكسه » و (ﻫ) يسمى أوشينا ، ويكتبونه مع الهاء هكذا (ﺳﻪ) وتلفظ هوشنا ، ومع الكاف وتلفظ كوشنّه .

مـلاحق

بعض الطقوس اليومية للصابئين باللغة المندائية ومعناها التقريبي باللغة العربية .

مقتبس من كتاب « كنزا ربا » في بعض صفات الخالق جل شأنه :

نص المقتبس باللغة المندائية

- ١ -

(النطق بالحرف العربي)

ماري	دكيه
مشبه	بلبه

مْشَبَّتْ ماري بلِبَّه دَكّيه

مارَيْهون إدْ كُلْهونْ آلمي مْشَبَّتْ

إبْرَخْ ومْشَبَّه ومْرَوْرَبْ وميقر

ومْقَيَّمْ ألَهَ ربّا رامَه

وَشْبِيهه مَلْكا رامَ دَنْهورا

ألَهَ دِشْرَارَا إدْ إنْفَشْ هَيْلي

وساخا لِشْلِي زيوا دَخْيه ونْهورا

ربّا إدْ لا باطِل ، هَياسَا وتَيابا

وريوانا و مِرْهَمانا بَرُوقَا

إدْ كُلْهونْ مْهَيْمِنِي و مْقيماني

إدْ كُلْهون طابي • أزيزا ، هكيما

ويدويا ، هزايا وشَلِيطا ، إدْ إلْ

كل إسْبو • مارَيْهون إدْ كُلْهونْ

آلمي دَنْهورا إيلايا ومِيصايا

وتِيثايا برصُوفا ربّا دِ

إيقارا إدْ لا مِيتْهَزي ولا مِيتْنَحْ •

- ١ -

(المغني)

آلهي طاهر

سبحان بقلب

سبحان ربي ، بقلب طاهر ،

إله كل العوالم ، سبحانه

مبارك هو ومسبح ، معظم ومبجل

ودائم ، الله العظيم المتعالى

سبحانه ملك عالم الانوار السامي

رب الحق ذو الحول الشامل

الذي لا شبيه له • النور النقي ، والخير

العميم الذي لا يغضب • الغفور التواب ،

الرحيم الرحمان ، العارف

بجميع الطيبين ، العزيز الحكيم ،

العالم البصير ، القادر على

كل شيء • رب كل

عوالم النور ، العليا والوسطى

والسفلى • ذو الجلال

العظيم الذي لم يُرَ ولم يُسْمَع •

(النطق بالحرف العربي)

- ٢ -

هَيتي ربّي

١ - إشم إدْ هيي واشم اد مندا دْهيي مدخر إلي

- ٣ -

رواهه اد هيي

٣ - بشميهونْ إدْ هيي ربي لوْفه و رواهه إدْ هيي

٤ - وشافقْ هطايي نهويلي إلهازه نشيبْته إلديلي (الملواشه)

٥ - إدْ هازه مسيخْته وشافقْ هطايي نهويلي

- ٤ -

يلّط بندامه

٧ - ملّل وابته هيي ربّي إيمْيهون زيوه وانهوره وايقاره إدْ نافشيهون ومشبّين هيي

- ٥ -

الرشامهْ

٩ - إبْرخ يردنه اد ميه هيي مْشبه مارى كشْطه سنّخون

١٠- بشْميهون إدْ هيي ربي أسونهْ وز كونه نهويلخ

١١- يا آبْ أبوهنْ ملكا بريا ويس يردنه ربّه اد ميه هيي

١٢- بشميهون إدْ هيي ربي هللينْ ايدن بكْشطه واسْفنْ بهينونه

١٣- مللينْ إسْمالى اد زيوه وإزهيي طبّن بصْرى دنهورهْ

١٤- إبْرخ إشمخ و مْشبّه اشمخ مارى مندا دْهيي ، إبْرخ

١٥- و مْشبه هاخ يرصوفه ربّه ديقارهْ اد من نافشي إفْرشْ

(المعنى)

- ٢ -

الحي العظيم (تماثل البسملة)

١ - اسم الحي واسم منداد هيي منطوقان عليّ

- ٣ -

رحمة الرب (الفاتحة)

٣ - باسماء الحي العظيم المغفرة والرضا

٤ - وغفران الخطايا ، تهدى لروح (الاسم الديني)

٥ - صاحب هذا الثواب ولتغفر له خطاياه

- ٤ -

فك اللثام

٧ - نطق وابتدأ الحي العظيم وألقى بافواهكم النور والصلاح والوقار لانفسكم وسبحان الحي

- ٥ -

الوضوء

٩ - تبارك الماء العظيم ماء الحياة سبحان الهى ، احفظ عهده

١٠- باسماء الحي الرب العظيم ، سلام عليك

١١- يا أبا الاباء ملك يرياويز ، الماء العظيم ماء الحياة

١٢- باسماء الحي العظيم أطهر يَدىّ بالعهد وشفتي بالايمان

١٣- لينطقا بكلام النور وليكن ضميري نقياً مؤمناً بالصلاح

١٤- تبارك اسمك سبحانك ومسبح اسمك يا إلهي ويا منداد دهي ، تبارك

١٥- وسبحانه ذو السيماء الجليلة الذي انبعث من ذاته .

(تابع الرشامة)

١ ـ انا (الملواشه) رَسَيمْنَا برُوسْمَه إدْهَيَ إشم اد هيي واشم اد مندا اد هيي مَدْخر إليَ

٢ ـ (تلاته زِبنى) إدْني شُمَنَ قالَ إدْ هيي

٣ ـ (تلاته زِبنى) إنْهيري إرَهْ رِيهَا اد هيي

٤ ـ روشْمَيْ إيلاوِى لِهوَ بنورَه ولهوَ بمشَه ولهو إد مْشِيه

٥ ـ إمشي روشْمَهْ بِرَدَنه ربه اد مَيَه هيي اد أنَيْشْ

٦ ـ بَهيلي لامْصي اشم اد هيي واشم اد مندا دهيي مَدخَر إلي

٧ ـ كَفَشْ هَشُوخَه واتَرَس نُهورَه ، اشمَ اد هيي واشمَ اد مندا ادهى مدخرَ الي

٨ ـ (تلاته زبني) يُمَّي بُوثا وتَشِيه تَمَلاْ

٩ ـ (تلاته زبني) بُركِي مربْكا وباغدِى الهي ربى

١٠ـ (تلاته زبنى) لُغْرِى مدريكا دِرْكَه كُشطَا وَهيمنُوثَه

١١ـ انا (الملواشه) صَينا إبمَصُبْتَه إدْ بُهرام رَبَه بَرْ رووبى

١٢ـ مَصْبِتي تاطرى وتِسَّقْ لَرَيشْ اشمَ اد هيي واشم اد مندا دهيَ مَدخر الي

١٣ـ لُغْرِى ايديهون شُفَه وترسر لا تشْتَلَطْ إلي اشم اد هيي واشمْ اد مندا ادهي مدخر إلي .

(المغسّى)

١ ـ انا (الاسم الديني) ارتسم برسم الحياة اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان عليّ

٢ ـ (ثلاث مرات) اذناى تصغيان لقول الحي

٣ ـ (ثلاث مرات) أنفي يستروح رائحة الحياة

٤ ـ رسمي الذي ارتسم به لاهو بالنار[1] ولا هو بالدهن ولا هو بالمسح

٥ ـ انه مرسوم بالماء الجاري ، ماء الحياة ، الذي لا يجحد الانسان

٦ ـ قدرته اسم الحي واسم مندا ادهيي منطوقان عليّ

٧ ـ ابتعدى ايتها النجاسة والى ايها النور ، اسم الحي واسم مندا ادهي منطوقان علي

٨ ـ (ثلاث مرات) ليمتلىء فمي بايات التسبيح

٩ ـ (ثلاث مرات) ركبتاى ساجدتان للحي العظيم

١٠ـ (ثلاث مرات) رجلاى سالكتان طريق الايمان

١١ـ انا (الاسم الديني) قد تعمدت بعماد بهرام الكبير ابن القدرة

١٢ـ عمادي يحرسني ويرفعني الى العلا اسم الحي واسم مندا اد هي منطوقان عليّ

١٣ـ ليُرفع عن رجلي ويدي تسلط السبعة والاثني عشر اسم الحي واسم مندا ادهي منطوقان عليّ .

---

(١) يقصد بالنار المجوس ، وبالدهن اليهود (موسى) وبالمسح المسيحيين ، اي انه مندايي صابئي .

- ٦ -

البَراخَه

- ١ -

٢ - إكَّه هيي ، إكَّه ماري ، إكَّه مِتَدا إدْ هيي

٣ - بسَهْدونَه اد هيي وبْسَهدُونه إدْ مَلكا رامه دنهوره

٤ - إله إدْ مِنْ نَافشي إفْرَشْ ، إد لا بَاطَل ولا مبَطل إشمَخ

٥ - يا هيي وماري ومندا اد هيي

- ٢ -

٦ - مستَبَّهْ ماري كشطاستَخَون بِشْمَيهون إدْ هيي رَبّي

٧ - قَومْ قَومْ بهيري زِدقَهْ قَومْ شَلماني ومْهيَمني قَومْ

٨ - إسْغَدْ وشَبَه الهيي رَبّي وشَبَه المَلكا شيشلام

٩ - رَبّه ، وشَبَه إلْتَنَّه كَسْبَه هامْ زِيوه ، وشَبَّه الياوَر

١٠- رَبّه وازلات رَتي ، وشبّه السيمات هيي اد مِنهون

١١- كلهون آلمي وشَبه الأيْنَ وسِندَرْكا إد أبا اد أثرِي

١٢- إدْ مِنْ هُوْ أنا سَغَدْنالي وَشبّنالي الهاهو ملكا رَامه

١٣- رَبّه دَنهورَه هَياسَهْ إدْ إمْلي رهمي .

(المعنى)

- ٦ -

- الصلاة -

- ١ -

٢ - موجود الحي موجود مارى موجود مندا اد هيي

٣ - بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الانوار

٤ - الاله الذي انبعث من ذاته ، لا باطل اسمك ولا مبطل

٥ - يا حي ، يا مارى ، يا مندا اد هيي

- ٢ -

٦ - سبحانك ربي ، عهداً احفظه باسماء الحي الرب

٧ - قوموا قوموا بخيري متصدقين ، قوموا اتقياء ومؤمنين ، قوموا

٨ - اسجدوا وسبحوا للحيي العظيم ، وسبحوا للملك شيشلام

٩ - العظيم ، وسبحوا لذي الاسرار الخفية الربانية ، وسبحوا لياور

١٠- العظيم ولازلات الكبير ، وسبحوا لسيمات هيي الام التي منها

١١- كل العوالم ، وسبحوا للعين والنخلة ولابي الملائكة

١٢- الذي منه نشأوا ، انا نسجد ونسبح لملك عالم

١٣- الانوار الرؤوف الرحيم

- ٣ -

١ - بِشْمَيهون اد هيي رَبّي إلْهيي سَعَدْنا والمارى ومندا
٢ - اد هيي إمْشَبِنَا ، والهاخ يرصوفَه رَبّه دِيقاره إدْ مِنْ نافشي إفْرَش

- ٤ -

٣ - كُشطاسَنخون بِشمْيهون اد هيي رابسى مِنْ آلمي دَنْهورَه يتيري
٤ - إد إيلاوى كُلهون إيقادي ، أسْونه وزكُونه هيْلَه واشراره
٥ - إيمْرَه وشيمَهْ هَدوَتْ لِبّه وشافق هَطايي نهويلى
٦ - (الملواشه) إبهَيلى اد ياور زِيوه وسيمات هَيّي

- ٧ -

- البراخه - (ظهراً)

٨ - بِشمَيهون إدْ هيي رَبّي ، انا انهيي قَدمَايي سَعَدنا والمارى
٩ - ومندا اد هيي إمْشَبَنه والهاخْ يرصَوفَهْ رَبّه ديقاره ادمن
١٠- نافشي إفرش

- ٨ -

- البراخه - (مساء)

١٢- بشميهون إدْ هَيي رَبي إيدان إيدان اد رهمي ماطي ، وايدان
١٣- إدْرَ بوائي ، إمْطَ ميراني ، هيل دار شـايي ، شِيتَل رامَ إنيانى
١٤- أنْشْ صابى إمْصَبْتا شلْمَي وإمْقَيمانِي إد بَوانه نَدْبَي .

(المعنى)

- ٣ -

١ - باسماء الحي العظيم للحي سجدنا ، ولماري ومندا اد هي
٢ - سبحنا ولذي السيماء الجليلة الذي انبعث من ذاته .

- ٤ -

٣ - عهدا نحفظه ، باسماء الحي العظيم الجالس على عرش عالم الانوار

٤ - رب جميع الاعمال ، السلام والزكاة لذي الحول والحق
٥ - ذي الامر والنهى ليهدى عقلى ويغفر خطاياي انا
٦ - (الاسم الديني) وبقوة ياور زيوا وسيمات هيي

- ٧ -

- الصلاة - (ظهراً)

[تتلى الصلاة رقم -١- الصباحية ويضاف اليها ما يأتي]

٨ - باسماء الحي العظيم ، انا للحي القديم سجدنا ولمارى
٩ - ومندا اد هيي سبحنا ولذياك المحيا الموقر الذي
١٠- انبعث من ذاته

[تقرأ بعدها الصلاة رقم -٤-]

- ٨ -

- الصلاة - (مساءً)

١٢- باسمائك الحي العظيم ، الأذان الاذان ، وجب اداء الرحمة ،
١٣- وتلاوة السور فجبريل عالم بالساعة وشيتل يتلو الآيات

١٤- كل متعمد بالعماد يسلم ويتقيم بالسور المتلوة .

(تابع البراخه مساءً)

- ٢ -

١ - بِشمَ إِدْ هيي رَبّي إِلْهيي سَغَدنَا والمارى ومندا اد هيي

٢ - وإِمْشَبَنَّه إِلهاخْ بَرصُوفَه رَبَّه دِيقَارَه اِدْ مِن نافشي اِفْرش

- ٩ -

- الطَّماشَهْ -

٤ - بِشمَ إِدْ هَيّي وإِشمَ اد مندا اِدْ هيي مَدخر اِلى انا

٥ - (الملواشه) صَفَيت إِبمَصبتَه إِدْ بُهرامْ رَبَّه بَرْ رُورْبى مَصفِتّي

٦ - تِناطرِي وَتِسَقْ لَريشْ ، اشمَ إِدْ هَيي وأشمَ اد مندا ادهى مدخر الي

- ١٠ -

النساخه

٧ - بِشمَ إِدْ هَيي وَبشمَ ادْ مندا اد هيي مَدْخَر إِلَخْ إِبشَاهيل

٨ - قَرْيَخْ هِيلْ زيوه فَقَدْ إِلَخ مِينَخْسَخْ بِسَرخْ دَخيَه ونهيي .

٩ - كُل مَنْ إِدْ آخل مِنَخْ نِيتَسي ونِتقَيَم إِشمَ اد هيي واشمَ

١٠- إِدْ مندا اد هيي مَدخَر إِلَخْ .

- ١١ -

التَهْلِيلْ

١١- بِشمَ اد هيي واشمَ اد مندا اد هيي مَدخر إِلي نَسَختْ إِبرَزِلَه وَهَلَلتْ إِبيَردِنَه انا نَخاسَه ومارى هَياسَه .

(المعنى)

- ٢ -

١ - بسم الحي العظيم ، للحي سجدنا ولمارى ومندا اد هيي

٢ - وسبحنا لذياك الوجه الموقر الذي انبعث من ذاته

[تقرأ بعد ذلك الصلاة الصباحية رقم ٤]

- ٩ -

- الاغتسال -

٤ - بسم الحي واسم مندا ادهي منطوق عليّ انا

٥ - (الاسم الديني) تعمدتُ بعماد بهرام الكبير ابن القدرة ، عمادى

٦ - يحرسني ويرفعني الى العلى ، اسم الحي واسم مندا ادهي منطوق علي

- ١٠ -

الذباحة

٧ - بسم الحي واسم مندا ادهي منطوقن عليك إيثاهيل

٨ - ناداك وجبريل تفقدك ، ذبحك طاهر العافية والقوة تمنح

٩ - لكل من يأكل منك اسم الحي واسم

١٠- منداد هيّي منطوقان عليك .

- ١١ -

التحلل من خطيئة الذبح

١١- بسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان عليّ ، ذبحت بالحديد وغسلت بالماء الجاري انا الخاطىء والهي الغافر .

(تابع التهليل)

١ - إشْرِلّي وِشْفَقِلّي هَطايِي وهَوْبِي واسْخَلائِي
٢ - واتقلائي وشَبَه شائِي ، إلدِيلي (الملواشه) اشم
٣ - اد هيي وإشمْ اد مندا اد هيي مدَخَر إلي

- ١٢ -

اللوفانى

اسوئه اهويلخون

اسوائه الهيي نهويلخ

بشم إدْ هَيَي وِبشمْ اد مندا إدْ هَيَيَ مْدْخَر إلخ ، يا طَابَه تِتقَبّلْ طَبُوثَه إدْ هيي ، وَطَبُوثَه إدْ هَيَي ومندا اد هيي ، بِهِلّه أدَلْشوم هيي إبْله ، طابْ طابَهْ الطابى واتْرَسْ كِنيَانَه الرهمى ، اشمي وَنبّي وَنِشْكَه وَنُمرّ ونَشتمَه ، بِينْ وأشِكنّين وامرنّين واشتمنين من قُودَامَخْ دِيلَخ مارى مندا اد هيي ، مار يَهَوْنْ إد أسَوَائَه إشْفَقلّي هَطايي وهوبى وإسْخَلائي

واتقلائي وشَبَه شَائِي وإلَن إدْ هَازَنْ لَهمَه ومَسخَنَه

وَطَبُوثَه أبَد هَطايي وَهوبى وإسْخَلائي واتقلائى وشَبَه شائى نِشفَقْلِي ماري مِنداد اد هيي رَبّى قدمايي والمارى .

(تابع التحلل من خطيئة الذبح)

(المعنى)

١ ـ اغفر لي خطاياى وحوباتي واغلاطي وذنوبي

٢ ـ ومساوىء انا (الاسم الديني) اسم الحي

٣ ـ واسم مندا ادهيي منطوقان عليّ .

ـ ١٢ ـ

طعام الغفران

السلام عليكم [القاريء]

سلام الحي عليك [الطاعمون]

بسم الحي واســـم مندا ادهي منطوقان عليك ايتها المائدة تقبلـــي طعـــام الحي وطعـــام الحي ومندا ادهي ، لقد اقيمت باســـم الرب الرحمة للقائمين بهـــا ولتملأ الرحمة قلوبهم باسمك

نطلب فنجد ونؤمر فنسمع ، لقد طلبنا فوجدنا وامرنا

فاصغينا في حضرة مارى ومندا ادهيي سيد

الشفاء اغفر له خطاياه وحوباته واغلاطه

ومساوئه وذنوبه واغفر لأولئك الذين هُيأ لهم هذا

الخبز وهذه النعمة واغفر لهم خطاياهم وحوباتهم واغلاطهم ومساوئهم

وذنوبهم يا سيدي مارى مندا ادهيي العظيم القديم .

(تابع اللوفانى)

أدِغْره وأزِدْفَه الهازَه نِشِمتَه الديلى (الملواشه)
الآب والايم والربّى والزوَي والشِتْلي والترميذى
وإلَنْ اد هازه لَهمَه وطبُوثَه ، ايرمون ديلخون
أَبهائي وروباني ومَلفَاني واسفيراني كَتْ إسميَختَون
من اشماله اليمه وشافق هطايي نهويلخون وتيمرون
وقيامين هيي بشخناثون ومَشَين هيي وهيي زَكَنْ
وكلهون ايقادِي ، لوفَه وارواهَه اد هيي نهويلخون .

(تابع طعام الغفران)

واغفر للذين اعطوا الصدقات وعملوا الصالحات ولهذه الروح
(الاسم الديني) صاحب هذا الغفران ، واغفر خطايا ابي وامي
ومعلمي وزوجتي وابنائي وعلمائي ولصاحب هذا الخبز وهذه النعمة
واغفر خطايا ابائي واساتذتي ومؤدبي الذين اسميتهم
وارفعهم من الشمال الى اليمين لتغفر خطاياكم ولتقوموا
للحي بمعابدكم مسبحين لله ومزكين له
ولكل العباد الغفران والرحمة .

- ١٣ -

قائمة بالاسماء التي تعتبر ميمونة للمواليد في ظروف معينة مع قيمتها العددية

[انظر الملاحظة ص ١٤١]

القيمة العددية	(١) الاسماء (للرجال)
١	رام ، يُهانه ، زيهان وماهان (چيهان) زيوا دَيمور
٢	زاكى ، زهرون ، بهيرا ، بهداد ، باينى ، زازاى ، هرمزدكت
٣	يهاميمون ، سِيوِى ، قيَّم ، سك ليڤى (سكويي)
٤	بابيان ، بلبل ، سكوة - ياور (سُك - ياور) بوالفرج
٥	سام پاييش : راموى ، شاپور ، سابور ، شاد - مندا
٦	بهرام ، شيتل ، سَرْوان ، قيَّم ، تِيبَتْ ، زندانا • بريخ ياور ، زاكى - ياور
٧	مهتم ، بهرام ، سندان ، مالى ، (ميلى)
٨	شايار ، زيوا ، شادان (شادن) • نَطَّر
٩	أُنُش ، هيل ، رزبى ، ساموى ، نَطَّر
١٠	ادم ، بختيار ، ، بَطْيه زكرى
١١	بر - هيي ، شِتلَن (هيي شتلن) نصاب ، زنگي
١٢	گدانا شِيلوى •

القيمة العددية	(٢) الاسماء (للنساء)
١	هَوْه ، دهگان ، شكِنْته ، هيّونه ، مدينات ، ماموي
٢	شارت ، سمره ، پِشَنه
٣	شادِي ، ياسمَن ، رهُميته ، هَيَّه ، دايه ، دخته ، هندان
٤	مُدَلَّل ، رهيمه ، مهريزاد
٥	انهر ، گيزاريل (گزريل)
٦	مهنوش ، بانانا ، دينارئى ، قَمريته
٧	سيمث ، مروارى ، بوران ، دمونا هيي
٨	سيمث ـ هيي ، سَنديته ، شَهمْي
٩	قُنته انات ـ هيي ، كِسنَه ، رهمات ـ هيي
١٠	ممانى ، مرگَنيتَه ، قَيمَت ، زادى ، سوته
١١	موروارد ، مانو ، قنته ، فيوى ، (پيوى)
١٢	بيبي ، مَليحه ، نرگس ، بيصام .

جدول بالايام التي يحرم فيها الذبح

(مبطلة)

الشهر	اليـوم
١ - شباط (شهر العيد الكبير)	من ١ الى ١٤ و ٢٢
٢ - آذار	٢٥
٣ - نيسان	. . . . .
٤ - آيار	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤
٥ - سيوان	. . . . .
٦ - تموز	٩ ، ١٥ ، ٢٣
٧ - آب	. . . . .
٨ - ايلول (شهر البنجه)	٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ (الايام الخمسة التي تسبق البنجه)
٩ - تشرين	١ (بعد البنجه مباشرة)
١٠- شروان	. . . . .
١١- كانون	٢ (اليوم الاول منه عيد دهقه دِمانه)
١٢- طابث	٢٨ ، ٢٩ (كنشي وزهلى في اليوم الثلاثين منه)

- ١٥ -

كلمات مندائية ورد استعمالها كثيرا في الكتاب

- آ -

اثرا [ج اثري] • ملاك • روح نورانية •

أرَه تيبل • الارض • العالم السفلى [البالي] •
آلمـه • عالم • دنيا

انديرونا • كوخ من اعواد القصب يقام في عقد المهر وتكريس الكاهن
انكرتا • [انكرثا] • رسالة •
انهورا [نهورا] • نور • جيد

اهافا داماني [هافا داماني] • منح الكساء • نوع من الصدقات على روح المتوفين بدون الملابس الدينية • نوع من الزدقه ـ بريخه
اهشوخه [هشوخه] • ظلام •

- ب -

براخه • صلاة • دعاء تبرك •

برزله • حديد •
برزنكه • عمامة •
بريهي • وعاء النار (من الطين) •
برونايا • اسم آخر للبنجه « البنجه » •
پنجه • عيد من اعياد الصابئين وهي خمسة ايام كبيسة •
پغره • جسم • جسد
پندامه • لثام

بوثه • دعاء • سورة

بهته • الخبز المقدس

- ت -

ترميذه (ترميده ، ترميدي) • اولى درجات الكهانة

- ح -

حلالي • فرد صابئي طاهر طقسياً •

- د -

دخرانا [ذخرانا] • تذكر • ذكرى • قربان

دراشه • دراسة • تعاليم

دراشه إد يهيا • تعاليم يحيى

درفشه • علم • شعاع ضياء

ديوى [ديفي] • روح شيطانية

- ر -

رُبي • كبير • عظيم • استاذ

رسته • الملابس الدينية

رشامه • الطهار الصغرى • الوضوء

رطنه • اللغة العامية الصابئية وهي خليط من المندائية والعربية والفارسية •

روهه • روح شريرة تجسد المادة والحياة الطبيعية •

رهمي • دعاء تمهيدي لطلب الرحمة •

ريش • رئيس

ريش أمه • رئيس أمة

- ز -

زدقه بريخا • صدقة مباركة

زرسته • نوع من التعاويذ

- س -

سدره • قميص • صُداري

سكين دوله • سكين من الحديد تصلها سلسلة حديدية يختم عليه نقوش حيوانات وزواحف وحشرات •

سندركه • نخلة°

سَين [سُرَه] • القمر

- ش -

شامشَ • الشمس [الملاك الموكل بالشمس]

شختته • مسكن • موطن • بيت العبادة

شرواله • سراويل

شكنده • مساعد • مراقب • شاهد

شولْيَه • مرشح لدرجة ترميذه

- ص -

صا • رقاقة من الخبز اسطوانية الشكل

صابي • مغتسل • متعمد

صُبّي • اسم تطلقه العامة في العراق على الصابي

- ط -

طبوثه • نعمة • طعام •

طريانه • خوان من الطين توضع فوقه الشعائر الطقسية و « الطبوثه » •

طور • جبل

طور إدماداي • جبل المندائيين •

ـ ف ـ

فطيره [ج فطيرى] • الخبز المستعمل في الطقوس •

ـ ق ـ

قابين • عرس • زواج

قاوقه • وعاء للبخور

قلسته • اناشيد وتراتيل الزواج

قَنينه • قِنّينة • دورق

قَينة • قصب

ـ ك و گ ـ

كبثه • إناء معدني صغير لشرب الماء المقدس

گداده • قطعة من الخام الابيض تستعمل لاغراض عدة •

كسويه (سدره) • قميص

كُشطه • ميثاق • عهد

كنثه [كمِثه] • صندوق من الطين يحل محل الطريانة في بعض الأحيان

گِنْزَفره [گنزوره] • درجة كهنوتية اعلى من درجة « ترميذه » •

كليله • اكليل [من الآس] •

ـ ل ـ

ليلِثْ • جنيّة •

لوفانى • وجبة طعام على روح الميت •

– م –

مُبَطّل • يوم نحس لا يحل فيه الذبح ولا اي طقس من الطقوس الدينية •

مَركَه • صولجان • عصا [من خشب الزيتون في الاغلب] •

مَسِخْته • غفران • قداس على روح الميت أو من هو بحكم الميت •

مشخته • مسكن • موطن

مشيهه • المسيح

مشوني كشطه • عالم وسط بين عالم الانوار والعالم الدنيوي •

مصبُته [مصفته] • تعميد • معمودية •

مَطَرْتا [ج مَطَرائى] • مطهر للعقاب في الآخرة •

ملكا • ملك ، ملَك نوراني •

ملواشه • الأسم الديني •

ممبوهه [ممبوغه] • الماء المقدس

مندا [مندي] بيت العبادة

مندلته [مندلثه] • نصب ثلاثي من القصب يقام لدى الوفاة يتخطاه حملة الجنازة •

ميسره [ج ميسري] • حد فاصل •

– ن –

ناصيروثا • علم الكهانة والتبحر بها •

ناصورائى • كاهن اتقن « الناصيروثا »

نشمثه • نسمة

نَصيفه • طبرشيل • وشاح من الخام الابيض
نيارا • كاسة معدنية

- ى -

يلوفا • فرد صابئي مثقف دينياً بدون درجة كهنوتية

- هـ -

همره • خمر [عصير من العنب والتمر]
هميانه • زنار
هيّي • الحي • الحياة • من اسماء الله جل شأنه •

فهرس عام

- أ -

أب ، ٩٧ ، وكيل العروس ، ١٢٧ ، ١٣٠ .
اباثر ، ديوان ، ٥ ، ٢٧ ، ٣٤ ؛ ٧٣ ، ٧٤ ، ١٣٣ ؛ بوابة ، ١٥٣ ؛ موزانيا ، ١٥٩ ؛ راما ، ١٥٩ ، ١٧٨ ؛ موازين ، ٢٨١ ؛ بيت ٣٠٤ ؛ بن بهرات ٣٠٧ .
ابثاهيل (بثاهيل) ، ١٠٠ ، ١٣٣ ، ١٥٩ ، ١٩٥ ، ٢١٤ .
الابجدية ، المدائية ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .
ابراهيم ، الكبير ، ٨ ؛ ملة ، ١١ ؛ بن زهرون ، ١٦ ؛ الخليل ٢١ ؛ دين ، ٢٢ .
أبسو (ابزو) ، ٢١٩ .
ابن القفطي ، ١٧ .
ابن النديم ، ١٠ ، ١٧ .
ابو حنيفة ، ١٧ .
ابو يوسف ، ٣ ، ٤ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .
ابهاثن (بهاثن) ، ٤٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ؛ دعاء ، ٢٣٨ ؛ قدمايي ، ٢٧٦ ، ٢٩٣ ؛ الاسلاف ، ٣٠٧ .
ابهار ، ١٤٤ .
ابيسق ، ١١٧ ، ٢٥٠ .
أتري ، ١١٢ ، ١٥٨ .
الآثوريون ، ٥٨ .
الاحناف ، ١٢ .
أدابا ، ١٨٩ .
ادريس ، ٣٥ ، ٥٠ ، ١٥١ .
آدم ، ٢٠ ، ٣٥ ، ١٩٩ ، ٢٨٢ ؛ بن قن ، ٣٠٧ .
أدوناي ، ٢٧ ، ٣٤ ، ١٣٦ .
أدونيس ، ١٨٩ .
الآراميون ، ٩ .
الارباشية ، ٢١٩ .
أربيل ، ٩١ .
أرد ، فيشورا ، ٣٧ .
الاردن ، ١٥ ، ٣٥ ، ١٩٦ .
أردنه ، ٣٥ .
اردشير ، ٢٧ .
اردفى ، سورا ، ٣٢١ .
اردوان ملكه ، ١٥ ، ٤٥ ، ٤٧ ،

٤٨ ، ٤٩ .
أرسايي ، جبل ، ٤٧ .
أرضانا ، ٢٠٢ .
ارطبانوس ، ١٥ .
ارفان ، ١١١ .
أرقبا ، ٨٨ ، ١٣٤ ؛ برج ، ١٤٤ .
أرمينيا ، ٥٣ .
أروة (عروة) ، ٧٩ .
أريدو ، ٢١٩ .
أريه ، ٨٨ ، ١٣٤ ؛ برج ، ١٤٤ .
أزرق ، لون ، ٢٢٦ .
ازفار ، ١٣٧ .
أزلات ، ١٣٧ .
أزيريس ، ١٨٩ .
الآس ، ٨٦ ؛ صلاة ، ٢٤٩ ، ٢٩٦ .
اسرائيل ، ٤٧ .
اسرحدون ، ١٥٣ .
الاسكندرية ، ١٧ ، ٤٠ .
الاسلام ، ٢٧ ، ٤٥ .
آسيا ، ٢٩ .
الاسينيون ، ٦٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٥٧ ، ١٩٧ .
اشتو ـ ميكو ، ٥٣ .
اشيبو ، ٢٨ ؛ كهان ، ٣٤ ، ٣٥ .
الاغريق ، بلاد ، ٢٩ .
اغناطيوس ، الجزويتى ، ٦٤ .
افاردنا ـ براغاسا ، ١٩١ .
افالون ، جزيرة ، ١١٢ .
الافلاطونية الحديثة ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٥٢ .
افيستا ، ١١١ ، ١٥٧ ، ١٩٤ ، ٢٤٣ .
اكاتانا ، ٥٣ .
الأكديون ، ٢٢٠ .
اكسفورد ، ٢٥٥ .
اكليل ، ٨٤ .
أكيتو ، ١٦٢ .
آلاتو ، ١٦١ .
ألايا ، آله ، ٧٥ .
الالفباء ، ٣٣١ ؛ معانى ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
الف ترسرشياله ، ١٦٧ .
أليشا ، ملكوته ، ٢٢٩ ؛ ديوان ، ٢٢٩ .
امامت ، ابنة قن ، ٤٩ .
امريكا ، ٤٠ .
امين ، احمد ، ٤ .
أناني ، ١٢٦ ؛ انانيا ، ١٥٩ .
انبره ، ١٣٤ ؛ برج ، ١٤٤ .
أنبو (انوو) ، ١٤٠ .
الأنجيل ، ٥٩ .

اندريس ، ٩١ .
الاندس ، وادي ، ٢٨٤ .
انديرونا ، ، ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ٢٢٧ .
انزان ، ٥٣ .
أنش ، ٣٥ ؛ اثرا ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ؛ ابن‌دنقا ، ٤٨ ، ٦١ ، ٧٣ ، ١٤٧؛ كتاب ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٧ .
أنشبي ، ١٦٧ .
انكرتا ، ٨٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٩٣ .
أنو ، ٣١ ، ١٦٢ ، ١٨٩ .
أنهر ، ١٣٧ .
اوديسا ، ١٦ .
أور ، ٨٧ ، ٢٨١ .
اورشليم ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ١٩٩ .
اورمازد ، ١٦١ .
اوروك (الوركاء) ، ١٦٢ .
اوسطليا ، ٧٧ .
اوليري ، البروفسّور ، ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١٦ .
اهرمن ، ١٦١ .
الاهوار ، ١٠ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٦٤ .
اهورا ـ مزدا ، ٦١ ، ١٩٤ .
أيا ، ٣١ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢١٩
ايرادا نوس ، ٣٦ .
ايران ، ٦ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ١٩٢ .
ايزيكيل ، ١٩٥ .
ايطاليا ٤٠ .
ايوا ـ يون ـ غانا ، ٣٢٢ .

ـ ب ـ

البا ، ٢٣٨ ؛ لحم الحمامة ٢٦٩ .
بابل ، ١٤ ، ٢٦ ، ٢٨ .
البابليون ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٥٤ ، ١٩١ ، ١٩٥ .
الباج ، ٢٢٠ .
بادان ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
باديان ، ٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ .
بارا ، ١٩٦ .
بارثيا ، ١٤ ؛ البارثيون ، ٤٩ ، ٦٥ .
الباردیسانیون ، ٢٨ .
بارزا ـ كادا ، ٢١٩ .
البارسوم ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .
البارسية ، ٢٨ ؛ البارسيون ، ٣٧ ، ٦٢ .
بارو ، ٢٨ ؛ كهان ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٢٤١ .
بازند ١٩٣ .
باشه ، عبدالله ، ١٠٥ .

بافي ، ٢٠٥ .
بالس ، ٥٢ ، ٥٩ ، ١٣٩ .
بايتي ـ آب ، ١٩٤ .
پاييز ، ١٤٤ .
بت ـ بي ، ١٩٥ .
بترمان ، ٣ ، ٢٥ ، ٦٤ ، ١٥٤ .
البخور (ريهه) ، ١٧٤ .
براندت ، ٤ ، ٦١ ، ١٩١ ، ١٩٧ .
البرتغاليون ، ٥٧ .
البراخه ، ٤٢ ؛ نص ٣٥٠ .
برخوني ، ٢٥ ، ٤٥ .
برزله ، ٢١٤ ، ٢١٥ .
برزنكه ، ٧٨ .
بركت ، البروفسور ، ٥٤ .
بركش ، ١٠٦ .
پروان ، ٤٦ ؛ جبل ، ٤٧ .
پروانيا ، شرح ، ٥١ ؛ پروناپا ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٩٥ ، ٢١٦ .
پرياويز ، ملكا ، ١٧٠ .
بريهي ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٠٩ ، ٢٦٦ .
البصرة ، ٢٣ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٢٠١ .
البطائح ، ٧ ؛ صابئة ، ١٠ ، ١٩ .
البطحة ، ١٧ .
بعل ، ١٥٨ .
بغداد ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٦٤ .
بغره ، تفسير ، ٧٠ ؛ شرح ، ١٦٧ .
البكري ، محمد حمدي ، ١٥ ، ٥٥ .
بلات ، شارل ، ٨ .
بلس ، ٣١٢ .
البلطيق ، ٣٦ .
بلوجستان ، ٣٠ .
بلياس ، ١٦ .
البنجه ، ١٠٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٠٤ ؛ الموت في ، ٢٦٠ .
البندامه ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٣٤٦ .
البنيه ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
البو (نهر) ، ٣٦ .
بودليان ، مكتبة ، ٦٩ .
بورن ، فان ، ١٩٩ .
بوروز ، ٢١٩ .
بوسيه ، ١٩٧ .
بهشه ، ٣٤ ، ١٢١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،
١٨٧ ، ١٩٥ ، صنع ، ٢٠٦ .
بهرام ، ربه ٨ : الفارسي ، ١٧٢ ؛
دعاء ، ٢٠٥ ؛ يحيى ، ٢٠٦ .
بهير وبهرون ، ١٣٦ .
بهلوي ـ زند ، ١٩٣ .
بياوند ، ٩٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
بيروت ، ٤٠ .
البيروني ، ٢٦ ، ١٥١ ، ١٦٠ ،
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .
بيره ـ ربه ، ١٣٣ .
بيل ، شعائر ، ٣١ ؛ جوبتر ، ٢٨١ .

ـ ت ـ

تابوس ، ١٦٢ .
تار وتاروان ، ١٣٦ .
تاريخ الحكماء ، ١٧ .
التاغه ، ٨٠ ؛ سقوط ، ٨٣ ، ٨٦ ،
١٨٣ .
تافارنيه ، ٣ ، ٢٣ .
تانا ـ فيري ، ١٦٦ .
تاهمي ، ١٦٨ .
تراجان ، ٣١٢ .
تركستان ، ٤٩ .
ترميذه (ترميده) [ج ترميذيّ ، ٣٥ ،
٤٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ .
التعميد ، امرأة ، ١٧٨ .
تكمة ، ٢٠٢ ، ٢١٩ .
تكه ، ٧٧ ؛ تكته ، ٧٨ .
التلمود ، ٥٤ ، ٥٥ .
تموز ، ١٦٣ ، ١٩٥
تميم ، بنو ، ٢٠١ .
التوديون ، ٥٤ .
تورا ، ١٣٤ ؛ برج ، ١٤٤ .
توراة ، ٢٦ ، ٣٥ .
تومسون ، كامبل ، ٦١ .
التهليل ، نص ، ٣٥٤ .
تيلر ، روبرت ، ٣ .

ـ ث ـ

ثابت ، بن قره ، ١٧ .
الثريا ، ١٥٩ .
ثيفنو ، ٦٣ .

ـ ج ـ

الجاحظ ، ٨ .
جاشان ، ٣١٧ ، ٣١٨ .
جبريل ، ١٣٣ ؛ گبريل ، ٢٨٩ .
جبير ، ابن ، ١٦ .
جسني ، ٣ .
الجليلي ، ٢٨ .
الجمّالي ، ٢٠١ .
جواد ، علي ، ١٢ .

جوبتر ، ١٤٠ .
جوزيفوس ، ٦٠ ، ١١٢ ، ١٥٧ ، ١٩٧ .
جولسون ، ٢٧ ، ٥٦ .
الجهات الاربع ، اسماء ، ٢٧٣ .
جيفان ـ جي ، ١٩٣ .
جيلان ، ٦٣ .

ـ ح ـ

الحاتفي ، ٩٢ .
الحاجات ، يوم ، ١٤٦ .
حران ، مدينة ، ١٣ ؛ گويثا ، ٥ ، ١٣ ؛ السفلى ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ؛ صابئة ، ١٧ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٣٣٠ .
الحرانيون ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ؛ الصابئون ، ١٣ ، ١٧ .
الحسني ، عبدالرزاق ، ٤ ، ١٩ ، ٢٧ .
الحلاج ، منصور ، ١٦٧ .
الحلالي (الحلالية) ٧٨ ، ٩٧ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ .
الحلفاية ، ٣٣ ، ٤٠ .
الحمامة ، ٢١١ ، ٢١٢ ؛ ذبح ، ٢٣٥ .
حمرين ، جبال ، ٤٨ .
حواء ، ٣٠٧ .
حواري ، ٤٥ ، ٤٧ .
الحيرة ، ١٨ .
الحيض ، ١٦٩ ، ١٩٢ ؛ لدى البارسيين ، ١٩٢ ؛ لدى الصابئين ، ١٩٤ ؛ لدى اليهود ، ١٩٤ ، ٢٦٦ .

ـ خ ـ

خرداذ ، ١٦٣ .
الخزر ، بحر ، ٥١ .
خضر الياس ، ٣٠١ .
خوزستان ، ١٤ ، ١٥ .

ـ د ـ

داراب ، بهلان ، ١٩٣ .
دارون ، ١٩٢ ، ٣١٧ .
دارى مهر ، ٣٢٠ .
داستانستان ، ١٩٢ ، ١٩٣ .
دانجن ، ثورو ، ٢٢٠ .
دانزج ، خليج ، ٣٦ .
دجلة ، ٣١ ، ٤٠ ، ١٦٨ .
دخيل ، شيخ ، ٥٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ٢٥٢ .

دراشه ، ديهيا ، ٢٧ ؛ كتاب ، ٣٤ ، ٦٧ .
دراور ، ٤ ، ٦ ، ٩ ، ١٤ .
درفشـــــه ، ٨٥ ، ١٣٧ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ؛ أران ، ١٧٧ .
دست ميسان ، ١٠
الدشه ، ٧٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
دلبات ، ١٣٩ .
الدليم ، ٦٤ .
دمشق ، ٤٠ .
الدمشقي ، ١٦ .
دنقا ، ١٥ .
دوتى ، ٢٨٥ .
دوله ، ١٣٤ ؛ برج ، ١٤٤ .
دهبا ، ١٤٥ .
دهفه ، اديمانا (هافا دامانى) ، ٩٨ ؛ ربـه ، ١٤٥ ؛ ادششلام ربـه ، ١٤٨ ؛ ادشوشيان ١٤٨ ؛ طرمه ، ١٥٠ ؛ حنينـــا ، ١٥١ ، ١٧٦ ؛ ٢٩٩ .
ديالى ، ٦٤ .
ديفون ، ٢٠٢ .
دي لاتر ، ٥٣ .
ديوان ، اباثر ، ٥ ، ١٧٥ .
الديوانية ، ٤٠ ، ٦٤ .
ديونا ، ٦٨ .
ديو جنيس ، ٣١٥ .

ـ ذ ـ

الذخرانـا ، ٤٢ ، ١٥٢ ؛ ربـه ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ؛ نص ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ؛ ٣١١ ؛ النسطورية ، ٣١٣ .
الذمة ، اهل ، ١٨ .

ـ ر ـ

رابيه ، ١٣٦ .
راشي بيشي ، ١٠١ .
رام ورود ، ١٥٥ .
راولنسن ، ٣٦ .
رايتزن شتاين ، ١٩١ .
الراين ، ٣٦ .
الـــربي ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ .
رسته ، ٧٧ ، ٨٩ ، ١٨٠ ؛ الكاهن ، ٢٥٧ .
الرشـــامه ، ٦١ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ؛ نص ، ٣٤٦ .

الرطنه ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٥١ ، ١٣١ ، ٢٠٤ ، ٣٠٢ .
رغزه ، ٧٨ ، ١٨٣ .
الرها ، ١٦ .
رهاطى ، ١٣٦ .
الرهبنة ، ٦٠ .
الرهمي ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٩ .
روبرتسن سمث ، ١٥٨ .
روجرس ، ٥٣ .
رودانوس ، ٣٦ .
رودون ، ٣٦ .
روزخورام ، ١٦٦ ؛ نواد ١٦٦ .
روما ، ١٧ .
الرومان ، ٦٢ .
رومي ، شيخ ، ١٠٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٦ ؛ غضبان ، ١٠٥ .
الرون ، ٣٦ .
روهه ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ٨٨ ؛ عباءة ، ٢٢٦ ؛ ام الكواكب ٢٢٧ ؛ سهم ٢٢٧ .
ريش امه ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .
ريشايا ، آله ، ٥ ، ٧٥ .

ـ ز ـ

الزاب ، ١٦٨ .
زانغويي ، ١٥٣ .
زحل ، ١٤٠ .
زدقه بريخه ، ٨٠ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ؛ الكاهن الخاطيء ، ٢٥٢ ؛ بعد الدفن ، ٢٢٧ .
زرتاى وزرتانى ، ١٥١ .
زردشت ، ٢٦ ، ٣١ ، ٥١ .
الزردشتيون ، ٥١ ، ٦٢ .
الزرسته ، ٥ ، ٧١ ، ٧٢ .
الزرگى ، ١٠٠ .
زكريا ، ١٦٧ .
زمرمان ، ٣٤ .
زمرن ، ٣٥ ، ١٩٥ .
زند ، يهلوى ، ١٩٣ .
زنده ، رافان ، ٣١٠ .
الزهرة ، ٩٩ .
زهرون ، ١٦ ، ٢٦ ؛ رازه كسيه ، ٧٥ ، ١٣٦ ، ١٤٢ .
زهريثا ، تعميد ، ٩٨ ؛ مصبته اِد ٢٣٣ .

زهير ، ١٣٦ .
زهريل، ٩٩ ؛ ليلث ، ١١٤ ، ١١٩ ؛
زوج هيل زيوه ١٤٠ .
زوطه المـــه ، ٥ ، ٧٥ ؛ نورون ،
١٤٨ .
زوطي ، ٣١٨ .
زيوه ، ياور ٧٣ ؛ فرات ٧٤ ، ٧٦ ،
شوم ياور ، ٨٠ ؛ هيل ، ٩٩ ،
١١٢ ، ٢٥٧ ؛ قمـــامير ٢٧٩ ؛
شاها بريل يوشامن ، ٢٨٢ ؛ ملكا ،
١٣٧ ؛ يوخاور ، يوكابر ١٦٠ ؛
مشبه ٢٣٠ .

ـ س ـ

الساسانيون ، ٨ ، ٦٥ .
سالا آمين ، ٧٣ .
سام ، ٢٠ ؛ بن نوح ، ٢٣٩ ، ٢٦٧ ،
ثواب ، ٦٨ .
ساگداد ، ٢٨٥ .
سامبيسية ، ١٩١ .
السامرة ، ١٨ .
سترابو ، ١١٣ ، ٣١٥ .
سامرايي ، ٧٨ ؛ لوفائى ، ٢٦٧ ؛
اثناء الدفن ٢٦٨ .
ستوه ، ١٤٤
السحار ، عبدالحميد ، ٥٠ .
سَدار ، ١١٣ .
سِدر ، شجر ، ٩١ .
سرجون ، اسرى من ، ٥١ .
سرنديب ، سيلان ، ٥٠ ، ٦٤ .
سروش ، ٢٨٩ .
السريانية ، ٣٧ .
سرطانه ، ١٣٤ ؛ برج ، ١٤٤ .
سفيان ، ١٣٦ .
سكين دوله ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ،
٩٤ ، ٢٥٩ .
سليمان ، حكمت ، ١٠٧ .
سمره ، ١٣٧ .
سمسم ، ١٨٢ ؛ رسم ١٨٦ ، ٢٠٦ .
سميتون ، ١٦٢ .
سندركا ، ٣٢١ .
سواديه ، ٢٤٥ ، ٢٥٩ .
سنسكريتيه ، ٢٩ .
سوربون ، جامعة ٨ .
سوريا ، ١٧ .
سوف زابا ، ٤٧ .
سوق الشيوخ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٦٤ ،
٢١٩ .
سوما ، ١٩١ ، ١٩٢ .

السومريون ، ٢٨ ، ٣١ ، ١٩٥ .
سيدره نشمانه ، ٥ ، ٦٨ ؛ ربه ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٢٧ .
سيگلبرج ، ٤ .
سيناء ، جبل ، ٤٢ ، ٤٦ .
سين ، ١٣٦ ، ١٣٨ .
سيوفى ، ٤ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٦١ ، ٢٣٠ .
سيمات هيي ، ٢٥٧ .

— ش —

شال شلوته ، دعاء ٢٤٠ .
الشام ، ٤٨ ، ٥٠ .
شامش ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٩٠ .
شبة ، ١٢٢ ، ٢٠٢ .
شختته ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٣٠٩ .
شدوم ، ١٥١ .
شروال ، ٧٧ .
شفياهي ، ١٤٣ ، ١٥٩ ، ١٨٨ .
شليهه ، ٤١ ؛ گاوريل ، ٣٢٣ .
شگاصه ، ٢٠٣ .
شكنده ، ٩٧ ، ١٢٤ ، ١٧٩ ، ٢٤٥ .
شلمي ، ١٤٧ .
الشمال ، ٦٢ .
شمشون ، ٢٤١ .
شمبلته (برج) ، ١٣٤ ، ١٤٤ ، ٢٦٩ .
شنان ، ١٣٣ .
شنتو ، ٢٢٠ .
الشهرستانى ، ١٦٠ .
شوربى وشره بيل ، ١٥٥ .
شوليه ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ .
شوم پاور ، ٨٦ ، ١٨١ ؛ فوهو ١٩٤ ، ٢٥٣ .
شياله ترسسرالف ، ٥ ، ٧٠ ؛ شيله ٧٨ ، ١٦٧ .
شيبار (سيبار) ، ملك ، ٣٥ ، ١٩٠ ، ٢٤١ .
شيتل ، ١٤٧ ، ١٥٩ ؛ عماد ٢٥٣ ، روح ٢٨٢ .
ششتر ، ٥٧ .
شيشلام ، ١٢٥ ؛ ربه ، ١٢٦ ؛ فابين ، ١٢٨ ، ١٤٧ ، ٣٣٠ .

— ص —

صا ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ .
الصابئة ؛ حران ، ٨ ، ٩ ، ١١ ،

١٢ ؛ البطائح ، ١٧ ؛ نكاح ، ١٧ ، ١٩ .
الصـــابئون ، ٣ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ؛ الحرانيون ١٣ ، ١٤ ، ٢٤ .
صابئى ، ٨ ، ٥٩ .
الصبة ، ٨ ، ٣٩ ، ٥٩ .
صاغة الفضة ، ٣٩ ؛ حوانيت ، ٤١ .
صاوريل (عزرائيل) ، ٢٨٩ .
صلمى ، ١٣٤ .
صورثه ، ٩٥ .
الصليب ، ١٧٥ .
الصوفية ، ٩ ، ١٧ .
الصين ، ٣٠ .
الصينية ، الحضارة ، ٢٩ .

ـ ط ـ

طابثه (طابته) ، ٢٧٠ ، ٢٧١ .
طابيت ، ١٥٤ .
طاليه ، ١٣٦ .
طاووس ، ملك ، ١٥٨ .
طبوثه ، ١٢٦ ، ٢١٢ ، ٢١٧ .
طبرشيل ، ٧٨ ، ١٤٦ .
طرادة ، ١٠٦ .
طراسه ، شرح د ، ٧٠ ، ٨٣ .
طريانه ، ٩٧ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ٢٧٣ .
طماشه ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٩٢ ، ٢٧٢ ؛ نص ، ٣٥٤ .
طور ، ادمداي ، ١٤ ، ٤٥ ، ٤٩ .
طى ، جبل ، ٥٠ .
الطيب ، مدينة ، ١٥٠ ؛ ماثا ، ١٥ ، ٤٨ .

ـ ظ ـ

ظلال القرآن ، ١١ .

ـ ع ـ

عاشوراء ، ١٦٣ .
عبادة ، عبدالحميد ، ٤ .
عبـــدالله ، شيخ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٣٣٥ .
عدى ، شيخ ، ٧ ، ٨ .
العراق ، ٦ ، ٩ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ١٦٢ .
العرب ، ٢٩ ، ٤٥ .
العربي ، مجلة ، ١٩ .
عربستان ، ٤٠ .
عشتار ، ٩١ .
عشتروت ، ٧٣ ، ٩٩ .
عطارد ، ١٤٠ .

العقاد ، عباس محمود ، ٤ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .
العمـــاد ، ٥٩ ؛ الكامل ، ١٧٣ ، بهرام ، ١٨٢ .
العمارة (مدينة) ، ١٠ ، ١٥ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ١٠٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ .
العمارنه (تل) ، ١٨٩ .
عيسنى ، ٤١ ، ٤٢ .

ـ غ ـ

غضبان ، رومي ، ١٠٥ .
غنوصي ، ٩ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٥٢ .
غوا ، ٦٤ .

ـ ف ـ

فاراس ، ٣٢٦ .
فارس ، ٢٩ ، ٣٠ ؛ فرس ، ٥٠ ، ١٩١ .
فاروار داجان ، ١٦٤ .
الفداء ، ابو ، ١٦ .
فدوة ، ٢٢٦ ، ٢٤٢ .
الفرات ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٠ ؛ زيوه ، ١٦٨ .
فرافاش ، ١١١ ، ١٨٩ .
فرزيات ـ نامه ، ١٩٣ .
فرانكفورت ، ٢٨٥ .
فرعون ، ١٦٣ .
فرنسا ، ٤٠ .
فريزر ، ١٨٩ .
فسباراد ، ٢٤٣ .
فطيره (ج) فطيرى ، ٢١٠ ؛ طقوس ٢٣٨ ؛ صنع ٢٧٤ .
فلسطين ، ١٣ ، ١٥ ، ٣٥ .
فنديداد ، ٦١ .
فنكلر ، ٥٢ ، ٥٣ .
فهرست ، كتاب ، ٣٩ ، ٥٩ .
فوردكاشا ، ٣٧ .
فيثاغور ، ٥٢ .
فيديين ، ٢٩ .
فيلد ، هنرى ، ٦٠ ، ٦٤ .
فينوس ، ١٦١ .
فيثيقيا ، ٢٩ .
فيداد ، ١١٣ .

ـ ق ـ

قابين ، ١٢٥ ؛ شيشلام ١٢٨ .
قاموس اللغة المندائية ، ٧ .
قبوعه ، ٧٨ .
قحطان ، قبيلة ، ٢٨٥ .
القرآن ، ٣ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

١٣ ، ١٨ ، ٥٦ .
القـــربان ، زدقه بريخه ، ١٢٨ ، ٢٧٥ ، ٣١٣ .
قداهه (ديوان) ، ٧٥ .
القرنه ، ٨ .
قره ، ثابت بن ، ١٧ .
قزوين ، ٣٧ ، ٥٢ ، ٣٣٠ .
قطب ، سيد ، ١١ .
قفقاس ، ٥٣ .
قلسته ، ٥ ؛ ديوان ، ١٣٨ .
قلعة صالح (مدينة) ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ١٠٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ .
قمامير زيوا ، ٢٧٩ .
قماهي ، ٥ ، ٧١ ، ١٤٠ ، ١٤٣ .
فندلفت ، ٩٨ ، ١٨٣ ، ٢١١ .
قوقه ، ١٧٤ ، ١٧٥ .
قينه ، ١٢٢ ، ١٣٤ ؛ برج ، ١٤٤ .

ـ ك ـ

كارون ، ٨ ، ٤٠ ، ١٦٨ .
الكاشا ، ٢٨٦ .
كاف كافان ، ١٥١ .
كاكادى ، سلالات ، ٥٣ .
كامل ، مراد ، ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ٥٥ .
كانات ، ١٣٧ .
كاوتاما (بوذى) ، ٢٩ .
كبرائيل ، ٦٢ ، ٢٨٩ .
كبرانا النسطورية ، ٢٧٥ ، ٣١٣ .
كبشه ، ١٣٠ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ٢٤٧ .
گداده ، ١٢٤ ، ١٢٦ .
كردستان ، ٣٠ .
كرمله (جبال) ، ٣٧ ؛ طور ٧٤ .
كرملي ، ٤ ، ٩ .
كرستيانيا ، ٤٣ ، ٤٦ .
كرشه ، ٢٠٥ .
كركوك ، ٤٠ ، ٦٤ .
گرطاسه ، ١٧٨ ، ١٧٩ .
كركوشه ، ١٩ ، ٧٩ .
كرون ، ٨٨ ؛ جبل اللحم ، ١٥١ .
كستى ، ٨٩ ، ٩٠ .
كسيه ، ادم ، ١٤ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٣٣ .
كسويه ، ٧٧ .
كشـــطه ، دموئه ، ٧٥ ؛ المصافحة اليدوية ٨٦ ، مشـــونى ، ٤٩ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٦٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٨٣ ؛ معنى ٢٨٤ .

الكلدانيون ، ٣٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .
كليله ، ٨٠ ، ١٧٤ .
كنثه ، ٢٢٨ ، ٢٧٣ .
گنزه ، كتاب ، ٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ؛ مقتبس من كتاب ، ٣٤٢ .
كنزاله ، ٧٩ ، ٢٢٦ .
گنزفره ، ٢٧ ، ٦١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ؛ امرأة ٢٢٤ ؛ تكريس ٢٤٦ ؛ ملك ٢٥٠ ؛ وفاة ٢٥١ ، تعميد خاطيء ٢٥٤ .
كنشي وزهلي ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٦ .
كنكانه ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٧٤ ، ٢٧٣ .
الكواكب ، ١٦١ .
الكهانة ، الكاهن ، تدشين ، ٢٢٣ ؛ وراثية ٢٢٣ ؛ تكريس ٢٤٥ ؛ خطيئة ، ٢٥٢ ؛ الملك ، ٢٥٥ .
كورونانك ، ٢٩ .
كوت ، ٤٠ ، ٦٤ .
كوتى ، ٥٣ .
كورت رودولف ، ٤ .
كورش ، ٢٧ ، ٥٣ ، ٢١٩ .
كومونت ، ١٧٥ ، ١٩١ .
كوميز ، ١٩٣ .
كيخسرو ، ١٦٣ .
گيطه ، ١٤٤ .
كيلان ، ٨ .
الكيمريون ، ٥٣ .
كيوان ، ١٣٦ ، زحل ١٤٠ .

ـ ل ـ

لاريت ، ديوجونيس ، ٩١ .
لايارد ، هنرى ، ٣ .
اللطلاطة ، ١٠٩ ، ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٢٥٢ .
لگش ، ٢١٩ .
لو (الشرق) ، ١٩٥ .
ليات (دلبات) ، ١٣٥ ؛ ليوات ، ١٣٦ ، ١٣٩ .
لوفاني ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٧٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ؛ المصريين ، ١٥١ ؛ سامرايي ، ٢٤٨ ؛ دعاء ، ٢٧١ ؛ البيت ، ٢٩١ ؛ نص ، ٣٥٦ .
ليتزمان ، ١٩٦ ، ١٩٧ .
ليدزبارسكى ، ٤ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ١٤٥ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٩٦ .

ليلت ، ٦٠ ؛ زهريل ، ١١٤ ، ١٢٥ .

— م —

الماء (يردنه) ، ٣١ .
ماتسوخ ، رودولف ، ٤ ، ٧ .
ماداي (جبل) ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ .
ماديثا ، ٥٢ .
مارادربوثا ، ١٣٣ .
مارس ، ١٤٠ .
مازندران ، ٦٣ .
ماغ ، ١٥١ .
ماكدونالد ، ١٥٦ .
المأمون ، ٩ .
مانا ، ربه ١٣٣ ، ١٥٦ ، كسيه ١٣٣ ؛ سام ، ١٣٧ ؛ فوهو ، ١٥٩ ، ٢٨٩ .
ماند ، ٥٤ .
ماندابا ، ٥٤ .
مانوية ، ٨ ، ٣٩ ، المانويون ، ٦٠ .
مانى ، ٣٩ .
مبطل ، ١١٩ ، ١٥٠ .
مثرا ، ١٦٠ ، ١٩١ .
المجوسية ، ٢٥ ، ٢٧ ، مجوس ، ٣٩ ، ١٧١ .
محسن ، بن مهدي ، ٥٧ .
محمد (ص) ، ٤١ ، ٤٨ .
المحمرة ، ٣٣ ، ٤٠ .
مردخ ، ١٨٩ ؛ انا ، ١٩٠ .
مرگنه ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٢٥ ، ١٧٩ .
مرياي ، ٣١٣ .
المزدكية ، ٢٨ ؛ المزديه ، ٥١ .
مس — بي ، ١٩٥ .
مسخته ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١٤٦ ، ١٧٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ؛ الشوليه ، ٢٣٥ ؛ وقود ، ٢٧٤ ، ٢٩٨ ؛ المندي ، ٢٩٨ ؛ الكنزفره ، ٢٩٨ ؛ شيتل ، ٢٩٨ ؛ زهرون رازه كسيه ، ٢٩٩ ؛ ادم ٢٩٩ ، ساماندريل ، ٢٩٩ .
المسره ، المجلة ، ١١ .
مسقط ، ٦٤ .
المسلمون ، ١٦٢ ، ١٩٤ .
المسيح ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ؛ الدجال ، ٥٧ ، ٦١ ، ٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٦ .
المسيحية ، ٢٨ .
المشتري ، ١٤٠ .

مشحوف ، ١٠٦ .
مشكنه ، ٥١ ، ١٩٩ .
مشه ، ٢١٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ .
مشيهه : يشو ، ٤٢ ، ١٧١ .
مصبته ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٥٩ .
مصر ، ١٧ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٥٠ .
مطرانه (المطهر) ، ١٩ ، ٧٤ ، ٩١ .
المفتسلة ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٧ ، ٣٩ ، ٥٩ .
ملاكيا ، ٧٣ .
ملح ، ٢٧٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ .
ملكا دنهورا ، ٢٧ ، ٣١ ، ١٣٣ ، ١٧٠ .
ملكوثه ، ديوان ، ١٧٥ .
ملكي ، (ملائكه) ، ٢١ .
ملواشة: اسفر ، ٥ ، ٧٠ ، ٧١؛ الاسم الفلكي ، ١١٨ ، ١٦٩ ، ١٤٠ .
ملوان ، ٢١٩ .
ممبوهـــه ، ٨٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٠٧ .
المنتفك ، ٦٤ .
مندا عمان ، ٥٣ .
مندادهي ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ١٩٦ ؛ يوزاطق ، ٢٣٨ .
المندائي ، ٨ ، ١٠ ، ١٥ ، ٣٩ ، ٤٣ ؛ ابو الفتح ١٥ ؛ جبل ، ٤٥ ، ٥١ .
المندائية ، اللغة ، ٥ ، ٣١ .
المندائيون ، في العراق وايران ، ٦ ، ٩ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤٩ .
مندلثا ، ٥٢ ، ٢٦١ ؛ بناء ، ٢٦٢ ؛ معنى ، ٢٦٧ .
منكر ونكير ، ٢٨٩ .
المندوية (عشيرة) ، ٢٠٦ .
مندي ، ٤٥ ، ٥١ ، ١١٩ ؛ تكريس ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ؛ مندا (بيت العبادة) ، ١٩٩ ؛ بناء ، ٢٠٠ ؛ طراسه أد ، ٢٠٤ ، ٣٣٠ .
مودي ، ٣٧ ، ٦٣ ، ١٦٥ ، ٢٨٨ .
مور كان ، دي ، ٧٠ .
موري ، ٢١٩ .
موسى ، ٥٠ ، ١٧١ .
موصل ، ٤٠ ، ٦٤ .
مولتـــون ، ١٦١ ، ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٢٨٦ .
ميديا ، ١٤ ، ٢٩ ؛ الميديون ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٢ .
ميسره ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

ميمونيدس ، ١١٤ ، ١٩٤ .

— ن —

نابونيدس ، ٥٣ .
النادرة ، الهفوات ، ١٧ .
الناصرة ، ٤٣ ، ٤٦ .
الناصرية ، ٣٣ ، ٤٠ ، ١٠٩ .
الناصورائي ، ١٣ ، ١٤ ، ٤١ ، ٤٢ .
الناصورائيون ، ١٤ ، ١٧ ؛ نباتيون ، ١٠١ .
ناصيروثا ، ١٣ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٦٠ .
ناطري ، ١٤٨ .
نافار ، ٢٤٣ .
نان ، ١١٣ ، ١٩٢ .
نابير ، ٢٠٠ .
النبط ، ٦٣ .
النبطيون ، ٥٥ .
النجم القطبي ، ٦٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ؛ شيخ ، ١٠٩ ، ٢٦٥ .
ندباي ، ١٤٦ .
النديم ، ابن ، ٨ ، ٩٢ ؛ فهرست ابن ، ١٠ .
نرگل ، ١٦١ .
نزرته ، ٤٦ .
النساخه ، ٣٥٤ .
نشمثه ، ٩٣ .
نصـــارى ، ٩ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٦٢ .
النسطورية ، ٢٨ ، ٣٤ .
النصيفه ، ٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .
النعمة ، غرس ، ١٧ .
نهروانا ، ديوان ، ٧٤ .
نهورا (نور) ، ٣٦ .
نوح ، ٢٠ ، ١٥٥ .
نوره ، سهاده اد ، ٢٣٧ .
نولدكه ، ٤ ، ٩ ، ٥٤ ، ١٩٥ .
نوروز ، ١٤٥ ؛ زوطه ، ١٤٨ .
نوربرغ ، ماتيو ، ٦٩ .
نوريتا (نهوريتا) ، ١٥٥ .
نونه ، ١٣٤ ؛ برج ، ١٤٤ .
نياني ، كتاب ، ٥ ، ٧١ .
نيرغ ، ١٣٥ ؛ مارس ، ٢٨١ .
النيل ، ٥٠ .
نينوى ، ٣ ، ٥٣ .

— و —

واسط ، ١٥ .
ودنگرن ، ٤ .
الوركاء ، ١٩٥ .

ويلشتيد ، ٨٩ .

ـ هـ ـ

هاغ ، ٨٨ ، ١٥١ .
هـافادماني (هافامانيا) ، ٢٩٩ ؛ طقوس ، ٣٠٢ ، ٣١٦ .
هاروذا ، ١٩٠ ، ١٩١ .
هاورفاتات ، ١٩١ .
هبشبه ، ٩٧ ، ١٣٥ ، ١٦٠ .
هردبايا (هربابايا) ، ٤٧ .
هردي ، ٢٠٢ .
هرمز (هرمش ، هرميس) ، ٢٦ ، ٢٢٦ ؛ شاه ، ٢٩ ، ٣٤ ، ١٦٠ .
هـرمزد ، ٣٤ ؛ خسرو بن ، ٦٥ ؛ شيخ ، ١١٢ ، ١٥٥ .
هشوخه ، ملكا اد ، ١٣٨ .
هطيه ، ١٣٤ .
همدان ، ٥٣ .
همره ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ٢١٨ .
هميانه ، ٧٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٧٠ ، الهند ، ٢٩ ؛ فلاسفة ، ٢٩ ، ٣٠ .
هوشابا (هبشبه) ، ١٣٥ ، ١٦٠ ، ٢٨١ .
هوما ، ١٩٢ ، ٣١٧ .
هيبـل زيوا ، ٩٩ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٩٢ ، ٢١٤ ؛ مصبته اد ، ٥ .
هيبوليتس ، ٣١٢ .
هيرودوتس ، ٣٦ ، ١٩١ ، ٢٢١ ، ٣١٥ .
هيوا (الحية) ، ٨٧ .
هيّي ، ٤٦ ؛ سيمات ، ٧٣ ، ٩٩ ، ١٦٨ ، ٢٥٧ ؛ ربـي ، ٣٤٦ ؛ رواهه اد ، ٣٤٦ .

ـ ي ـ

يازاتات ، ١٥٧ ، ١٧٢ .
يازاشناگاه ، ٢٤٣ .
ياما ، ١٩٠ .
ياور ، شوم ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١٨١ ؛ زيوا ، ٢٥٧ .
يحيى ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٤٧ ؛ الشيخ ، ١٨٧ .
يدوثا ، ٥٢ .
يردنه ، ٣٥ ، ٦٩ ، ١٨٧ ، ١٩٦ .
اليزيدي (اليزيديون) ، ٣٩ ؛ ١٥٨ ، ١٦٥ .
اليسنا ، ١٥٩ ، ١٩٢ ، ٢٤٣ .
يسوع ، ٤٢ ؛ ولادة ، ٤٦ .
يلوفا ، ١٣٧ ، ٢٢٣ .

اليهود ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٤١ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٣٠٧ .
١٦٢ ، ٣٩٠ .
اليهودية ، ٢٧ ، ٢٩ .
يوحنا ، القديس ، ٣٩ ؛ المعمدان ، ١١ ، ٢٣ ، ٤١ ، ١٩٦ .
يوها طايي ، ٤٥ ، ٤٧ .
يوسف ، روز ، ٥٠
يهيا ، يهانا ، ٤٦ ؛ دراشه اد ، ٥ ،

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة المترجمين	٣
مقدمة المؤلفة	٢٤
ملاحظات عن المقدمة	٣٤
الفصل الاول	
المندائيون (الصبة) في العراق وايران	٣٩
ملاحظات حول الفصل الاول	٥٩
الفصل الثاني	
كتب الصابئين	٦٥
ملاحظات حول الفصل الثاني	٧٦
الفصل الثالث	
الشعار وملابس الطقوس	٧٧
ملاحظات حول الفصل الثالث	٨٩
الفصل الرابع	
الحياة العامة	٩٣
ملاحظات حول الفصل الرابع	١١٠
الفصل الخامس	
الزواج (قابين)	١١٧
الفصل السادس	
الخليقة والتنجيم والاعياد	١٣٣

الموضـــوع	الصفحة
ملاحظات حول الفصل السادس	١٥٦
الفصل السابع	
التعميد (مصبتا)	١٦٧
ملاحظات حول الفصل السابع	١٨٩
الفصل الثامن	
المندا ـ بيت العبادة ـ	١٩٩
ملاحظات حول الفصل الثامن	٢١٩
الفصل التاسع	
الكهانة ـ تدشين الكاهن أو الترميذا	٢٢٣
ملاحظات حول الفصل التاسع	٢٤١
الفصل العاشر	
الكهانة (تسة) ، تكريس الكاهن الاعلى (كنزفره)	٢٤٥
ملاحظات حول الفصل العاشر	٢٥٥
الفصل الحادي عشر	
الموت والطقوس على روح الميت	٢٥٧
ملاحظات حول الفصل الحادي عشر	٢٨٤
الفصل الثاني عشر	
تناول الطعام على روح الميت	٢٩١
ملاحظات حول الفصل الثاني عشر	٣١٠
الفصل الثالث عشر	
الوجبات الطقسية البارسية	٣١٥
الفصل الرابع عشر	
الالفباء الصابئية	٣٣١
ملاحظات حول الفصل الرابع عشر	٣٤٠

ـ ملاحـــق ـ

الموضـــوع	الصفحة
١ ـ مقتبس من كتاب « كنزه ربه » بالحرف المندائي	٣٤٢
نطق المقتبس بالحرف العربي	٣٤٤
ترجمة المقتبس	٣٤٥
٢ ـ هيي ربي ـ الحي العظيم (البسملة)	٣٤٦
٣ ـ رواهه إِد هيي ـ رحمة الرب (الفاتحة)	٣٤٦
٤ ـ بلّط پندامه ـ فك اللثام	٣٤٦
٥ ـ الرشامه ـ الوضوء	٣٤٦
٦ ـ البراخه ـ الصلاة ـ صباحا	٣٥٠
٧ ـ البراخه ـ الصلاة ـ ظهرا	٣٥٢
٨ ـ البراخه ـ الصلاة ـ مساء	٣٥٢
٩ ـ الطماشه ـ الاغتسال ـ	٣٥٤
١٠ـ النساخه ـ الذباحة ـ	٣٥٤
١١ـ التهليل ـ التحلل من خطيئة الذبح	٣٥٤
١٢ـ اللوفانى ـ طعام الغفران	٣٥٦
١٣ـ قائمة بالاسماء التي تعتبر ميمونة للمواليد مع قيمتها العددية	٣٦٠
١٤ـ جدول بالايام التي يحرم فيها الذبح	٣٦٢
١٥ـ كلمات مندائية ورد استعمالها كثيرا في الكتاب	٣٦٣
فهرس عام	٣٦٩
كلمة أخيرة	٣٩١
مراجع الكتاب	٣٩٢
جدول بالخطأ والصواب	

يتقدم المترجمان الى الشيخ عبدالله الشيخ سام رئيس طائفة الصابئين الروحاني في بغداد ، بالشكر الجزيل على ما ابداه لهما من عون في مراجعة الكتب المندائية في مكتبته الخاصة وفي اجابته لهما عن كل ما طرحاه عليه من اسئلة لم تكن الاجابة عليها ممكنة لولاه ، وبخاصة ترجمة بعض الطقوس التي اضيفت الى الكتاب كملاحق .

ويشاهد في الصورة أعلاه الشيخ (كنزفره) عبدالله وعن يساره البروفسور الدكتور رودولف كورت أحد كبار المهتمين في دراسة الدين الصابئي في الوقت الحاضر ، وهو يعمل الآن رئيسا لقسم اللاهوت في جامعة ليبزج . وقد اخذت الصورة لدى زيارة الدكتور كورت للعراق في صيف عام ١٩٦٩ للاطلاع على شعائر وطقوس الصابئين ، كما يرى السيدان نعيم بدوي وغضبان رومى مترجما هذا الكتاب الى يمين ويسار الصورة على التوالي .

مراجع الكتاب

AL-Bïrünï, Muhammad ibn Ahmad (Abu'l-Raihän). Translated by Prof. E. Sachau. Chronology of Ancient Nations (W. Allen and Co., 1897).

Anz, Wilhelm. Zur Fragenachdem Ursprungdes Gnositizismus: Ein religionsgeschichtlicher Versuch (Texte und Untersuchungen zur Geschichte der altchristlichen Literatur: Leipzig, 1897).

Bliss, F. Jones, Ph. D. The Religions of Modern Syria and Palestine (Chas. Scribner's Sons, New York, 1912).

Bousset, Wilhelm. Hauptprobleme der Gnosis (Forschungen zur Religion und Literatur des alten U. neuen Testaments, Hft. 10 : 1907).

Brandt, Dr. A. J. H. Wilhelm. Die mandäische Religion ihre Entwickelung und geschichtliche Bedeutnug (J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung. Leipzig, 1912).

—— Die Mandäer: ihre Religion und ihre Geschichte (Müller : Amsterdam 1915).

—— Elchasai: ein Religionsstifter u. sein Werk (Hinrichs'sche Buchhandlung. Leipzig, 1912).

—— Die jüdischen Baptismen (Töpelmann: Giessen, 1910).

Burkitt, Dr. F. C., D. D. Church and Gnosis (Cambridge Univ. Press: 1932).

Burrows, father Eric, S. J., Orientalia: 'Problems of the Abzu' (Commentariipenriodici Pontificii Instituti Biblici: Rome, 1932).

Chwolson, Dr. D. Die Ssabier und der Ssabismus, 2 vols. (St. Petersburg, 1856).
(S. P. C. K.: 1917).

Contenau' Dr. G., La Civilisation Phénicienne (Payot: Paris, 1926).

Charles, Dr. R. H., D. D. D., Litt. The Book of Enoch

Cumont, Franz. The Mysteries of Mithra (Kegan Paul: London, 1903). Translated by T. J. McCormack.

—— Monuments rélatifs au culte de Mithra, & C. (Brussels, 1899).

Delattre, A. J. Le Peuple et l'empire des Mèdes jusqu' à la fin du règne de Cyaxare (Mémoires couronnés, &c. par l'Académie Royale des Sciences, &c., de Belgique, Tome xlv).

Dimashqi Shams-ad-Dïn Muhammad Ibn Abi Tälib. Nukhbat ad-Dahr fï 'Ajä'ib al-Barr wa'l-Bahr (quoted in Ch. S., pp. 380-414).

Doughty, William. Arabia Deserta, 2 vols. (Boni & Liveright: New York, 1921).

Drower, E. S. (E. S. Stevens). 'The Kaprana' (Orient and Occident: the Gaster Anniversary Volume, Taylor's Foreign Press: London, 1936).

—— 'Mandaean Writings' (Iraq, vol. i, pt. ii, Nov. 1934).

Ebeling, Erich. Assurtexte I, no. 6: Keilschrifttexte aus Assur religiösen Inhalts (Deutsche Orient-Gesellschaft: Wissenschaftliche Veröffentlichungen, &c., Berlin, 1900).

Frankfort, Dr. Henri. Archeology and the Sumerian Problem,. Chicago Studies in Ancient Oriental Civilization, No. 4(Univ. of Chicago Press, 1932).

Frazer, Sir James G. The Golden Bough, 12 vols. (Macmillan & Co. : London, 1915).

Gray, Prof. L. H., M. A., Ph. D. The Foundations of the Iranian Religions (K. R. Cama Oriental Institute, Bombay, No. 5).

Herzfeld, Dr. Ernst E., D. Phil, Archaeological History of Iran (Schweich Lectures of the British Academy, 1934, Oxford Univ. Press, London, 1935).

Hopkins, Washburn. Epic Mythology (Grundriss der Indo-arischen Philologie und Altertumskunde: Strassburg, 1915).

Jackson, A. V. Williams. Researches in Manichaeism (Columbia Univ., New York, 1932).

Jastrow, Marcus, Ph. D., Litt. D. Dictionary of the Targumim, Talmud Babli, &c (Authorized Edition. Choreb Press, 1926).

Jeremias, Dr. Alfred. Hölle und Paradies bei den Babyloniern (Vorderasiatische Gesellschaft, Der alte Orient, &c. Jhrg. I, Heft 3: Berlin, 1900).

Jesu, Père F. Ignatius a. Narratio Originis, Ritum, et Errorum Christianorum Sancti Joannis (Romae Typis Sac. Cong. Prop. Fidei, 1652).

King, Dr. L. W. Cuneiform Texts from Babylonian Tablets, &c. in the British Museum, pt. xiii, 1896.

Lidzbarski, Mark, 'Uthra u. Malakha' in Orientalische Studien, Theoder Nöldeke zum 70sten Geburtstag gewidmet (Giessen, 1906).

—— Das Johannisuch der Mandäer, 2 vols. (Töpelmann: Giessen, 1915).

—— Mandäsche Liturgien mitgeteilt, übersetzt, &c.

(Sitzungsberichte d. Preuss. Akad., Phil.-hist. Kl., Bd. 17, no. 1: Berlin, 1920).

Der Ginza übersetzt und erklärt (Vandenhack u. Ruprecht : Göttingen, 1925).
(Vandenhack u. Ruprecht: Göttingen, 1925).

Lietzmann, Hans. Ein Beitrag zur Mandäerfrage (Sitzungsberichte d. Preuss. Akad., Phil.-hist. Klasse, 1930).

Lucius, P. E. Der Essenisnus in seinem Verhältnis zum Judenthum (Strassburg, 1881).

Macdonell, Arthur A. Vedic Mythology (Grundriss der Indoarischen Philologie u. Altertumskunde, Bd. III, Heft A: Strassburg, 1897).

Maimonides, Moses. Möreh-han-Nebükīn (quoted by Chwolson, q.v.).

Mallowan, M. E. L. and J. Cruickshank Rose. 'Excavations at Tall Arpachiyah, 1933, pp. 30—1 (in Iraq, vol. ii, part i, 1935).

al-Mas üdï, 'Alï ibn Husain. Murüj-al-Dhahab (quated by Chwolson, q.v., vol. ii, pp. 366-79).

Meissner, Dr. Bruno. Babylonien und Assyrien (Heidelberg, 1920).

Modi, Sir Jïvanjï Jamshedji, B.A., C.I.E. The Religious Ceremonies and Customs of the Parsees (British India Press: Bombay, 1922).

—— 'The Mandaeans5 (Journal of the K.R. Cama Oriental Institute, 1932).

—— 'Darab Hormazdyar's Rivâyat' (ibid.).

Moulton, J. H. Early Religious Poetry of Persia (Camb Univ. Press, 1911).

—— Early Zoroastrianism (Hibbert Lectures, Second Series; Williams and Norgate: London, 1913).

—— 'The Treasure of the Magi, a Study of Modern Zoroastrianism, (The Religiqus Quest of Lndia, ed. Farquhar and Griswold, Oxford Univ. Press, 1917).

An-Nadïm, Muhamman ibn Ishäq. Fihrist al-'Ulüm (quoted in Chwolson, vol. ii, pp. 1—52, q.v.).

Nöldeke, Theodor. Mandüische Grammatik (Halle, 1895).

Pallis, Svend Aage, M.A., Ph.D. Mandaean Studies (Milford: London, 1926).

—— Mandaean Bibliography (Oxford Univ. Press, 1933).

—— The Babylonian Akitu Festival (Det Kgl. (Danske Videnskabernes Selskab, Copenhagen: Andr. Fred. Host & Son, 1926).

Petermann, J. H. Reisen im Orient, 2 vols. (Veit & Co.: Leipzig, 1820).

Pognon, Henri. Inscriptions mandätes des coupes de Khouabir (Paris, 1898).

Reitzenstein, R. Die Vorgeschichte der christlichen Taufe (B. G. Teubner: Leipzig u. Berlin).

Rogers, Robert William. A History of Ancient Persia (Cha Scribner's Sons: New York, 1929).

Ash-Shahrastänï, Abu-l-Fath Muhammad. Kitäb al-Milal wal-Nihal (quoted by Chwolson, vol. ii, pp. 415-50, q.v.).

Siouffi, M. N. Etudes sur la religion des Seubbas ou Sabéens (Imprimerie Nationale, Paris, 1880).

Smith, J. Payne, (Mrs. Margoliouth). A Compendious Syriac Dictionary (Oxford, Clarendon Press, 1903).

Smith, William Robertson. Lectures on the Religion of the Semites, 3rd ed. (A. and C. Black: London, 1927).

Stevens, E. S. (Mrs. E. M. Drower). By Tigris and Euphrates (Hurst and Blackett, 1923).

—— Folk-Tales of 'Iraq (Oxford Univ. Press, 1931). (See also under Drower.)

Strabo. The Geography of Strabo, translated by Hamilton and Falconer, 3 vols. (Bohn's Classical Library, 1848 ff.).

Thévenot, Melchisedech. Rélations de divers voyages curieux (Paris, 1663).

Thompson, R. Campbell. Semitic Magic, its Origins and Development (Luzac & Co.: London, 1908).

Thureau-Dangin, F. Rituels Accadiens (Paris, 1921).

Van Guren, Mrs. E. The Flowing Vase and the God with Streams (Hans Schoetz & Co.: Berlin, 1933).

Wellsted' J. R. Travels to the City of the Caliphs, 2 vols. (London, 1840).

Winckler, Hugo. Zur medischen u. altpersischen Geschichte (Untersuchungen zur altorientalischen Geschichte: Leipzig, 1889).

—— Himmels- und Weltenbild der Babylonier (Vorderasiatische Gesellschaft, Der alte Orient, &c. Jhrg. 3, Heft 213: Leipzig, 1901).

Yäqüt, Shihäb-ad-Dïn ibn 'Abdullâh, al-Hamäwi. Mu'jam al-Buldän (quoted by Chwolson, q.v.).

Zimmern, Heinaich. Die Beschwörungstafeln Surpu, &c. (Beiträge zur Kenntnis der babylonischen Religion, Bd. 12: ass. Bibliothek, 1996-1901).

Also The Legacy of Islam and The Legacy of Israel published by the Oxford University Press, and various classical authors: Strabo, Josephus (Whiston's Trans. revised by Shillito. 5 vols, Bohn: London 1889), Herodotus, Philo, &c.

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧	٦	instute	Institute
٤٦	١	المنددي	المنادي
٩٥	١٣	هشتمه	هثمته
١٢٠	١	الهاية ربيشه	الهايه ربيثه
١٣٠	١٢	(كبشه)	(كبثه)
١٣٧	٢٤	كهونية	كهنوتية
١٤٤	١٨	طابيت (طاييث)	طابيت (طابيث)
١٦٧	٥	البيفره	البغره
١٧٧	٢٠	« والاكليك »	« الاكليل »
١٧٩	١٨	الاتفاف	الالتفات
١٨٥	١٧	وهد	وهو
١٨٨	٩	كبير	كبيرة
١٩٠	٥	يسمح	يسمع
١٩٩	٤	في	فيه
٢٠٣	٧	تركهكبه	تركيبه
٢٠٦	٦	لموكل	الموكل
٢٠٧	١٥	يرتلون	يرتلان
٣٣١	١٣	ينطقرنه	ينطقونه

٩/٢٠٠٠/١٢/١١/١٩٦٩

Date Due

Demco 38-297